شفاء القلوب من داء الكروب

تأليف الشيخ العلامة
خميس بن راشد بن سعيد العبري
رحمه الله تعالى

الجزء الأول

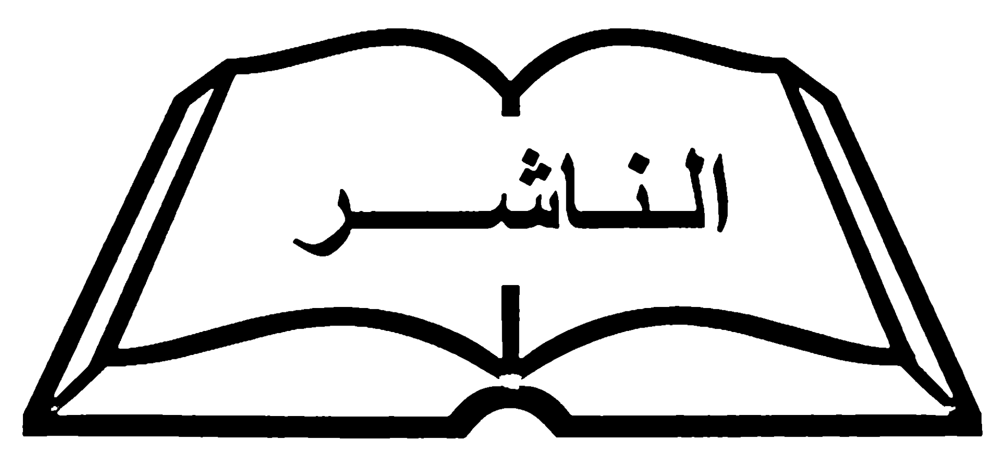
الطبعة الثانية
١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م

شِفَاءُ القُلُوبِ
مِنْ دَاءِ الكُرُوبِ

تأليف الشيخ العلامة
خميس بن راشد بن سعيد العبري
رحمه الله تعالى

الجزء الأول

الطبعة الثانية
١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م



مكتب المُستشار الخاص لجلالة السُلطان
للشؤون الدينية والتاريخية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

نُبذة تعريفية عن المُؤلِّف والكِتاب :

بقلم الدكتور/ سعيد بن عبدالله بن محمد العبري

أولا : ترجمة الشيخ خميس بن راشد العبرى :

نسبه ولقبه :

هو الشيخ خميس بن راشد بن سعيد بن مسعود بن راشد بن خميس بن عمر بن عيسى بن عمران بن راشد بن عمر بن عيسى بن عمران العبري، ولقّب نفسه بذي الغبراء، وتلقيب نفسه بذي الغبراء وضحه الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري في كتاب تبصرة المعتبرين، حيث قال: "هو الشّيخ العالم الزاهد الرّضي الولي خميس بن راشد ....العبري الحمراوي، الملقب نفسه بذي الغبراء تواضعاً وقناعة أو منتسباً إلى عمان على أنها تسمى الغبراء أو الغبيراء".

ولقد اشتهر بلقبه هذا، وكان يكتبه في مخاطباته، فذكر ذلك في الذكر التاسع والخمسين من كتابه هذا الذي سماه: "شفاء القلوب من داء الكروب" فقال : (من محبكم ذي الغبراء ، الذي سكن الحمراء ، وانتسب من بني عبرا ، وكتبه في الجمعة الزهراء ، في أول يوم من العشر الأخر من جمادى الأول وخمس وخمسين ومائتين وألف من الهجرة) .

مولده :

وُلِدَ (رحمه الله) في وطنه بلد الحمراء ؛ يقول الشيخ إبراهيم بن

سعيد العبريِ : (ولم أقف على تاريخ ولادته ، وعلى ما أتحراه على ما بلغه من السن في عُمر الثمانين أو في ما بينها وبين التسعين بعد المائة والألف) من الهجرة النبوية .

توفي والده الشيخ راشد بن سعيد في مكة المشرّفة خارجاً لقضاء فرض الحج، وكذلك جدّه الشيخ سعيد بن مسعود، حيث ذكر ذلك عن والده وجدّه في الذكر الخامس عشر فقال: (وقد حكي لي أن جدي قصد الحج، فنزلت به هذه العلة فاغتلق عليه الموسم والناس رجعوا من حجهم بسرعة في ستة أشهر، وجدي مكث ستة أشهر وسنة، فذهب ما في يده، وقلّ ما عنده، وبقي كلاً على الناس، وعليه الديون، وكذلك أبي لزمه فرض الحج، فلما وصل البقعة المباركة نزل به الجدري، فتركه أصحابه وقصدوا إلى عرفة، ومات أبي يوم الحج في مكة، فذهب جميع ما كان في يده من الأموال ولم يحضر أحد من أصحابه ليوصيه بحجة، ولكن لعله سالم عند الله، لأني وجدت في الأثر: من لزمه الحج وقصد لتأديته ومات في طريقه قبل أن يؤدي فريضة الحج، فقيل: إنه ينحط عنه الفرض على نيته وقصده).

نشأته :

نشأ الشيخ خميس نشأة طيبة مباركة، وجدّ واجتهد في طلب العلم، ولم يدرك أحداً من أهل العلم في بلده، إلا الشّيخ سليمان بن عدي بن محمد حيث أدركه في أيام صباه، وكان ميّالاً إلى علم الفلك، وكان زميله فيه الشّيخ علي بن ناصر بن محمّد بن حمير النّبهاني.

حياته الاجتماعية :

سكن في أثناء عمره بلد الشّريجة في جبل بني ريام، وتزوج منهم

وولد له هناك أولاد ثم ماتوا بها، ودفنوا في مقبرة الصقريين، فحزن عليهم كثيراً ورثاهم، ورثاهم له إخوانه من الأفاضل، كالشّيخ علي بن ناصر، وقد ذكر المراثي في كتابه، وأكثر مكثه كان في بلده الحمراء، ومن أولاده في بلد الحمراء الشيخ ماجد الذي يعد من أكابر علماء عمان.

تولى بعض المهام في بلده الحمراء؛ فقد تولى وكالة فلج الحمراء حيث ذكر ذلك في الذكر التاسع والخمسين فقال: (وقلتم اختاروه لوكالة الفلج من قبل أمانته).

عاصر العلامة الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، رضي الله عنه، وطلبه للحضور معه ومع من اجتمع لديه من علماء المسلمين وفضلائهم ببلد الرّستاق، كما عاصر الشيخ ناصر ابن أبي نبهان والشيخ جاعد بن خميس الخروصي والشيخ عامر بن علي العبادي.

رحلاته وشيوخه :

كان يهاجر في طلب العلم إلى نزوى؛ ليأخذ من علمائها كالشّيخ عامر بن علي العبّادي ومن كان في عصره من العلماء، ومن الشّيخ العلاّمة الجليل أبي نبهان جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي رضي اللّه عنه ببلد العلياء من وادي بني خروص، وقد أخذ عنه وعن ولده الشّيخ العالم ناصر بن أبي نبهان رحمه اللّه.

صلته بالشيخ ناصر بن جاعد الخروصي :

توثقت صلته بالشيخ العلامة الرباني ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي، وأدى فريضة الحجّ في صحبته، وكان له معه صحبة حسنة،

كما كانت له مع والده العلامة أبي نبهان، وتدل المخاطبات بينه وبين الشيخ ناصر الواردة في الذكر العاشر من كتابه شفاء القلوب على قوة هذه الصحبة بينهما.

عبادته :

كان له من العبادة والأوراد الحظ الأوفر، يقول الشيخ إبراهيم بن سعيد عنه:"حدثني ولده العلامة الشيخ ماجد أنه كان لا يفتر عن الذكر وتلاوة القرآن، وأنه كان يرى في وقت السّحر فوق سطح عالٍ، فيرفع صوته بالذكر والوعظ، ويأمر الناس أن يستيقظوا للصّلاة يفعل ذلك في رمضان وغيره، وإذا كان وقت برد شديد جعل على ظهره بساطاً من شعر".

وفاته :

توفي عند زوال الشمس، يوم الثالث والعشرين من ربيع الأول عام ألف ومائتين وواحد وسبعين، رحمه الله، ورضي عنه، وأسكنه الجنّة مع أوليائه الأبرار، آمين.

ثناء العُلماء عليه :

نقل عنه الشيخ العلاّمة نور الدين عبد الله بن حميد السالمي ، في كِتابه : " تحفة الأعيان في سيرة أهل عُمان " [1] .

ثانيا : التعريف بالكِتاب (شفاء القلوب من داء الكروب) :

النُسخة التي طُبعت ، هي عِبارة عن مخطوط يقع في (٥١١) صفحة ،

---

(١) كِتاب : " تحفة الأعيان في سيرة أهل عُمان " ، للشيخ عبد الله بن حميد السلمي ؛ ج ٢ ، ص ١٧٠ ، ٢٢٩ ـ ٢٣٥ ؛ مكتبة الاستقامة ، سنة : ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

وهي نسخة بها نقص، حيث لا يوجد فيها الأذكار الثامن والخمسون، والستون، والثاني والستون، والثالث والستون، كما أن هناك نقصا في صفحات هذه النسخة، والأسطر في هوامشها غير كاملة، وربما تكون إحدى النسخ الثلاث التي استنسخها وليست الأخيرة، وتوجد صورة من هذه النسخة بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي المستشار التاريخي والديني لجلالة السلطان، وصورة أخرى بمكتبة وقف الحمراء الأهلية بولاية الحمراء، بينما يوجد أصلها بمكتبة ورثة الشيخ القاضي مالك بن محمد العبري، ولا يتأتي إكمالها وتحقيقها إلا بمقارنتها مع بقية النسخ عند ظهورها؛ لذا خرجت الآيات القرآنية في هذه النسخة، ووضحت بعض الكلمات الدارجة، كما أنه ما كان بين قوسين أوما كان تحته خط فهو من زيادة الطابع، سواء في العناوين أو في النص.

قضايا الكِتاب :

جمع فيه من مختاراته في الفقة والنحو والصرف والطب والفلك والسلوك والقصص والحكم والنوادر، ومن مختار الشعر والسير والتاريخ وغير ذلك؛ فكان كتاباً واسعاً مفيداً أسماه (شفاء القلوب من داء الكروب).

الهدف من تأليفه الكِتاب :

ذكر الشيخ خميس سبب تأليفه الكتاب فقال في بداية الذكر الأول" اعلموا أيها الإخوان، أني قد نظرت أهل هذا الزمان، إن قرىء القرآن في مجالسهم نفروا عنه إلى مساكنهم، وإن ذكروا[1] العلماء الأثر بالإجهار، غلبوا عليهم بالحديث في الحرث والأسفار، وإن نطقوا أهل النحو واللغة والصرف والبديع فقالوا هذا كلام الطير والحمار ، وإن سجعوا معهم

(١) هذه طريقة المؤلف في مُعظم الكِتاب ، يُورد الفعل الذي حقه الإفراد بالجمع ، على لغة تسمى عند النحويين بلغة (أكلوني البراغيث) .

بالأشعار ، أعجبتهم الأصوات فأسرعوا الناس من الصغار والكبار ، فحار في قلبي الفكر من قلة حفظي بالأثر ، ولم أجد في الوطن مساعداً لي من أهل العلم والبصر ، ثم جمعت كلاماً أقرأه كالسور ، وألفت فيه لكل نفس بما تشتهي من الكلام ، وفتح الله لي بسبب تلاوة أسماء ربي ذي الجلال والإكرام ، وقصدت إلى بيضة الإسلام ....) .

فيبدو أن سبب التأليف كان لأجل تشويق الناس لقراءة الكتاب والاستفادة من مختلف فنونه بحيث لا يملوا منه .

طريقته في التأليف :

ألفه على نمط (الكشكول) و (المخلاة)، ولكنه أوسع وأنفع منهما بكثير، وقد رتّبه ترتيباً حسناً، وجعل له فهارس مفيدة جداً للمطالع، وقد استحسنه واستنسخه ثلاث مرات، وكانت كلّ نسخة أوسع مما قبلها، وصرف عليه دراهم كثيرة، وقد أخذ منه نور الدين السّالمي رحمه اللّه في الجزء الثاني من تحفة الأعيان شيئاً كثيراً، ولما أرسلت إلى المؤلف النّسخة الأخيرة من نزوى بعد التّجليد أخذها الأعراب من الجنبة مع ما أخذوه نهباً من متاع حاملها من الطريق عند الموضع المسمّى العبلية عند رأس فلج دارس، فحزن الشيخ خميس على ذهابها؛ لأنها هي قصارى ما اختار جمعه في ذلك التأليف فذهب إلى تنوف، فطلب من الشّيخ سيف بن سليمان النبهاني، أمير بني ريام أن يشفع له في ردها من يد أولئك النّاهبين، فأرسل الأمير النّبهاني إلى شيوخ الجبنة مطالباً إياهم برد كتاب الشيخ، فردّ إليه سالماً فضلاً من اللّه وإحساناً من الأمير سيف، فرجع عنه شاكراً مسروراً بردّ ضالته المنشودة ونسخته المفقودة .

أسلوبه في التأليف :

كان أسلوبه تشويقا؛ فينتقل من فن إلى فن ويستخدم السجع أحيانا في أسلوبه ، كما كان يستخدم بعض الألفاظ العامية ليفهم العوام الكلام، بل إنه يستخدم اللغة الدارجة في بلاده الحمراء على غرار لغة أكلوني البراغيث، حيث يورد الفعل والضمير الدال على الفاعل مع الاسم الظاهر للفاعل، وقد ذكر سبب ذلك في كتابه في الذكر التاسع عشر فقال : (ثم قال: وما هذا المعلاق الذي حملته على ظهرك؟، قلت له: هذا معمول من اللبن جعلوه أهل الرفاهية لشواء اللحم في ليالي العيد، فلما أخذوا منه اللحم أفلتوه في الخرابات، فقلت هذا مثل اللقطة التي لا يرجع إليها صاحبها، فأخذته وجعلت فيه هذه القراطيس التي فيها تسلية القلب، وأكلم بها العرب على قدر لغتهم في زمانهم لا على فصاحة السابقين من أسلافهم).

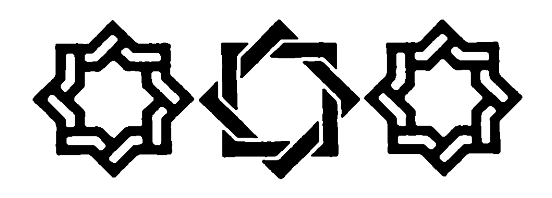
وكان يكتب قصصا وحكايات واقعية أحيانا للعبرة والعظة، وخيالية أحيانا للتربية والإرشاد والتعليم، وما أشبهها بالقصة القصيرة أو الرواية، وكان أسلوبه في كتابه لغة الحوار بينه وبين صاحب يتخيله، حيث قال في الذكرالأول: (رجعنا في الحديث إلى تسلية قلب الشيخ ناصر في طريقه، فقمت أكلمه بحديث مما وجدته وسمعته ونظرته وجعلت فيه حشواً، فلما سمعه أمرني بتأليفه، قلت له : فكثير مما سمعته مني اخترعته بنفسي، يجوز أن أكتبه؟ قال: نعم جائز، وقد نطق به القرآن، والحشو جائز مما يوافق الحق والصواب، فجعلت أفكر في وقت الأسحار، وأسأل الله الواحد القهار أن يعينني على جمع تأليفه وبما رويته من الأخبار وفيما سألت فيه العلماء الأبرار وأجعل فيه من الأثر والأشعار ومن علم الأبدان والفلك

الدوار ، ومما نظرت في زماني من تدبير الأخيار والأشرار ، ثم أجعله سبيكة حتى تظهر فائدته للمستمعين ، وظاهره قصة تمر عليهم مثل المتحدثين ؛ لأنها تجلب النساء والبنين ، وباطنه عِلم عن العُلماء الأولين والآخرين ، وسميت الكِتاب : " شفاء القلوب من داء الكروب " ، صالح للطالب والمطلوب ، أذكاره واستماعه محرك لشهوات المحبوب ، وجعلته لاستخراج الكلام في صورة صاحب يساعدني في المسألة والجواب) .

وقال في نهاية الذكر الثاني : (ذكرت في هذا الفصل أني أورد هذا الكتاب في صورة رجل أسائله ، وأتيت هذا الفصل مثالاً مبيناً فيه اسم الذي أجعله كالرجل الذي أسائله ، وهو الذي قلت له : من اسمك ؟ فقال : أنا ذو الغبراء ، وليس ذلك في الحقيقة إلا صورة ، وكذلك أورد في بعض القصص سؤالات لأحد غير معين من هو ؛ فقد يكون في بعض المواضع صورة ، وجعلته مما يصح للعارف بين الحقيقي والصورة من معان الكلام) .

هذا ، والكِتاب مُمتع لمن قرأه يجد كل طالب ضالته فيه ، وهو كتاب واعم فيه ليقرأه العامي والمتعلم ، يطوف بك فيه من فن إلى فن في كافة العلوم ، نسأل الله أن ينفعنا به والله المُوفق .

بقلم الدكتور/ سعيد بن عبد الله بن محمد العبري
(جامعة السُلطان قابُوس)



فهرس الموضوعات

٨- ذكر الفرح والحزن، ومكيدة النساء، ودواء لكسر العظم، ولوجع الخادع، والصمم، ودرح الماء، ولحرق النار، واللثة والأضراس، ودواء لقوة القلب والصوت، ومما يسمن الإنسان، و نفقة النساء، وأحكام لطرح الحمل، ولقوة الباءة، وتضييق الرحم، وتمام حديث الرجل والمرأة.

٩- ذكر أخبار أهل الجهل، وأهل العقل ، وفيه أدوية للجراح، وضرب السياط.

١٠- ذكر العالم المتعنت، وجوابات الشيخ ناصر للنصارى وهن سبع مسائل.

١١- ذكر السفر ومنازله، والغائب والمفقود، والوضوء والتيمم والصلاة، وفي أحكام الصبية، ونظم فيه الصحابة، ورسالة أبي نبهان، وجوابات من المسلمين، وفيه للحفظ، ومسائل من الشرع مجموعة، والدماء والفروج، والباءة وعللها وأدويتها، وعلة الجذام وأدويته ووسمه.

١٢- ذكر في توبيخ النفس ومحاسبتها، والحلال والحرام، والصيام والقيام، وطب لصلاح الأجسام، وكفاف الشهوة عن الحرام، وذكر النكاح من الفلك، وليلة القدر، وتبليغ المراد، وذكر الجنة والحور العين.

١٣- ذكر في الفزع الأصغر، والعجلة، وفي الوعظ والزجر، والفزع الأكبر، وذكر الموت والنار.

١٤- ذكر في أدب الأكل والشرب، وتفسير آية مماثلة بين الأنس وبين من لا يعقل من ذوات الأرواح، وسبع حكايات في الخدعة والسرقة

والسارق ولونه ومكانهما، والرجوع والتلف.

١٥- ذكر في لزوم الحج، وتوبيخ لذي الغبراء، وقصة من الشرع، والطب، والثانية فلكية وشرعية، وحسن تدبير الملوك والمتقربين إليهم، وفضائل الحج، والثواب، والدعاء وآخره قصة.

١٦- ذكر طالب الملك الذي بلغه، وقصة عن الملوك، وتحكيم الخصمين، والخدَع والاعتبار، والأمناء والخونة، وفيه قصص، ومسائل في الرؤيا.

١٧- ذكر في الطب، والعلل، والطبائع، وأدوية مشهورة ومستورة، وقطع الحديد، وقطع الطبوعات من الثياب، والدواء الذي تهرب منه الهوام، وعمل المداد، ومسائل في الشرع جامعة في الطلاق وغير ذلك.

١٨- ذكر أخبار ومسائل في الطب، والأديان والأحكام، وبما جرى علينا في الزمان في السيوح والبلدان، ونثر ونظم من فصحاء عُمان في ذكر الشيخ محسن بن زهران.

١٩- ذكر صاحب ذي الغبراء، وما ذكروه هو وأولاده الفصحاء.

٢٠- ذكر تدبير الأمراء وضعفهم وانحطاط منازلهم من الدرجة العليا إلى السفلى.

٢١- ذكر من الفلك لابتداء الأعمال، وأخبار لها، ومسائل تجانسها، وأخبار المبتلى بالنساء، والأمراء، والأموال، وفيه من الوعظ والزجر.

٢٢- ذكر في الوعظ ، والتوبيخ، والزهد، والطالب لذلك.

٢٣- ذكر الشهادة في النسب، وما جرى على زيد في زمانه.

٢٤- ذكر ما جرى في الزمان على أحمد من المسائل والأخبار وغير ذلك.

٢٥- ذكر نصيحة الأخوان، والتدريج للتقريب، وترخيص أهل القبلة، وحسن التدبير للناس وللملوك، وذكر النساء، ومسائل في الميراث.

٢٦- ذكر الكرم، وعمل الأطعمة، والإشارات، وما يستحب.

٢٧- ذكر في ابتداء أخلاق الإنسان وماله من الأحكام، والميراث، والرزق، والبركة.

٢٨- ذكر الزلزلة، والمريض، وصلاة الميت، وأوقات الصلوات، وفضائلها والقدم.

٢٩- ذكر البصور والحروز، وما يجوز للكاتب، وقصتان من رؤيا أهل الاستقامة في الدين.

٣٠- ذكر من الفلك لإمام الأمة، وحدود مكة، وأدلة لعقد الأئمة، والسمعة.

٣١- ذكر في المسافر، والسياسة، والجار والأرحام، وانتقال الناس من المواطن إلى البلدان.

٣٢- ذكر في الملوك المضلين، والشجعان، والملوك المحسنين.

٣٣- ذكر حسن الظن، وتدبير الأخيار والأشرار، والعزاء، وقصة الملك وصديقه وحديثه.

٣٤- ذكر سلامة الأنفس، وفيه من الآداب، والمسائل من الشرع.

٣٥- ذكر شيطان الإنس، ونصيح الإنس، وما جرى منهما من الأخبار.

٣٦- ذكر بهلا وخصالها وأصحابها، وقصة للمسافرين، وعزيمة للصرع .

٣٧- ذكر أبناء الدنيا، وأبناء الآخرة، وقصة للرجل الطالب للمرأة الصالحة فبلغها.

٣٨- ذكر علم الحرب، وكتمان السر لبلوغ المنى مع الأعداء والأمراء.

٣٩- ذكر فضائل الإناث، وفيه من الدلالات والأحاديث لتسهيل الأمور.

٤٠- ذكر الملوك وأولادهم، وعداوتهم والتوفيق لهم في ملكهم.

٤١- ذكر الأمناء والوكلاء وقصصهم، وفيه من الموافقة بين الزوجين والخصمين في الحساب.

٤٢- ذكر في أصول الشرع، والطب في الأدوية، وفي الفلك، وقصة عجيبة جامعة في رجل.

٤٣- ذكر القتال والفئة القليلة الغالبة للفئة الكثيرة، والدخول في الرياضات.

٤٤- ذكر نصيحة الفلكي للعابد، وذكر المصائب، والأخبار والمسائل له.

٤٥- ذكر التجارة والمسائل، والقصص وحشوها في أولها وآخرها.

٤٦- ذكر قصة ابن الملك المعتدي على حليمة سيدة النساء المتأخرين.

٤٧- ذكر الرجل المبتلى بالعيلة في شبابه، وأراحه الله في اكتهاله، وله قصص وأدعية.

٤٨- ذكر الأدب لقارئ القرآن، والأثر، والشعر، والخطب في اجتماع الناس.

٤٩- ذكر العلماء والأئمة، واستهلاك أموال الملوك، وتحريم بيع الخيار.

٥٠ - في العقل وزواله ودوائه، وذكر كلام في الرمل والفلك والدعاء

وسر الأسماء ، وآخره في النحو من نظم الشيخ العالم الفقيه ناصر بن أبي نبهان الخروصي، ومسألة في الشرع .

٥١- ذكر علامات للمريض، وصفة البثور لظهورها في البدن، وفي معرفة الغائب والمسافر أنه في الحياة أم في الممات.

٥٢- ذكر وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه عند وفاته، وفيه وصية الإمام ناصر بن مرشد لسلطان بن سيف، وفيه صفة صورة أخلاق النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) .

٥٣- ذكر قصص، ومنافع للناس، وفي الأقربين، والمواريث، وبحور الشعر.

٥٤- ذكر فيه شيء من الفلك، والقصص، والفالج، والتزويج، وفي حج النساء، وقصيدة في اللغة.

٥٥- ذكر الساعة، ومعرفة الطالع، والماء، وميزان الأرض لخدمة الأفلاج، وقصة.

٥٦- ذكر إقبال الدنيا وإدبارها، واليمين، والمعاجين، والنية للجهاد، والملكة، وقصص متتابعة.

٥٧- ذكر رسالة، ونجم بوذنب، وفراسة، وخسوف القمر، وأهلة الشهر، والبرق والرعد، والسيل، والسحاب، وقوس قزح، ونجوم الشهب، والوجبة، والشمس والقمر ونجوم الخسوف والكسوف، والسماوات والأرض، والجنة والنار والرياح، ودليل الحروف والأوفاق، وعزيمة الزورة، وتحويرة للذهيبة، والسرقة.

٥٨- ذكر رسالة، وابتداء المريض، وشجرة العشرق ومنافعها، ودواء

علل البطن والعين والضربان، والقشور، وعن لدغ الأفاعي، وقصتين، وفي الرؤيا، والعقل، وذكر الأرض والكواكب والبروج، والرياح، وقلع الشوكة والسهم، وقصتين، ودم الحيض والاستحاضة والنفاس، والعدة والإنفاق، والتباغض، وذكر الفروج، والمتعة والمحبة من الفلك، وفي السرقة ولزوم الضمان ومسألة في النكاح والميراث، والذي طلب الدنيا والذي طلب الآخرة.(غير موجود في المخطوط).

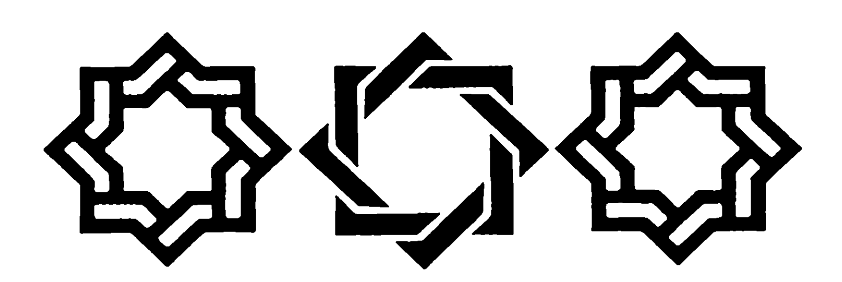
٥٩- ذكر اعتبار لخطبة النساء، ونسب عبرة ونصر ابني زهران، وفي سبب علة الجذام وعلاجها.

٦٠- ذكر جامع في الطب والاختلاجات.

٦١- ذكر نظم في الفلك، وطب ، وشرع.

٦٢- ذكر قصص، وتفسير في الأحلام، وشرع، ومدح الرسول بالنظم.

٦٣ – ذكر الأئمة، والعلماء، ومدح خاتم الأنبياء.(غير موجود في هذا المخطوط).



الذكر الأول :

مبتدأ الكتاب ، وفيه مسائل من الشرع ثم يقفوها كلام مما يسلي القلوب ، ومن بعده مسألة في الفلك ، وفيه من الطب لاشتقاق الرجلين ، ودواء للبواسير وللقروح وللجروح ، ولخروج المقعدة وللحكة والجرب والسلاق ولقتل الدود ولعلة الصدر ، وفيه ثلاث مسائل لرؤيا المنام [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) عبده ورسوله ، أرسله ربه إلى كافة الثقلين، ونصره بخمسة آلاف من الملائكة المسومين ، وأعز به الدين حتى أتاه اليقين ، ثم أحيوا سنته الأنصار والمهاجرون والخلفاء والصالحون والعلماء المحققون، فطوبى لهم ولمن اهتدى بهداهم، لأن الجنة مأواهم، أما المخالفون لهم فالنار مثواهم، ألا فاتقوا الله عباد الله ، ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ {١٣٣} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [2]، وأقول :

---

(١) بعد هذه الكلمة يُوجد في الأصل : (وعلامة مسائل الأثر بالحمرة ، والحكاية بالصفرة ، والفلك بالخضرة ، والطب بالسواد ، والرؤيا بمدادات مُشتركة ، حتى تكون سهلة للمُطالعة لهذا الكِتاب) ؛ وحيث أن لم يتم تلوين كل قسم بلونه في هذه الطبعة ، فقد جعلنا هذا الكلام في هذه الحاشية .

(٢) سورة آل عمران : ١٣٤ .

هو الله مولانا له الخلق والأمر بقدرته تجري المقادير والدهر

(سبب تأليف الكتاب) :

اعلموا أيها الإخوان ، أني قد نظرت أهل هذا الزمان ، إن قرىء القرآن في مجالسهم نفروا عنه إلى مساكنهم ، وإن ذكروا [١] العُلماء الأثر بالإجهار ، غلبوا عليهم بالحديث في الحرث والأسفار ، وإن نطقوا أهل النحو واللغة والصرف والبديع ، فقالوا : هذا كلام الطير والحمار ، وإن سجعوا معهم بالأشعار ، أعجبتهم الأصوات ، فأسرعوا الناس من الصغار والكبار ، فحار في قلبي الفكر من قلة حفظي بالأثر ، ولم أجد في الوطن مُساعداً لي من أهل العِلم والبصر ، ثم جمعت كلاماً أقرأه كالسور ، وألفت فيه لكل نفس بما تشتهي من الكلام ، وفتح الله لي بسبب تلاوة أسماء ربي ذي الجلال والإكرام ، وقصدت إلى بيضة الإسلام ، وموطن الأئمة والعلماء الكرام ، التي وصفها أشياخنا بالنثر والنظم .

وهذا من قول الشيخ ناصر بن جاعد :

بسوني وعليا والهجير وفي نزوى سكنت وفي نزوى وجدت الذي أهوى
ترى العلم والتدريس فيها وأهلها أهيل الحجى والعلم والحلم والتقوى

وهذا مما قاله الشيخ علي بن ناصر :

إذا شئت أن تلقى بعمرك ما تهوى فيّمم وخل كل دار إلى نزوى

---

(١) هذه طريقة المؤلف في مُعظم الكِتاب ، يُورد الفعل الذي حقه الإفراد بالجمع على لغة تسمى عند النحويين بلغة : (أكلوني البراغيث) .

ونزوى لها في المكرمات شوامخ　　لها شرف ينحط عن سمكها رضوى
بها ما اشتهت نفس ولذت عيونها　　من الدين والأخلاق حقا ولا دعوى
ونزوى على ما قيل من نفس مصرنا　　هي البطن بالإجماع في صحة التقوى

ثم نزلت في مقامات أشياخنا وهما أئمتنا في ديننا، وعلماؤنا في عصرنا، عامر بن علي بن مسعود العبادي، وناصر بن أبي نبهان الخروصي، وقد أباح لهم قائدهم محمد بن ناصر الجبري في الأمر والنهي، ومن النفع من الماء والنخيل والعوابي، فسرني أمرهم ولاح في قلبي أن أنتقل إلى قربهم فأجابني أحدهم وقال: لا تغرك هذه الرحمة؛ لأن السلطان لا تثبت من عنده نعمة، أما تسمع إلى الرواية (الفتن على أبواب الجبابرة كمبارك الإبل) .

وقال الشاعر:

إن الملوك بلاء أينما حلوا　　فلا يكن لك في أكنافهم ظل
لا تقعدن على أبوابهم طمعاً　　إن الوقوف على أبوابهم ذل

ثم قال : النازح عنهم سالم، وإلى عبادة ربه قائم، وفي سؤله فارغ القلب مع العالم، لا كالمتدرع الآرم، ولا كالعسكر الحارس النائم، ثم أقلنا عند ما يلقى اليشكر، وفي مجلسهما لاح الذكر في الأثر، وفي حكم السواقي والشجر، ولا حفظت شيئاً إلا في مصاص السكر، قالا: يجوز رميه في أموال الناس، وأنه يصير سماداً ونفعه للأرض صلاحا، وكذلك أجازا أخذ التراب من الأموال لما يحتاج إليه الإنسان، لما عرفوا عن أصحابها مرادهم نزولها لأنها شائلة عن الماء، وهذا على العادة والخبرة

لأن الناس المواطنين أعلم بدارهم .

قال ذو الغبراء : وأما الأموال النازلة عن الماء إذا لم تصح الإباحة من المالكين لها فلا يجوز للإنسان أن يأخذ منها ترابا، ولا يجوز الدخول في الأموال المحصنة بالجدر والحضران إلا بإذن من مالكها، وكذلك لا يجوز أخذ الماء للطهارة والوضوء من الزاجرة إلا بإذن الزاجر، وكذلك شرب الماء من المساجد لا يجوز حتى يسأل جماعة المسجد عنه، فإن أخبروه أنه جعل لمن أراد شرب الماء، جعل وقفاً لذلك فحينئذ يجوز له أن يشرب منه، وعلى الإنسان لازم أن يحترز عما كان عليه محاسب ومعاقب.

فقلت لهما : سأخبركما بقصة جمعتها من الأخبار والآثار وكررتها بالقراءة في الليل والنهار، حتى حفظتها وأقرأها إليكما بالإجهار.

فلما سمعا ما قرأته عليهما، وعرفا بما فيها من المعاني أمراني أن أكتبها في القرطاس ثم وادعتهما، ورجعت إلى الوطن، وسمعت بعد رجوعي عنهما أقبلت عليهم الفتن، ولاحت لهم من محمد بن ناصر الجبري الإحن، وأصابتهما الأهوال والأفزاع والنكال، وخافا على نفسيهما من القتل بسبب رجل أخذ على الجبري حصوناً وأموالاً لبيت مال المسلمين، ثم عرفهما بمسائل يريد جوابها لإصلاح دينه ودنياه، فأجاباه على إثر مسائله بما أنزله الله في كتابه المبين، ومن سنن نبيه الأمين.

فعلم الجبري بالمكاتيب والجوابات فخاف منهما على ملكه، وحضر أكابر رعيته ، وأخذ منهم عهداً أن لا يخونوا عليه ، وأمر سراً بقتل العالم ناصر بن أبي نبهان ، وبطرد العالم عامر بن علي من داره ووطنه ،

فضاق عليهما ذلك، واختفى شيخنا ناصر في بيت مظلم مغلقة أبوابه عليه بالليل المدلهم فلا نظرت إليه العيون، فمنهم من قال: قتيل، ومنهم من قال: مسجون، فصار حكمه مع المسلمين من المغيبين، ثم وصلوا إلى بلدنا مع أميرنا بنو خروص، وسألوه عن الشيخ ناصر فاجتهد في البحث والسؤال وبعد العلاج الكثير أظهره رجل أمي، وأتى به خفية عن البدوي والحضري، وأمّنه أميرنا من شر الجبري والأعوان.

وأراد الشيخ الرجوع إلى الأوطان فشيعناه إلى طرق الأمان، فأخبرنا أنه سيموت السلطان إلى مدة انقضاء شهر زمان، فعلى قوله مات ودفنوه سكان حارة النـزار بقرية إزكي من عُمان ، وصحبناه إلى بلد المسفاة .

وسألناه عن الماء الذي جعله الواصي به في صرح المسجد للقائمين والمارين، ونقله رجل آخر في غير الصرح، قلنا له: هل يجوز إذا كان في غير موضعه أن يشرب من ذلك الماء ؟، فقال: جائز ذلك، وشرب منه بمحضرنا، وقال: هذا من الصلاح انتقاله للمسجد، ثم رأى ماء البلد فاضلاً عن شربها، فأشار أن أرباب الفضلات لو عمروا بها أروضاً زيادة للبلد أو باعها منهم ممن يملك أمره بما عنده من الفضلة، ولم يشاركه فيها غائب ولا وقف ولا ممن لم يملك أمره لكان ذلك من صلاح البلد ولا يخلو من أن يكون له أجر إذا أخلص النية لله، فقلنا له: هل يجوز ذلك؟ قال: نعم على هذه الشروط، وكيف لا يجوز فيما يؤجر عليه، والفضلة هي لمن له آخر السقي إذا كان ذلك ثابتاً أنه هو الآخر.

ثم صعدنا به إلى الجبل وسألته عن الجَمْع؛ لأنه ليس له علامة في

تلك الطريق، وفي طريق أخرى له علامة، قال: اسأل أهل الجبل، وهم المصدقون، قلت له: أهم حجة إذا كانوا غير ثقات؟ فقال: هم أخبر بالطرق وقربها وبعدها.

فلما أصبح علينا النهار قصدنا إلى صعود الجبل، فرأيت شيخنا متعباً من وعورة الجبل، وشكى إليّ عدواة الجيران وقال: الله المستعان، اللهم اخضع لي قلوب السادة حمود بن عزان، وسعيد بن سلطان، فقلت لشيخنا: لعلي أسلي قلبك بالحكايات المزيلة للهموم والغموم، وقد سمعت عن والدك العالم الذي ذكروه أهل الفقه بالعلم، وأصحاب الشعر بالنظم، وهذا القول فيه من قصيدة للشيخ راشد بن سعيد الرواحي شعراً :

صنع الخروصي الصلاح ووصفه	بصوابه لم يحصه إحصاء
عن علمه وعلاه أعني جاعداً	عالي العناصر تعرب العلماء
فيه الفصاحة والظرافة والوفا	والفقه والمعروف والفتياء

أيضاً من قول الشيخ علي بن ناصر التنوفي :

أبا نبهان قاموس العباد	وقابوس الحقيقة والرشاد
كشفت دجى الشكوك بنور علم	يقين من صراط وهو هاد

وسمعت الشيخ سالم بن مسعود يروي ، عن الشيخ العالم سعيد بن أحمد الكندي يقول : إن مات العُلماء من عُمان ، وبقي من بعدهم فيها أبو نبهان ، لم يذهب العِلم ، وعين لم تدمع على الشيخ جاعد لن [1] يرحمها الله يوم القيامة .

---

(١) في الأصل : لم .

والشيخ جاعد يقول في زمانه : أتولى الشيخ سعيد بن أحمد .

وكان الشيخ جاعد إذا ضاق قلبه سلاه من كان حاضراً في مجلسه بشيء من الحكايات فطاب قلبه، وبلغ منه السائل مطلوبه .

فأخبرني عنه أحد أصحابه أنها وقعت فتنة بين أصحاب الشيخ وجيرانهم، ودار القتل بين الفريقين فحزن الشيخ على رجل من أصحابه، ويذكر أن قاتله أحد من الخدم، وصح الصلح بينهما، ولم يزل الشيخ على غضبه على الخادم فسمع بذلك أحد الإخوان وقال له : يا شيخ هل عرضت في الليل بالطريق أنت ورجلان في صحبتك ؟ قال : ولم ذلك ؟ قال له : كان الخادم وأصحابه على الطريق وأرادوا أصحابه قتلك بالقصاص الذي لهم فخصمهم الخادم وقال لهم : لا أرضى بقتل نور عُمان ، والقبيلة كثيرة . فغلب رأيه عن رأيهم ، وسلمك الله من بلائهم . فلما سمع الشيخ كلام صاحبه بش قلبه ودارت للخادم مودته .

وفي قصة أخرى: وصلوا قرية الرستاق قوم أولوا بأس شديد، وفيهم عداوة في الدين، تلعن وتشتم إمام المذهب الشيخ جاعد، إلا أنها تأمر بقيام الصلوات، وتنهى عن بعض المناكر والفواحش، ويجلدون شارب التتن، وفي سيرتهم أناس يعملونه، فضاق عليهم ذلك ، فقام منهم رجل فاسق تارك الصلاة والصيام شرّاب للتتن، ويأكل السحت فجذب سيفه ونادى بأعلى صوته يا أيها الناس اعلموا أن من شتم الشيخ جاعد منكم لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، فيا أيها الضالون والظالمون والمتمردون ويلكم من غضب الله، ودخولكم النار أجمعين.

فنهض القوم مجردين السلاح، وكان الرجل في صحبته له رهط

كثير ، فحضروا بين يديه متاهبين للقتال، فأقبل أمير الجيش وأمرهم بالوقوف عن الفتنة في تلك الساعة، وفي قلبه غيظ على الرجل، فسمع الشيخ جاعد عن الرجل وأراد لقاه، فوصل عنده وكرمه وسره ذلك القول.

وفي قصة أخرى: رجل فقير أصحابه ظلموا وقتلوا وطردوا من دارهم فقصد الفقير يريد النصر من السلطان، فلما وصل عنده وأخبره عن أصحابه، فلم يلتفت إليه ولم ينظره ولم يكلمه كلمة بشفتيه، ففكر الفقير في أمر أصحابه وقال: اللهم افتح لي باباً لأسدّ به خلتي وأصحابي، ثم وصل عند التجار وقال لهم: هل عليكم بيع سلعة بالمصابرة ؟ قالوا له: أأنت المشتري ؟ قال : نعم . فأخذ من عندهم التمر والزانة والبر والأدهان والأدوية للجراح ، وكتب لهم حقهم مع القاضي بحضور الشاهدين ، ثم كتب لأصحابه على لسان السلطان :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من الأمير المكرم، والسُلطان المعظم، والأسد الغشمشم فلان بن السلطان فلان: إلى جناب المحبين العزاز كافة رجال آل فلان وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وبعد: وصل عندي صاحبكم فلان، وأخبرني بما أصابكم من الضر والطرد والقتل من أعدائكم، فلا يدخل في قلبكم الجزع، واصبروا إن الله مع الصابرين، وأنا إن شاء الله مسعد إليكم بالمال والرجال، وواصلكم بيد صاحبكم الأرز والتمر والزانة (١) والأدهان والأدوية لمن ابتلاه الله بالجراح .

وانظروا في قتال عدوكم أن يكون القمر في البروج النارية وفوق الأرض لا في الأرض، وأن يكون رب الطالع تنظر إليه السعود، وأن يكون

---

(١) الزانة ، أي : الذخيرة ، وتطلق على رصاص البندقية ، وهي لهجة عُمانية .

المريخ في الطالع أو ينظر إلى الطالع أو يتصل برب الطالع، والحذر الحذر أن يكون المريخ في السابع أو يكون رب السابع مع المريخ أو ينظر إليه إذا اتفق الطالع برج الأسد والشمس تنظر إليه والقمر ينظر إليه، الشمس من السعود، وفي يوم الثلاثاء وفي ساعة المريخ، والمشتري ينظر إلى الطالع، فإن وفقكم الله على هذا ظفرتم بعدوكم ونحن من ورائكم وعصمنا أموالكم، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [1] ، واذكروا الله عند القتال ، ودوموا سالمين آمنين) .

فرجع الرجل مع أصحابه وبشرهم بقول سلطانه وأعطاهم المكتوب والمذكور، فدخل في قلوبهم الفرح والسرور، ونظروا إلى الفلك فوفق لهم الأمر الرب الغفور، وتأهبوا لقتال عدوهم، فأعزهم الله ونصرهم وأخذل عدوهم، وكتبوا لسلطانهم بالظفر فأوله:

(بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى سيدنا ومولانا وكبير الفضل علينا السلطان ابن السلطان فلان ابن فلان سلمك الله من الآفات ، وجزاك الله بأحسن الدرجات وبعد : وصل كتابك الكريم إلينا مع المذكور بيد خادمك فلان فأتمرنا بأمرك وظفرنا مولانا على عدونا وعدوك نسأل الله السلامة لنا ولك ، وبعد هذا فكافة أعلامنا على لسان خادمك وبه ألف كفاية , والسلام من خدامك آل فلان . ومهما بدت لك عازة [2] فإنّا منتظرون).

فقصد الرجل مع الملك ودخل عليه في يوم الاثنين، وأعطاه

---

(١) سورة النمل : ٣٤ .
(٢) أي : حاجة .

المكتوب ورأى فيه ما لم يعلم به، فاستبرأ الملك وسأل الرجل عن القصة والوقعة ، فقال له : أتأذن لي بالحديث من أوله إلى آخره ؟ قال له : نعم . فأخبره بجميع ما جرى عليه ، فلما تم كلامه ، عرف السُلطان منزلة الرجل، وجعله والياً في أعز حصونه ، وسلم السلطان حق التجار وجعل الهدايا لأصحاب الرجل وأرسلها إليهم .

فمثل هذه الحيل التي تصلح للمسلمين، وعلى المسلم أن يصلح التدبير مخافة أن يقع على قومه من التدمير، وأما مثل الأمور الذي صحت ببلد بهلا ليس هو من نظر أهل الرأي، فقد نزلت عليهم كالسيل الشديد، كل يطلب من الله السلامة، وأن يرفع الخبث عنهم، وأما هدم حارة الضرح كالذيِ آذته ضروسه فصبر على زوالها للسلامة من الأذى ، وضعف عن الأكل والنطق ، وليس له حيلة في ردها على حالها ، حتى يرفعه الله من الدنيا .

رجعنا في الحديث إلى تسلية قلب الشيخ ناصر في طريقه، فقمت أكلمه بحديث مما وجدته وسمعته ونظرته وجعلت فيه حشواً، فلما سمعه أمرني بتأليفه، قلت له: فكثير مما سمعته مني اخترعته بنفسي،هل يجوز أن أكتبه ؟ قال : نعم جائز ، وقد نطق به القرآن ، والحشو جائز مما يوافق الحق والصواب .

فجعلت أفكر في وقت الأسحار، وأسأل الله الواحد القهار أن يعينني على جمعه وتأليفه وبما رويته من الأخبار وفيما سألت فيه العلماء الأبرار وأجعل فيه من الأثر والأشعار ومن علم الأبدان والفلك الدوار، ومما نظرت في زماني من تدبير الأخيار والأشرار ، ثم أجعله سبيكة حتى تظهر

فائدته للمستمعين وظاهره قصة تمر عليهم مثل المتحدثين لأنها تجلب النساء والبنين، وباطنه علم عن العلماء الأولين والآخرين. وسميت الكتاب شفاء القلوب من داء الكروب ، صالح للطالب والمطلوب، أذكاره واستماعه محرك لشهوات المحبوب. وجعلته لاستخراج الكلام في صورة صاحب يساعدني في المسألة والجواب.

مثاله: مررت بقوم اختصموا عند رجل، قد مات رجل وعليه دين وجعل في وصيته لما يحتاج إليه لعطره وكفنه وحنوطه وجهازه، ولحفر قبره وبأكلة من تمر أو رطب ليأكلوه الناس بعد رجوعهم من دفنه، وبعشرين محمدية فضة لمن يقيم به في مرضه.

وسبب موت الرجل أنه سقط من نخلة ومات بعد ثلاثة أيام، فأخذ الوصي مع (من) التاجر ما يحتاج إليه الميت وللقائم والتمر، وأراد الوصي أن يوفي التاجر من مال الهالك، فحضر أصحاب الدين وخصموه، فقال الوصي: ما نقدت شيئاً إلا بما أوصى به الهالك لما لا بد له منه؛ أخذت تسعة أذرع لأستر به عورته وجسمه، فقالوا له : الميت يستره الخوص المجموع . فقال الوصي: أنا رجل فقير وبما جعلته للميت أخذته من عند التاجر، فحضر التاجر وشكى مع الرجل من المشتري، والمشتري هو الوصي مفلس وعليه حقوق قد لزمته للناس وكان حاضراً في مجلسهم رجل موسر فرحم الوصي وقال: هذه الدراهم وفاءً للتاجر من زكاة لزمتني فداءً عن الهالك، فقبض التاجر الدراهم.

فقال الرجل المصلح بينهم: لا تجوز الزكاة بأن تدفع للكفن، ولكن أنت أيها التاجر ارجع الدراهم إلى الموسر، وأنت أيها الموسر انفذ زكاتك

للوصي المفلس وأنت أيها المفلس إن قبضت الدراهم انفذ بها لما عليك فامتثلوا الأمر فلما نظرت هذا الرجل وتدبيره قلت [١] في نفسي: هذا صاحبي في زماني لتأليف الكلام ، فقربت منه وقلت له : أسألك أيها الرجل عن منزلتك أنت موسر أم مقل ؟ قال : اترك سبيلي ولا تكشف خلتي ، قلت له : أريد الصحبة منك في زمانك.

قال: أنا من الفقراء، وأكنى من أبناء الغبراء، وموطني الغبيراء، فقلت له: أنا أخوك، وأنتسب من بني عبرا، والحمد الله الذي ألف بيننا، وجمع شملنا وكلامنا.

فقلت له: صف لنا أبناء الغبراء حتى أعرف صفاتهم وأفعالهم، قال: هم أكثر الناس عددا والسبب لذلك جعل الله دليلاً فمن الفلك اثنا عشر برجاً ولها أرباب تدور فيها، والبروج دورانها رحوياً وقيل دوّلابيا، فأول برج يطلع من المشرق وهو للسائل ولكل مولود دليل له، وتحل السعود والنحوس فيها، والثاني لماله فإذا كان البرج الثاني من الطالع منحوساً أو كان ربه منحوسا بالاحتراق أو في الهبوط والوبال أو كان منفصلاً بالنحوس، وفي البروج السواقط من الطالع فلهذا يكون المولود قليل المال لأن السعد كون اتفاقه قليلاً ومن هكذا أهل اليبس قليلون، قال: وإن أردت البحث في هذا العلم فعليك بالتعليم فيه فإن الله يكشف لك سر الأرض وما فيها.

في الطب :

قلت: أخبرني عن مسائل في علم الأبدان مما ينفع لتشقق اليدين

---

(١) في الأصل : (فقلت) .

والرجلين؟، قال: لعله يكون السبب من برد الأطراف وجمود الدم، ومما ينفع لذلك طبيخ تبن الحنطة إذا لطخ به القدمين مشى بهما الإنسان فوق الثلج، والثلج يقطع دم البواسير ولتضييق الرحم، وإن أخذت الثلج ولففته بالحشيش وقف على حاله أياماً وشهوراً .

قلت له: وما دواء الجروح والقروح؟ قال: قشور الرمان المحرق من أعظم الأدوية وأنفعها وأبلغها، وقشور الرمان إذا طبخ بقي ماء وصفي وجعل عليه يسير سليط ـوهو الحل ـ وشرب من مقدار رطل قتل الدود، والرطل قد استعملوه أهل الأمصار الآن على أوزان مختلفة، والأصل هو اثنا عشر أوقية وذلك مائة وعشرون درهماً بالدراهم و بالمثاقيل، قيل كل عشرة دراهم هن سبعة مثاقيل، وقيل الدرهم ثلثا مثقال . والمثقال مختلف مع الناس في وزنه، العماني أخف وزناً، والمصري أرجح وزنا، وذلك أن سبعة المثاقيل العمانيات ستة بالمصري، والصحيح منهما أن المثقال الأصلي ستة وثلاثون حبة بالقيراط الهندي المتوسط لا بغيره مثل السواحلي وغيره .

وشوكة القنفذ إذا بخر به صاحب الحصى تحت إحليله ، أخرج جميع الحصى .

وأما بوخويط [١] .... [٢] وجع في الذكر عند إراقة البول، يؤخذ له الخليلقا خضراء وتسحق جيداً ويضاف إليها ماء بارداً بقدر الشربة، ويجعل عليهما بزر قطونا المدقوق واخلطه جميعا في إناء ويشربه العليل ثلاثة أيام .

---

(١) هو المرض الجنسي المعروف بالسيلان .

(٢) كلمة لم أتبينها .

وقيل: إن مائة وثمانين علة في المقعدة وأضعفها الأبنة أجار الله كل مسلم من بلائها والمبتلون بها كثيرون وهي تحدث في عرق وهذا العرق لا يخلو أحدٌ من بني آدم منه إلا أنه يظهر في أناس كالجذام وما شاكله مثله، وهذه العلة قد بلغت الغاية في تشيين أهلها، ويخرج الله الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، وعلمت تأويل ذلك مما شاهدته لأني رأيت أناساً قد ابتلوا بها ورأيت ذرية طيبة أخرجت من صلبهم، وكذلك الظالم والجائر يخرج منهم ذرية من الصالحين والعامرين في أرض الله.

قلت له: وتراب الأرض هو حلال أم حرام أكله؟ قال ليس هو بحرام على كل حال، وهذا من علة تنزل على أناس، ودواؤه أن يأخذ الزبيب الأسود ويجعله في الماء ويمرسه، ثم يأخذ ماءه المصلول ويجعل عليه قرنفل المسحوق الناعم ويداوم على شربه فإنه ينفعه.

قلت له: وبالذي يرمي من صدره شيئاً كثيراً منتناً شديداً ولا يخشع [١] من ذلك وصار على صدره كالجبل، قال: يستعمل حليب الغنم من ساعة يحلب ويطرح فيه أحجاراً محمية من حين خروجه من الضرع ثم يترك فيه قليل لباناً مدقوقاً مع قليل من السعتر ويشربه مادام حاراً يدمن عليه أربعين يوماً فإنه يخرج القيح الفاسد من الرئة ويغسلها والله الشافي.

ومما يذهب الحمى في الحال والوقت ولا تعود يسقى المحموم قدر مثقال ونصف آس يخلط بماء بارد فإنها تذهب والله أعلم.

وسمعت الشيخ ناصر يقول: إن في الجبل الأخضر شجرة

---

(١) يتوقف.

يسمونها العنيس، وهي شجرة لا تعدو نصف القامة لها أعواد ضخمة وتفرق أعواداً دقيقة لطيفة لينة من غير ورق، وإذا شق ذلك العود اللطيف بظفر وجد داخله شيئاً شبيهاً بالزباد إلا أنه أحمر إن كان ناضجاً، وأخضر إن كان غير ناضج، وله رائحة طيبة باردة لطيفة.

فإذا دقت هذه الشجرة وطبخت ومرست، وصب من الماء على المحموم أسرعت في ذهاب الحمى بخاصية عجيبة في ذلك لغالب الحميات، وقال: ينبغي أن تجرب لأم الصبيان في الصبيان فإني أظنها تكون بالغة في شفائهم منها.

(مسائل في الفقه) :

قلت له: ما تقول في الخطأ في الماء والفروج، هل يلزمه الإنسان الضمان؟ قال: يلزمه، قلت: وفي العمد؟ قال: عليه الضمان والإثم، قلت له: وناكح الدواب ماذا يجب عليه؟

قال: إن أقر على نفسه بذلك وصحت عليه الشهادة الجائزة مع الإمام فعليه الرجم أو الهدف من الجبل، وعليه الغرم لصاحب الدابة، وقيل أنها تذبح وتدفن، وقول تجعل في الفلاة، وقول لا غرم على الفاعل إذا لم يصح حكم عليه.

ومع عدم الإمام والحكم فعلى المسلمين أن ينظروا في أدبه ويزجروه عن فعله.

مسألة شرعية : هل يجوز الزواج بالتي زنى بها وهو صبي أو مشرك ؟

قلت له : والذين زنوا في الصبا من المسلمين أو البالغين من

المشركين ثم أسلموا والصبيان بلغوا هل يجوز للرجل أن يتزوج بالذي زنى بها في حال الصبا أو الشرك؟ قال: فيه أقوال للمسلمين بجواز ذلك.

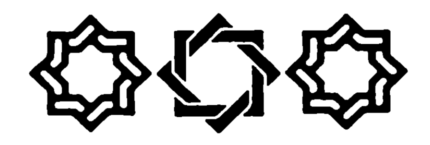
في الرؤيا :

قلت له: ما تقول في رجل رأى في نومه رجلاً يبني بيتاً، وثار من داخله دخاناً في غير بلده؟ قال: أما الذي يبني بيتاً فإنه يبني كلاماً بين قوم، وتقع فتنة على يديه بسبب الدخان .

قلت له: والذي رأى في نومه يبنى له بيتٌ في غير بلده؟ قال: يبنى له أمرٌ وهو لا يدري به.

قلت له: ما تقول فيمن رأى بين اليقظة والنوم تأتي إليه امرأة مجهولة لغير شهوة، وهي امرأة ذات جمال وحسن وكمال وقدر واعتدال لا تماثلها النساء وعليها الحلي والحلل، وهي تجلس في حجره وتخاطبه بكلام لطيف تريد أن يتزوج بها، وتأتيه مراراً في نوم الليل والنهار؟ قال: أما المرأة فهي الدنيا، وعلى قدرها يكون من البهاء والضعف والصغر والكبر، ولها دلائل في الحلال والحرام.

بيان: ذكرت في هذا الفصل أني أورد هذا الكتاب في صورة رجل أسائله، وأتيت هذا الفصل مثالاً مبيناً فيه اسم الذي أجعله كالرجل الذي أسائله، وهو الذي قلت له: من اسمك، فقال: أنا ذو الغبراء، وليس ذلك في الحقيقة إلا صورة، وكذلك أورد في بعض القصص سؤالات لأحد غير معين من هو؛ فقد يكون في بعض المواضع صورة، وجعلته مما يصح للعارف بين الحقيقي والصورة من معان الكلام، وبالله التوفيق .



الـذكـر الـثـانــي :

في العلم، وفضائل العلماء والمتعلمين، وفي الحث على طلبه، وفيه مسائل من الطب للحفظ، وبما يحتاجه للقراءة والكتابة، ومسألة لاختيار التعليم من الفلك

فضل العِلم والعُلماء وآداب المُتعلم :

قال الفقير لله خميس بن راشد سألت صاحبي ذا الغبراء: ما يلزم العبد من تعليم العلم؟ قال: معرفة الله تعالى، ولا يدرك العلم إلا من العلماء، وقيل أن العالم من ذهب، والمتعلم من فضة، والثالث نحاس.

وقال الشاعر:

عن العلم فاسلك أينما سلك العلم ... وعنه فسائل كل من عنده فهم

وقيل من لم يتعلم لم يعلم، ومن لم يعلم لم يتق، ومن لم يتق هلك لأن تعليم العلم فريضة في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ (1) الآية .

والعلم الذي هو فريضة على كل امرىء مما نزلت به بلية التعبد بعلمه لأداء ما لزمه مما لا يصح أداؤه إلا بعلمه وأما ما هو لازم في الأصل فقبل أن تنزل به بلية التعبد فهو فرض على الكفاية في حقهم إذا

(1) سورة التوبة : ١٢٢ .

قام بتعليمه البعض سقط عن الباقين.

وقيل: العلم فحل ولا تحبه إلا فحول الرجال، والواجب على المرء أن يطلب العلم ولو بالصين، حتى لو اتكأ الإنسان على عصا من حديد وانتعل في رجليه بنعل من حديد وفنيا لما بلغ الإنسان من العلم إلا قليلا، والجاهل صغير في العيون وإن كان شريفا، والعالم كبير وإن كان أصله وضيعا، وقيل في هذا المعنى شعراً:

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

فعليك بالجد فيه ولو لبست ثوب المذلة، والحرص ولو تزملت بلحاف القلة، لأن المذلة فيه عز وإجلال، والقلة فيه ثروة ومال، واعلم أن من قرأ درى، ومن تعلم علم، ومن عاش متعلماً مات عالماً، قال الشاعر في هذا المعنى:

ألا إن هذا العلم ليس بمدرك ... براحة نفس قد يصان ويودع
وطالب هذا العلم يحتمل الأذى ... ويشرب بالكوز الذي فيه ضفدع

فلا تستصعب التعليم، ولا تستضعف نفسك عن التفهم، فإن الهيبة تورث الخيبة، قال الشاعر :

لا تكونن للأمور هيوبا ... فإلى خيبة يصير الهيوب

وقيل: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل إلى قيام الساعة، فاجتهد يا أخي في تعلم العلم، ولو لم تأخذ منه إلا قليلا، فإن قليل

العلم كثير، وصغيره كبير، واترك العجز والضجر، وقال علي بن أبي طالب شعرا:

لا تعجزن ولا تدخلك مضجرة　　　فالنجح يهلك بين العجز الضجر

ومن طلب العلم ونبذ ثلاث خصال فأنا كفيله ببلوغ الآمال: وهو الضجر والملال والحياء عند السؤال، لأنه قد قيل من رق وجهه عند السؤال، رق علمه عند الرجال، لأنه قيل سل سؤال الحمقى واحفظ حفظ الكَيِسى، ولعمري إن كل من ينل منزلة حسد عليها، وقد قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه　　　فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها　　　حسداً وبغضاً إنه لدميم

وكل من لم يعرف شيئاً ذمّه وعابه وازدراه، وقل ما يكون محنة فاضل إلا من ناقص، وبلوى عالم إلا من جاهل، كما قال المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص　　　فهي الشهادة لي بأني كامل

وسمع أبو نبهان رجلاً يذم الكيمياء ومن يعملها، فقال في هذا المعنى شعراً :

الجهل داء في الفؤاد نحيس　　　ودواؤه التعليم والتدريس

جنح النكير لكل حق صادر　　　من ليل جهل طبعه التخسيس

أو ما ترى العربيد ينكر سرنا　　　ويقول إن الكيميا تهويس

ضل الأصول وقال هذا باطل　　　أنت الجهول وطبعك التخليس

بالجهل أنكرت الصحيح عماية	لما جهلت وعاقك التحتيس

كالشمس بارزة ولكن دونها	ستر الرموز ولبسها التلبيس

فالنص فيها في الكتاب مسطر	عن قول من هو حكمه التلبيس

من بعد ما قد كان من قوم الفتى	موسى وهو العالم النطيس

والمصطفى وكذا علي بعده	فاها بها رمزاً له الترميس

فالأصل فيها أنها عن آدم	عمن له التفريد والتقديس

وكذاك شيث نصها عن آدم	تنبىء بها الألواح والتطريس

حتى تلقف هرمس لعلومها	وهو الحكيم ودأبه التحديس

مرقوريوس ثم ذا بقراطهم	مع رينسوس زانه التنفيس

قالوا ومارية حكت في نصها	وهي الحكيمة طبعها التحويس

وكذاك خالد الحكيم وجابر	فهو المقدم دأبه التأسيس

هذا وكم من حكيم غيرهم	فيها تفرس والهدى التفريس

أيضاً وكم فيها كتاب راسخ	قد قيل ألف جلهن شموس

والتجربات فشاهدات أنها	حق مبين ما به تدليس

لكنها حجبت برمز معجز	في بحر لغز حوله التدليس

قد شاكلت شمس الضحى لكنها	من فورها التمويل والتفليس

خفيت عليك وظلت تجحدها إذاً	لما عميت وقلك التجسيس

ما ضرها إنكار عين عاقها	في نورها التغميس والتطميس

وحل كشف السر لي يا جاحداً	أنكست رأسك والصلي النكيس

قد قلت قول الحق غير مصرح	إن الصناعة أصلها التكليس

بدر وشمس زنبق كبريته	مس وطلق بوصها التطويس

من كل ركن طبعه تركيبه	في بوط بربوط به التبريس

سبعين عاماً دعه في أصالة	حتى يموت ويجبه التخريس
يفتر عن ذهب عجيب خالص	ما فيه غش لا ولا تدنيس
هذا هو السر المصون وإنه	تحت القياس وسره التقبيس

ويقال : الجهل داء والعلم دواء ، والجهل عورة تستر ، والعلم زينة تظهر ، والجهل أقبح ما في الإنسان ، والعلم أملح ما في الإنسان ؛ وقال أبو المؤثر : بالعلم يطاع الله ، وبالجهل يعصى الله ، وكفى بالعلم شرفاً أن كل أحد يدعيه وإن لم يكن من أهله ، وكفى بالجهل ذماً أن كل أحد يتبرأ منه وإن كان معروفا .

وفي الخبر : لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتخبروا به في المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار، ولا ينبغي لعاقل أن يترك علماً يتزوده لمعاده، ولكن يكفيك من العلم ما تنتفع به، وقيل مثل العالم الذي يعلم الناس ما يلزمهم في دينهم يريد به وجه الله كمثل الشمس تضيء للناس ولا ينقص منها شيء.

ويروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية، ومدارسته تسبيح، وطلبه عبادة، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو منار سبيل أهل الجنة، والأنيس في الوحدة، والصاحب في الغربة، يرفع الله به أقواماً ويجعلهم في الخير قادة تقتفى آثارهم، وترفع أعمالهم، وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس يستغفر لهم ، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها، النظر فيه يعدل بالصيام، ومذاكرته تعدل بالقيام، بالعلم يعرف الله ويوحّد، وبه يطاع

ويعبد، وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء, فالعلماء ورثة الأنبياء، وملح الأرض، ومصابيح الدنيا، وهم الأدلاء عند العماء، والمشهورون في الأرض والسماء، لأنهم الأئمة ورباني الأمة، والعلماء بالله والسنة، وقواد الناس إلى الجنة " [1] .

وقال بعض الصالحين في هذا المعنى شعراً :

الناس من جهة التمثيل أكفاء	أبوهم آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة	وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف	تفاخرون به فالطين والماء
لا فخر إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
الناس موتى وأهل العلم أحياء	الناس مرضى وهم فيهم أطباء
الناس أرض وأهل العلم فوقهم	سنا ونور وما في النور ظلماء
ووزن كل امرىء ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
وضد كل امرىء ما كان يجهله	وللرجال على الأفعال أسماء

ثم قال : العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً، والجاهل لم يعرف العالم لأنه لم يكن عالما، فكل من جهل شيئاً عاداه، وذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [3] .

اعلم أن العُلماء لهم فضائل، ويجوز أن تقول فلان أفضل من فلان،

---

(١) ذكره المنذري مع اختلاف في الألفاظ في : " الترغيب والترهيب " ، ج ١ ، ص ٥٢ ، الحديث رقم ١٠٢ .
(٢) سورة يُونس : ٣٩ .
(٣) سورة الأحقاف : ١١ .

ولا يقال فلان أتقى، ولا فلان أصدق من فلان إذا كانوا كلهم أهل تقى وورع.

قال ذو الغبراء : وعليك يا أخي بمجالسة العلماء ؛ لما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة لا يعصى الله فيها طرفة عين، والنظر إلى العلم أحب إلى الله من اعتكاف سنة في بيت الله الحرام، وزيارة العلماء أحب إلى الله من سبعين حجة مقبولة، ويكتب له ما دام جالساً عند العالم بكل حرف سبعين حجة وعمرة، ورفع له درجة، وأنزل الله عليه الرحمة، ووجبت له الجنة يوم القيامة " [1].

فإن يسّر الله لك ذلك فطلبت العلم وعرفت بعضه بفضل الله عليك فاشكر الله عزوجل على ما بلغك وأعطاك وعلمك وهداك، واعلم أنك لا تقوم بشكره حقيقة ولو بذلت عمرك جميعاً في طاعته، لكنك الزم التواضع للناس، واعمل برواية الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول : " صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك " [2] .

فهذه الرواية تدل لمن عمل بها على حسن الخلق، ثم افت بما علمته يقينا، وحفظته ضبطا، غير مسارع إلى الفتوى ما وجدت أحداً قائماً بحوائج الناس، ولا تأنف أن تقول فيما لا تعلم لا أعلم فإنه ليس ينقص فيك شيئ ولا عار عليك، وقد اعتذر من هو خير منك .

---

(١) الذي وجدته في كتاب الفردوس بمأثور الخطاب ج٢، ص١٠٨ (جلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله (عزوجل) من أن يتصدق عشرة آلاف دينار).

(٢) شعب الإيمان ج٦ ، ص٢١٦ ، مسند أحمد ج٤ ، ص١٥٨ ، وعون المعبود ج٥ ، ص٧٩ وقال فيه ((قال المنذري : وأخرجه البخاري والترمذي)) .

وإياك ثم إياك أن تشتغل بعلم غيرك بل أن تعلم ما أنت مسئول عنه يوم القيامة مثل الإيمان والصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة ومظالم العباد في أبدانهم وأموالهم وفروجهم وأعراضهم، فإذا سلم العبد منها أو من الإصرار عليها إن جرت منه فمرجو من الله عز وجل أن يدخله الجنة برحمته الواسعة، ولا تقوم جميع الفرائض إلا بالعلم ولا يصح العلم إلا بالتعليم والانقطاع فيه ليلاً ونهارا كما قال الشاعر:

العلم صيد والدراسة قيده فاحفظ صيودك بالقيود الواثقة

وقال آخر:

يا طالب العلم باشر الورعا وجانب النوم واحذر الشبعا
وواظب على الدرس لا تفارقه العلم بالدرس قام وارتفعا

ما يعين على الحفظ :

ولقليل الحفظ أن يعمل بما يقويه للفهم مثل ماء ورد العجمي والسكر الأبيض البلوج يشرب، ومثل اللوز والسكر يأكل، ويجتنب أكل الملوحات والحموضات والمحرقات، وكل ما كان أكله يفسد الدماغ فيجتنبه .

للحفظ (أيضاً) : يؤخذ السكر الأبيض النقي من الحمرة مثل البلوج والبنجالة وأشبه ذلك ويطبخ بمثله من حليب الغنم حتى ينعقد كالسكر ثم يطبخ بماء ورد عجمي ويؤكل بمثله لوزاً مسحوقاً ويروى ذلك عن النبي (صلى الله عليه وسلم) .

ولا يقال فلان أتقى، ولا فلان أصدق من فلان إذا كانوا كلهم أهل تقى وورع.

قال ذو الغبراء : وعليك يا أخي بمجالسة العلماء ؛ لما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة لا يعصى الله فيها طرفة عين، والنظر إلى العلم أحب إلى الله من اعتكاف سنة في بيت الله الحرام، وزيارة العلماء أحب إلى الله من سبعين حجة مقبولة، ويكتب له ما دام جالساً عند العالم بكل حرف سبعين حجة وعمرة، ورفع له درجة، وأنزل الله عليه الرحمة، ووجبت له الجنة يوم القيامة " [1].

فإن يسّر الله لك ذلك فطلبت العلم وعرفت بعضه بفضل الله عليك فاشكر الله عزوجل على ما بلغك وأعطاك وعلمك وهداك، واعلم أنك لا تقوم بشكره حقيقة ولو بذلت عمرك جميعاً في طاعته، لكنك الزم التواضع للناس، واعمل برواية الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول : " صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك " [2] .

فهذه الرواية تدل لمن عمل بها على حسن الخلق، ثم افت بما علمته يقينا، وحفظته ضبطا، غير مسارع إلى الفتوى ما وجدت أحداً قائماً بحوائج الناس، ولا تأنف أن تقول فيما لا تعلم لا أعلم فإنه ليس ينقص فيك شيئ ولا عار عليك، وقد اعتذر من هو خير منك .

---

(١) الذي وجدته في كتاب الفردوس بمأثور الخطاب ج٢، ص١٠٨ (جلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله (عزوجل) من أن يتصدق عشرة آلاف دينار).

(٢) شعب الإيمان ج٦ ، ص٢١٦ ، مسند أحمد ج٤ ، ص١٥٨ ، وعون المعبود ج٥ ، ص٧٩ وقال فيه ((قال المنذري : وأخرجه البخاري والترمذي)) .

وإياك ثم إياك أن تشتغل بعلم غيرك بل أن تعلم ما أنت مسئول عنه يوم القيامة مثل الإيمان والصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة ومظالم العباد في أبدانهم وأموالهم وفروجهم وأعراضهم، فإذا سلم العبد منها أو من الإصرار عليها إن جرت منه فمرجو من الله عز وجل أن يدخله الجنة برحمته الواسعة، ولا تقوم جميع الفرائض إلا بالعلم ولا يصح العلم إلا بالتعليم والانقطاع فيه ليلاً ونهارا كما قال الشاعر:

العلم صيد والدراسة قيده فاحفظ صيودك بالقيود الواثقة

وقال آخر:

يا طالب العلم باشر الورعا وجانب النوم واحذر الشبعا
وواظب على الدرس لا تفارقه العلم بالدرس قام وارتفعا

ما يعين على الحفظ :

ولقليل الحفظ أن يعمل بما يقويه للفهم مثل ماء ورد العجمي والسكر الأبيض البلوج يشرب، ومثل اللوز والسكر يأكل، ويجتنب أكل الملوحات والحموضات والمحرقات، وكل ما كان أكله يفسد الدماغ فيجتنبه .

للحفظ (أيضاً) : يؤخذ السكر الأبيض النقي من الحمرة مثل البلوج والبنجالة وأشبه ذلك ويطبخ بمثله من حليب الغنم حتى ينعقد كالسكر ثم يطبخ بماء ورد عجمي ويؤكل بمثله لوزاً مسحوقاً ويروى ذلك عن النبي (صلى الله عليه وسلم) .

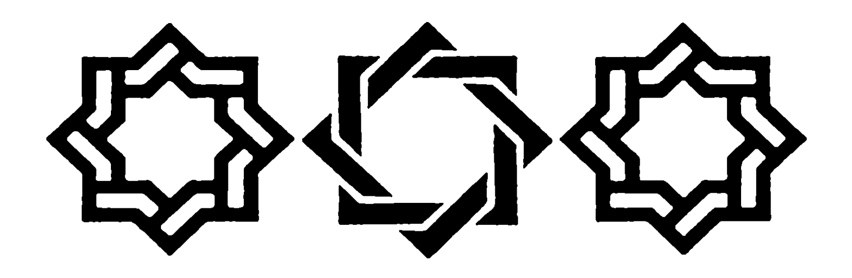
وينبغي للمتعلم مكان وإخوان وأعوان في الزمان، وأن يعمل الروائح الطيبة الباطنة لجسده والبخورات لثيابه.

ومما ينبغي للمتعلم يتعلم الخط كما قال علي بن أبي طالب: الخط الحسن يزيد الحق وضوحا، وقال لرجل رآه قبيح الخط: أطل حلقة قلمك وأسمتها، وحرف قطتك وأيمنها، واعدل أقسامك، وأقم ألفك ولامك، فهذه الوصية تضمنت أصول الكتابة.

ومما سمعته عن الشيخ ناصر بن أبي نبهان: إن كان المتعلم صاحب نسيان فليكتب بالزعفران ويشربه ستة عشر يوماً يداوم عليه كل يوم، وإن قرأه بعد قيامه للصبح دائماً فإنه يجد من الحفظ في نفسه ما لم يجده من قبل، وهذا هو المذكور:

بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ الرحمن {١} علم القرآن {٢} خلق الإنسان {٣} علمه البيان ﴾ ، ﴿ اقرأ وربك الأكرم {٣} الذي علم بالقلم {٤} علم الإنسان ما لم يعلم ﴾، ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾، ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾، ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ ، ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ ، ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ ، ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ ، ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ ، ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ ، ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ ، ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ ، ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ ، ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ ، ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ ، ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ ، ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ ، ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ ، ﴿ الله نور

السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور ﴾ ، اللهم اجعله نوراً على نور ، وحفظاً وفهماً وبرهاناً وضياءً وحكمةً وعلماً وسلطاناً وإسلاماً وإحساناً وإيماناً في عقل وقلب ونفس وروح وسمع وبصر وأعضاء فلان بن فلانة ، واجعل له قوة حفظ ، وقوة فهم ، وقوة ذكاء ، ﴿ ففهمناها سُليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً ﴾ ، ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ ، يا الله، يا عليم، يا حكيم، يا خبير، يا مبين، يا شهيد، يا سميع، يا بصير، يا حي، يا قيوم، يا وهاب، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم .



الذكـر الثـالـث :

في العقل، ولخدمة البصر والسمع والشم والذوق واللمس، وفيه ذكر الأعداء إبليس والدنيا والهوى، ثم ضدهما بالعقل والزهد والتقوى فصح بين الفريقين الخصام والقتال فظفر الله المحقين

في العقل وأهميته للجسم والروح :

قال ذو الغبراء : سألت عن العقل ما السبب لصلاحه وفساده ؟ فقيل لي في الجواب عن العبد الفقير لله تعالى راشد بن عميرة بن ثاني بن خلف بن محمد بن عبد الله بن هاشم بن عبد الله بن هاشم بن خنبش بن يزيد بن عميرة بن قيس بن مالك بن عمر بن وديعة بن لكبر بن أقصى بن عبد القيس بن أقصى بن دعمي بن حديلة بن ربيعة بن معد بن عدنان .

قال : ولقد جرى في قلبي ووقع في خاطري ذكر بعض ما خلق الله تعالى في الإنسان من الأعضاء الرئيسة التي لا بد من ذكرها ومعرفتها إذ الحاجة في ذكرها ضرورية، وهي التي فضل به الإنسان على جميع المخلوقات وبها تكون العقل وبها يتوصل الإنسان إلى معرفة خالقه وبه ينال الدرجات العلا، وجعلت نظماً فقلت:

نظمت مقالاً يبهج العين منظرا   بما قد حوى دراً ولفظاً مسطرا

النظم ضد النثر، ونصب مقالاً على المفعولية، و يجوز أن يكون المصدر أي قلت قولاً ومقالاً، والمبهج الحسن الذي يروق العين والقلب.

يفوح شذاه حين ينشد في الملا　　　على أولياء الفهم مسكاً وعنبرا

يفوح يثور وفاحت الرائحة أي ثارت، والشذا أيضاً النشر والرائحة، والإنشاد مأخوذ من إنشاد الضالة إذا سألت عنها، وأنشدتها إنشاداً إذا عرفها، ومنه إنشاد الشعر، والملا اجتماع الخلق.

يزيد ذوي الألباب علماً وحكمة　　　ومعرفة للخالق البر إذ برى

الزيادة النمو، وذوو الألباب أهل العقول، والخالق والبر هما [1] اسمان من أسماء الله تعالى.

لأجسامنا وهو المدبر صنعها　　　على ما يشا مما أراد وقدرا

المدبر المصرف والتدبير التصريف، والصنع ما اصطنعه من خير وشر.

وأنزل فيها القلب والعقل نوره　　　يكون اتصالاً بالدماغ كما جرى

يقول: وجعل في هذه الأجسام القلب العقل وهو أفضل شيء في الجسد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "إن في الجسد مضغة فإن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ألا وهي العقل" [2].

والعقل هو نور متصل منه إلى الدماغ إذ خلق الله تعالى الدماغ ثلاثة بطون وجعل في القلب ثلاث تجويفات، وجعل العقل يتوصل في جميع

---

(١) في الأصل : هو .

(٢) حديث متفق عليه ، رواه البخاري ومسلم وغيرهم ، رووه جميعاً بدون الزيادة التي أوردها المؤلف في آخره وهي : (ألا وهي العقل) .

ذلك، وجعل الأرواح تنقسم إلى ثلاثة أقسام الروح النفساني الذي في الدماغ ، وتولد هذا الروح من الروح الحيواني الذي هو مسلكه القلب وتولد هذا الروح من الروح الطبيعي التي هي مسكنها الكبد ، وهذه صفة تولد الأرواح الثلاث على مراتبها.

اعلم أن الكبد إذا طبخت الغذاء ارتقى منه بخار فعمدت الطبيعة فجذبت ذلك البخار إليها فجعلته الروح الطبيعي، وانجذاب الدم الحاصل فيها قسط هو أصفاه وألطفه إلى القلب فيتغذى القلب منه وتولد من ألطفه في التجويف الأيسر من تجويفه لأن الأيمن مشغول يجذب الدم من الكبد جسماً لطيفاً بخارياً يسمى اللطقة روحاً حيوانياً وتفيض من النفس الناطقة عليه قوة تسمى القوة الحيوانية ولولاها لعفن البدن وعرض له ما يعرض للبدن الميت من الفساد ثم تفيض على الروح الحيواني أيضاً قوتان أخريان أحدهما القوة الطبيعية والأخرى النفسانية وينجذب قسط آخر إلى الكبد وينضح فيه نضحاً جديداً ويسمى روحاً طبيعياً حينئذ ويظهر آثار القوة الطبيعية هذا على رأي الحكماء .

وأما الأطباء فمنهم من وافق الحكماء فيما ذكرنا إلا في أمر واحد وهو أنهم قالوا القوة النفسانية تفيض على القسط المنجذب إلى الكبد في الكبد ومنهم من خالف الحكماء فيه وقال الروح النفساني لا تنجذب من القلب بل تتكون في الدماغ من الدم الحاصل الوارد من الكبد والروح الطبيعي لا تنجذب من القلب بل تتكون في الكبد من الدم الحاصل فيه ولا محالة تكون القوتان قابضتين عليهما في الدماغ والكبد وهذا المذهب يخالف مذهب الحكماء كثيرا ، والذي قبله قليلاً .

فإذا عرفت هذا فنقول[1] الأعضاء الرئيسة هي القلب والكبد والدماغ والأنثيان، فأما الأنثيان فليس هنا موضع ذكرهما، وقد جعل الله سبحانه وتعالى لهذه الأعضاء خداماً.

أما القلب تخدمه الشرايين لأنها تحمل الروح الحيواني منه وتنفذه إلى سائر البدن، وأما الكبد فتخدمه الأوردة لأنها تنفذ الروح الطبيعي والدم إلى سائر البدن من الكبد، وأما الدماغ فتخدمه العصب فإنه ينفذ الروح النفساني إلى سائر البدن منه ومنها الأرواح، ولا يعنى بها النفس كما يراد بها في الكتب الإلهية بل يعنى بها جسماً لطيفاً محارياً يتكون من لطافته الأخلاط، وبخاريتها كتكون الأعضاء من كثافتها، والأرواح هي الحاملة للقوى فكذلك أصنافها كأصنافها.

ولفظ الأرواح يطلق على شيئين أحدهما النفس الناطقة كما يراد بها في الكتب الإلهية كالقرآن العزيز وغيره، والثاني جسم لطيف بخاري يتكون من لطافته الأخلاط، وبخاريتها كتكون الأعضاء من كثافتها وهو الذي تعنيه الأطباء هي الروح هي الحاملة للقوى الناقلة لها من معادنها إلى مقاصدها، فتكون أصنافها كأصناف القوى، فهذا ذكر الأرواح الثلاث، أولها أفعال وتصاريف تختلف يطول بشرحها الكتاب وبهذه الأرواح يتصل الروح الناظر وسنذكر إن شاء الله تولده ومعرفة جميع بطون الدماغ.

ومنها بطون للدماغ ثلاثة والقلب في تجويفه مثلها ترى

يقول: ثم إن للدماغ ثلاثة بطون وللقلب ثلاث تجويفات وتجميعها

---

(١) في الأصل : فتقول .

يكون العقل وبه معرفة الأشياء .

فأما بطون الدماغ فالبطن الأول فيه التخيل وهو المقدم، وهو يعين على الاستنشاق، وعلى نفض العضل بالعطاس، وهو على توزيع الروح الحساس والبطن المتوسط كدهليز بينهما يقود جميع الأشباح المذكورة، والبطن المؤخر هو المبتدأ النخاع وهو يوزع أكثر الروح المتحرك وهناك أفعال القوة الحافظة.

وللدماغ أيضاً أوعية تعرف الدماغ وعاءان في مقدمة ووعاءان في مؤخرة ووعاء بين الوعائين المقدمين، فالوعاء المؤخر من الأوعية هو الروح النفساني الذي به تكون الأفعال، وتنحدر من بطون الدماغ أغشية تتولد منها طبقات العين وتنحدر من جوانب الدماغ لكل عين عصبتان يكون فوقهما هذه الأغشية المذكورة فيكون من ذلك الروح الناظر وعند التقاء العصبتين آلة الشم.

فأول بطن صار فيه تخيل وثان لها قد صار للفكر محمرا

قد ذكرنا في تفسير البيت الأول أنه مقدم بطون الدماغ فيه التخيل، والثاني فيه الفكر، والثالث فيه الذكر .

وآخرها قد صار للذكر منزلا ألا فاستمع ما قلته وذر المرا

وقد تقدم أيضاً أن الذكر في البطن المؤخر من بطون الدماغ .

وأما تجاويف الفؤاد فإنما يكون بما يعلوه نوراً منورا

يقول: ثم إن للقلب في تجاويفه وهي في أعلاه فيما غلظ منه نور يسطع وهو أعلى اللسان ومعاني الحروف هناك مشكلة وهي محل القوة في اللسان والقوة المدبرة لإرادة المعاني المنبعثة من النفس، وله عين نورانية ينظر بها الأسرار المحسوسات، وأطوار المركبات، وحقائق الحروف وأسرارها، وعظم ما أودع الله فيها من أسرار أسمائه وحقائقه ومعارفه فيما كان أودعها لعظم معرفة الله تعالى لمعرفتها أنعم الله عليها من أسرار المحسوسات وتلك البصائر كلها إلا انهم متباينون باختلاف الأطوار.

وقد تقدم في مواقيت البصائر ولطائف السرائر أن أرواح الوحي في كتاب الله ثلاثة روح الأمين وروح القدس وروح الأمر.

فالوحي من روح الأمين نزل على التجويفة الأولى لأنها البرزخية التي هي بين النطق واللسان، وهي أول مراتب الوحي والتنزيل وربما قسم له إلهام الله تعالى على القلوب.

وفي وسطه تجويفة ثم قد حوت   محل سكينات له والتفكرا

يقول : وأما التجويفيه الثانية وهي الوسط وهي محل التفكر والتذكر وهو نور ساطع، وهو محل السكينة، وهو محل الخيال فيما يلقيه ولهذا التجويف عين نورانية بها يدرك الطلب، ومنها ينبعث الجد في الطلب، والشغف إلى الشيء المطلوب، وهو أسرع تعلقاً بالأشخاص للطافتها، وبها يكشف عالم الملك وما حواه صنع الملك تعالى، وبها يكون ويقع الإحسان للمستحسنات .

وثـالـثـهـا تـجـويـفـة وهـي آخـر　　　يطول بها الإنسان علماً ومخبـرا

ثم إن للتجويفة الأخرى وهي أرقه وألطفه ويعبر عنها بالفؤاد وهو محل العقل والإيمان ولطائف الحكم، وهو محل الحب ومحل الحياة الطبيعية من الحرارة اللطيفة.

ولهذا قيل إن للفؤاد عينا نورانية بها يدرك حقائق الملكوت وأسرار العلويات الجبروتيات وموازين الحقائق، وهي محل الأنوار الوهبيات وأسرار العلويات. وتلك البصيرة التي تبصر بها قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور ﴾ [1] ، وهي محل النور الأقدس ، وهي محل السمع أيضاً ، وهو محل العقل ، قال الله تعالى لنبيه : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [2] ، لم يرد به موتى الحس وإنما موت الكفر والعصيان، ولم يرد به الصم الآذان لأن حاسة السمع فيهم موجودة، وإنما أراد به هذا السمع الذي هو عالم الفؤاد ومحل العقل وهو محل عين روح الأمر الذي يشير إلى التمكين وحقيقته الجمع ما اختص به التنزيل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقد شرحنا أدوية القلب وخزانتها .

بها يهتدي الإنسان طاعة ربه　　　وصنعته مما ذراه وما برى
بها يكمل العقل المكون فيهم　　　فسبحان من ندعوه أول آخرا

يقول : ثم إن الله تعالى جعل كمال العقل وتمامه لجميع الآلات ، ولو

(١) سورة الحج : ٤٦ .
(٢) سورة الروم : ٥٢ .

عدم العقل آلة من هذه الآلات لم يقسم حاله، وكان كأحد البهائم ولم يهتد إلى الدرجات العلى.

وقد جعل اللــه المهيمن ربنـا   له خدمـاً يأتونـه بـالـذي جـرى

يقول : وقد خلق الله للعقل أعواناً وخدماً يؤدون إليه جميع ما يشاهدونه ويرونه ، وهؤلاء الخدم هي الحواس الخمس وهي البصر والسمع والشم والذوق واللمس، فلولا أن الله تعالى لم يخلق البصر لما اطلع القلب على جميع الأشياء المرئية، ولا عرف العقل مصنوعات خالقه وقوة البصر موضعها تقاطع الطليتين بين العصبتين الآتيتين إلى العينين الآتي ذكرهما من شأنهما إدراك الألوان والأصوات والأشكال، وحاسة السمع تؤدي إليه معرفة المسموع من الشيء الناطق المصوت فيهتدي القلب إلى معرفة ذلك ويعرف صوت المصوت من الناس والحيوان، ولو عدم الإنسان معاينة الشخص الناطق ولو كان ذاهب البصر، وقوة السمع موضعها العصبة المفروشة في الصماخ من شأنها إدراك الأصوات.

وحاسة الشم المشموم فلو كان الإنسان ذاهب السمع والبصر لعرف الرائحة ولاهتدى القلب إلى معرفة الشيء المشموم ، وقوة موضعها اللحمتان [1] الزائدتان الشبيهتان بلحمتي الثدي من شأنهما إدراك الرائحة المتصعدة من الهواء ، وحاسة الذوق موضعها العصب الذي في حرم اللسان من شأنها إدراك معرفة الطعوم، فلو عدم الإنسان آلة البصر والسمع والشم وذاق شيئاً لأهتدى إلى معرفة القلب ، وحاسة اللمس فلو عدم الإنسان جميع الحواس وقرب إليه شيء ولمسه بطرف

---

(١) في الأصل : اللحمتا .

أنامله لعرف الشيء الملموس ولاهتدى القلب إلى معرفة ذلك، وقوة اللمس موضعها الجلد الذي على طرف الأنملة . وقال بعض أن الحواس ثمان ما باطنة تركت ذكرها.

فأربعة قد صار في الرأس جمعهم وخامسهم قد صار في اليد مشهرا

يقول وجميع هذه الحواس منها أربعة في الرأس وهي التي ذكرناها في البيت الماضي.

وقد جعل الله اللسان بأسره له ترجماناً من أكن وأظهرا

يقول : إن الله (سبحانه وتعالى) من لطفه جعل العقل ترجماناً يخبر عنه بإظهار ما أراد إظهاره، وإضمار ما أراد إضماره، بعد أن أدت إليه جميع هذه الحواس إلى معرفة الشيء .

فلولاهم ما فضل الله آدماً على خلقه والله ذو العرش قد برى
ولولاهم ما كان إلا كمثلنا سفائن منها الحتروان تكسرا

يقول: فلولا العقل والآلة المذكورة لم يفضل الله آدماً وجميع ذريته على جميع المخلوقات، ولكان كإحدى البهائم، ولكانوا كمثل السفائن في البحر تكسر منها الحتروان أي السكان الذي هو مقودها وزمامها .

فإذا عدمت ذلك لم يهتد بها، ولن تخلص راكبها من البحر ، فكذلك إذا عدم الإنسان العقل ، ألم تر كيف خوطب الإنسان إلا والعقل عنده ، ولم يخاطب النائم ولا المجنون ولا الطفل ، ولا يعرف الإنسان ربه ومصنوعاته إلا به .

وقد مثل الشيخ العالم فخرالدين أحمد بن مهديِ الحلي مثلاً في العقل وأتباعه فقال: إني فكرت في المؤمن واحتراسه من عدوه في سلوك منهج التقوى، ومخالفة أمر الهوى، واقتدائه محمد المصطفى، أن الله إذا اختص المؤمن بولايته أكرمه بمحبته، وأيده بنور هدايته، فارتدع عن معصيته، وسارع إلى القيام بخدمته، وقهر النفس بمعرفته، وطلب معرفة ربه وعصمته، ورجا عفوه ورحمته، فيعجز عنه الشيطان عن التطرق إليه بدقائق جبلته ومكره وخديعته، فدلتني الفكرة فيما اعتمدته مني صفته أن مثل المؤمن في الدنيا كمثل مدينة وحولها سور أحاط بها، وقلبه في تلك المدينة كالقصر للملك، والإيمان في قلبه كمثل الملك في ذلك القصر، وللملك سرير وهو التوحيد، وله تاج وهو المحبة، وله وزير وهو العقل، وله صاحب وهو التقوى ، وله صاحب سر وهو العلم ، وله نديم وهو الزهد ، وله صاحب سرور وهو الذكر ، وله علم وهو الألسن [1] ، وله سراج وهو الحكمة ، وله سيف وهو الحق، وله درع وهو التوكل، وله رسول وهو الصدق، وله منادٍ وهو الإقرار، وله سجن وهو الخوف ، وله دليل وهو الفراسة ، وله ثواب [2] وهو المراقبة ، وغلق على الباب للمدينة وهو الصبر وتحته حصان وهو الشكر وله جنود ينصحونه ، وله أصحاب لا يخالفونه .

فبينما هو في قصره معتكف على نهيه وأمره إذ أقبل بعض جماعته المشفقين على مملكته وقال: أيها الملك الكريم إن الشيطان الرجيم إذ أقبل بوجهه إليك في جيش عظيم ، فاحترس في قصرك واستعد

(١) هكذا بالأصل ، والزاهر : الأنس .
(٢) هكذا بالأصل ، والظاهر : بوّاب .

في مدينتك، فأنا أظنه غداة غد واصل إلى مدينتك ونازل، وعن حربك غير ناكل، فنادى الملك في جماعته، وأهل النصح من خاصته، وأعاد عليهم الخطاب، وطالبهم بالرأي والجواب، ثم التفت إلى الوزير وهو العقل، وقال بماذا تشير؟ فقال: نحفر حول مدينتنا خندقاً من الزهد، فإنه لبأس عدونا يصد ولكيده يرد فسارعوا في حفره بمعاول القلق[1] ، وأطلقوا في مجاريه بدموع الأرق، فلما أحاط الخندق بالمدينة أنشأ في الحال يقول شعراً:

فلما أحاطت بي جنود سواسي	حفرت لزهدي حول قلبي خندقا
حفرناه في أرض التودد والرضى	وأجريت فيه دمع عيني مدفقا
وصابرت وجدي واعتصمت بخالقي	فأصبحت من كيد المكاره مطلقا

فبينما هو كذلك إذ عنت غبرة الباطل ، وأقبل العدو بين فارس وراجل ، وكانت جنوده عشرة ، وهي: الحسد، والكبر، والعجب، والتجبر، والغل ، والمكر ، والمحالة ، والحقد ، والغدر ، والوسوسة في الصدر .

ونزلت النفس من شمالي المدينة وكانت جنودها عشرة وهي الحرص والشهوة والرغبة والقسوة والزيغ والشح والبخل والطمع والأمل والكسل .

ونزل حُب الدنيا أمام المدينة وجنوده عشرة ، وهي : الزنا ، والتفاخر ، والتكاثر ، والنظر ، واللهو ، واللعب ، والزور ، والكذب ، والغش ، والخديعة ، والتفريط .

ونزل إبليس اللعين وراء المدينة وكان جنوده عشرة وهي الظلم والخيانة وترك الأمانة والكفر والنفاق والإفك والشقاق والعداوة بين الأهل

---

(١) في الأصل : الفلق .

والجيران وحب الزينة والمال ومعصية ذي الجلال، فهال الملك ما أبصر وارتاع وتحير، وأنشأ في الحال يقول شعراً :

إني ابتليت بأربع لم يخلقوا   إلا لعظم بليتي وعنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى   كيف الخلاص وكلهم أعدائي

فأجابه وزيره العقل وأنشأ يقول شعراً:

لا تجزعن لما أبصرت حل بنا   فحول بلدتنا القرآن يحرسنا
ونحن في ستره من كل ناحية   فنسأل الله إذ للخير وفقنا
فمذ عرفناه صافانا مودته   لكن ينكرنا من ليس يعرفنا
ومن يكن ناسياً إبليس نائبه   ونحن نذكره فالله نائبنا

قال : ثم إن الملك نادى ياغياث المستغيثين، ويا أمان الخائفين، ويا صريخ المكروبين ، ويا دليل المتحيرين، ويا منقذ الهالكين ، ويا إله العالمين ، فثبت الله جنانه ، وشد أزره [1] وأركانه، وقال للوزير وهو العقل: كن أنت في مقابلة الهوى، واطلب النصر من المولى، وقد سلمت يمين مدينتي إليك، واعتمدت في حفظها بعد الله عليك، فقال: أحب أن تندب إليّ إخواناً ليكونوا على العدو أعوانا، فضم إليه من جنوده عشرة وهي محبة الخالق والتواضع وحسن الخلق والتيقظ والإيثار والنصيحة والوفاء والثبات والتحبب إلى الخلق والذكر، قال: وسلم الجانب الثاني إلى حاجبه وهو التقوى، وقال له: كن أنت في مقابلة النفس، وسلم إليه من جنوده عشرة وهي التوكل والعفاف والصفاء والمبادرة إلى الطاعة

---

(١) في الأصل : إزاره .

والحياء والبذل وغض الطرف عن المأثم وذكر الموت والسكينة والقناعة.

قال : وسلم[١] الجانب الثالث إلى نديمه وهو الزهد، وقال له: كن أنت في مقابلة الدنيا، وضم إليه من جنوده عشرة وهو الإخلاص وطلب الحلال والاقتصاد والشكر والخوف من عذاب الله تعالى والتوبة والصدق ونصيحة الخلق والأدب والوفاء ورفض هذه الدار.

قال : وسلم[٢] الجانب الرابع إلى صاحب سره وهو الذكر ، وقال له : كن أنت في مقابلة الشيطان، وضم إليه من جنوده عشرة وهو العدل والأمانة والديانة والإيمان والإحسان والحلم والتواضع والاستغفار وترك الإصرار واللهجة بالأسحار، وحفظ الملك باب المدينة، واستعان بحول الله وقوته، فلما استتم بالملك قراره، فإذا بإبليس و أصحابه ورجاله فنصب على المدينة منجنيقات البهتان ورايات[٣] الجحود والطغيان، فقابلوها بمنجنيقات التوحيد ورايات التحميد، وزحف العدو إلى الخيام، ورشق جنود الملك بالسهام، فخرج إليهم من جهة الظلام، وأشعلوا مشاعل الحكمة بالأحكام، وأقاموا على أبراج المدينة حراس الزهد، وقاموا إليها بآيات التوبة ، فلما بدأ ضوء الصباح، وارتفع سناه ولاح، وعلا بينهم الصياح، فانتضوا الصفاح، وهزوا الرماح، وتدانوا الكفاح ، فبعد ذلك رفع الملك يده إلى السماء، وابتهل إلى الله في الدعاء ، وقال شعراً :

قد بلغ الأمر منتهاه ... وحل بي مثل ما تراه

(١) في الأصل بعد كلمة وسلم : (إلى) فحذفناها ليستقيم اللفظ .
(٢) أيضاً في الأصل بعد كلمة وسلم كلمة : (إلى) فحذفناها .
(٣) في الأصل : غرارات ، ولعله يريد : رايات ، ليتناسق الكلام ، ويتقابل مع كلمة رايات في الشطر الثاني .

مـن لـم يكـن لـي سـوا ه فكيف أسلو إلى سواه
يا لائمـي في هـوى هـواه لـذ بالمقام الـذي تـراه
مـا بال سقمـي أزال جسمـي شوقـي وجسمـي كما تـراه

ثم قال لجنوده: ابرزوا إليه فإن الله ناصركم عليهم، فما أنتم أقل منهم عدداً ولا أضعف منهم مددا، وفتحت أبواب المدينة، وبادر كل قرين قرينه فأيدهم الله بالنصر والسكينة، وألقى في قلوب الأعداء الرعب والهلع والخوف والجزع فولوا مدبرين، ومما أملوه خائبين، وسرت جنود الملك في إثرهم مجدين، ولهلاكهم طالبين، فمنهم من قتلوه، ومنهم من أسروه، فالتجأت النفس إلى حصن بالمدينة فأحاطوا بها ونازلوها وحاصروها وضايقوها وأنشدوا في هذا المعنى شعراً:

أتى القتل في جيش عظيم عرمرم يـوافق من أهل الهوى كل مجرم
ونـادى حياض العسكرين كليهمـا ألا سـالمي يا أيهـا النفس تسلمـي
فما سلمت خوفاً عليهـا ولا لهـا فقال التقي يا ويك توبي وسلمـي

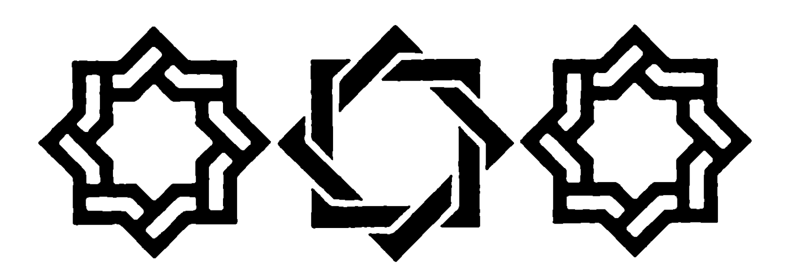
فعند ذلك دخلت في الطاعة والتسليم، ونزلت على الرغم في حكم العزيز الحكيم قال :

ولولاهم لم يدخل النـاس جنـة ولا شربوا من مائها النهر كوثرا
ولـولاهم مـا سيق للنـار عـالم ولا عـاينوا منهـا سعيراً مسعرا

يقول : فلولا تمام العقل لجميع الآلات وحواسه المؤدية إليه جميع ما ذكرنا من حقيقته ما حلل الله وحرم من المحللات والمحرمات لما خوطب العبد على ذلك ، ولا أدخل جنة ولا ناراً ، ولا استحق ثواباً ولا

عقابا، ولكن لما أتم الله فيه العقل أوجب عليه السؤال عن جميع المكتسبات، وهو أول ما يسأل عن العبد يوم القيامة فقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ {٨} وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ {٩} وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (١) ، أي : الطريقين ، وهؤلاء عبارة عن العقل .

سألتك يا رباه كن لي موفقا	إلى صنع ما ترضاه عوناً ميسرا
وصل على خير الأنام محمد	أبي القاسم المبعوث للناس منذرا



(١) سورة البلد : ٨ – ١٠ .

الذكر الرابع :

جواب الشيخ ناصر في الرد لمن يدعي نزول الوحي عليه، ويأتي إليه بقرآن من العلي الأعلى ويقرئه بالسلام ويخصه بالتحية والإكرام

قال مؤلف الكتاب : وجدت ذا الغبراء يهلل ويكبر ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقلت له: كيف خبرك، وما نزل في قلبك؟

قال: سمعت أنها أنزلت سورٌ وسميت قرآناً بعد القرآن العظيم، هل سمعت أنت بذلك؟

قلت له: نعم شاهدت ذلك بنفسي، فهذا رجل متعلم يسمى عمير بن محمد بن سليمان الغلابي، ومسكنه بلد سيت من جبل رضوى، وهاجر سنة في بلد القرية التي هي لبني صبح، ويأتيه الوحي ويتكلم على لسانه وكثيرا ما يوافق الحق، ويقول أنه من آمن به وبما أنزل عليه فله الجنة، ومن لم يؤمن فمأواه النار وبئس المصير.

فكتب إلى القرى بالإيمان به، وأنه نصيح مهدي ليس هو برسول ولا نبي، وذلك في زمن الشيخ العالم جاعد بن خميس الخروصي، فوصل عمير عند الشيخ ورآه فأراه بما يأتيه، ولم يعرف هو بنفسه حقيقته، فاستشار الشيخ في ذلك، فأمره أن يكتبه ولكن يقول يأتيني آت ويتكلم على لساني ولم أقدر على رده وسمعناه يقول إنه لينصره الله بسبعين ألفاً من الملائكة المسومين، وأن أهل الأمر لو كانت لهم حصوناً من حديد من تخوم الأرض حتى طاولت السماء لخرجوا منها إلى طاعته صاغرين

ذليلين، فقوله أعجبنا ولم ندر بما خفي علينا[1]، ثم اعتبرته بمسألة قلت له: إن والدتي مريضة كيف دواؤها؟ فسأل مولاه وقال له: السلام عليكم العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام وقل لصاحبك الأمر بي وبك الذي سألك عن والدته فقل صدفها جني، وكأنها تنازع أحد أولادها فأخذها على الضيم، وقل له يكتب لها شيئاً من المحو لتشربه فإن الله يشفيها، فرابني أمره، والوالدة بخير مع السؤال، فقلت: استغفر الله العظيم من كل قول قلته وتائب إليه من كل ما كان سيئه عند الله مكروها.

ثم كتبت للشيخ ناصر بن أبي نبهان وأقسمت عليه بالله العظيم أن لا يخفيني الحق في أمر عمير وما يدعيه ، فهذا جوابه:

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه رسالة وجواب من عبد الرحمن ناصر بن أبي نبهان إلى بعض الإخوان، وصلني كتابك أيها الولد العبري، وهذا عني جوابك، أقول فيما أراه ما خفي عليك فيما أراك على ما أنت فيه وعليه أن يطول ندمك وتزل قدمك بعد ثبوتها عن الصراط المستقيم إلى اتباع الهوى السقيم، أراك كأنك لم تدر أنك قادم إلى أمر عظيم، بين يدي رب كريم، لا ينفع معه مال ولا بنون ولا نديم، إلا من أتى الله البر الرحيم بقلب سليم، ودين مستقيم، فأنى يصح أن يقدم على هذا عليه غيره بعمل لا يعلمه تحقيقا في هذه الحياة حلال هو عنده أم محجورا، أو باعتقاد شيء فيه أو له تصديقا، لا يدريه حقا أم زورا، أم هل يصح غير الصحيح في هذه الحياة قبل الممات، أم ترغب أن تكون سريع الفرار عن المقصود بك من ربك إلى الإدبار، كشجرة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ،

---

(١) هذا الادعاء حصل من عُمير حقيقة ، وكُتب ذلك في كِتاب أطلق عليه العوام : " قرآن عُمير " ، لا زال بعض أهل ولاية الحمراء يحتفظ بأوراق منه .

أولا ترغب أن تكون كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فلا تميلها أجل عواصف رياح الهوى والافتتان، ولا تسقط بأقوى زعزعات نزغات الشيطان .

وفي كتابك تشهد لنفسك ، بقلة فهمها ، وأنت تقلدها فكرها فتميل إلى ما مالت به إليه ، فتقبل عليه كأنك قد وثقت بقوة صحة علمها ، وتركت مابه أمرك الذي صورك من سؤال أهل الذكر فيما لا تعلمه في حقه إن كنت من غير أهل العلم والفكر ، وأرسلت إلي بكتابك بعدما ملت إلى ما ملت إليه فيما يدل عليك ما نسبته فيه عنك، قبل أن تأخذ العلم ممن هو في زمانك أعلم مني ومنك، تخبرني فيه عن تحيرك لضعف صفاء فكرك، وعن دخول الشك والريب في قلبك الذي بصدرك ، لقلة ضياء بصر عين بصيرتك ، التي بسريرتك عن التدقيق في العلم الشرعي ، بالنظر القوي إلى الدقيق منه بالتحقيق ، بوقوفك بين الإنكار والتصديق ، فيما يدعيه من يدعي الوحي من الله المولى عليه بتنزيل جبرائيل (عليه السلام) به عليه بكِتاب من عند الله (جل وعلا) ، وبالأمر والنهي منه لعباده المكلفين عبادته (سبحانه وتعالى) ، وأنه ليس برسول ولا نبي ، بل هو المهدي الذي اعتقد بخروجه في آخر الزمان بعض الضعفاء في العلم من قومنا دون أهل الإقامة على الاستقامة من أصحابنا أهل العلم والإيمان .

وأنا أخبرك بما معي في ذلك، وأقسمت عليّ بالملك الرحمن أن لا أكتمك، وأنه لا كتمان بين الأصفياء من الإخوان، فإن اقتصرت بالإقامة على دين أهل الاستقامة فنعم أنت الخل من الأخدان، ولك منا محض ود الجنان، وإلا فدعني فلست مني فإليك إليك عني، وهاك النصيحة الصريحة الصبيحة المبيحة لك محض القريحة الصحيحة ما يلوح للناظر ضياؤها

ونورها، وتشرق للمبصرين شموسها وبدورها، اعلم أن في اعتقادنا الذي ندين به لله ربنا، ولا نخاف أن نقدم به إليه أن لا رسول ولا نبي بعد نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، كذلك جاء به نص الذكر الحكيم من الله الكريم ، فقال تعالى في حقه تكريماً له وتعظيما : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [1] ، ومن هنا ينكشف الحق فنقول أنه لا يجوز على الله جل جلاله بعد إخبارنا بهذا أن يبعث أحداً من البشر يوحي عليه بتنزيل جبرائيل عليه السلام به إليه بكتاب وأمر ونهي إلى المكلفين عبادته من عباده سبحانه وتعالى يهديهم به وبما يأتيهم به عنه ويجعله مهدياً ويقول أنه ليس برسول منهم إليهم ولا نبي لهم ولا له جل جلاله، وهو مع ذلك تعالى يأمرهم أن ينبأهم بما جاءهم به من الوحي عن المولى ويلزمهم الإيمان به والطاعة له، والإيمان بكتابه وبما جاء به إلى خلقه من ربه؛ لأنه من التناقض في كلامه وأخباره المفضي [2] إلى اللعب الداعي إلى الكذب تعالى من ذلك جل وعلا بذلك؛ فهو يرسل لا محالة عليهم وينبئه يوحي به عليه ليبعثه إليهم فإني على هذا لا يكون لله العلي لا برسول ولا نبي .

وهل الرسالة والنبوة من الله لمن يشاء غير هذا، وهل يصح من القول في ذلك إلا لا؟ وما لم يجز على الله فأنى يصح لأحد أن يدعيه عليه سبحانه وتعالى! فتثبت له دعواه، كلا لا! فإنه من المحال فهو من الضلال الذي لا يصح على حال، ولا يصح أن تكون له حجة على إمكان صحة دعواه بحجة ولو حج من حاجه للإدحاض على ما يدعيه بأوضح المحجة،

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٠ .

(٢) في الأصل : المقتضي ، ولعله : المفضي ، كما أثبتناه .

فإنما هو مغالب ومكابر لا غالب، لأنها تكون حجة على الله لا لله، وقد قال المولى جل وعلا : ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا ﴾ [1] ، ولو أتى بآيات تخمد بها النيران، وتمشي بها على الماء، ويملك بها الحصون والأرض بحذافيرها بغير جند نراها، أو يطبق بها الأرض بالسماء لما جاز أن تكون حجة وشهادة على إمكان ثبوت دعوى تقتضي إلى ثبوت التناقض في كلام الله سبحانه، وكلام من يرسله إلى خلقه جل شأنه، وإلى ثبوت الخلاف والإخلاف فيما أخبرنا به في كتابه في حق نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه خاتم النبيين بوحيه وخطابه، فيكون غيره جل وعلا ما أعظم شأنه لأنه بذلك يفضي إلى إمكان الخلف والإخلاف في جميع أخباره أن لو صح ولن يصح، ونقض جميع توحيده تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والحمد لله حمداً كثيراً .

فلا يصح على هذا وحي من الله لأحد من الأنام بعد نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، إلا وحي الإلهام كما أوحى الله إلى مريم وإلى النحل وما أشبهه، وإلى العلماء الأعلام بالتفهيم لهم إلى ما خفي عليهم من الحق، أو الرؤيا الصادقة في المنام ، سبحانه الملك العلام، وأما الوحي من رب العالمين على من شاء من عباده المصطفين إلى المتعبدين بتنزيل جبريل بالأمر والنهي لهم فإنما هو على العموم للأنبياء والمرسلين، وبالكتب على الخصوص للرسل المقربين، لا على كل الرسل ولا على كل النبيين، ومن العجب ممن يوحي على هذا ويزعم انه جبرائيل عليه السلام ينزل بالوحي عن الله في زعمه متى أراد الذي يوحي عليه لكل من أراد أن يريه، ولم يكن كذلك نزوله من قبل ولا كذلك نزول الملائكة المنزلين مع

---

(١) سورة الكهف : ٥٤ .

من مضى من النبيين ، حتى في حق سيد المرسلين ، لم تكن الملائكة تأتيه في كل حين ، فيما أخبر عنهم إله العالمين في كتابه المبين ، بل ينزلهم إليه في شدة البأس مع قرب الإياس من الصحب ، وما النصر إلا من عند الله المبين .

وفي نفسي أن هذا كان منه في الابتداء على سبيل الرياضة فأسرعت إليه الشياطين فهي تأتيه بالباطل، وتمنيه بالغرور لتقويه فيزعم بما يبديه فيما يدعيه بما إليه تلقيه، أن الله يمده بالنصر على ما ادعاه بسبعين ألفاً من الملائكة مسومين، ولا يمده بأحد ممن خلق من الماء والطين، وقد أيد الله الرسول الأعظم المصطفى الأمين (صلى الله عليه وسلم) بالنصر تكريماً له وتعظيماً بخمسة آلاف من الملائكة مسومين في الشدة لا في كل حين، كرامة خص بها دون سائر النبيين، وهو مع ذلك لم يكتف بذلك عن الإعانة من البشر في دفع كل ضرر، بل استعان بالأعوان والأصحاب والإخوان، والحرب والطعن والضرب، وتخندق البلاد، والتشمير للقتال لمن يرجوه منه من العناد، وفر عن أسىً من داره إلى من يؤمله أن يكون من أنصاره، فكان هذا أعظم كرامة، فهو أعلا وأجل منه درجة ، ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

فهو وأتباعه لا شك إن ماتوا على ذلك أنهم هالكون، وقد زين الشيطان له فأضله وأضل من اتبعه فأضله ضلالاً كبيرا، إن الشياطين لا تأمر فيما توحي به بالعدل والإحسان والطاعة للرحمن، وإنما تأمر وتوحي بما أخبر المولى عنهم في كتابه بقوله : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [1]، وتأمر بالفحشاء والمنكر وما كان

---

(١) سورة الأنعام : ١١٢ .

محجورا، وهذا في زعمه أنه يأمر فيما يوحى إليه بإخلاص الإرادة في العبادة لعالم الغيب والشهادة، فلو لم تكن الشياطين وإبليس بنس الجليس ذوي حيل ومكر وخدع بالتلبيس والتدليس للتدنيس تدق وتخفى عن جل العلماء، لما كان لأهل القوة في العلم فضلاً عن الضعفاء، ومن أظلم ممن قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء، أو ليس على هذا فيما ادعاه على مولاه هذا الرجل ونسبه إليه تعالى من اللعب الذميم بالوحي إليه أنه من الكذب والظلم العظيم، والفحشاء والزور والعناد والفساد والغرور والمنكر والفجور، الداعي إلى شرف متالف الردى ، ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ (١) ، أم في ذلك شك يا ذا النهى والعرفان، على ما أتينا فيه من البيان، فأي عبادة لله تبقى منه معه له بهذا في عباده، والله يقول : ﴿ ألا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ (٢) من عباده.

وهل أعطى الشيطان منه بعض سؤله؟ وهل بلغ منه بعض مأموله في انقياده؟ وهل هو المهدي -على من فساده- قبل الرجوع إلى ربه من عظم حوبه، بالتوبة النصوح من ذنوبه، كلا إنما الهادون من يخشى الله من عباده العلماء، فهم شموس الأرض والسماء، وقد زين له الشيطان أنه المهدي المبعوث في آخر الزمان، كما زين لمن كان قبله من ضعفاء العلم من القوم، فأجابوه أتباع الهوى، وأنه هو محمد بن علي بن أبي طالب، وهو ابن الحنفية، وأنه حي مخفي بجبل حزوي لا يموت حتى يقوم الجيش الذي صوروه بزعمهم يقدمهم لهداية الخلق، إلى الملك الحق بالتقوى، ففضح الشيطان لعنه الله الرحمن نفسه بدعائه لهذا المدعي على الله ، وهو غير الذي زينه أولا ، فزخرف به إلى هذه الدعوى ، وعسى أن

(١) سورة مريم : ٩٠ .
(٢) سورة الزمر : ٣ .

يكون إبليس لعنه الله قد تمكن من أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) في اتباعه بإتيان جميع أنواع المعاصي لله المنان إلا بدعوى الرسالة والنبوة ودعوى الربوبية، إذ لم يبق له شيء منها غيرهما يدعوهم إليه إضلالا، ورجا أن يجد لإظهار أحدهما الآن محالا، بهذا الذي دعاه إليها، فأجابه عليها، فإن تمكن منها تشمر أخرى بالدعاء إلى الحالة الأخرى، من يجده بها أحرى, فطوبى لمن غيّرها ودمر ضررها، والويل لمن أجابها ولمن أتى بها.

فعلى كل من قدر على إنكارها وتغييرها بفعل أو قول أو نية فعليه تدميرها على قدر ما يقدر عليه من ذلك فيما جعل فيه لمنعه وزجره وردعه من أنواع الأدب للمنع، ومن علم ضلالة من ادعى بمثل هذا فلا يحل له الشك في العلم بعد اليقين، فإنه من الظلم، ومن جهل أحكامها وأحكام من ارتكبها.

ووقف حد البيان وقال بلسانه: قولي فيه قول المسلمين، واعتقد ذلك بالجنان، ولم يتعد إلى ما وراء ذلك مما ليس له، فهو سالم في قول بعض أهل العلم لا آثم، كما روي عن سيدنا جابر بن زيد رحمه الله أنه يسع الناس جهل ما دانوا بتحريمه ما لم يركبوه أو يتولوا راكبه أو يبرؤوا من العلماء إذا برؤوا من راكبه برأي أو بدين أو يبرؤ من الضعفاء إذا برؤوا من راكبه، فهذا الذي معي أيها الولد الشفيق فيما عرفتني به على التحقيق، وأنا من نصحي لك أن تكون إلى أن تلقى الله العظيم الملك الكريم منكسر القلب من خوف الرب، والهاً إليه، مقبلاً عليه، مقتصراً على الإقامة بدين أهل الاستقامة، بغير خلل في القول والنية، والعمل في المعاملة له جل جلاله.

وفي التجريد لتقديس النفس والمحبة لله المجيد بالشريعة

والحقيقة، ناهضاً بالعلم الإلهي، والصبر القوي على الإخلاص بأركان الشكر لله العلي، مستقيماً على الخوف والرجاء، والقبض والبسط في الشدة والرخاء، راكباً جواد الاجتهاد للتجريد لله المجيد لإزالة ما بنفسك من سواد الفساد، وظلمة العناد، وصعوبة الانقياد، حتى تذل إلى ربها فتخضع، وتقشعر من خوف فتخشع، وتنتصح فتسمع، وتنقاد فتتبع، متحذراً في كل حين من الذي يراك أن يراك فيما نهاك، وأن يفقدك من حيث أمرك، مشمراً عن ساق لتقديس نفسك بخروجك منك بك عنك إليه، حتى عن حسك إن استطعت، وعن أبناء جنسك، مبادراً لجلاء رين بالك من فساد خيالك، وسواد صفات حالك، حتى تطهر من ذنوبك، وظلمة حوبك، وتستنير بأنوار ربك إلى ما أراد بك، فينجلي صدأ مرآتك، وتتجلي من صفاتك، وتتحلى بصفات من صور حقيقة ذاتك، فتحسن أحوال جوارحك بالطاعة الكاملة بحسن معاملتك لمصورك، وتشف فتصفو بالتجريد إلى الله مشكاة صدرك، وتستنير بإدامة الصقل بمحبة الله زجاجة قلبك وفكرك، فيستضيء بأنوار حكمته، وضياء معرفته مصباح عقلك وسرك، فيستمد من زيت زيتونة شجرة العلم الإلهي الحقيقي الذي هو الدين القويم، والصراط المستقيم بالإيمان التحقيقي في إسلامك وإحسانك وبرك، فتشرق عين بصير بصيرتك التي بسريرتك فتسبح في فسيح قدسه بحضرة أنسه، فيفنى شهودك بجوده عن شهود وجودك بشهود وجوده، فتنجذب إليه بمجامع قلبك ولبك، وتسلب نحبك لربك، فترقى إلى أعلى مقامات اليقين، حتى تكون من أهل التمكين بعد التلوين، فتغيب عن الأخبار بحضرة قدسه، وتستوحش من الإنس بالاستئناس بأنسه، وتفنى في عين الجمع بحسه وتوحيده، فتظمأ بكثرة الشرب من كأسه، فتبقى في

شهوده وتسبيحه وتوحيده على مقاعد شكره، ومعاهد ذكره، ويكاشفك بالعلم اللدني فتفنى حتى عن ناسه، فيكون بقاؤك في فنائك، وحضرتك في غيبتك، وظمؤك في شربك، وشوقك في قربك، وكشفك في خفاك، وهداك في عماك، وإثباتك في محوك، وسكرك في صحوك، واتقك في فتقك، وجمعك في فرقك، وغناك في فقرك، وعزك في ذلك، وحياتك في مماتك، وطاعتك في عصيانك، وسيرك في وقوفك، لأنك على الضد من صفاتك مع الخلق ومع الملك الحق، فتكون أنت الأحرى في التسمية بالقلب، فيزلفك إليه بأعظم القرب، فتعظم في الورى بتلألؤ أنوار الابتهاج بالقرب من الرب، فيسري يسرك إلى الملك والملكوت، فترمي به إلى الجبروت، فترى حق الحق وحقيقة الخلق، وحقائق الحق من الله الملك الحق، فيصح حينئذ نظرك إلى العلوم الشرعية، وأعوانها فيما يراه منها فكرك وترتفع مع الله ورسله وأنبيائه وملائكته وأوليائه قدرك، وأنا بيديه نفسي بهذا من نفسي أولى أولاً وأنت ثانياً، ومن اتبعني ثالثاً، والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولا يؤخذ منه إلاَّ ما وافق الحق ، وطابق الصدق ، كتبه ناصر بن جاعد ، يوم ٢٠ من شهر القعدة سنة ١٢٢٩ هجرية .

قال الشيخ العالم عامر بن علي العبادي : هذا جواب كتبه إليَّ الشيخ نبهان عن والده مهدي الأمة، وكاشف الغمة، عين الزمان أبي نبهان (رحمه الله) عقب سؤالي له عن هذا المعنى، فكلامه لي بعد تجديد السلام .

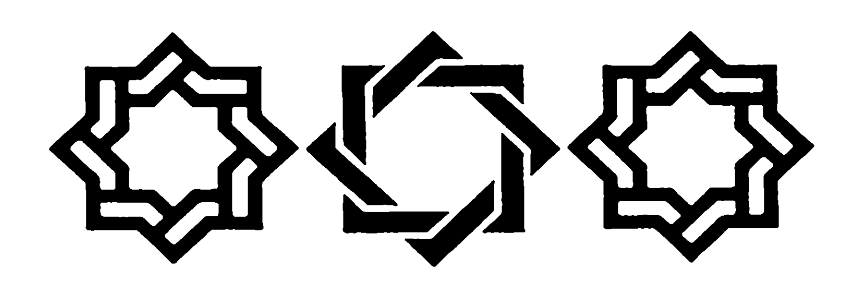
(ومن قبل عمير الغلابي فأنا لا علم لي بما يقوله لكم فيدعوكم إليه والحق لا يجوز رده، كما أن الباطل لا يسع قبوله، وما يدعيه من

نزول الوحي بلسان جبرائيل أمين رب العالمين، فمن الواجب عليكم أن تنظروا فيه قبل أن تعملوا به، فإنه لا نبي بعد محمد (صلى الله عليه وسلم) ، والسلام من والدك جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي .

قال المؤلف : وجدت عن أبي بكر الصديق بيتين :

فقدنا الوحي مذ وليت عنا ... وودعنا من الله الكلاما
سوى ما قد تركت لنا رهينا ... تُضمّنُهُ القراطس الكراما

ولو نزل وحي على الأرض بعد محمد لنزل على أبي بكر مما شهد له الرسول بفضله (رحمه الله) .



الـذكـر الخـامـس :

فيه ابتداء خلق الإنسان، وفيه حق الوالدين، وفيه في الحث لطلب التزويج، وما يستحب من ذلك، وفي آداب المجامع، وفيه من الأدهان والأكل للمقويات، وفي الكتابة للمحبة، وفيما يجوز العمل للرجال والنساء عن العنت، وآداب الزوجين والصبر

في ابتداء خلق الإنسان :

قلت لذي الغبراء : هل عندك قصة تسلينا بها في ليلتنا، وتحرك بسمعها شهواتنا لنسائنا ونكسرها طلباً للولد ولمرضاة الواحد الأحد ، قال ذو الغبراء : ما سمعت أحداً بما ذكرته، ولكن أعهد عندي أحد من الإخوان وهو في حال السقم الآن، فلعلنا نصل عنده، قال: فقصدنا إلى باب بيته، وسمعنا أنينه ويقول لولده : أوصيك يا ولدي ونفسي بتقوى الله والانقطاع إليه ، والانتهاء عن معاصيه.

وعليك بالتفكر في كتابه وآياته[1]، انظر في خلقك، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[2] ، والصلصال هو التراب، ومن ماء مهين وقال : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[3]، فإذا واقع الرجل زوجته، وأنزل ماءه

---

(١) بعد كلمة وآياته جاء ، (وأن تودي) ، ولا أدرى ما معناه ولا مُناسبتها ، فحذفتها بالأصل ونبهت عليها هنا في الحاشية .

(٢) سورة الحجر : ٢٦ .

(٣) سورة المؤمنون : ١٤ .

من صلبه في رحمها، فتح القرار المكين فاه، واحتسى ماء الرجل وماء المرأة، فإذا أنزل الرجل ماءه قبل المرأة صار الولد شبيهاً بلون أبيه، وإذا أنزلت المرأة ماءها قبل ماء زوجها صار الجنين شبيهاً بلون أمه وأخواله.

اعلم أن كوكب الجنين هو رب ساعته عند نزول ماء أبيه في القرار المكين في رحم أمه فيكون طبع الجنين على طبع رب ساعته التي خلقه الله فيها، وينزل الجنين من بطن أمه على ظهر الدنيا إذا دارت ساعته التي خلقه الله فيها، وقيل: لا ينقضي أجله إلا إذا دارت ساعة ولادته. وسيرة هذا المولود وخلقه على طبع رب ساعته التي خلقه الله فيها ، وأنا أقول على البرج الطالع وربه.

قال: وإذا كان مدبر ساعته الزهرة، وكانت الزهرة تتصل بعطارد، أو في بيوته فينزل بدماغ المولود علة الأنبة، فتسري إلى عينيه ثم إلى رقبته ثم إلى كتفيه ثم إلى خاصرته، وتنزل تسري إلى رجليه، فإذا راهق أو بلغ الحلم امتدت إلى قلبه ثم نزلت إلى دبره أعاذ الله كل مسلم من شرها، فهذا مرض يعتري لمن قد اعتاد مجامعة الرجال، ويكون منيه كثير قليل الحركة، وقلبه ضعيف، ونفسه ساقطة وانتشاره قليلا، فمنهم من يتمكن بذلك أن يجامع غيره فيلتذ لذة القدرة، ومنهم من ينزل منيه فيلتذ لذة الإنزال، ومنهم من لا يحصل له واحد منهما لكنه يلتذ بحصول الجماع خصوصاً في نفسه ويكون هذا المرض لحركة الأمعاء لا تزول إلا بالمني كما يعرض للنساء في فم الرحم، العلاج الضرب والحبس والاستهانة وإيقاعه في هموم وغموم ومحاكمات، ودواؤه قلب الديك، أو قلب الحمام يمنع من هذا المرض، وقضيب الأسد إذا أكل منه وزن درهم قطع هذه

العلة، وكذلك أكل الثوم إن أكله قطع هذه الشهوة، وإن تحمل بالصابون نفعه، أو يتحمل عروق شجرة الخطمي تنفعه وهو المقرقاع .

حق الوالدين :

ثم قال لولده: انظر فيما خلقك الله وأنشأك، من ظلمة الرحم إلى حسن شبابك، فاشكر مولاك، وقال ربك : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [(١)] ، فانظر حق الوالدين ، قارن شكره بشكرهما ، فلا تغفل عنهما ، وخاصة والدتك ، كم قاست من التعب في حملك وتربيتك ، والقيام بك في زمن رضاعتك ، وتسكيتك في صياحك في مبيتك ورواحك ومقيلك وصباحك وصحتك وأمراضك ، وكم سهرت في ليلها من أجلك ، وكم لحقها من قذرك من بولك وغائطك ومخاطك ، وكم قاست بتطهيرك وتنظيفك ، وكم شغلتها بخروجك عنها ولو في بيوت جيرانك ، وكم تلذذت بنظرك وعافيتك ، وكم بذلت مالها ونفسها لك ، واذكر ما لقيت من سخطك عليها، وتحتمل ذلك من أجلك ولا تكترث ولا تشكو ولا تتألم ولا تفعل ذلك طمعاً فيك ولا رجاء ثواب، بل محبة جعلها الله في قلبها لك فمن أين تؤدي شكرها، والحب إنما جعلها الله في قلبها لك لتربيتك بحلاوة لا بملل ولا بطمع، فاذكر ذلك وانصف من نفسك ، وقال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [(٢)] ، فكان الواجب عليك الإحسان إليهما ، ولو لم يوصيك الله بهما ، فكيف وقد أوصاك الله بهما ، ونهاك أن تقول لهما : أف ، لقوله تعالى : ﴿ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا {٢٣} وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

---

(١) سورة لقمان : ١٤ .

(٢) سورة العنكبوت : ٨ .

صَغِيرًا ﴾ [1] ، فاشفق بالوالدة جهدك، وأبدها بالمساء والصباح وبالرفق واللطف ولين الجانب إليها .

الحث على الزواج :

وإن أنشأك ربك وقاربت البلوغ فلا تقرب الزنا، وقد سماه الله فاحشة، وقال : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا ﴾ [2]، فأوجب على من فعل ذلك وهو بالغ الحلم والعقل التعزير والحد والرجم، وهذا عذاب الأدنى دون العذاب الأكبر، فهذا جزاء من فعل وكسر شهوته في ساعة واحدة.

وعليك أيها الولد بما أمرك به الرب، فاجتهد في الطلب للحلال الطيب، والنكاح من ألذ نعمة أنعمها الله على عباده، قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [3] فقدم ذكر النساء قبل كل لذة ، والله أعلم وأرأف بعباده، وقال تعالى : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ ألا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [4] ، وحث على النكاح سيد المُرسلين وحبيب رب العالمين ، فقال : " تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة " [5] ؛ وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لرجل : "ألك زوجة ؟ فقال: لا ؛ قال له: وأنت صحيح البدن ؟ قال : نعم ؛ فقال له : إنك إذاً من إخوان الشياطين ، إن شراركم عزابكم ، إن أرذل موتاكم عزابكم، إن المتزوجين هم المبرؤون من الخنا، والذي

---

(١) سورة الإسراء : ٢٣ – ٢٤ .
(٢) سورة الإسراء : ٣٢ .
(٣) سورة آل عمران : ١٤ .
(٤) سورة النساء : ٣ .
(٥) مصنف عبد الرزاق ، ج١ ، ١٠٣٩١ ؛ عون المعبود ، ج٢ ، ص٢٨ .

نفسي بيده ما للشيطان أبلغ في العالمين من الرجال والنساء من ترك النكاح " [1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " حُبّب إلي من دنياكم ثلاث: النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة " [2] ؛ وقال عبد الله بن العباس لرجل: ألك امرأة؟ قلت: لا، قال: تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء، وقال خالد بن صفوان: إنما الدنيا متاع، وليس في متاعها أفضل من زوجة صالحة .

اعلم ولدي : أن الجماع لا صبر عنه لمن ابتلي به ، وأخبر الله في كتابه بهذا ، لقوله تعالى : ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [3] ؛ أي : لا يصبر عن الجماع , وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [4] ، يعني : الجماع ، ورحمة يعني : الولد ، وقوله تعالى : ﴿ وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [5] ، أي : شدة الشهوة ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [6] ، قال ابن عباس (رحمه الله) : الجماع ، وكان أبو الدرداء يقول في دعائه : أعوذ بك من كل غلمة لم تكن لها عدة ، والغلمة الشهوة ، والنعظ انتشار الماء عند الرجل ، وقال الشاعر :

إذا عرق المهقوع بالمرء انعظت حليلته وابتل منها إزارها

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "استوصوا بالنساء خيراً

---

(١) ورد باختلاف يسير في مُجمع الزوائدج : ٤ ، ص٢٥٠ ؛ ومُسند أحمد : ٢١٤٨٨ / ٥ ؛ ومُسند الشاميين : ١/ ٣٨١ ؛ ومُسند أبي يعلى : ج١٢ ، ص٢٦١ .
(٢) مُسند أحمد : ٣/ ١٤٠٦٩ ؛ مُسند أبي يعلى : ٦/ ٣٥٣٠ .
(٣) سورة النساء : ٢٨ .
(٤) سورة الروم : ٢١ .
(٥) سورة البقرة : ٢٨٦ .
(٦) سورة طه : ٥٠ ، بدون كلمة : (وأعطى) .

فإنهن عوان عندكم" [1]؛ وروى عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، قال : " أوصيكم بالنساء خيراً ، لهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، ولكم عليهن درجة يوالين فرشكم ولا يعصينكم في معروف فأثبت لهن ما أثبت عليهن بالمعروف " [2] ؛ وقال الشاعر : لمن أمسى خالياً من زوجة :

إذا المرء أمسى خالياً من حليلة   فعيشته من طائر في المخالب
ومن لم يحصن بالنكاح تعرضت   له فتنة الشيطان من كل جانب

معايير اختيار الزوجة :

ثم قال : إن أردت أن تتزوج ، فعليك بالأبكار إن قدرت ووجدت لهن سبيلا ، للرواية عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، قال : " تزوجوا الأبكار فإنهن أعذب أفواهاً، وأنتق أرحاما، واقنع بالبضع اليسير " [3] ، وقد تزوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، عائشة بنت أبي بكر ، وهي ابنة ست سنين ، ودخل عليها وهي ابنة ثمان سنين ، وأحبها كثيراً ، لما قيل له : من أحب الناس إليك ؟ قال : عائشة ، قالوا : نعني في الرجال ؛ قال : أبوها .

وسئل رجل : لم تزوجت بكراً ؛ فأجابه ببيتين شعراً :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم   أشهى المطي إلي ما لم تركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة   لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

ثم قال لولده : فإن لم تجد بكراً فتزوج الشابة التي قد امتلأ شبابها ،

---

(١) في الأصل : منهن أعوان عليكم ؛ والحديث رواه ابن ماجة : ١١/ ١٨٥١ .
(٢) رواه مُسلم : ج٢ ، ص٨٩٠ ؛ والترمذي واحمد وغيرهم ، بألفاظ مُتقاربة .
(٣) المُعجم الكبير : ١٠/ ١٠٢٤٤ ؛ ولفظ مقارب في مُسند أبي شيبة : ٤/ ١٧٦٩٤ .

وكملت محاسنها ، وتناهت لهجتها ، وأعجبت بنفسها ، ولا زالت تتفقد جسمها ونهودها ، إذا خلت بنفسها ، وتخاف أن يذهب شبابها إدمانها على ذكر الجماع ومناجاة نفسها به ، وهي أقرب إلى العشق وتتسامح لبعلها في كشف محاسنها ، ويعجبها أن تعجبه ، فهذه أحسن ما تكون لبعلها ، شعر :

إن أقبلت قتلت وإن أدبرت سلبت   بحسن أعطافها والخصر والكفل
لها ثمان سنين عشرها ولها   خمس وقد كملت بالطول والعقل

ثم قال لولده : وإن لم تجد لمثل هذه المرأة فعليك بالمرأة المتوسطة في عمرها التي لم يكثر فيها الشيب ، ولم يشنها الكبر فهي التي استحكم عقلها ورزانة مجلسها ودماثة أخلاقها ، وسلاسة قيادها ، تمهد الفراش، وتطيب المعاش ، ولها من الشهوة القسم الأوفر ، والحظ الأكبر ، وقد جربت الأمور وهي أكثرهن طيباً وأحسنهن تحبباً ، قيل شعراً :

لقد أعطيت خلقاً وخلقاً ونجدة   وقداً كغصن البان في ورق خضر
لقد فاز من يحظى بها من حليلة   يروح ويغدو في سرور وفي نصر

لا تغنيها [1] مثل هذه المرأة بتزويجها الرجال، واستمع لمادحها :

إن المطية لا يطيب ركوبها   حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه   حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

وإن تعسر عليك أيها الولد مثل هذه المذكورة فعليك بالعجوز

(١) الكلمة غير واضحة بالأصل .

المسنة التي قد اشتعل شيبها، واسترخى جلدها، وذهب شحم ثدييها، وانقطع حيضها، وضمر حرها، ولا خير في ضمها ولا تقبيلها إلا أن تكون سمينة ضخمة الثديين، كثيرة اللحم فهذه تكون أشد غلمة، وأقوى شهوة، ولا تلتفت أيها الولد لمقالة القيل والقال في العجائز، وأحصن فرجك ودينك لكسر شهوتك وكسوتك وعيشك، فالحاجة ألجأتك واصبر واركب الهزيل حتى تجد السمين، ولا يغرك قول الشاعر في حال عجزك عن المستحسن حيث قال :

لا تنكحن عجوزاً إن أتوك بها ... ولو حبوك على تزويجها الذهبا
فإن أتوك بها قالوا لها نصف ... فقل لهم أطيب النصفين قد ذهبا

وفي هذا المعنى قال غيره :

متى تلق بنت العشر قد بان ثديها ... كلؤلؤة الغواص يهتز عودها
وأما ابنة العشرين لا شيء مثلها ... فتلك التي تلهو بها وتريدها
وبنت الثلاثين الشفا في حديثها ... هي العيس لم تهزل ولم ينس عودها
وإن تلق بنت الأربعين فغبطة ... خيار النسا طوبى لمن يستفيدها
وأما ابنة الخمسين لله درها ... بعقل وتدبير تربي وليدها
وأما ابنة الستين قد رق جلدها ... وفيها بقايا والحريص يريدها
وأما ابنة السبعين لا ضر ضرها ... لقد بان ما فيها وباتت خدودها
وبنت الثمانين السقام بعينها ... علاها الشقا وراح عنها سعودها
وأما ابنة التسعين تعش رأسها ... من الليل مهذاراً قليل رقودها
وإن زادت العشر اللواتي فليتها ... تغرق في بحر وحوت يقودها

ومما رفع لي عن الشيخ سليمان بن أحمد بن سالم الطبيب الريامي عرضت عليه عجوز حيزبون تمشي على عكازة ؛ فقالت : يا شيخ ، هل من دواء تراه لأني عجزت عن المشي لكبر سني ؟ فقال لها : ممتزحا : تزوجي ، فتزوجت صبياً أحوجه الفقر إليها ، وكانت ذات يسار، فتمتعت به ، وتمتع بها حتى صارت تمشي ولا عكازة معها، فقال الشيخ لها: أكلت الرجل، قد ضعفت قوائمه، واصفر جنانه، وذهبت عليه مادته، فإني أرى مخ ساقه استكملك، فما زالت تغذيه بحليب البقر والزبد والقند، وأمر الصبي أن يقف عنها زماناً خوف الهلكة، لأن نكاح العجائز شديد المضرة.

وأما العجوز أقنع باليسير ، وأصبر على تقلب الدهور ، وأقل مشاغلة ، وأحسن محادثة ، تؤثر العيال ، وتصبر على الإقلال ، وتغلب على الزيادة في العيال ، إذا اتسع رزق بعلها صانت ماله ، وإن ضاق سترت حاله ، لا تسبق إليها الظنون ، وأنبتت منها القرون ، ألوف عروف غير عزوف ولا عيوف ، فالحاجة إليها داعية ، ولأولاده راعية ، فانظر ولدي في ذلك ، وإن لم تجد مسنة فخذ بالرخصة واتبع الرفضة ، وقال ربك : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (١) ، فخذ من الإماء والجواري، وقد مدح الشاعر :

الأم فــي ســوداء قـبلـتـهـا   والـعـذر في ذاك لا يـجــد
جل حـجـار الـبـيـت بـيض ومـا   قـبـل إلا الـحـجـر الأســود

فإن دعتك الحاجة إلى شراء الجواري والإماء، فانظر (٢) أولاً عند

(١) سورة النساء : ٢٥ .
(٢) في الأصل : فتنظر .

الشراء إلى علامات تذكر دالة على أعضاء مستورة ومعينة أربع: الظفر والفرج والثدي وظهر الكف، وحلوة أربع الكلام والريق من رأس اللسان والماء من جانب الشهوة والرضاب من بين الأسنان، ورخضه أربع العنق والكفان والبطن والقدمان، وبسيطة أربع العنق والساقان والفخذان والصدر، فالأول أن تكون مع ذلك متناسبة مقادير الأعضاء والرأس والوجه متساويان متشاكلان، والقد معتدل المفرط والعبالة المفرطة، واللحم معتدل من الصلابة والرسولة والأرداف رطبة والشعر طويل، فإنه إحدى الحسنيين، طرفها أدعج، وحاجبها أزج، وثغرها أفلج، وكفلها مرت، رخيمة الكلام، غائبة العروق والعظام.

فإن ملكت أمة وأردت أن تتسراها فلازم عليك استبراؤها إن كانت ممن تحيض فبحيضتين متفقتين، وإن كانت ممن لا تحيض بسبب، أو من كبر أو صغر فبخمسة وأربعين يوما، اعقد بلسانك بحضرة الشهود، فهذا ما بينته لك أيها الولد الودود فعجل في التزويج لتحصن نفسك، وخذ من النساء من تكن نفسك بها راغبة، وإن وجدت سبيلا فخذ المرأة العاقلة العفيفة المصونة المساعدة المتواضعة لك ولمن تريده المحافظة على ما فرض الله عليها، المطيعة لبعلها، المتنزهة عن قبض ما لا يجوز لها قبضه، وعن أكل ما لا يجوز لها أكله، القانعة بما يسر الله لها من مأكول وملبوس، اللازمة لقعر بيتها ليلا ونهارا، ولا تخرج منه إلا لما لابد لها منه، المعاونة لبعلها بيدها ومالها، فإذا ظفرت بمثل هذه فتزوجها وتوكل على الله، إلا أن تجد مثل هذه ثم لا تهواها أنت أبدا فلا تأخذ ما لا تهواه فإني أخاف عليك أن تعصي الله فيها.

فإن حصل لك تزويج في بلدك ووطنك فلا تتعرض للتزويج من

الغربة، وكثير من الناس من مدح التزويج من الغربة وانه أحب وأشفق لزوجها، إلا أنني أحب لك الرفق والخفة عليك، ولأجل علمك بجيرانك تأخذ من بناتهم على بصيرة، وجهلك بالنازح عنك، وهذه عورات وسترها في أرضك خير من غير ذلك، فإذا أعجبتك امرأة وكان لها أولاد من غيرك فإذا لم تجد مطلوبها منك وإلا أخذت ما في بيتك لأولادها وخاصة لبناتها تسوق عطرها وكسوتها وأدمها وأنت لم تدر بذلك ولكن إن استقر قلبك بها وعزمت على التزويج فلا تأخذها إلا برضاها، وبإذن أوليائها، فإن أخبروك بمهرها فقل لهم يأمروا واحداً من المسلمين ليعقدوا بينكما النكاح، واجعل شهوداً عدولاً، أو شهرة تكون مقبولة مسموعة في البلد، ثم اجعل لهم أكلة إن قدرت.

فإن تزوجت فاعتمد على الشروط والإحسان، ورفع الإساءة وأداء الواجب إليها فالمسلمون على شروطهم، وإن لم توف بالشروط ولم تؤد اللوازم فما عذرك عند الله، وإن وفيت بعهدك فهيء للمرأة من الطعام الحلال، والمسكن الرافق، فانقلها إلى بيتك في ليلة سعيدة، واجعل وليمة لجيرانك وإخوانك وذويك طعاماً طيباً بالمعروف من غير إسراف، فإذا زفت إليك المرأة وخلوت بها، فاذكر الله واشكره على تيسيره لك المهر والمرأة لتحصن بها دينك عن فتنة الشيطان .

آداب الجماع :

فإذا أردت منها قضاء حاجة الجماع فتأدب و لا تكن كالبهيمة فآنسها بلطف الكلام لأنه روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " خير الرجال من تلطف بأهله لطف الوالدة بولدها، ويكتب له في كل يوم

أجر مائة شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين "[1] ، وعليك أيها الولد بالتأدب والتزين لها كما تزينت هي لك ، وقال ابن عباس (رحمه الله) : إني[2] لأحب أن أتزين للمرأة كما تتزين لي، وما أحب أن أستعطف جميع ما خفي عليها لأن الله يقول : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[3] .

ويروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يتفقد أحواله ويأخذ منظرة لينظر بها وجهه ويأخذ مشطاً يمسح به لحيته فينبغي الاقتداء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فإذا آنستها بالكلام فمد يديك إلى مس الجسد والغمز وتقبيل الفم والضم إليها إلى أن تذهب عنها الوحشة وتشتهي الجماع، ومما تحب المرأة أيضاً شدة الضم عند الجماع لا سيما عند الإنزال منها أو منه وجذبها إليه بشعرها دون الإيلام، وأحسن الضم أن ينضجع الرجل على يساره والمرأة على يمينها ثم يدخل يده اليسرى من تحت كتفها ويجعل يدها اليمنى تحت رقبته ممدودة، وإن شاء يوسدها متنه ثم يجعل يده اليمنى تحت عضدها أوخاصرتها ويدها اليسرى من فوق عضده أو على رقبته ثم يثني بيده اليسرى على ظهرها ويكون أكثر ضماً إليه بهذا، هذا إذا كانت دقيقة أو صغيرة أو مفرطة الدق يمكن ضمها بالعضدين .

وإذا كانت سمينة ضخمة مال يساره على رقبتها وشغل كفه بلزوم شعرها من خلفها وقبض عليه بعض القبض وكان أكثر ضمه لها باليمين، ويعتمد أن يكون فمه وفمها متقابلين، فإن رأيتها اشتهت الجماع وانحطت أعضائها فجامعها واجعل بين العجزين خرقة، وانو فقل: بسم الله العظيم،

---

(١) لم أجده على كثرة البحث .
(٢) غير موجودة بالأصل .
(٣) سورة البقرة : ٢٧٨ .

كسرا للنفس، وطلبا للولد، اللهم اجعلها ذرية طيبة إن قدّرت أن تخرج من صلبي نسمة ، اللهم جنبني الشيطان ، وجنبه (مارزقتني) ، وقال تعالى : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [1] ، يعني : التسمية ، فعلى هذا لتحصل لكما فائدتان اللذة بالجماع ولقاء المحبوب، وثواب الله تعالى، ومباح لك جماع زوجتك متى شئت في ليل أو نهار، في حضر أو سفر فوق دابة، كانت المرأة قائمة أو قاعدة أو نائمة أو مستلقية أو على جنب أو من قفا ظهرها إذا كان الجماع كله في القبل لا في الدبر؛ لأن الجماع في الدبر حرام .

وجاء النهي عن الوطء في الحيض والنفاس والإيلاء والظهار وفي الإحرام والصيام وفي الصلاة، ومع جمع من الناس لئلا ينظروا عوراتهم.

والمستحب للجماع أن تكون المرأة مستلقية على قفاها ويعلوها الرجل، والجماع له صفات كثيرة موجودة في الكتب، ولكن ينبغي للرجل أن يتفقد أحوال امرأته على أية حال مطلوبها في النكاح لأن النساء على أجناس مختلفة، فمنهن من تكون سريعة الإنزال، ومنهن من تكون بطيئة الإنزال ومنهن تماد زوجها في الجماع وتكون شهوتها متتابعة مازال يجامعها زوجها، وهذا الأمر كله بيد الرجل لا بيد المرأة، وإن رأيت المرأة تتململ عند الجماع وتريد إخراج إحليلك لا تحب الإطالة ولا إدخاله كله فعجل في إخراج شهوتك لأنها قد أنزلت قبلك، وإن رأيتها مساعدة لك في الجماع فإنها تمادك بالشهوة، وإن رأيتها تضبط إحليلك فمرادها إطالة الجماع أو المعاودة إليه، فاجتهد أنت، ومتى صح منك قرب خروج الشهوة فضم المرأة إلى صدرك لأنها تحب الضم ورحمها في تلك الحال له لهيب ولا يطفيه إلا قوة الضم مع شدة نزول النطفة كالظمآن لا يطفيه إلا

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٣ .

الماء البارد، وإن خرج منيك فاعتمد على يمينك وخذ خرقة لتزيل بها الأذى من إحليلك.

وعليك بالتفقد في جسمك إن كنت مبتلى بمذي أو ودي أو خنة أو صنان إبطين فهذا مما تنكره المرأة، فاعمد إلى السفوف مثل سكر الأبلوج والزنجبيل والفلفل، اجمعه واسحقه واجعله سفوفاً، إلا أن البلوج سهمان، والزنجبيل والفلفل سهم سهم، وهذه العلل تنفر منها الشهوة، وتطرد اللذة، وتبغض المحبوب، ويزهد المطلوب، ولا ينبغي للرجل أن يغفل عن تعاهد نفسه وعيوبه ويزيل أذاه، ويعلم أنها تريد منه كما يريد منها من الصلاح والروائح، وتكره المرأة سرعة إنزال الرجل قبل إنزالها وخاصة إذا استحكمت شهوتها وقرب إنزالها، وفترت أعضاؤها فبهذا يترك نار غلمتها مشتعلة، وجوارحها بالتهاب اللذة مشتغلة، والنساء أيضاً مختلفات الأحوال والشهوات متباينات المواد لا يكاد ينجو منهن إلا من خلا بهن، ولا يظفر بلذته منهن إلا البصير بدقائق أخلاقهن، الخبير بحقائق أحوالهن الذي قد سبح في لجج بحورهن، ورسخ في علم أمورهن.

فإذا كان الرجل خميص البطن خفيف العجز، مجدول الخلق، غير مسترخ اللحم مع وجود الباءة فهو الجواد الذي لا يكبو والصارم الذي لا ينبو، وهو الذي تكون فيه الشهوة الحمارية وهي الممدوحة في الإنسان لأنها لا تكون إلا في معتدل الطبيعة، وسميت حمارية لأن الحمار لا تقوم قوته لعشق شيء من الحمر دون الذي لم يكن حسناً منها، وأما الشهوة التي تسمى العشقية فهي التي لا يقوم بها عوده إلا إذا عشق شيئاً من النساء فيقومه حسن ذلك المعشوق في نفسه فهذه دون الأولى في القوة.

ومما ينبغي للمجامع إذا كان متمكناً في القوة أن يحرك في الجماع

أولاً ثم إن رآها ساكنة هو دليل على أن شهوتها غير حاضرة فيقف قليلاً حتى تزعزع المرأة فيستدل به على حضور شهوتها، ولا يزال كذلك حتى يوافق اندفاقه حضور شهوتها، وكان رجل يسير يستمع أحاديث النساء في خلواتهن ومجالسهن سراً حتى يكون خبيراً بلذتهن.

وأما المرأة الحامل فجماعها أن يضعها على إحدى جنبيها ويضع إحدى فخذيها على الأخرى، وترفع إلى ما دون بطنها دون الإلصاق ويجلس مقرفصاً خلف عجزها مقابلاً باحليله حرها، فإذا أراد التمكن من إدخال إحليله كله فليضع قدمه التي يلي رجلها بين فخذيها، ولا يمتنع هذا الوجه في جماع غير الحبلى ولكنه أسلم لذوات الأحمال، وأفضل النكاح ما بين اللذة والعناق والقبل فإنه مما خص به بنو آدم دون الحيوان.

وإذا أكثر الرجل الجماع قلت لذته به، و لا يجامع الإنسان بعد الإمتلاء من الطعام والشراب والحر والبرد الشديد ولا بعد الفصد والقيء والإسهال والتعب ويحذر من استكثاره من كان يصيبه بعده رعدة وذبول نفس وخفقان وسقوط شهوة فإنه أعيى الناس عنه، والصرع والوسواس من السوداوي لا سيما في العجوز والصغيرة جداً والحائض والتي لم تجامع مدة طويلة والمريضة والقبيحة المنظر والبكر، وأردأ أشكال الجماع أن تعلو المرأة الرجل وهو مستلق على قفاه لأنه مما يعيق خروج المني، وربما بقي في الذكر منه بقية، فيصير سدة وربما سال إلى الذكر رطوبات من الفرج فيحصل منها أمراض، وأفضل أشكال الجماع أن يعلو الرجل المرأة رافعاً فخذيها بعد الملاعبة التامة، ودغدغة الثدي، ودلك الفرج بالذكر، فإذا تغيرت هيئة عينيها، وعظم نفسها وطلبت التزام الرجل أولج الرجل في صب المني ليتعاضد المنيان وذلك هو المحبذ، ومما يعين

على الجماع رؤية أفعال الحيوانات، وقراءة الكتب المصنفة في الباءة، وحكاية أقوال المجامعين، واستماع الرقيق من أصوات النساء، وحلق العانة تهيج الشهوة، وإطالة العهد بالباءة تنساه النفس، والاستمناء باليد يوجب الأنبة والغم ويضعف الانتشار والشهوة.

اتخاذ الأسباب التي تعين على المحبة :

ومن الخواص من أخذ مرارة التيس وطلى بها تحت قدميه رأى في نفسه من الإنعاظ وزيادة الباءة العجب، ومن أخذ دم تيس من المعز أو الضباء وخلطه بعسل ثم طلى بها ذكره وجامع زوجته وجد لذة عجيبة وأحبته المرأة، وإن رأيت المرأة في ضدك ولم تطاوعك فيما تريد فاقرأ عند تقبيلك في فمها سراً بدوح بدوح سبع مرات فإنها تحبك.

ومرارة الدجاجة إن طلى بها ذكره وجامع استلذ وأحبته المرأة، وإن أخذ ماء وقرأ عليه: وقالت نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا، اللهم عشق قلب فلانة بنت فلانة على قلب فلان بن فلانة كما عشقت قلب امرأة العزيز على يوسف بن يعقوب عليهما السلام فإنك على ذلك وذلك عليك يسير، واسقه المرأة أو أنك تجعله في شيء من الأطعمة، وإن أردت للمحبة التامة فاقرأ آية الكرسي ثلاثمائة وثلاثة عشر مرة وتقرأ في سجودك دعاء السجدة ثم تقول اللهم اعطف قلب فلانة بنت فلانة ولينها لي وألق المحبة والطاعة في قلبها حتى تكون تحت طاعتي بكل ما احتاجه منها بحولك وقوتك إنك على كل شيء قدير ثم في خمسين آية، تقرأ هذا الدعاء يا عليم يا حليم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام برحمتك أستغيث يا من يستغاث به لا إله إلا أنت سبحانك

إني كنت من الظالمين، وصلّ اللهم على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

آداب الزوجين :

وإذا سكنت الزوجة وتواطت فليشكر الإنسان ربه ويدخل عليها بالتسليم والبشر، ويعلمها بما هي جاهلة فيه من أمر دينها ودنياها، ولا يعزل عنها طعامه عند الأكل عنها بل يأكل هو وإياها جميعا، ولا يحقر الإنسان أهله من أكل الفاكهة واللحم وما يتطرفون به إذا قدر على ذلك، ولا يستخف بأهله ولا يتكبر عليهم بل يذكر فضل الله عليهم بما خصه به وجعله ذكراً مالكاً أمر نفسه وأمر أهله متى أراد منهم قضاء حاجة من جماع أو غيره، ولا يذكر حقارتهم، ولا يجفوهم بنفسه، ولا يبخل عليهم بماله، وجائز للرجل قضاء شهوته من زوجته في سائر جسدها إذا كانت المرأة حائضاً أو نفساء.

قال ذو الغبراء: سألت أشياخنا أهل العلم في زماننا فيما يجوز للزوجين من الملاعبة في الصحة والأسقام، وفي إكسار شهوتهما لبعضهما بعضا؟ قالوا: يجوز لهما أن يكسرا شهوتهما في أجساد بعضهما بعضا ما خلا الفرج والقبل في الحيض والنفاس، قلت لهم: وإن استمنى في يديها أو إبطيها أو أذنيها أو في أنفها أو في فمها؟ قالوا: جائز لك إلا في فمها فنكره أن يكون مجرى النجاسة والطعام واحداً، قلت لهم : وإذا كان الرجل سقيماً أو عنيناً هل يجوز للمرأة تسوك بفرجها في جسد زوجها أو يدخل الرجل اصبعه في قبلها حتى تشتهي؟ قالوا: يجوز لها ذلك ما يجوز للرجل .

قلت لهم : وإذا لم يكن للرجل زوجة ولم يقدر على التزويج من عجز أو كان في سفر أو حضر وخاف على نفسه العنت هل يجوز له أن يستمني بيديه؟ قالوا: قد كرهوا الفقهاء ذلك ونحن نقول بجوازه، وفي كفه قد جاء التشديد فيه أكثر إلا أن يحول بينهما بشيء يجعله في راحة كفه ورقاً من الأشجار وأشباه ذلك وهو كما قلناه في الترخيص، قلت لهم: والمرأة مثل الرجل أم هي أشد إذا أدخلت أصبعها أو حطبة بيدها في قبلها لتخرج شهوتها ؟ قالوا: يجوز لها كما جاز للرجل، وليس هي بأشد، قلت لهم: والذي قال: لا يجوز، أيهلك عندهم من فعل هذا؟ قال: هذا من مسائل الرأي، ويجوز فيها ما يجوز مسائل الرأي[1].

والشهوة إذا اشتدت ولم تخرج تقع عليه ضرورة في جسده فإذا خرب الجسد ضعف عن العبادة، فانظر في ذلك.

ثم قال: قل لزوجتك إن كنت حائضاً أو نفساء تترك الصلاة والصيام، وقل لها: لا تقرأ قرآناً، ولا تحمل مصحفاً، ولا تدخل مسجداً حتى تطهر، وأما ذكر أسماء الله والتهليل والتكبير والاستغفار فجائز لها وللجنب مثلها، والمرأة مصدقة إذا طلب منها زوجها الجماع وقالت له إنها حائض أو بها نفاس إلا إذا كانت عودته بالكذب، ومهما طهرت طهراً بيناً إذا رأت كدورة صافية كالفضة، واغتسلت بالماء مع وجوده أو بالتيمم مع عدمه جاز للزوج جماعها .

فقال الوالد لولده: فإن عاشرت امرأتك مدة ورأيتها موافقة لك فاشكر نعمة ربك بما أعطاك من فضله، وخصك به من كرمه الواسع، وإن

---

(١) هذه الآراء شاذة ولا يُؤخذ بها؛ لأن الأدلة من الكتاب والسنة تدل على منع استدعاء الشهوة بمثل هذه الوسائل، والتي يعف عنها ذوي المروءة، فضلا عن الأضرار الصحية والنفسية التي تسببها .

كانت لك رغبة ولهجة في النساء وكنت في سعة ولم تكتف بواحدة فتزوج إلى تمام الأربع، وخذ من السراري بما تريد ليس لك حد في ذلك، وقد مدح الله عباده المتزوجين قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ [٥] إلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾[١]، ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [٢] . وإن دخلت البيت فاعمد إلى ملاعبة امرأتك فلا عبث في هذا، وقد روي لنا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:"يجوز للرجل أن يلاعب عرسه وفرسه"، ولا تغفل عن إشمامها ، كما قالت بعض النساء شعراً في هذا المعنى :

إن النساء رياحين خلقن لكم فكلكم تشتهوا شم الرياحين

وذلك رداً على عُمر بن الخطاب ، حين سمعته يقول [٣] :

إن النساء شياطين خلقن لنا أعوذ بالله من شر الشياطين

ثم قال له : لا تحقر أهلك من اللباس والطيب من الدهان والبخورات حتى تجتمع لكما لذتان ، وقال رجل لما أعجبته جاريته شعراً :

راقت محاسنها ورق أديمها فتكاد تبصر باطناً من ظاهر
يندى بماء الورد سائل شعرها كالطل يسقط من جناح الطائر

اعلم يا ولدي أن ربك زين السماء بالكواكب، والأرض بالنبات، والنساء بالطيبات من اللباس والحلى والحلل والروائح لأنها تزداد بهاء

---

(١) سورة المؤمنون : ٥ – ٦ .
(٢) سورة الفرقان : ٧٤ .
(٣) هذا البيت في نسبته للخليفة عُمر (رضي الله عنه) شك .

وجمالاً للناظر ، فكيف إذا اجتمع لها هذا المذكور وهي حسنة المنظر ، شعراً :

كما اشتهت خلقت من ماء لؤلؤة — في كل جارحة من حسنها قمر
كأنها خلقت حتى إذا اعتدلت — في قالب الحسن لا طول ولا قصر

غيره :

وغضة كملت بالحسن مع — مافي الرياض ولا الأشجار من طلح
قد وخد واختضاب يدها — الطلع والورد والجُمّار والطلح

قال الحضرمي :

كأنما إعجازها إذ ترتمي — أكتاف كثبان الرمال الركم

ثم انظر إلى صدرها، والمس بيديك نهودها ومص مانهما أو حليبهما، فإن في ذلك لذة للمتعاشقين وذلك مما يزيد الشهوة إذا كان لونهما مثل العاج، كما قال الشاعر :

والثدي مثل مليح العاج صفرته — والصدر منها كلون الشمس يشتعل

ثم انظر إلى رأسها واقبضه بيديك وشمه بأنفك فكيف إذا كان فيه من رائحة الطيب كما قال أبو الطيب شعراً :

ذات فرع كأنما ضرب العنبر — فيه بماء ورد وعود

قال النبهاني :

بفرع لها عامر راجح طويل أثيث كجنح الظلام

قال الحضرمي :

وجعدك لو لم تلبسي الحلي والحُلى لغطاك حتى لا يراك حسود

ثم اعتمد على عناقها بتمهل ومحبة ورأفة ورحمة ، كما قال الشاعر :

فوالله لولا الله والخوف والحيا لعانقتها بين الحطيم وزمزم
أغار على أعضائها من ثيابها إذا وضعتها فوق جسم منعم
أغار عليها من أبيها وأمها ومن لوحة المسواك إذ لاح في الفم

ثم قال له : وعليك بالتقبيل ومص الوجنتين والشفتين وإشمام الأنف، وأحسن القبلة وألذها ما كان ترشفاً من ثلمك الشفة ومصها واستخراج الرضاب وهو الرقيق العذب البارد من اللسان خاصة واستخراجه؛ بأن يعض على لسان الذي يقبله عضة خفيفة بإيهام الإيلام له فينبع منه عند ذلك ريق عذب في رقة الماء لم يخلطه ريق الفم، وهو الذي يجد له العاشق بردا يدب في الجسم وفتوراً ويشبهونها بالسكر من دبيب الخمر في جسم شاربها، وقال بعضهم في هذا المعنى شعراً :

إذا قبّلتها عركت بفيها كروع العسجد في الغدير
فتأخذ في العناق وبرد فيها بموت في العظام من الفتور

ولا بد في القبل من صوت دقيق طويل يخرج من بين اللسان

وطرف الحنك يرطب ذلك الموضع بالرقيق، ثم إلى داخل الفم واللسان موضعه من طرف الحنك فيحدث منه ذلك الصوت من اجتذاب الريق، فطوبى لمن كانت له امرأة موافقة ومساعدة لتقبيلها.

ثم قال الوالد لولده: وعليك بالبشر والبشاشة لها وكف عنها أذاك من لسانك ويدك، ولا تقل لها كلاماً لا يجوز، ولو عصتك هي فارض أنت عنها، واتق الله فيها فإنها أمانة عندك أسيرة تسأل عنها يوم القيامة، فاحذر أن يراك الله ظالماً لها، وإن هي ظلمتك فاعف عنها وكلها إلى الله وعاشرها بالمعروف.

وأما إذا كان عندك أكثر من زوجة فاعدل بين الأزواج، ولا تميل إلى إحداهن إلى هوى نفسك ولو أحببت واحدة أكثر من واحدة فلا تمل إليها، واتق الله وخف أن يراك الله مضيعاً غير عادل بينهن في النفقة والكسوة والمبيت بالليل والجماع إن قدرت على العدل.

ثم الحذر الحذر إن تزوجت امرأة فكرهتها أن تضارها لتفتدي منك بمالها فاتق الله تعالى ولا تأكل الحرام، ولا تكن كقاطع الطريق على الناس أن يأخذ أموالهم فإن ذلك غير طيب، ولا تمكن الطمع من نفسك حتى يحملك لتأكل الحرام الذي يوردك النار، فالصبر عنه أيسر عندي من الصبر على أخذه؛ لأنك تزوجت المرأة على عدل كتاب الله تعالى بحق وجب عليك لها فاستبحتها بسبب ذلك، ولم تكن الكراهية منها فما عذرك في ذلك عند الله تعالى وعند المسلمين.

أما تشهد على نفسك بالجور عليها بذلك الظلم أو ما تعلم بما أعد الله للجائر والظالم، أتطمع في مثل هذا حتى أنه ربما ولد عليك ذهاب

البركة في مالك، فاتركه ولا تتعرض له أبدا إلا إن علمت يقيناً منها أنها كارهة لك مبغضة وأنت محسن إليها جهدك، ثم عرضت عليك ما سقته لها بلا زيادة لأنه لا يجوز لك أن تزيد ولو بذلت هي لك، فإذا طلبت منك الهرب وبذلت لك ما سقته إليها .

فإن أردت الدرجة العليا للآخرة والدنيا فطلقها واعف عنها وعما في يدها، وإن لم تسمح نفسك بذلك فجائز لك وحلال أخذ ما سقته إليها من المهر إذا لم يكن هنالك تقصير منك لها عن أداء واجب عليك لها، فطلقها بحضورها وبحضور أوليائها وشاهدين من غيرهم، ولا تضارها في الطلاق فلا فائدة لك فيه في تأجيل عدتها، وهذا أمرني بتدبيره الشيخ ناصر بن جاعد، ومع الخلع بينكما لا ميراث لأحد إن مات أحدكما فتدبر ما أخبرتك به، وإن كنت ذا مال يكفيك ويكفي من تعوله فاشكر الله عز وجل وانفق من مالك على عيالك، وأحسن إليهم ما قدرت واستطعت ولا تهمل أمر دينك فإنه المهم جدا، وإن لم تكن ذا مال فلا بد من أن تتعلق بسبب لتعود به على عيالك من حرفة من صناعة أو حراثة أو نجارة أو ما كان من حرف الآدميين التي تراهم يتسابقون عليها .

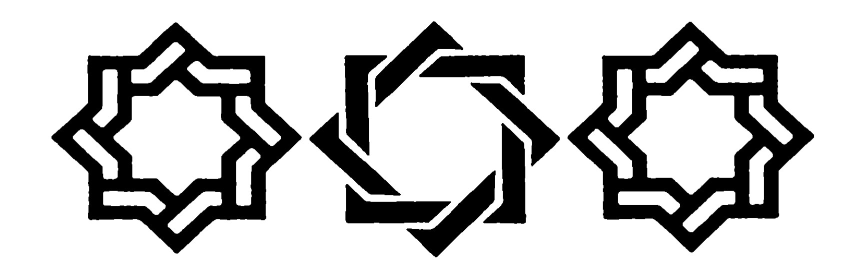
والكد على العيال مما يتمتع به الناس به فخذ نفسك برفق ولا تجعل عمرك كله للدنيا فلا تنس الله في كل حين، ولا تهمل دينك يا رهين واعلم أن الطلب سبب، والرزق على الله رب العالمين، والاهتمام بالعيال لما يحتاجون إليه من طاعة الله وحرفة النبيين، ولو حصل لك رزق كل يوم بيوم فاشكر الله ولا تكن من القانطين، فإذا أكلت رزق يومك فغداً يأتيك الله به في كل حين، فلا تهمل ذكره وشكره والقيام بالفرض المبين،

وعليك بالصمت وإن نطقت فانطق بحكمة كما قال الشاعر:

إن كان ينطق ناطق من فضة فالصمت در زانه ياقوت

ثم قال له : أوصيك ونفسي بتقوى الله واتبع الحق ممن جاء به ولو كان ذو الغبراء وصاحبه الواقفان على الباب السامعان المسألة والجواب.

قال ذو الغبراء : فلما مضى نصف ليلتنا رجعنا إلى بيوتنا مسرورين، ولأهلنا مشتاقين ومعانقين ومجامعين ومتطهرين، وقلنا الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين .



الـذكـر السـادس :

ذكر ما يدخل على القلب من البغض والكره ، وفيه تفضيل الأنثى ، وتكوين الجنين في بطن أمه ، وفيه ما يلزم المرأة من الاعتقاد ، وفيه ذكر ما يسقط عنها من الفروض ، وفيه ذكر شهواتهن والصبية التي تطيق الجماع ، وفي ثبوت غيرها ، وما يجب لها وعليها ، وفيه ذكر الأدوية لتحريك شهواتهن ، وذكر السحاقة والسحق ، وفيه دلائل المرأة الصالحة وما يعمله عند الجماع ، وبما يجب على المرأة ، من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة ، وفيه ذكر أقذارهن ودائهن ودوائهن ، وفيه ذكر الحمل ، والتي لا تحمل ، ودواء ذلك ، وفيه ذكر إدرار الحيض وقطعه ، وفيه لسقط الجنين وإثباته ، وآخره ما يستحب لها من الأدب في حق الزوج

ما يدخل على القلب من البُغض والكُره :

قال الفقير لله : سألت ذا الغبراء ، عن نزول المحبة والكره في القلب ؛ فقال ذو الغبراء : هذا على وجوه كثيرة ، ولكن لعلنا نصل مع صاحبنا السقيم ونسأله عن ذلك ؛ قلت له : نحب ذلك ؛ قال : فقصدنا عنده بعد صلاة العتمة ووقفنا على باب داره فسمعناه يكلم ابنته بذكر المحبة والكره ، وقال لها : هذا له وجهان فمنه جائز ومنه لا يجوز أن

يحب الإنسان، وكذلك منه الكره لا يجوز وهو شيء ينزل على القلب بشدة عظيمة فتعقبه أفراح كثيرة كرجل صحب أناس في سفره فذهب في حمله فمشى عنه أصحابه فصادفهم العدو وأخذوا ما عندهم، وهذا الرجل لما وجد بعيره أقفاهم فوصل الدار سالما.

ثم قال الوالد لابنته : لا تخافي ممن يخدموني ، فإني أخبرك بآيات وروايات ودلالات ، والله (عز وجل) يقول : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [(١)] ، أي : حواء أم البشر ، خُلقت من آدم (عليه السلام) ، وقال الله تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾ [(٢)] ، وقال : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ [(٣)]، فمنهم الذكر ومنهم الأنثى، وإذا بشر الرجل بالأنثى دخل في قلبه ، ولا يدري المرء الخيرة له في أيهما ﴿ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى {٢٤} فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى ﴾ [(٤)] .

فكم من الذكور كان سبباً لهلاك أبيه وأمه ، وفي هذا يدخل قصة الغلام الذي قتله صاحب موسى (عليه السلام) ، عبرة لمن اعتبر ، قال الله (عز وجل) في كِتابه : ﴿ حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ [(٥)] ، ثم قال في آية أخرى : ﴿ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا {٨٠} فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [(٦)] .

---

(١) سورة الزمر : ٦ .
(٢) سورة الزمر : ٦ .
(٣) سورة نــوح : ١٤ .
(٤) سورة النــجم : ٢٤ – ٢٥ .
(٥) سورة الكهف : ٧٤ .
(٦) سورة الكهف : ٨٠ – ٨١ .

قال الكلبي : أبدل الله لهما جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً فهدى الله على يديه أمة من الأمم، وقيل ولدت هذه الجارية سبعين نبيا، وإن ولدت المرأة أنثى فلا لوم عليها، وإنما تدبير النسل ليس هو إليها ولا للزوج بالخيرة، فاختيار الله هو العدل، وربما إن جاء الولد ذكراً كان فتنة ومحنة لعشيرته.

ويوجد أنه في آخر الزمان خير أولادكم البنات، فالأجر من الله أوفر لمن نسله البنات لحقارتهن وكراهتهن من النفس، ولو رد الله تعالى الأمر إليهم في الأولاد إلى الخلق لكانت الدنيا ربما لم تبق إلى هذا الزمان لاختيار الناس الذكور وميلهم إليهم، فإذا لم تلد النساء إلا الذكور فمن أين يأتي النسل، ومن أين يتزوج الرجال، فهذه حكمة من الله تعالى بالغة وقدرة باهرة لأنه أراد أن يخلق طوراً بعد طور، وأمة بعد أمة ولو شاء لجعلهم دفعة واحدة لكن عسى في حكمه وعلمه جعل ذلك ليتدبر هؤلاء المخلوقون ويعرفوا قدرته، فليأخذ العاقل حذره مساءً وصباحا.

ابتداء خلق الجنين في بطن أمه :

وإني سأخبرك يا ولدي[1] بابتداء خلق الجنين وإن شاء كوّنه إذا أراد ذلك وهو إذا واقع الرجل زوجته ونزل ماؤه من صلبه في رحمها فإن ذلك الماء يقع في موضع من فرجها يسمى القرار المكين وهو كالحق مستدير معتدل مستقيم له فم، فإذا أنزل الرجل ماءه بفرج زوجته وفتح القرار المكين فاه فاحتسى ماء الرجل فيجتمع ماء الرجل وماء المرأة ودم الحيض في القرار المكين ويتكون الجنين وينشأ الله خلقته من ماء أبيه لا

---

(١) لعل الأولى أن يقول : (يا ابنتي) ، لأنه يُخاطب ابنته ـ كما سبق في بداية الحديث ـ وإن كان كلمة الولد تطلق على الذكر والأنثى .

من ماء أمه[1]، ويصير ماء الرجل راسباً غانصاً وسط دم الحيض، وماء المرأة مثال ذلك ماء الرجل كالجوهرة ودم الحيض كاللحمة الملتفة بالجوهرة وماء المرأة كالصدفة الملتفة باللحم والجوهرة، ويخلق الله الجنين وينشئه من الأربع طبائع طبيعة الماء وطبيعة النار وطبيعة الهواء وطبيعة التراب.

اعلم يا ولدي أن النطفة أول ما يخلق الله تعالى منها العلقة فتصير شما [2] سوداء يصعد بخارها من القرار المكين إلى قلب المرأة وكبدها، فتصير المرأة تقذف من فيها الماء والطعوم وترغب في بعض الأغذية دون بعض فهذا هو غثيان ويسمونه وحام، فيمكث أربعين يوماً ثم تنقلب العلقة إلى مضغة أربعين يوماً ثم تمكث أربعين يوماً عظاماً ويكسو العظام اللحم وينشئه الله إلى خلق آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، فإذا خرج الولد من بطن أمه يحزم صراره بخيط من شعر بقدر أربع أصابع، ثم يقطع بالموسى، ويجعل عليه زيتاً أي سمناً، ومما ينبغي بعد ذلك أن تأخذ القابلة ملحاً وتجعله في الماء وتدهن بذلك الماء جسد الطفل ليجفف الإهاب [3] سوى مناسمه ومع خروج أضراسه تفرك بشحم الديك أو الزبدة وإذا مزج بدماغ الأرنب عمور[4] الصبيان أسرع نبات الأسنان وسهل خروجها بلا وجع وذلك لخاصية فيه ومع نطقه بالحديث يفرك تحت لسانه بعسل النحل والملح ويدهن رأسه ورقبته بالحل، ثم يسمى ابن سبعة أيام ويذبح له مع التسمية شاتان وللأنثى شاة .

---

(١) هذه نظرية مشهورة في القديم ، وهي بخلاف ما ثبت بالشرع ، وأثبته العِلم الحديث .

(٢) بياض بالأصل .

(٣) أي : الجلد .

(٤) أي : اللثة .

وأما المرأة إذا خرج ولدها صارت نفساء تترك الصلاة والصيام وقراءة القرآن، ومما ينبغي أن تأكل شربة من عسل النحل والسكر الأبيض والسمن ثم في كل يوم تشرب السمنة لإنزال الدر وتأكل اللحم والأرز الطيب وتجتنب عن المحرقات والحموضات والملوحات والبقولات؛ لأن هذا أكله يفسد اللبن ويغش الولد، وتجتهد المرأة في إصلاح ولدها؛ لأن كل والدة تعطف على ولدها من جميع الحيوانات .

ما يلزم المرأة من الاعتقاد :

وأما ما يجب على المرأة ، فيجب عليها أن تؤمن بالله وبرسوله وتقول : أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن ما جاء به محمد بن عبد الله من عند الله فهو الحق المبين مجملاً ومفصلاً على ما جاء به من عند الله، وأنه صادق فيما قاله مما أمر به أو نهى عنه (صلى الله عليه وسلم) تسليماً، وتشهد أن الموت حق، وأن البعث حق، وأن الحساب حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن وعد الله حق، وجميع أقواله حق، وأفعاله حق، وأنه حق، ووعده حق، ووعيده حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن تتولى من تولاه الله ورسوله والمسلمون، وأن تبرأ ممن برأ منه الله ورسوله والمسلمون ، فعلى هذه الشهادة تحيى وعليها تموت وعليها تبعث إن شاء الله تعالى ، وتستغفر ربها مع كل ذنب ، وقد خفف الله عن النساء فروضاً وأنقصهن في العقول ، فالمرأتان عن شاهد واحد ، وعن ميراث ذكر ، وعن دية رجل ، وليس عليها جهاد ، ولا صلاة جمعة ولا جماعة ، ولهن الفريضة والصداق من أزواجهن ، ولها النفقة من والدها إذا لم يكن لها زوج .

ما قيل في شهوات النساء :

ثم قال: اعلمي أن الابنة ما زالت طفلة مكروهة في قلوب الرجال، وإذا انتهت ست سنين دخلت محبتهن في قلوب الرجال مثل ما تزوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عائشة، قيل له صغيرة في السن، قال: هذه للشمام[١]، وإذا تبين في المرأة شيء من علامات البلوغ مثل النهد وإنبات الشعر والماء والحيض تذكر قلبها بالرجال والجماع؛ لأن الجماع له في قلوب النساء موقع كريم وقدر، فهو وسواس صدورهن، وريحان قلوبهن، وحديث نفوسهن، وقوام جسومهن، وإن كان الرجل يشاركهن في الشهوة، ويقاسمهن في اللذة، فإنما لهم القسم اليسير والسهم الحقير، وعظيم الشهوة وسلطانها للنساء دون الرجال .

ويُروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " للنساء تسعة أسهم وللرجل سهم واحد ولكن الغالب عليهن الحياء " [٢] ؛ وقيل : إن عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، خرج ليلة يطوف بالمدينة ، فإذا به يسمع امرأة تنشد شعراً :

تطاول هذا الليل واخضل جانبه	وأرقني إلا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله لا رب غيره	لزلزل من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يصدني	وأكرم بعلي أن تنال مراكبه
ليعلم من بالشام أن وراءه	عدو له أعد ويحاربه

فسأل عنها (رضي الله عنه) ، وأخبر أن زوجها بعث في غزاة .

وقيل إن رجلاً إذا غضبت عليه زوجته دخل عليها ورفع رجليها

---

(١) لم أجد هذا الحديث على كثرة البحث .
(٢) لم أجد هذا الحديث أيضا .

وجامعها فقالت له يوما: وقد فرغ منها: قاتلك الله كلما اشتد غضبي جئتني بشفيع لا أستطيع رده، وذلك لموقع عظم النكاح في قلبها، وإنكار المحبة منهن طبعاً وعادة.

فإن أنكرن وقلن لكم أنكم[1] أشد شهوة وأحرص على النكاح منا بدليل مطالبتكم لنا به وإكراهكم إيانا عليه قيل ليس مطالبة الرجل للمرأة النكاح لأنه أشد منها شهوة له وإنما هو بمعنى الفحولية التي فيه، والعادة الجارية بقوة نفس الذكر على الأنثى في جميع الأشياء، لأنها تبع له وليس هو تبع لها في مرادها، وهي واثقة منه بمطالبتها، وأما إذا آيست من طمعها منه وخاب رجاؤها فيه لعجز منه عن حلال، أو عفة من فجور، أظهرت حينئذ ما كانت تسره وأقرت بما كانت تنكره كامرأة العزيز مع يوسف عليه السلام إذ قالت : ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ ﴾ [2] ، لهتك المرأة عند امتناع الرجل أعظم من هتكه عند امتناعها عليه.

وحد الصبية في طاقتها النكاح اختلاف عن العلماء إذا كانت ستة أشبار وقال من قال خمسة أشبار هذا في الآثار، وأما في كتاب البيطرة قال: إذا كانت أربعة أشبار حملت شبرا.

قال الفقير لله: وهذا على معنى النظر منهن الطويلة ومنهن القصيرة، ووجدت في الكتب عن بعض القضاة أنه زوج صبية فبكت، فقال لهم: أتوني بدمعها فأتوا منه إليه، فقال: دمع السرور حلو ودمع الحزن مالح، فلا عمل لبكائها لأنا نرى الصبية البكر إذا زفت إلى زوجها لا زالت نافرة عنه مستوحشة منه لا يؤنسها كثرة الرغائب، ولا يستعطفها له

(١) في الأصل : (أن) .
(٢) سورة يوسف : ٥١ .

جزيل المواهب حتى يفتضها، فتأنس حينئذ من وحشتها وتميل إليه بكليتها ليس لذلك سبب غير الجماع .

وهذه الصبية إن جامعها زوجها فعليها الغسل على أكثر القول .

والبكر رضاها سكوتها، والثيب تنطق وإذا سكتت ومكنت زوجها فهي راضية، وأما إن سكتت وغيرت مع الدخول فهي على حال الإنكار، وأما إن تزوجها على ما اتفقا عليه من الصداق فيأمر على ما اتفقا عليه، وإن اختلفا فحقها الوسط من حق عماتها، وإن عجز عن التسليم فيؤجل في كل مائة محمدية إلى ستة مائة محمدية بستة أشهر ولا زيادة في الأخذ بعد هذا، وأما الصبية إن زوجت ودخل عليها زوجها ورضيت بعد بلوغها تم نكاحها وإن غيّرت من حين بلوغها وقد امتنعت عن الدخول عليه اختياراً من حين بلغت فلها الغيَر إن كانت يتيمة، وأما الذي زوّجها أبوها فقيل فلا غيَر عليها، وأما أبو نبهان وفحول أهل العلم قالوا لها الغيَر ولها الصداق كاملا بدخول الرجل عليها، وإن كان ليس داخلا عليها فلا صداق ولا ميراث لها إن صح غيَرها أو جبنت عن اليمين من بعد موته، وإن رضيت بعد الغيَر أن يردّها، فعلى قول لا يجوز له، وعلى قول يجوز له أن يتزوجها بنكاح جديد وبصداق ثانٍ .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: إذا لم ترض من حين بلوغها بالتزويج ودامت على ذلك مدة ثم رضيت، فلا يحتاج إلى تزويج جديد ما لم تنقض عدتها إذا كان قد دخل بها وإن كان لم يدخل بها فتجوز لهما ما لم تتزوج بغيره أو يحكم بتفريقهما حاكم عدل .

ما يُحرك الشهوات :

ثم قال : اعلمي أيتها الابنة فكثرة حديث النفس بالنكاح يهيج شهوة المرأة ويكثر حملها لا سيما إذا كانت في تمكين من خلوة وأمن من رقيب، ولبس الحرير للنساء يزيد في غلمة الرجل ويضعف نكاح الرجل، والنساء تغتلم في الصيف والرجال في الشتاء، وقراءة سورة يوسف تحرك شهوة النساء ومثله التبخر بالعود.

وإن أخذت المرأة من ماء البصل المصفى مثقالين وجعلت عليه صفرة البيض وحركته على النار حتى ينضج وأكلته حرك شهوتها، وهذا الدواء يعمل للمرأة التي لا تريد الأزواج فمهما أكلته أرادت الزوج من يومها، والمرأة التي ليس لها زوج كالبيت الذي ليس له باب يشد ويفتح، أو كالشجرة التي ليست لها ثمرة، فلا فائدة في سكون البيت ولا مانع يمنعه من الدخول، فأعوذ بالله من كل غلمة ليس لها عدة، والويل لمن منع النساء عن الأزواج فقد لبس العار وما جوابه مع سؤال الجبار إلا دخول النار ، أعوذ بالله من النار والعار ومن عداوة الأهل والجار وغضب الجبار .

ثم قال لها: حكي لي عن امرأة ذات حسن وجمال ومال فتعززت بالمهر على الرجال، فذهب شبابها وتزوجت في كهولتها، فلما دخل عليها زوجها وذاقت عسيلته قالت: وآأسفاه على الشباب ذهب نصف عمري ليتني أمهرت نفسي وكنت روحي ومالي لبعلي، فتباً لكل امرأة لم تتزوج في شبابها، وذهبت ثمرة بطنها ثم قالت شعراً :

في لحظات الأعين النعس أن مايل النفس إلى النفس

قال الفقير لله : لا يجوز للمرأة أن تعطي رجلاً مالها ليتزوجها به ولكن يجوز أن يكتب صداقها ويكون ديناً عليه، ويجوز أن ترخص نفسها إليه بأقل الصداق في قول أربعة دراهم.

ثم قال الوالد لابنته : ينبغي للمرأة أن تسرع في التزويج مهما صح لها في ساعتها ولا تنتظر إلى كثرة الخطاب ولا إلى بلوغ الأطفال، إنها عورة وسترها ولباسها بعلها فكل من نظر إليها افتتن بها، فإن سمحت للحرام نفسها فبنس بأفعالها ذهب الصلاح منها وظهر قبحها وقد ركبت فاحشة الذي نهى عنها ربها، وإن قهرت نفسها عن الزنا وخافت العار بإظهار الولد فتصل معها امرأة وتزين لها السحق لأنه يكسر شهوة النفس وفيه ستر عن رجال الإنس، فإن سمحت لها نفسها وكفت عورتها إلى من لا يحل لها فقد باءت بغضب من الله، وقد سماه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : زنا ؛ فكيف بامرأة حملت غلمة عدمت شافيها وإفراط شهوة لم تجد كافيها ، فيحملها ذلك على الاستعجال ، وحك الأشفار بالأشفار، وتستمني بذلك وتشتفي بهذا وقد لزمت نفسها عن الزنا لسبب الحبل وأنفت العار، وطلبت السحق لكسر شهوتها أعوذ بالله من مكرها .

فإن سلمها مما ذكرناه فتأخذ المرأة حذرها طول عمرها من اللواطة والقوادة، لأن القوادة تؤلف بين القلوب وتمازج بين النفوس وتجمع بين الأجناس، تولد العشق بين الاثنين من قبل رأي العين بما تلقيه في المسامع من سحر الكلام، فهي كالشيطان تأتي كل نفس بما تعلم أنها تميل إليه، وخص بهذا العجائز فإن كانت العجوز قد زنت في شبابها فهي الداهية التي لا تبقى ، والحية التي لا ترقى .

وكثير من العجائز تقود على ابنتها ومن وليت أمرها من أهلها ، إما لرغب الاكتساب الخبيث ، وإما لغلبة الفساد الطبيعي ، وقد يفسدهن على الأزواج ويكرههن على الفساد من غير احتياج ، لا سيما إذا كانت ذات جمال فتحب العجوز أن تباهي بها نظائرها من المتبرجات للفساد ، فالواجب على الرجل والمرأة الاحتراز عنهن لمن كان في العلم بأمرهن بصير .

ومما ينبغي للمرأة أن تكون في أحسن أخلاقها كما حكي أن بنتاً تزوجت برجل فلما أخذها عن أهلها وشيعتها أمها وخرجوا من الدار فحين أرادت أن ترجع عنها أمها قالت لها: اعلمي يا ابنتي أنك قد خرجت من العش الذي درجت فيه، وسرت إلى فراش لم تعرفيه، وإلى قرين لم تألفيه، فكوني له أمة يكن لكم عبدا، وكوني له مهادا يكن لك عمادا، وكوني له أرضا يكن لك سماء، ولا تلحفي به فيقلاك، ولا تنأي عنه فينساك، فإن دنا فاقربي منه، وإن نأى فابعدي عنه، واحفظي سمعه وبصره وشمه فلا يسمع منك إلا جميلا، ولا ينظر إلا حسنا، ولا يشم إلا طيبا، فإن أباك القائل لأمك ليلة الدخول عليها :

خذي العفو مني تستديمي مودتي   فإنك لا تدرين أين المغيب
ولا تنقريني نقرة الدف مرة   ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
فإني رأيت الحب في القلب والأذى   إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وقد بالغت في النصيحة .

صفات المرأة الصالحة :

ثم قال الوالد لابنته : سأخبرك هذه الليلة بدلائل المرأة الصالحة

وذلك حسنها وجمالها ؛ خوف الله وصلاتها بالليل وثقتها بالله على ما رزقها الله، وبفعلها بأمر الله وهجرها المعاصي، وعداوتها الشيطان، وطاعتها بعلها، ويكون بيتها طاهراً، وتيأس من المخلوقين في الضر والنفع، وتستعد للموت، وتكون ناظرة في عيبها، مفكرة في دينها، خفي صوتها، كثير صمتها، عفيفة طاهرة من الدنس والعبث، ورعة عن الخنا متكرمة عن الأذى، واسعة الصدر، كثيرة الشكر، نقية الجيب، طاهرة من الدنس والعيب، حليمة كريمة، قليلة النزق، سهلة الخلق، بريئة من الكذب، بعيدة من العجب، قليلة الجهل، وثيقة رحيمة بالأهل، رقيقة للبعل، لا تسيء إليه، ولا تغتاظ عليه، وتكون حيث يكد، ولا تكلفه مالا يجد، تصفي له خدها، وتخلص له ودها، ولا ترفع إليه طرفها، ولا ترفع صوتها عليه، تلطفه بغاية الحب، وتؤثره على الأم والأب، ولا تجفوه في سره، ولا تقلاه في عسره، تلقى غيظه بحلم وصبر، وتعاشره بود وشكر، وتؤثر على هواها هواه، وعلى رضاها رضاه، إن أساء إليها غفرت، وإن آثر عليها صبرت، تحب ولد زوجها ولو لم يكن منها، لا تكلفه ما لا يطيق، فهي في البيت كالاسطوانة المذهبة، أو كصومعة الراهب، طوبى لمن رزقه الله مثل هذه المرأة.

وقيل لعائشة رضي الله عنها: أي النساء أفضل؟ قالت: التي لا تعرف عيب المقال، ولا تهتدي لمكر الرجال، فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها، وتغافي الصبابة عن أهلها.

آداب معاشرة الزوج :

ويُروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " إن أبرك

النساء أحسنهن وجوهاً ، وأرخصهن مهراً " ؛ والمُستحب من المرأة : تهيج شهوتها إذا هيجت ، وتسكن إذا سكنت ؛ وقال عَليّ بن أبي طالب : العفيفة في فرجها، المغتلمة لزوجها، ويستحب للمرأة خفة أعضائها عند الجماعِ ورشاقةِ، كأنها بأدنى إشارة من الرجل حتى لا يكون عليه مؤونة في تقلبها كيف شاء على ما يحب عند الجماع ما لم تكن بلادتها طبعا، والمرأة أيضاً تستخرج الرجل الغمر، وتهذب حركاتها، والنساء والرجال عند الجماع كالخيل والفرسان فمنهن الفارهة تحت الفارس الجيد بغير مشقة على أحدهما حتى إن الرجل إذا جامع أهله على إحدى جنبيه وأراد الانقلاب على الجنب الآخر أمكنهما الانقلاب جميعا وهما على حالهما من غير أن يخرج الإحليل من حر المرأة ولا يزول صدره عن صدرها ولا فمه عن فمها، ومن دقيق هذه الصنعة أن يكون عجز المرأة ورهز الرجل متطابقين كإيقاع الغنا ولا يخرج أحدهما عن الآخر .

وينبغي للمرأة أن تتغنج لبعلها عند الجماع وصفة الغنج هو الترقق والذبول وتغرق العيون وتمريض الجفون وإرخاء المفاصل من غير حركة، والتململ من غير انزعاج، والتوجع من غير ألم، وترخم الكلام عند مخاطبة الرجل لما يحب، وتارة تتألم منه، وتارة تستزيده بشجي صوتها، ورقيق نغمتها ، كما قال الشاعر :

ويعجبني منك عند الجماع   حياة الكلام وموت النظر

والإحليل في ذلك بخبر دقيق وتنهد رقيق، وعضة في إثر قبلة، أو قبلة في إثر عضة منه أو منها، فإن ذلك كله مما يقوي شهوة الرجل

ويحثه على المعاودة ، لا سيما إن اطرحت الحيا ، واستعملت الخلاعة ، وذلك المعدود من صفاتهن المُستحسنة , وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " خير نسائكم التي إذا خلعت ثوبها خلعت معه الحياء ، وإذا لبسته لبست معه الحياء " ، يعني : مع زوجها .

قال الوالد لابنته : ويستحب فصاحة اللسان، وحسن النغمة، ورخاوة الصوت، فحسن الكلام وعذوبته من أقوى دواعي العشق، وأسلب لقلب المستمع، ورب قبيحة عشقت لحسن كلامها، ومليحة تركت لرداءته، وربما سبق حسن النعمة إذا سمع فعشق قبل الرؤية ، ولقد أحسن بشار في قوله :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

ولغيره :

وكأن تحت لسانها هاروت ينفث منه سحرا

قال : ويستحب أن يكون في المرأة سواد أربعة، وبياض أربعة، وحمرة أربعة، وتدوير أربعة وطول أربعة، ووسع أربعة، وضيق أربعة، وصغر أربعة، وطيب أربعة: فأما السواد فسواد شعرها وسواد عينيها وسواد حاجبيها وسواد ناظريها، وأما البياض فبياض لونها وبياض عينها وبياض أسنانها وبياض إبطيها، وأما الحمرة فحمرة لسانها وحمرة شفتيها وحمرة وجنتيها وحمرة لثتها، وأما التدوير فتدوير الوجه وتدوير العينين وتدوير الكعبين وتدوير الكفين .

وأما الطول فطول العنق وطول الشعر وطول الحاجبين وطول الأصابع، وأما الواسع فوسع الجبهة ووسع العينين ووسع الصدر ووسع الوركين، وأما الضيق فضيق المنخر وضيق الأذنين وضيق السرة وضيق الفرج، وأما الصغر فصغر الفم وصغر الثديين وصغر الكعبين وصغر القدمين، وأما الطيب فطيب الأنف وطيب الفم وطيب الإبط وطيب الفرج، والناس في اختيار الألوان مختلفون فمن الناس من تختار البياض بصفرة وهذا هو الأحسن كما قال الشاعر:

كبكر المقانات البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير مخلل
تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل
إلى مثلها يرقى الحليم صبابة إذا ما اسبكرت بين درع ومجول

وقال بعضهم : إن البياض بالحمرة في الرجال أحسن والبياض بالصفرة للنساء أحسن، ومنهم من يختار البياض المشوب بحمرة وهو أحسنها وأبهرها للعين، وحسن اللون مع نعومة الجسم من أعظم دواعي الشهوة لمضاجعة المرأة واعتناقها إذا كان مشرباً بالحمرة، ومنهم من يختار السحم وهو السواد ويفضلهن ويمدحهن، وليس المختار منهن الحمرة والإجماع على كراهتهن، وهو لون أشد حمرة من الشقرة تعلوه كدره ولا يكاد البياض يظهر فيه، وأقبح منه البياض الذي لا يخالطه حمرة ولا نور له يشبه بياض الجص ويكون شعر صاحبه شبيهاً بالرماد.

ويستحب البضة الناعمة ، الرقيقة البشر ، الدقيقة العظام ، الناعمة اللينة العصب ، الممتلئة الجسم الطويلة الخلق ، معتدلة القدمين بين الطول والقصر ، اللطيفة القدمين ونعومة ظاهرهما ، وقد كثر الوصف من الناس وتقاصرت عن الإطالة لضيق الكتاب .

ثم قال الوالد لابنته : اعلمي بأني أخبرك عن روايات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته وزوجاته في ذكر النساء والرجال .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " يتزوج الرجل لثلاث : للمال والجمال والدين ، فعليكم بذات الدين " ، ويُروى عن عائشة أم المُؤمنين (رضي الله عنها) ، قالت : عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " أيما رجل أخذ بيد امرأته يُريد منها شيئاً ، إلاّ كتب الله له عشر حسنات ، فإن عانقها كتب الله له عشرين حسنة ، فإن قبلها كتب الله له مائة وعشرين حسنة ، فإن قضى منها حاجة ومضى في غُسله لم يمس من شعر جسده ، إلاّ كتب الله له بكل شعرة حسنة ، وتمحى عنه بكل شعرة سيئة ، ويقول الله تبارك وتعالى : انظروا إلى عبدي ، قام هذه الليلة الغراء إلى ربه ، اشهدوا أني قد غفرت له " .

ويُروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " خير النساء من أمتي خيرهن لأهلهن يرفع الله لكل امرأة منهن كل يوم وليلة أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين، ولفضل إحداهن على الحور كفضل محمد (صلى الله عليه وسلم) على أدنى رجل منكم، وخير النساء من أمتي من تأتي مسرة زوجها في كل شيء يهواه ما خلا المعصية لله، وخير الرجال من أمتي من يلطف بأهله لطف الوالدة بولدها يكتب لكل رجل منهم في كل يوم وليلة أجر مائة شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين ؛ فقال عُمر(رضي الله عنه) : يا رسول الله كيف يكون للمرأة أجر ألف شهيد وللرجل أجر مائة شهيد ؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أو ما علمت أن المرأة أعظم أجراً من الرجل وأفضل وأن الله يرفع الرجل درجات برضى زوجته في الدنيا ودعائها له، أو ما علمت

أن أعظم وزر بعد الشرك بالله المرأة إذا عصت زوجها " .

وإنما أراد بهذا على معنى المبالغة في الترغيب لا على معنى الحكم ؛ وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وأحصنت فرجها ، وأطاعت زوجها ، فلتدخل الجنة من أي باب شاءت " .

قال سفيان : أن امرأة أتت النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقالت : أنا وافدة النساء إليك وليس عليك، وإن الله تعالى خصكم معاشر الرجال بالجماعات والجمعة وتشييع الجنائز وعيادة المريض وأفضل من ذلك حج البيت والجهاد في سبيل الله، وجعلنا محظورات مقصورات، وجعلنا نقبض شهواتكم وقواعد بيوتكم حمالات أولادكم، فإذا خرج منكم خارج أو غازي أو معتمر أو مرابط حملنا لكم طعامكم، وحفظنا لكم أموالكم، وربينا لكم أولادكم وغزلنا لكم ثيابكم أفما نشارككم يا رسول الله في أجوركم ؟ قال : فالتفت النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقال : ما ظننت أن امرأة تبلغ هذا، ثم أقبل عليها فقال : اسمعي أيتها المرأة ، وابلغي من خلفك من النساء ، أن حسن تبعل إحداكن لزوجها ، واتباعها موافقته ، وطلبها مسرته ، يعدل ذلك كله .

قال : فانصرفت تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ ويُروى عن عائشة أم المُؤمنين (رضي الله عنها) ، قالت : إذا تفاخرت الحور العين قلن : نحن أفخر منكن ، نحن الموحدات ، ونحن المتطهرات وأنتن لا تطهرتن، ونحن المتوضيات وأنتن لا توضيتن، ونحن المصليات وأنتن لا صليتن ، ونحن الصائمات وأنتن لا صمتن ،

ونحن المتزوجات وأنتن لا تزوجتن ، قال : فغلبن النساء الحور العين ؛ وقد مدحهن مولاهن وقال : ﴿ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [1] ، وقال في آية أخرى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [2] .

وينبغي للمرأة أن تتعلم سورة النور ، وهي سورة أنزلناها، لتعرف ما يجب عليها في أمر دينها ، وما عليها من الحق لزوجها ، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها " .

قالت ربيعة العطار : حج نسوة منا فلقيتهن عائشة أم المؤمنين فسألتهن وقالت: ألكن أزواج؟ فقلن: نعم، فقالت: لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة تمسح الغبار من قدم زوجها ولو بحر وجهها، ويجب على المرأة طاعة زوجها في جميع ما يأمرها به ما لم يكن معصية، ولا يجوز عصيانه، ولا تخرج من بيته إلا من عذر.

ويُروى عن زيد بن ثابت : قال أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، قال لابنته : " إني لأبغض المرأة تشكو زوجها " ؛ وابن عُمر كان يقول : لا ينظر الله إلى امرأة يوم القيامة التي تشكو زوجها ولا تستغني عنه تقول ما تشكر ما يواليها من المعروف، ولا تستغني عن ذلك بالمعروف؛ ثم قال

---

(١) سورة التحريم : ٥ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٥ .

الله تعالى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [1] ، قال : كعب كان يقول : أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وصيامها ثم عن حق زوجها، وروي أن امرأة جاءت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقالت : يا رسول الله ، إني امرأة كثيرة الخطاب، وقد رغب فيَّ الرجال وقد جئتك أسألك عن حق الزوج على الزوجة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : فإذا دعاك فأجيبيه في أول دعوة فإن أخرتيه حتى يدعوك ثانية أحبط الله عنك أجر سبعين صلاة، فقالت: يا رسول الله فهل غير هذا؟ فقال: نعم أيما امرأة تعمل عملاً بغير أمره فتقسمه لزوجها فلم تبر قسمه لم يؤذن لها عند الله يوم القيامة مثقال ذرة، قالت: يا رسول الله فهل غير هذا؟ قال: ما من امرأة تخرج من بيت زوجها بغير إذن زوجها إلا كتب الله لها بعدد الذر والشجر وكل خطوة تخطوها سيئات وتمحى عنها حسنات بعدد ذلك، قالت: يا رسول الله فهل غير هذا؟ قال: نعم ما من امرأة تسيء النظر إلى زوجها إلا بعثت يوم القيامة ممسوخة الرأس ، قالت : يا رسول الله ، فهل غير هذا ؟ قال : نعم ، ما من امرأة تؤذي زوجها بلسانها إلا جعل الله لسانها يوم القيامة طول سبعين ذراعاً ثم تعقد في عنقها ويتوقد يوم القيامة ناراً تحرق وجهها ؛ قال: يا رسول الله ، فهل غير هذا ؟ قال : " نعم ، ما من امرأة تصدقت من بيت زوجها من غير نظره ، إلاَّ كتب الله أجر تلك الصدقة لزوجها ، وكتب عليها وزراً " .

وروي أن امرأة أتت النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقالت : يا رسول الله ، إن زوجي يمنعني أن أزور والدي ؛ فقال رسول الله : لا تزوريه إلا برأيه ؛ ثم أتت فقالت : يا رسول الله ، إن والدي مريض

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٨ .

فمنعني أن أعوده ؛ فقال رسول الله : لا تعوديه إلا برأيه ؛ ثم أتته ثالثة فقالت : يا رسول الله ، إن والدي هلك ولم يدعني أن أشيع جنازته ؛ فقال رسول الله : لا تشيعي جنازته إلا برأيه " .

ويُروى عن الصحابة ، عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " أيما امرأة عصت زوجها طرفة عين فهي في سخط الله إلا أن تتوب وترجع "؛ وعن شريح بن يونس قال : حدثنا علي بن ثابت ، عن جعفر بن ميسرة ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لعن الله المسوفات، قيل: وما المسوفات؟ قال: الرجل يدعو امراته إلى فراشه فتقول سوف وسوف حتى تغلبه عيناه فينام " .

قيل: وينبغي للمرأة أن تعرض نفسها على زوجها، قيل: وكيف تعرض المرأة نفسها؟ قال: إذا نزعت ثيابها ودخلت في فراشه تلزق جلدها بجلده.

والمرأة إذا احتملت برجل ينبغي لها أن تصبر لعيوب الرجال لأن القليل من الناس من لا عيب فيه، فإن تزوجت صبياً أو كهلاً أو شيخاً أو أميراً أو غنياً أو فقيراً أو سقيماً أو كان معه نساء أو أولاد أو كان حراً أو عبداً فلتصبر على البلاء ولها الأجر على صبرها وما شدة إلا لها فرج، ولا تدري بالثاني أنه أضعف منزلة، وقد رأيت كثيراً من الناس مع التبديل يصح عليهم الذل والنكال من النساء والرجال، فاختيار الخيار أحسن من اختيار الأبرار والأشرار لأنه يحكى عن امرأة كانت عند رجل موسر ضعيف الباءة كثير الجاه وتشكو المرأة منه مع الحاضرين والبداة، فلما علم الرجل بأمرها طلقها فأخذها رجل قوي الباءة فسرها لما هيج غلمتها

وكسر لها شهوتها، فبعد ذلك نزلت في بلدهم المصائب وذهبت عليهم الأموال، وجعل زوجها في الأنكال والأغلال، وبقيت المرأة في أسوأ حال، ثم أقبلت إلى مطلقها تسأله لستر عورتها ثياباً وطعاماً لإحياء جسمها، فانظروا أن الصبر أولى عن مطاوعة النفس والهوى.

ومما يكره من المرأة التي تعلو صوتها بالنخير والشهيق تطبعاً من غير طبع وتصنعاً من غير صنعة وتكلفاً من غير استحسان؛ فهي تقلب القلب وتنفر الشهوة فهم ناكحها بالمفارقة لها والخلاص منها، وكثير من النساء من تستعمل السكوت عند الجماع لكن مع رشاقة الحركة وإظهار القبول للجماع، وضم الرجل إليها وتقبيله مرة بعد مرة، ومساعدته بالجماع فهذه صفة غير مكروهة ولا سيما للمتعاشقين، ومن يخشى الرقيب، ويكره المتمنعة على الرجل عند مطالبته إياها بالنكاح، وكثير منهن من تفعل ذلك تعمداً وقصداً أنه يزيدها حظوة عند الرجل وتقوي شهوته لها؛ وذلك من فساد عقلها لأن المرأة متى فعلت ذلك مع الرجل نفرت شهوته منها، ولا تنبسط نفسه إليها، وربما ورّث ذلك التهاجر والبغضاء بينهما ولا سيما إن كان ذلك دائما.

وتكره المرأة المستغلمة التي لا تشبع من الجماع ولا تنتظر وقته، فأحسن أحواله أن تصادف من به داء الانتصاب فلا فرق بينهما إلا موت أحدهما، ويكره منهن نتن الفروج ورطوبتها وبرودتها وخشونة مداخلها ووسع مسالكها وصغر حجمها واندخاسها إلى داخل الفخذين، ويكره إن أبطأ شعر العانة عن الحلق والإبطين، وينبغي لها أن تنتفه أو تحلق بالنورة إلى عشرين يوماً، وصفة الحلق يؤخذ أربعة أسهم نورة، وسهم

زرنيخ يدق ناعماً ثم يجعل عليه ماءً ويجعل على النار حتى يغلظ أو في الشمس في قوة الحر ثم يجعل فوق الشعر ويصبر قليلاً وينظره إلى قلع الشعر ثم يفركه بيده قريباً من الماء ومخافة أن تأكله النورة ثم يغسله بالماء هذا عمله للنساء والرجال.

ما يكره من المرأة ودواء ذلك :

ويكره من المرأة نتن الفم والأنف والإبطين وإدرار اللبن من الثديين وانحدارهما.

ومما ينفع عن انحدار الثدي دم الضفدع إذا طلي به ثدي المرأة البكر حفظ قوته ونفع من السقوط، وإذا سحق بنت الذهب وخلط به ورد وطلي به ثدي المرأة قطع اللبن منه، وإذا سحق الشب بالخل وطلي به الإبطين ذهب نتن الصنان منهما.

ولنتن الأنف يؤخذ قسط وفلفل وبذر الحرمل أجزاء سواء يدق وينخل وينفخ في الأنف، ولنتن الأنف يؤخذ مر وقافياطيا وحماما من كل واحد درهم يسحق ويخلط بعسل نحل قد غلي، ويؤمر صاحب العلة أن يلصق شيئاً بحجاب الأنف الذي في وسطه، نافع إن شاء الله تعالى وقد جربناه فحمدناه ووجدناه جيدا.

ولنتن الفم يؤخذ الثوم والقرنفل يسحقان ناعما ويعجنان بعسل ويستعملان قبل أن يأكل الطعام بالصبح وعند النوم، ويداوم على ذلك فإنه يقطع البخر ويقلب الرائحة، صحيح مجرب.

ولقطع الرطوبات السائلة من الرحم قشور الكندر وهو اللبان

وقشور الرمان وكمون وهو القزح أجزاء سواء يدق وينخل ويعجن بماء الآس وهو الياس وهو من الروائح ويضمد به الظهر والعانة.

ولتضييق الرحم يؤخذ من قشور شجرة الصنوبر وهو الزام مدقوقا أربعة أجزاء وآساً مدقوقا جزئين وسعد مدقوق جزئين يدق ويسحق كله ناعما ويصب عليه مطبوخ عفص طيب الرائحة، وتبل فيه خرقة كتان وترفعها في إناء زجاج، وعند الحاجة إليه تأمر تمسك واحدة قبل الجماع بساعة ثم تطرحها عند الجماع وكذلك الثلج كذلك وجدته في كتب الطب وكل ما ذكرته في الكتاب فإني وجدته في كتب أهل العلم.

وللرحم إذا كان منتناً ويصير الواسعة ضيقة ، وإن كان رطبة أو باردة يؤخذ جير غير مثقوب أربعة دراهم وسكا وقفاح الأذخر(هي اللوبيا) وسنبل وهي قضيمة النجارة من كل واحد وزن درهم يدق ويعجن بماء الآس أو يشرب وينخل فإنه جيد.

الأدوية التي تعالج بها المرأة التي لا تحمل :

وإن كانت المرأة لم تحمل وأرادت أن تحبل فلتأخذ على بركة الله تعالى جاورش وجوز وعاقرقرحا يعمل بالسوية ويدق ناعما وينخل ويخلط بدهن الزنبق ويطلى على الذكر ويجامع المرأة ومن بعد المجامعة بثلاثة أيام أو بسبعة أيام تحبل بإذن الله تعالى.

أيضاً إذا كانت المرأة لم تحبل يكون من برودة رحمها خصوصا إذا كانت المرأة كبيرة يؤخذ لها هذه الأدوية وتأكل منها ترجع شابة، وإن أكل من هذه الأدوية رجل كبير يرجع شاباً في القوة.

وهذه صفتها: يؤخذ حليب البقر خمسة أرطال ورطل فوم ويطرح الفوم بعد تقشيره في الحليب ويغلى على النار غلياً جيداً حتى تدخل خاصية الثوم في الحليب ويتهرى، ثم ينزل ويصفى ثم يؤخذ الحليب المصفى ويطرح في المقدار ويضاف إليه سمن البقر وزن من وعسل النحل وزن من وبذور الفجل والشونيز(الحبة السوداء) وبذر الكراث وبذر الجزر من كل واحد عشرين درهما، تدق جميع الأدوية وتطرح في تلك القدر التي فيها الحليب المصفى ويخلط على النار، ويكون الوقيد قليلاً قليلاً حتى ينضج ويصير مثل الحلوى، وينزل من القدر عن النار ويبرد ويجعل جميع الأدوية في قارورة ويؤكل في الصباح بمقدار الجوزاء وفي المساء كذلك، نافع .

وفي صفة أخرى للتي لا تحمل يؤخذ ورق عنب الأخضر ويعصر ماؤه قدر نصف أوقية، ثم يؤخذ سمن بقر خالص قدر أوقية وعسل النحل قدر ثلاث أواق للشابة وللكبيرة أربع أواق، ثم يغلى حتى يفور، ثم يوضع فيه العسل، ثم ماء العنب وتشربه المرأة على الريق ، ويمسح لها من تحت السرة ومن فوق السرة ثم تشرب الدواء بعد غسلها من الحيض ثلاثة أيام ثم يجامعها زوجها تحمل بإذن الله تعالى.

وفي نزف الدم على الحمل يؤخذ قشور الرمان والحبر والطراثيث من كل واحد جزء يدق ويعجن بماء الآس ويتخذ في صوفة وتحمله المرأة ينفعها ذلك.

الأدوية التي يعالج بها لإسقاط الجنين وإدرار الحيض وقطعه :

وإذا عسر على المرأة الولد وكان ميتاً يؤخذ لها روث البقر

ويدخن به تحتها، وإذا مات الولد في بطن أمه يؤخذ له بذر جزر الدبسي ويدخن به المرأة فيسقط الولد الميت من بطن أمه بإذن الله تعالى .

ولتسهيل الولادة يمرخ أسفل البطن والظهر بالحل، وإن شربت كيسين سمن وكيس سكر سهل عليها ولادتها، وإن أخذ وزن ثلاثة دراهم خيلة ودرهم ونصف فلفلاً ويوضع الجميع في ماء حار وتشربه المرأة، ومن مسهلات الولادة تكتب الفاتحة وإذا السماء انشقت إلى قوله وتخلت، ويعلق على فخدها الأيسر ويفك عند الوضع.

وإذا كثر على المرأة دم الحيض تسقى من ماء شجرة الطرفاء أوقيتين وتسقى من ماء ورق العوسج وثمره وهو القصد، فإنه جيد، وإن شربت من ماء النيل فإنه يقطعه، وإن أخذت المرأة الآصف والرامك والحبر ومن أطراف الآس الرطب يدق ويعصر ماؤه وتبل فيه صوفة ثم تحملها المرأة تفعل ذلك كل يوم مرتين وعند النوم.

وإذا كانت المرأة لا تحيض يؤخذ لها ماء الخثف وزن درهمين ودهن اللوز كيس، يؤخذ الجميع ويخلط على النار حتى يحمى ويؤكل في كل ساعة، فإن الحيض ينطلق ، فإن لم يكن دهن اللوز بدهن الزيت.

أحكام الحيض وحقوق الزوج :

وصفة الحيض أن يكون الدم سائلاً أو فائضاً من الفرج ويكون غليظاً أسوداً أو أحمراً منتن الرائحة، فإذا خرج من فرج المرأة الدم على هذه الصفة وأقام بها ثلاثة أيام فصاعداً فهو حيض، وتمنع زوجها عن جماعها مهما رأته لأن جماع الحائض على العمد حرام، وفي الخطأ فلا تحرم، ومهما علم أو بان له نزع من ساعته عن جماعها.

وصفة الطهر منه خروج شيء أبيض مثل الماء الغليظ، أو انقطع عنها انقطاعاً لا يبقى له أثر، فإذا طهرت المرأة فتغتسل بالماء والخطمي وتدخل أصبعها في قبلها إلا البكر فقد جاء فيه الاختلاف عند المسلمين، فإذا اغتسلت وحضرت الصلاة أو كان لزمها الصيام فإنها تصلي وتصوم، وإن نزل بها الدم في وقت صلاة ولم تصلها هي فتبدلها إذا طهرت، وإن طهرت في وقت صلاة وتأنت عن الطهر أو كأنها تغتسل وفات وقتها فتبدلها وكذلك صيامها عليها بدل اليوم الذي بها واليوم الذي طهرت فيها، وجائز لزوجها جماعها بعد الطهر إذا لم تكن لها عادة ثابتة، أو كانت صائمة فرض أو بدل فرض أو كفارة لزمتها أو بإذنه صامت نفلاً فهذا لا يجوز أن تجبرها إلى الجماع، وكذلك النفساء لا يقربها زوجها دون الأربعين مخافة أن يراجعها الدم إلا إذا كانت لها عادة سبقت في طهرها أقل من أربعين يوماً، وجامعها في طهرها فلا بأس عليه.

ولو راجعها الدم قبل أن تمضي أربعين يوماً فلا تحرم عليه، ولكن في القابل لا يجامعها إن راجعها الدم حتى تمضي عليها أربعين يوما، والمستحاضة جائز جماعها بعد الاتضاح له، وكذلك لا تترك الصلاة ولا الصيام ولا القيام.

ولا يجوز للمرأة أن تخرج من بيت زوجها إذا منعها لا لعيادة مريض ولا تعزية أناس في ميت لهم ولا لزيارة أرحام ولا لقدوم مسافر ولا تطعم أحداً من ماله ولا تعصيه في نفسها إلا من عذر تأتيه إليه.

ومن حسن الأخلاق لها أن تتعرض له باللباس والطيب والحلي ولطف الكلام وتبدأه بالمساء والصباح [1]، وتكف عنه أذاها بلسانها وأن

---

(١) أي : تبتدأه بالتحية في المساء والصباح .

لا تكافئه بما فعل فيها إن كان أساء إليها بشيء تصبر على ذلك لتلحق أجر الصابرين عند الله تعالى، وأن تعاشره بالرفق، ولا تكلفه ما لا يقدر عليه، وتخدمه إن قدرت على خدمة أبويه ولو لم يجب عليها، وأن تخدم ما كان في البيت من طحن الحب والخبز وسقي الدواب وعمل جميع الأطعمة لها وله ولمن دخل عليهما من صديق أو رحم أو ضيف، وكذلك غزل الكسوة له إن جاءها بقطن من عنده، وكذلك تقريب الطعام والشراب إليه، وحط الفراش عند النوم، وأن لا تنام إلا في فراشه إلا أن يرضى هو لها وتجعل نفسها له كالطعام المهيء له متى ما أراد أكل منه وإن لم يرد ذلك فلا تكليف عليه، وتفضله على نفسها، وتتابع محابه في كل شيء من معاشرتها إذا كان فاضلاً إلا ما كان من محابه خارجاً من طاعة الله فلا تطعه في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفي وصية لبعض الأعراب لابنته عند زفافها إلى زوجها قال: يا بنيتي ليكن أكثر طيبك الماء، يريد كثرة الاغتسال، ولبعض الأجسام رائحة أطيب من الطيب، وبعضها لا طيب فيه، والتبخر بالعود الرطب يزيد في غلمة الرجال دون سائر الأطياب، وفي بعض كتب الطب وتطيب المرأة لا يتطيب الرجل فإن الطيب مقطعة من النكاح، وطيب النساء ما ظهر لونه وطيب الرجال ما خفي، إلا إذا كان بان لهم ضرر في أجسامهم فحسن ما ظهر لونه، والاغتسال بالماء البارد يقوي الجماع ويحبس الشيب والماء الحار يعجله.

ولا يجوز للرجل أن يجبر المرأة على أن تنتقل معه حيث أراد من البلدان إلا في موضع يلزمها ذلك ولا يلزمها إلا أن يكون عدلاً أو يكون البلد فيها فاضل قائم بالعدل مالك لأمرها فعلى هذا يلزمها.

وقال الوالد لابنته : وعليك السؤال بما يلزمك في أمر دينك ، وبما لك وبما عليك من اللازم لبعلك ، ولا يدخلك الخجل مع أهل العِلم ، فكل سائل مُجتهد سالم ، واستمعي لقول الشيخ عبد الله بن عُمر بن زياد الشقصي البهلوي العُماني ، قال :

خود أتت منزلي والعين تنهمل ... سحاً على وجنتيها الدمع منهطل
كأنه من خلال المزن مندرج ... أو أنه برد أو لؤلؤ خضل
عنقاء لفاء مصقول عوارضها ... كأن أخمصها بالشوك منتعل
في نسوة أقبلت مع ذاك تؤنسها ... يمشينها وعليها الحلي والحلل
تميس ميساً على حسن الشباب لها ... وجه كبدر الدجى بالنور مشتعل
في لحظها فتر في عينها حور ... هيفا مخلخلة في مشيها مهل
من غير ما كسل تمشي على مهل ... لكن أعجزها من خلفها كفل
حتى دنت أقبلت يوماً لتسألني ... أعاقها جزع مع ذاك والخجل
فقلت يا هذه لا تخجلي وسلي ... عما بداك فلا خوف ولا وجل
قالت هديت كفاك الله كل أذى ... أتيت شاكية يا أيها الرجل
عندي بعل عني ليس يعدمه ... شيء من المال لكن مسه بخل
لحز وكز لينم في معاشرتي ... عن كسوتي ومعاشي فهو منبتل
عمداً ولا عدم فيه كي لأعذره ... لكنه مكس قد ضاقه فشل
ما ذاك يلزمه في الحكم يا أملي ... قل لي كفيت الردى حتى به أصل
لآخذن منه حقي كله كملا ... ولو تعّصى به أو مسه خبل
فالحكم يردعه عن كل سيئة ... لو كان ذا نخوة أو رأسه جبل
لا نهد خوفاً لأمر الحق متبعا ... فالحق عضب حسام باتر صقل
فقلت في كل عام ستة وجبت ... أثواب لا سمل فيها ولا بلل

درعــان ثــم لحـاف واســع معه ... إزار واثنـان جلبـابـان قـد عملوا
كتـان أو مـن حـريـر قـال بعضهم ... والـصـبـغ يـلـزمـه فـيـمـا بـه عـملوا
من درع ومن إزار مـع جلابـبها ... مــن السواد كذا قد قالت الأول
وقيل من بقـم إن كـان ذا يـسر ... وللـفـقـيـر فـصـبـغ الـنـيـل يا رجل
عن قول بعض وبعض ليس يلزمه ... شيناً من الصبغ قد قالوا وقد نقلوا
عن ابن محبوب عن موسى فلم يريا ... شيئـاً مـن الصبـغ لو كانت له حيل
أمـا الـحـريـر مـع الكتـان للكبرا ... والأغـنـيـاء إذا مـا طـولـبـوا بـذلـوا
علـى كسـا مثلها أخت وعمتها ... وأمـهـا وفـويـق الـــرأس ينسدل
وليس يلزمـه فــي سحب أذيـلـهـا ... علـى الـتـراب فمـا فـي قولنا خلل
وبعضهـم قـال هي أولى بما كسبت ... من نسوة فـقـر الـبـيـت لـهـا خـول
يـقـدرهـا زائــل عـن كـل عـائـلـة ... لـيـست بـذي سـفـه مـا أن لـهـا نصل
وخـادم فـلـهـا فـي البيت يـخـدهـا ... أنـثـى إذا كـان أهـلـوهـا بـذا امتثلوا
وفي الطعام لها قالوا وقد فرضوا ... كـشـــاري لإمـــام الـعـدل قد فضل
فـربـع الـصـاع لكل يوم من ذرة ... والـربـع فـي وقـتـه قـد طـابـه الأكل
وإن يـكـن أكـلـهـا لـلـبـر فـهـو لـهـا ... إن كـان أهـلـوهـا بـذا عملوا
أو نفسـهـا قـبـل زوج كـان يأخذها ... فـلـيـس عـن ذاك قـالـوا قـيل تنتقل
ومـنٌ تـمـر وأيـضـاً درهـمـان لها ... لـكـل شـهــر لأدام لــهـــا جعلوا
ودرهـم زائـد قـد قـال بـعـضـهم ... إن كــان ذا يــســر أمـوالـه فضل
فـالدهن قـيـل كـيـاس يوم جمعتها ... طـول الـلـيــالـي والأيـام مـتـصـل
وإن يـكـن شـعـرهـا جماً فقيل لها ... زيـادة عـن كـيــاس هـكـذا نقلوا
لـكـل شـهـر فـثـلـث الـمـن قـال بـه ... ابـن الـمـفـرج ذاك الـعـالـم الفضل
وذلـك قـول ابـن مَـدَّاد بـأن لـهـــا ... وابــن بــرك فـعـبـد الله قـد نقل

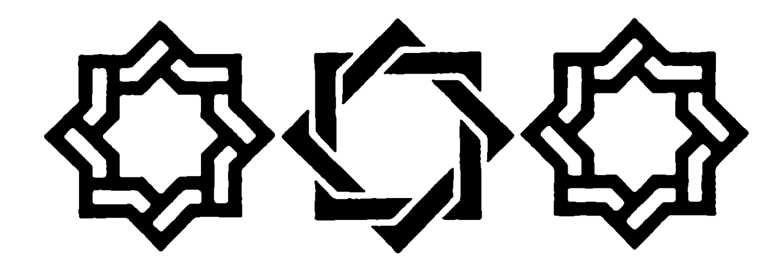
لها وآنية فيما تعالجه ... من الطعام وشرب الماء تعتل
مع الفراش وفي قر الشتاء دثرا ... من اللحاف ثخين ما به خول
وليس تلزمها من خدمة أبدا ... إلا بطيبة نفس يحسن العمل
حتى تعاشره مع ذاك في لطف ... بلا ضرار يكن في ذاك يحتمل
بلا ضرار يكن في ذاك يحتمل ... زيارة ثم تسليماً إذا وصلوا
في بيتها لم يكن في خلوة لهما ... بلا قعود كثير ثم ينتقل
كذلك الجار لا يمنع دخولهم ... فالجار موصى به للأجر يحتمل
وليتق الله فيها طول مدته ... فإنها من ضعاف الخلق يا رجل
أوصى بذاك رسول الله في خبر ... فبالضعيفين عبد زوجة نقلوا
في ذاك عند وفاة المصطفى فلقد ... أوصى الرسول بما أوصت به الرسل
ومسكن رافق قد قيل يلزمه ... في الحر والقر لا خوف ولا وهل
وليس تمنعه من وطئها أبداً ... ولو على قتب يسري بها جمل
إلا بعذر كحيض أو تكن نفسا ... إلى انقضاء طهرها يوماً وتغتسل
فعند ذلك قد حل الحلال له ... إن لم يكن مرض في جسمها تعل
وواجب في قرار البيت مقعدها ... بلا خروج إلى الطرقات ترتحل
ولا تزور أهاليها ولو مرضوا ... إلا ليأمرها في ذلك البعل
قد جاءت امرأة نحو الرسول تقل ... بأن والدها بالسقم منثقل
تريد تزواره يوماً فقال لها ... لا لا تزوريه حتى يأذن الرجل
ولا تشيع له يوماً جنازته ... إلا بأمر له في ذلك قد نقلوا
رواية رويت عنه وقد ثبتت ... لا خلف فيها ولا قول ولا جدل
فطاعة الزوج فرض لازم أبداً ... مادام عقد نكاح ليس منبتل
أولى من الأبوين الكل قال به ... محمد المصطفى تمت به الرسل

وليس يلزمه ورس ولا عطر … لوجهها أو لجسم زانه الخضل
إلا بطيبة نفس البعل قال به … أصحابنا حكموا في ذاك وامتثلوا
وإن يطلقها في القول واحدة … فطعمها واجب أو ينقضي الأجل
في البيت ينفقها إذ ليس يخرجها … إلا بفاحشة منها له تصل
وليس يلزمه يوماً إذا خرجت … من بيته هكذا قد قيل يا رجل
ولا يطلقها في القول واحدة … فطعمها واجب أو ينقض الأجل
وإن يكن بثلاث كان طلقها … وكان في البطن منها الحمل يرتكل
فعيشها واجب في طول مدتها … ما عاش في بطنها لا يقطع الأكل
ولا أدام لها قد قال بعضهم … وقال بعض لها فافعل بما فعلوا
حتى إذا وضعته بعد مدته … فليس يلزمه إذ قد مضى الحبل
لكن لها أجرة يوماً لترضعه … لشهرها درهمان قالت الفضل
ودرهم زائد إن كان ذا سعة … أمواله بسقت تعلو وتنجزل
في قول أكثر أهل العلم قد ذكروا … فخذ بما قلته فيما به عملوا
إلى الفصال رضاع ثم قيل له … ثلث الفريضة لا زيغ ولا بدل
حتى يصير خماسياً يكون له … نصف الفريضة لا عنها بدا حول
حتى يصير سداسياً فتم له … ثلث وثلث إلى أن يبلغ الرجل
وليس يلزمها للولد تربية … قوت الرضاع ولكن يأتي البعل
لمن تربيه أو تغسل اظامره … من النجاسات والأوساخ يغتسل
وليس يلزمه بعد البلوغ له … شيء ولو عينه بالدمع تنهمل
إن كان ذا صحة ما إن به مرض … وإن يكن مرضا ضاقت به الحيل
فواجب قوته من مال والده … ما دام حياً إلى أن ينقضي الأجل
وإن كن عنده مال يقوت به … من كده أو يكن أوصى له رجل

فلا على والد إلا إذا عدمت أمواله كلها فالأمر معتدل
فيما وصفنا له من مال والده وكسوة لتواريه بذا عملوا
أما الإناث لهن القوت متصل ولو بلغن محيضاً ليس ينفصل
في بيت والدها حتى يزوجها زوجاً ويكفلها عنه وتنتقل
وأمة زوجها حر فيلزمه في الليل كسوتها والطعم والأكل
وفي النهار على المولى لتخدمه من أول الفجر حتى تنقضي الأصل
وليس تلزمها في الليل خدمته لكنّ يتركها للزوج ترتحل
وليس للزوج بعد الفجر عشرتها لأنها في قيود الرق تختبل
وكسوة الزوج درع والإزار معا بلا قناع وجلباب لها جعلوا
إذ ليس يلزمها للرأس تغطية مفلفل لونه إذ ليس منسدل
وقد علاها أبو حفص بدرته كيلا تشبه بالحرات تمتثل
يوماً فقال لها اكشفي عنك القناع فلا شيء عليك ولا وزر ولا وجل
ذاك الأمير الذي شاعت فضائله مؤدب ناصح للثقل محتمل
فرحمة الله تغشاه وتلبسه ما سار نجم السما من فوقه زحل
فهاكها درة كالشمس طالعة قد بت أرقبها والليل مكتهل
غرفتها من بسيط الشعر مبتدئاً حتى أتت كلها ما أن بها خلل
تنبيك عن نفقات كلها كلا جاءت على عجل ما أن لها مثل
فخذ بما قلته فيها وكن فهما واسأل ذوي العلم عنها إنهم قبلوا
في شهر شعبان كان القول فيه وقد مضت ثلاث سنين كلها كمل
بعد الثمانين عاماً ثم تسعما مذ هاجر المصطفى الهادي النبي البطل
صلى عليه وحياه وكرّمه رب رحيم كريم آخر أول

وسمعت الشيخ ناصر بن أبي نبهان ، أنه لا يعمل بقول من يقول

بتحديد الحلاء والدهن للطعام بالدراهم لأن ذلك يزيد بالغلاء والرخص وعليه لها في ذلك مقدار ما يستعملونه أهلها أو بنفسها قبل التزويج على قياد قولهم في الكسوة والنفقة .



الـذكـر السـابـع :

أوله في علم الأبدان في ذكر الاحتقان والاحتصار ، ودلائل مما يصلح الأجسام ، وفيه من أحاديث الشجعان ، وفي صفة أخلاق الصالحين ، وقصيدة من قول الشيخ عامر بن علي لما يرجوه من الصلاح بذكر فيها ، وأوردت من قول العلماء من الأثر على معاني المذكور في الشعر ، وفيه صلاة الجمعة، والشهداء ، وناكح الدواب والنساء ، ومايدرأ عنه الحد على المكروه ، وذكر في العقل والجهاد ، وفيه مدح المسلمين من قول الشيخ محمد بن محبوب (رحمه الله)

دواء الاحتقان والاحتصار :

قال الفقير لله : صحبت أخي ذا الغبراء إلى زيارة العلماء الأبرار الأتقياء الأخيار فوجدنا أحدهما في البندر المجتمع من أهل السفر من البر والبحر ثم أقمنا مع الشيخ العالم ناصر بن أبي نبهان الذي أخذت عنه مذهبي بطول الزمان فسلم عليه رجل وسأله عن احتباس البول والغائط .

فقال الشيخ : أما احتباس الغائط إذا لم يستطع عليه بحيلة إلا بالحقنة يؤخذ له محقنة فيها بلولة بقدر الأصبع إن كانت المحقنة من نحاس أو من خزف هي معمولة لذلك ويدهن البلولة بزبدة ثم يؤخذ الخذف وإن حصل شيء من الحنظل وغير ذلك من أدوية الحقنة، ثم تدق وتطبخ بالماء إلى أن يخرج الخاصية في الماء، ثم يلقى عليه الحل ويطبخ

حتى يسخن ويؤخذ المحقنة وتخدل بلولتها في الدبر ويكون الدبر مقابل السماء ورأس الإنسان مع أرجله في الأرض، ويكب الدواء في المحقنة وهو متوسط في الحرارة، فإذا دخل يقف ساعة كذلك ويزال عنه ويقف ساعة حتى يجد بطنه قد انحل فإنه يخرج، مجرب وهو أسلم من التحليل عن غيره .

قال الشيخ عامر بن علي: إن لم يجد الحقنة فليأخذ حطبة دقيقة ويجعل عليها قطناً، ثم يغمسها في العسل والسمن والملح ويحتقن به مرة بعد مرة فهو صحيح مجرب .

غيره : في الحقنة يؤخذ ما تقبض عليه اليد من الحرمل ويرض ويغلى بسدسين ماء وملء اليد ملح ثم يغلى حتى يطلق مزجه ثم يصل ويستعمل حقنة .

أخرى : يؤخذ ماء الحرمل مكوك ومثله مريس التمر الجيد ومثله ماء ورق الملويا يغلى الجميع ويصل ويوضع كياس سليط أربع أكياس ويضرب ضرباً جيداً ويستعمل -هذا عن الطبيب راشد بن عميرة- فإذا برد يحتقن به صاحب العلة ويدلك بطنه دلكاً جيداً يفعل ذلك ثلاث مرات أو أربع مرات ويهجر في القولنج الإمتلاء ويبادر إلى التنقية وليس بصواب أن يبادر إلى سقي المسهلات من فوق فربما كانت السدة قوية وكانت أخلاط وبنادق كثيرة، فإذا توجه المسهل إليها ولم يجد منفذاً أدى التدبير إلى خطر عظيم .

رجع لقول الشيخ عامر :

وقال : لحصر البول يؤخذ حل العرش إن وجد[1] وإلا فثمرة العرش تؤخذ وترض ثم يعصر ماؤه ويؤخذ الماء ويلقى عليه خيار شنبر ثم يجعل على النار حتى يدخل بعضه في بعض ثم يدهن به الإليتين والإحليل وما حولهما إلى السرة، نافع مجرب .

قال الشيخ عامر: وإن أخذت الشورة والحلبة والهيل ودقهن ناعماً ثم يذهنه في العانة والذكر ويشربه .

وعن ناصر : يؤخذ السكر والشورة ويشربه وبعد ذلك يؤخذ الصرم الذي ناقضة [2] بنواة من النخل ويأخذ من طرف الأخير ويكسر منه الحجبة الهشة والباقي من حيث البياض يدهن بزبدة ويدخل في الإحليل فإنه يدر البول .

وفي معالجة وجع القضيب وحبس البول منه يؤخذ سكر الأقلام ينقع في ماء الجح ويلقى عليه قليل من ماء ورد ويشربه سبعة أيام، وأما الاغتسال فيطبخ الفرفار ومقابلة الشمس والسفسف بماء فإذا ثار ترك حتى يفتر ثم يجلس فيه ، فإنه يدر البول من ساعته ، والله المعافي .

ومن كتب أهل العلم : وإن كان البول احتباسه من صدمة أو جراح فإنه يسقى وزن ستة دراهم بذر البطيخ المقشر مع كياس سكر بماء حار أو يسقى منقش البطيخ اليابس المدقوق وزن مثقالين بماء حار وسكر ويجلس في ماء حار شديد الحرارة ويسقى من قشر البيض المسحوق مثل الكحل وزن درهم بماء حار وسكر وإن جعل في الدبر شيئاً من الملح

---

(١) في الأصل : وإن لم يوجد .
(٢) ناقصة : أي : نامية .

أدر البول .

وأما سلس البول وتقطيره إن كان من حرارة أو برودة يؤخذ فلفل أربعة دراهم وزرنيخ درهم وكمون درهمين وأفيون ربع درهم وزعفران نصف درهم وسنبل درهم يدق الجميع ويعجن بعسل، والشربة منه وزن درهم ونصف بماء حار، مجرب .

ولمن يبول في الفراش يؤخذ وزن ثلاثة دراهم سعد مع مثله قشر رمان مسحوقاً في ماء ورد فإنه مجرب ، أو يضرب لبان ومقل من كل واحد وزن ثلاثة دراهم مع عسل نافع يفعل ذلك عشرة أيام .

ما يعين على إصلاح الجسم :

وسأل بعض الملوك الأطباء مما يعين على إصلاح الجسم فاجتمعوا على أن يأكل الإنسان من الطعام بقدر ثلث حاجته والثلث الثاني للماء والثلث الثالث لنفسه، ثم قال بعض الشعراء ما أنعم الله على عبده بنعمة أوفى من العافية، ثم قالوا الأطباء من عمل بهذه الأبيات وجد العافية :

اسمع بُني وصيتي وأعمل بها	فالطب معقود بنص كلامي
لا تشربن على طعام عاجلاً	فتقود نفسك للردى بزمام
واجعل طعامك كل يوم أكلة	واحذر طعاماً قبل هضم طعام
والقيء لا تهجره واهجر كل ما	في أكله سبب من الأسقام
وإذا الطبيعة منك نقت باطناً	فنقاء ما في الجسم بالحمام
واقلل نكاحك ما استطعت فإنه	ماء الحياة يراق في الأرحام

وقال غيره :

توق إذا استطعمت إدخال مطعم — على مطعم من قبل هضم الهواضم
وكل طعام يعجز السن مضغه — فلا تقربنه وهو شر المطاعم
ولا تك في وطء الكواعب مسرفاً — فإسرافه للعمر أقوى الجرائم
وإياك إياك العجوز ووطئها — فما هي إلا مثل سم الأراقم
ولا تحبس الفضلات عند نزولها — ولو كنت بين المرهفات الصوارم
ولا سيما عند المنام فأقضها — إذا ما أردت النوم ألزم لازم
ولا تتعرض للدواء وشربه — مدى العمر إلا عند إحدى العظائم
ووفر على الجسم الماء فإنها — بصحة أبدان أجل الدعائم
وفي كل أسبوع عليك بقيئة — ففيها أمان من شرور البلاغم
وكن مستحماً كل يومين مرة — وحافظ على هذي الخلال وداوم
بذلك أوصاني الحكيم بنادق — أخو العدل أنوشروان ملك الأعاجم

وقال غيره :

لا تحبس الريح إذا حضرت — وخلها تهيج إن ما صدرت
فإن أدوى الداء في إيلاجها — والروح والراحة في إخراجها

صفات الشجعان والصالحين :

ثم قال لي ذو الغبراء : أتيت زائرا أم مقيما عند الشيخ ؟ قلت له : بل زائرا، فقال: أوصيك إذا جاوزت البلدان، وقصدت الفيافي والقفار فألهم نفسك الحزم ، ولا تبعها بالبخس، واصبر لمن اعتدى عليك، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة .

وحدثني الشيخ عامر بن علي عن ثلاثة رجال مسافرين فظهر لقتالهم ثمانون رجلاً فقتلوا من القوم عشرين واستكان الباقون إلى الثلاثة، ورجلان مسافران وفي صحبتهما امرأتان فعارضهم للقتال عشرون رجلاً فقتلوا منهم خمسة رجال بتفق، وسلم الله من شرهم الرجلين والمرأتين، ورجلان عليهما السلاح اعترضا لرجل ليس معه أسلحة، فأخذ السلاح على أحدهما وقصد به إلى بلده و بارك الله فيه ظفره على عدوه، فقد حاز الشرف، وأدى الفرض كالذين سبقوه من السلف، وقال :

ليس من يقطع طرقاً بطلاً   إنما من يتق الله البطل البطل

وأمير معه خادم، فأمره أن يصرع رجلاً فلم يطق لصرعه، فعمد الرجل على الخادم وأدخل أصبعه في نطاق الخادم، ورفعه وطاف به في الطرق، وكل عين تنظره، ثم رمى به في مجلس الأمير، ومن قوة هذا الرجل أتوا إليه بحمارة لم يقدر صاحبها على أدبها وقال صاحبها للرجل: لعلك تؤدب لي هذه الحمارة، قال: أتبرى منها؟ قال له: في الحل والبرآن، فركب الرجل على الحمارة، وأدخل ركبتيه في دففها فخرج ما في بطنها وماتت، ثم تعرضت له ضبع في طريقه ورفع عليها بضربة بعصاه فكسر رأسها.

وفي زماننا رأى رجل في منامه جبرائيل (عليه السلام) في جامع السوق [1] وفي يده خشبة كأنها دقل المركب ويضرب بها الناس والبيوت ويقول بكلام فيه غضب فلم يمض شهر إلا وجاءهم سيل والتقى وادي

---

(١) لعله يقصد جامع نزوى .

كلبوه ووادي الأبيض في ذات حويس، ودار بالعقر، وقشع [1] بروجاً من جانب سعال ، وهدم حوائر الوادي والسوق كله .

قال ذو الغبراء: رأيت في المنام كأن الإمام الميت سيف بن سلطان جالس على المنبر والناس من حوله يخطب فيهم بالجامع الذي هو في قلب القرى من عُمان ، ما تفسير ذلك ؟ قلت له : لعل واحداً من ذريته يجمع شمل المسلمين. وأخبرت بهذه الرؤيا الشيخ عامر فقال: هذه الرؤيا تدل على أن الصلاح للمسلمين .

وهذه من الأخلاق الحسنة في صفة الرجال يكون مثل لون بشرته أبيضاً مشرباً بالحمرة ، والبدن منه ممتلئا، وصوته يكون بين العالي والخفي المنخفض، ورأسه مناسبة لبدنه، وأم الرأس منه وافرة ناهدة إلى العلو يسيراً، والجبهة علية نقية من نبات الشعر عريضة طويلة باعتدال، والآذان حسنتي الوضع متوسطتان بين الكبيرة والصغيرة والرقة والغلظ، ويكون الحاجب خفيف الشعر، وتكون العين وضعها مناسبة للوجه حسنة المركب سمينة الأجفان إذا انفتحت كان بياضها نقياً، وسوادها جوهرياً، والجبين مزهراً، والوجنة ظاهرة اللون منه بالحمرة، واعتدال اللحم والأنف حسن الوضع والتخطيط لا كبير الأرنبة ولا دقيقها ولا صغيرها ولا واسع المنخرين ولا ضيقها ولا عقدة كالكرسي فيه، والفم حسناً في وضعه متوسطاً بين السعة والضيق صبغ الشفتين، ولحم الإنسان صبغاً حسن التنضيد، واللسان لطيفاً صبغاً، أسيل الخدين والعنق منه إلى الغلظ والاعتدال والسبوطة والصدر ، وما بين الكتفين ، والكفان منه ناعمين

---

(١) أي : هدم .

رطبين، مفرجاً الأصابع طويلهما، والبطن منه معتدلاً، السرة مخففة، معتدل الإليتين، ممتلىء الفخذين والعجزين، سبط الساقين، حسن القدمين لطيفهما، أخمص القدم، نقي الأظفار دمي اللون والبشرة.

فوجدته من كانت هذه صورته فهو كامل الأوصاف في خلقه وما أحسنه إذا تكاملت في أخلاقه من العلم والحلم والحكمة والمعرفة والنفع للناس والغنى بالمال والنوال والتصريف من نوعه بالأمر والنهي، فلما عرفت من الكتب هذه الخلق والأخلاق فقلت: اللهم إني أسألك لبلادك عمان وغيرها من الأمصار والبلدان أن تظهر فيها دعوة المسلمين وسنة نبيك الأمين، وأقم فيها أحكام العدل، وقو فيها أهل الورع والفضل، وطهرها من الفساد والجهل، وأعل فيها كلمة أهل الصدق، الداعين إلى الحق، واخترلها إماماً مرضياً حسن الخلق والأخلاق عدلاً صالحاً تقياً نزيهاً عن الطمع، ولياً يعمل بقول المسلمين، ويعادي المردة المجرمين.

فقال الشيخ عامر بن علي : سمعت عن هذه الخصال المحمودة اجتمعت في الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله.

وسمعت عن الشيخ أحمد بن سليمان الريامي الفلكي دخل على الإمام ناصر بن مرشد يوماً وقال: السلام عليك أيتها الرفقة النبوية، والسيرة المحمدية الذي لا يوجد منها أبداً إلا بعد ثلاثمائة سنة[1] .

قصيدة تحفة الأصاغر للشيخ عامر بن علي العبادي وتعليق عليها:

وقال الشيخ عامر بن علي : رأيت رؤيا المبشرات بالخير، ودلتني فكرتي وقياس عقلي بأن يكون صلاح المسلمين من نسل عشيرة الإمام

(١) يمكن أن تكون إمامة الإمام سالم بن راشد الخروصي .

ناصر بن مرشد، ثم قلت هذه القصيدة المسماة (تحفة أصغر الأصاغر للسادة الأكابر الجامعة للنذر والزواجر، ومالها من الدلالات البواطن والظواهر، والبشارات بدلائل الإشارات التي ظهرت بالنبت المستقيم على حر الجحيم الساعر، بحلقة المرجل المغلي فيه عصير المعاصر) عونك يا كريم، وعدد أبياتها عشرة أبيات ومائة بيت، فقلت شعراً :

أهلا بحامية الحمى بسيوفها ... وحرابها وسهامها المترامية

قوم إذا قاموا استقاموا على بالوفاء ... بعهودهم وعقودهم متوالية

باعوا نفوسهم لمن سواهم ... بشراً فما طلبوا الإقالة ثانية

في كل حادثة تسر وإن أست ... ما فرقة بعد اجتماع النائية

تحت الكتائب والعلامات التي ... نهضت بدين المصطفى لا الخاطية

بحياة من قتل الطغاة من الدنا ... من سيرة الخلفاء فيها جارية

نصبت لمن أم الغبيرة بالرضا ... من أهلها غير الغلاة الباغية

وخروجه من منبت أعناقه ... رقت السموات العلا متعالية

دانت بطاعته البرايا واستوى ... في عرشه فوق الروؤس العاتية

من غير سقط في حساب حروفه ... كحساب صبر أفاصبروا أصحابيه

حتى يكون ولازموا لبيوتكم ... تحت الخبايا فاختفوا بزمانيه

زمن به يرعى السبيتي آمنا ... في كل روض من رياض الراضية

وبكل قصر من قصور أولي القضا ... بالعدل ما عن بأسه من ناجية

إن قلتم ما الرأي في طلب النجا ... ومن السلامة ترتجي والحامية

قلنا لكم أن كنتم أهلاً لما ... تمنحكم أهل الصدور الصافية

لا رأى إلا في امتثال نصائحي ... فهي الصحائح للنفوس الراجية

إن رمتم منها ارتقاءً للذي ... ترقى إليه الأكرمون الماضية

أهل القوى والقهر عن ميل الهوى ... عمروا الهدى فسعوا برجل ماشية

فعساكم بالصبر أيضاً تظفروا ... بمناكم ومن الدواهي الداهة

تجدوا السلامة في بقايا عصركم ... فهي الغنيمة عندنا والوافية

كمثالهم إذ سلموا بظهورهم ... فيكم لحكم إلهنا في الدانية

إن كانت الكرماء كروا نحوها ... متوجهين لوجهها كالذارية

فوق الصواهل والنياق كأنهم ... أعلام في ظلم الدياجي الداجية

شم الأنوف وللأنوف مداعس ... تسقى الأنوف صروف حتف راوية

لم تنتبه أعداؤهم إلا وقد ... علموا همُ هلكى بقطع الصامية

في كل سابلة لهم أو مرصد ... أو خارجين لهدم دور الباغية

لم يلبثوا أبداً بدون مرادهم ... عنهم بإحدى الحسنيين الوافية

إن قُتلوا أو قتلوا فغنيمة ... هذا وذلك للنفوس البارية

من كل شائبة تشوب قلوبهم ... كفر النفاق ومن شقاق الهاوية

هذا لهم في هذه رأي فما ... عن شربه لهم عقول آبية

أو كانت السراء ساقوا عيسهم ... نحو المدارس والبيوت العالية

جمعوا بها الأعلام للفتوى ومن ... يأوي إليهم بالعقول الزاكية

يتقلبون بها على أرض الرضا ... بالراضيات المرضيات الباقية

مستقبلين بها مقامات القضا ... بالعدل والإنصاف بين العامية

والمبصرات من الورى أبصارهم ... لا فرق بينهم لفصل القاضية

هذا لهم دأب إذا ظهر الضيا ... حتى العشا ما إنْ لهم من لاهية

وإذا تشابكت النجوم وعسعست ... ظلمات ليل بالسجوف الراخية

وتراخت الغفال فوق أسرة ... سرحوا سمواً للمراقي السامية

أجسامهم بين المحاريب استوت ... وقلوبهم في العرض حقاً راقية

فلها مجال واسع من حوله ... ولها مقامات به متناهية

فهم الكرام السادة النبل الذي ... بوجوههم جاد الزمان بماليه

وجه لكتمان الذي دخل الحجى ... من نوره سبحانه رحمانية

فالصدق أفضل ما يكون من الفتى ... وبه النجاة من السعير اللاظية

أما الذي أتوا به كمثالهم ... في مصرهم وبعصرهم في الآتية

طابت عمان بهم وطاب زمانهم ... ياليت نفسي فيه كانت باقية

لكن كوني قبلهم فتصرمت ... بيني وبينهم حبال العافية

فسترت دونهم بأستار البلا ... وخلا زماني كالقرون الخالية

فأنا هنا الموجود في عصر غدت ... عنه العدول مع الأناس الناسية

حتى البداية والنهاية لم تزل ... تبدي معاصي المبتدي هي عادية

لم تبق قائمة يقام به على ... قصد السبيل المرتضى بزمانيه

حسبي إلهي في مقامي بينهم ... حياً ونفسي من عماهم عارية

فكأنهم هم مالكون جوارحي ... كالغاسلين لها عقيب مماتيه

وبـهـا أنـا مـتـقـلـب مـتـردد ... في فسحة الحق المبين الناقيـة
والقلب مني بالرواسي شاهق ... بالعروة الوثقى فررت ومابيه
من قربهم غير احتساء تصابري ... حتى أرى ربي بيوم الغاشيـة
يكفي الكلام هنا لكشف ستورنا ... سثرته بالملغزات الماضيـة
من كان ذا عقل صحيح كاشف ... عنه ضياء الحق عشو القاسية
لكنه المعدوم بل فعسى عسى ... يأتي عقيبي أو أتى بحياتيه
وترى العجائب والغرائب عندما ... تأتي البداية والرزايا الرازيـة
وبما يكون قبيل من فلق الدجى ... وبه التجارب والدموع الهاميـة
من شدة البأس الذي قد ذاقه ... كل امرىء في ذاته والماليـة
فلأنهم هم يحدثون عقيب من ... يغشى البلاد ببطشه في الباديـة
يقتادهم بزمان سطوته بهم ... من حوله هم كالوحوش الصادية
وبهم خراب العامرات من القرى ... وسباة ربات الخدور الغانيـة
كم بضة دعجاء جاذبة الحجى ... ببهائها وجمالها متعاليـة
قد ساقها للسوق علج مارد ... فتباع جهراً والمدامع جاريـة
وسقوط هامات على حر التقى ... من كل صف بالحروب الوارية
والنار تشعل في الجواري وبالشذا ... تلقى المراسي ولا محالة خالية
هذا افتتاح الباب للأمر الذي ... لا زال فيه تأملي رجائيـه
فبذا قضت تلك الزواجر عندنا ... سفلا وعليا والنجوم الجاريـة
ومن المصابيح التي قد خالها ... كل امرىء شهبانها متهاديـة

كل الجهات معاً وفي كبد السماء سحراً إلى وقت الضحى متلاظية

أهل النهى لا تأخذوا قولي هنا هزواً ولا لهواً بحسن القافية

كلا ولا بهوى بدت ميلولة مني لمن وقرته هيهاتيه

لكن بنور واضح قد ساق لي برهانه ذو البينات الهادية

أودعته للمبصرين بهذه والعين من خوف العواقب باكية

والقلب مني بالتطامع والرجا باق فلم يبق عليه أياسيه

متألياً قبس البراهين التي أنوارها مثل اللآلي الباهية

ما وجهة وجهتها إلا وقد لمعت إليّ بروقها كالحامية

فالجد كل الجد في طلب الهدى فالشمس مشرقة الضيا للهادية

يضطر كل المبصرين شعاعها حتى يروا أجرامها متلالية

فاسعوا بها نحو اليمين ويمموا بركابكم رحب الأحبة قاصية

فلعلكم تجنوا ثمارهم التي قد أينعت بغصونها متدالية

ودعوا التخاذل صفوتي عن نيلها فلكم بها خير المعيشة راضية

يوماً بها الفساق سيقوا سرعاً نحو السعير وكبكبوا في الهاوية

وبه البشارة بالخلود لمن له من ربه الحسنى بدار عالية

هاكم بحاراً قد طغت أمواجها متلاطمات زاخرات صافية

فادلوا دلاءكم اغترافاً في دلا أهل الدلالة والدراية دالية

من كل بحر ما تصل أحبالكم وذروا الغزير من البحار المالية

فالكل مغترف ذنوباً غير ما غرفت به أصحابه إخوانيه

ولكل منتصب حذاها منصب ... ما فات مجتهد منال الكافية

لو شربة منقوصة عن حق من ... ملأ الكؤوس من الكبار الراوية

ولكم وكم من فرقة غرقت بما ... لا يستطيع الآخرون مثاليه

ثم ارجعوا بالعلم في هذا وفي ... كل الخليقة في الحقيقة لااليه

أبداً ولا غير العليم بعالم ... فيما يكون وما مضى في الماضية

إن كنتم عقداً لكم عقدتم ... فينا وفي كل البرية فارية

ما حل إلا أن تحل عقائد ... عقدت على وجه المعاني العارية

من كل لبس من لباس أولي التقى ... طول البقا حتى اللقا في الداهية

لو أنه يرعى الأدلة مثل ما ... يرعى الجبال الشاهقات الراسية

فالحجر ماض حكمه عن قطعه ... حزماً كذلك طرحه في الهاوية

لبقاء وجه القول منا أنه ... سيكون أول في القضايا الخافية

لكن كما دلت أدلة ما مضى ... مشهودة الأعالى العلا الراقية

درج الدراري في البروج وما جرت ... حركاتها فيها تطيع السارية

وإذا تبدل حكمها فعسى القضا ... ماض بتقدير الفنا للدانية

بالنفخة الأولى لأن شروطها ... تمت ولم تبق لها من باقية

لكنها في الحق حق أنها ... تأتي ولكن في الحقيقة نافية

عن علمنا بالوقت آيات أتت ... من ربنا بكتابه كلا هية

مخفية عنا وجوه ورودها ... وإذا أتت تأتي حثيثاً ساعية

فاحقنا في الحق مسك لساننا ... أن لا تكون بكل مرمي رامية

فعسى السلامة ترتمي بوجوهنا   وترى الرماة من الهوى مترامية

قال الفقير لله : سرني نظم الشيخ لما أملاه على وكتبته ثم وادعته ومات بعد النظم بأربعة أشهر، وأخبرت ذا الغبراء لما وصلت الوطن قال ذو الغبراء : عرضت هذه القصيدة الفصيحة على أناس من الفصحاء والعلماء فلم يعجبهم قوله، قلت لهم: فهل وقفتم على شيء من كتب العلماء والفصحاء الذين رأوها سالمة من العلل والعيوب، قالوا لم نعلم بكتاب ليس فيه رد، قلت لهم: إذا كان علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس أفصح من أبي بكر وعمر وأبو ذر أيترك قول الذي ليس بفصيح أم يؤثر ما قالوه ؟ قالوا : يؤخذ عنهم ويؤثر ؛ قلت لهم : جل من الناس من يكمل العلم معه .

فقال لي ذو الغبراء : لعلك تؤلف من الكتب مما يناسب كلام الشيخ من النثر، ثم كشفت الكتب وقلت لذي الغبراء: فإن وفقك الله في زمانك على رجل صالح للإمامة فقل له: احذر أن تريد علواً في الأرض، فالزم الخمول، وإن أعلى الله كلمتك فما أعلى إلا الحق، وإن رزقك الرفعة في قلوب الخلق فذلك إليه تعالى، والذي جعل عليك التواضع والذلة والإنكسار؛ فإنك إنما أنشأك الله من الأرض فلا تعل عليها، فإنها أمك، ومن تكبر على أمه فقد عقها، وعقوق الوالدين حرام.

وقل له يتفقد إخوانه وأعوانه ونوابه من أهل بيته إلى آخر مملكته من الحكام والولاة والعمال والجباة، ويجعل عليهم العيون، وعلى العيون عيونا، وليكن ليله ونهاره كراكب البحر الذي هو رئيس السفينة لا يغفل عنها ساعة خوف الغرق عليه وعلى أصحابه ، ولا يحسب انه في الحقيقة

في نعمة بل هو في محنة، فإنه لم يزد على الناس إلا بثقل الحمل، وحامل الثقل أتعب الناس معاشا إن درى وعرف ذلك، ولا يقع له إلا بلزوم التقوى ومخالف الهوى ومعاناة ما هو فيه بالجد والاجتهاد إلى أن يصير إلى الثرى ويرحمه الله بدخول جنة المأوى .

وقل له: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا جاء به أهل القدرة ونفاذ الأمر فيقع نفعه بلا مشقة، ويحصل نصر الدين، ودفع ضرر المفسدين، ويقطع كيد إبليس اللعين، وقيل أن الإمام والوالي والسلطان كالسوق ما نفق فيه حمل إليه، فإن نفق عنده الحق وقبله وعرف به جاءه أهل الحق وحملوه إليه من كل ناحية وجالسه وصاحبه أهل الدين من العلماء والعباد المتقين، وإن نفق عنده الباطل وقبله وعرف به جاءه أهل الباطل وحملوه إليه من كل ناحية، وصحبه أهل الباطل الضالون والجهلة الفاسقون، وكان معهم من إخوان الشياطين المتمردين.

وقل له: إن الوالي لرعيته كالوالد لولده يجب عليه في الرعاية وحسن النظر والنصيحة والشفقة على الرعية مثل ما يجب على الوالد لولده من حسن التربية وبذل الإرشاد والتعليم لما ينفعهم في دنياهم ودينهم وزجرهم وكفهم عن تعاطي سوء الأدب وملابسة المناهي في القول والفعل لأن الإمام به صلاح الدنيا والدين.

وقل له: عليك بالرحمة والإتباع، وإياك والابتداع لأن من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، فعليك بالقدرة والمتابعة والمصابة عليها، وإياك ثم إياك أن تعمل بحظك وهواك، وإياك وقبول

النمائم من العامة والقبول من بعضهم على بعض إلا بواضح شهادة الشهود العادلة، واتق الله في نفسك ينصرك بجنوده الغيبية التي لا تراها، فمن انتصر بكثرته وعبيده وهو عاص لمالكه وسيده أذله وخذله ولم يكن له من دون الله ولياً ولا نصيرا.

بعض أحكام صلاة الجمعة والشهداء والجنايات :

فقال ذو الغبراء لمن حضر مجلسه: أيها الناس إن رأيتم في زمانكم رجلاً صالحاً كما ذكرنا في أخلاقه فأدرجوه في مجالس العلماء الكرام وبايعوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بحدود الله والجهاد لأعداء الله ولإحياء سنة رسول الله ، وأقل البيعة له رجلان عالمان بعلم الولاية والبراءة ، فإن بايعاه اثنان فقد بايعوه جميع من أحب ذلك ، كان حاضراً أو كان غائباً ، لأنه قيل عن بيعة الرضوان ، وبيعة أبي بكر وعمر وجميع الأئمة المحقين ، فالمبايعون[1] لهم الحاضرون واللاحقون[2] والمتابعون إلى يوم الدين فهم داخلون في بيعتهم ولهم نياتهم وأجرهم، وعدل يوم تعدل عن عبادة ستين، ثم تلزم الإمام صلاة الجمعة في الأمصار السبعة التي مصرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والسنة فيها ثلاث خصال: الغسل ومس الطيب والبكور والإنصات في الخطبة، ولا تلزم السفار ولا النساء ولا الصبيان ولا العبيد.

والشهيد إذا أصيب في المعركة لا يغسل ويدفن في كساه وينزع خفه ، وأما إذا كان فيه رمق وحمل ومات فإنه يغسل والشهداء كثيرون ،

---

(١) في الأصل : فالبايعون .

(٢) في الأصل : والأحقون .

وأما الذي تقتله اللصوص في السبيل فهو شهيد ولكن يغسل ويصلى عليه ولو كان متقطع الأعضاء فيدفن الميت في كل الأوقات والصلاة عليه جائزة إلا إذا طلع قرن من الشمس أو غرب قرن منها وفي الحر الشديد إذا كانت الشمس في كبد السماء .

ومن رأى رجلاً يجامع دابة له، ورفع عليه فإنه يقول لحال الحد إن هذا فعل بدابتي فعلاً حرمت علي به، فإن أنكر فاليمين عليه أنه ما عليه حق من قبل ما يدعي أنه فعل بدابته فعلاً حرمت من أجله عليه ولزمه له بضمانها وثمنها، وإن رد إليه اليمين حلف الطالب لقد فعل هذا بدابتي فعلاً حرمها علي بذلك وجب عليه ثمنها.

وكذلك إن ادعت امرأة أن رجلاً اقتسرها حتى وطأها، فإنها تدعي أن هذا الرجل كابرني وغلبني على نفسي حتى وجب عليه عقري، فان أنكر ولم تكن صحة حلف ما عليه لها حق ولا صداق من قبل هذه الدعوى الذي تدعي إليه، قال: فإن رد اليمين إليها حلفت لقد غلبها على نفسها، وكان منه إليها ما وجب عليه صداقها .

وكل رجل زنى بامرأة كرهاً وهو صحيح العقل بالغ الحلم فعليه صداقها ولو كانت تطاوعه من قبل هو وغيره فعليه الصداق لها والتعزير، وأما الحدود فتدرأ في الشبهات، وعلى الإمام والحاكم النظر في ذلك، وأما أهل التهم والمنكر واللصوص إذا لم تصح شهادة عادلة عليهم فلينظر القائم بأمر المسلمين بأدبهم وبما يردعهم عن فعلهم .

وأما الذي وطيء أمة قوم طوعاً أو كرها فالبكر عليه عشر ثمنها، والثيب نصف عشر ثمنها .

وكل من أقر على نفسه بالزنا فعليه الحد إلا إذا كذّب نفسه قبل أن يقام عليه الحد، وعلى الإنسان الستر لنفسه من القاذورات ولا يجوز الإقرار بالزنا مع الزوجين، فإن أقر أحدهما ولم يكذب نفسه فلا تقيم المرأة معه ولا هو يقيم معها إن أقرت.

وأما التي زنت بأبي زوجها أو جده أو ابنه لا يحل لها المقام مع زوجها ولتهرب وتفتدي بكل شيء تقدر عليه، وليس عليها أن تعلن ما ستره الله عليها، وتعلمه فيما بينها وبينه وما وقعت فيه من البلاء فإن لم يقبل فلتهرب منه من حيث لا يراها، وهذه المسألة نقلتها من الجزء الثامن والأربعين في الباب السابع والثلاثين في المسألة الثالثة والعشرين.

شرف العقل ومنزلة العقلاء :

ومن الأثر : ينبغي للسُلطان أن يكون عقله مُوازناً لعقل جميع من يشتمله ولايته ، ويدخل في طاعته ؛ فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " لكل شيء دعامة ، ودعامة المرء عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته لربه " ؛ قال الله (عز وجل) ، حكاية عن الكافرين : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [1] .

وقال إبراهيم بن حسان شعراً :

وفـي كل أسبوع عليـك بقيـنة	ففيها أمان من شرور البلاغم
وأفضل قسم الله للمرء عقله	فليس من الأشياء شيئاً يقاربه
إذا أكمل الرَّحمَن للمرء عقل	فقد كملت أخلاقه ومآربه

---

(١) سورة الملك : ١٠ .

وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " أفضل الناس أعقل الناس " ، وكل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه إذا كثر غلا ، وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " شر ما أعطي العبد شح هالع ، وجبن خالع " ، فسبحان من دبرنا بلطف حكمته .

وقال بعض الشعراء في هذا المعنى :

جسمك قد أفنيته بالحما دهراً من البارد والحار
وكان أولى بك أن تحتمي من المعاصي حذار النار

وينبغي للإمام أن تكون أخلاقه شريفة، وهمته بعيدة، وأفعاله حسنة، ومذاهبه جميلة، وشيمته كريمة، متزيناً بالديانة والصيانة، والنسك والتواضع والعبادة، والوقار والحلم والعدل والوفاء بالعهد ورقة القلب، وسعة الصدر، والعفو والسماحة، والتغافل عمن أساء، وبسط اليد بالنوال والأفضال والجود والإنعام، وأن يجعل من أخلاقه التأني والرفق والجلالة واليسر وقلة المحاسبة والمنافسة، والبعد من الحسد، وأن يكون قلبه واسعاً، ونفسه أبية، طويل الفكر فيما يصلح الرعية، كريم الطبع، حسن السيرة، وجيد السريرة، إن قال صدق، وإن عاهد وفى، وإن وعد أنجز، وأن يكون من أخلاقه النجدة والشجاعة والعلم بتدبير الحروب، وقوانين السياسة، وهو مع ذلك مصرف الهمة إلى تقويم رعيته، وصلاح ثغورها، وكيد عدوها، وإقامة مواسمها، وأمن سبلها، والقيام بحق الله تعالى فيها، وتفقد أمور صغيرها وكبيرها، وإلزامها بإقامة فرائض الله عليها، وسُنن نبيه (صلى الله عليه وسلم) فيها .

وينبغي للإمام أن تكون له سبعة أشياء: وزير يثق به ويفضي إليه بسره، وحصن يلجأ إليه عند الحاجة، وفرس إذا فزع إليه نجا به، وسيف إذا بارز به الأقران لم ينبُ، وذخيرة خفيفة الحمل إذا نابته نائبة وجدها، وحظية إذا دخل إليها أذهبت همه، وطباخ إذا اشتهى الطعام صنع له ما يشتهيه.

وينبغي للإمام أن يتخلق بسبع قواعد أحدها حفظ الدين من تبديل فيه، والحث على العمل به في غير إهمال له، والثاني: حراسته الأمة والذب عن الرعية من عدو في دين الله، والثالث: عمارة البلدان باعتماد مصالحها وتهذيب سبلها ومسالكها، والرابع: تقدير من يتولاه من الأمناء للرعية وحفظ أموالها من غير حيف في أخذها وعطائها، والخامس: معاينة المظالم والأحكام بالتسوية بين أهلها واعتماد الإنصاف في فصلها، والسادس: إقامة الحدود في مستحقها من غير تجاوز فيها ولا تقصير عنها، والسابع: اختيار خلفائه في الأمور أن يكونوا من أهل الكفاية فيها والأمانة عليها، فإذا فعل ذلك من أفضى إليه سلطان الأمة كان مؤدياً لحق الله تعالى مستوجباً لطاعة الأمة ومناصحتهم مستوجبة لصدق محبتهم له وإيثار طاعته، فإن قصّر الإمام أو السلطان عن هذه الخلال كان بها مؤاخذا، وعليها معاقبا ، وحكي عن الرشيد حبس أبا العتاهية فكتب على حائط الباب شعراً :

أما والله إن الظلم لؤم   وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي   وعند الله تجتمع الخصوم

فأخبر الرشيد فبكى بكاءً شديداً وأحضر أبا العتاهية فاستحله

ووهب له ألف دينار وأطلقه.

اعلم أن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ، ونصبه للحق ، وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " إنما يرحم الله من عباده الرحماء " ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " إن الله أمرني بمداراة الناس ، كما أمرني بإقامة الفرائض " .

واعلم ، أن خير الإخوان ثلاثة : من يغفر الزلة ، ويقيل العثرة ، ويقبل التوبة .

وينبغي للعاقل أن يكتسب ببعض ماله الحمد، ويصون ببعضه نفسه عن المسألة .

وينبغي للإمام أن يكون ثابت الجأش شديد الرأي، طويل الفكر، شديد التحرز، حسن النظر، صادق الهمة، عارفاً بطرق الخديعة، ناصباً نفسه للحيل، مفكراً ليله نهاره في وضع مناصب الخدع والمكر، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " الحرب خدعة " ، وقال علي بن أبي طالب وقد خوفوه بكثرة من ورد عليهم من أهل الشام من العدد والعدة فقال: أبالموت تخوفونني، والله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت عليّ ، ومن أحسن الناس تشبيهاً في الحرب مسلم بن الوليد الأنصاري في قوله لابن يزيد شعراً:

يلقى المنية في أمثال عدتها	كالسيل يقذف جلموداً بجلمود
يجود بالنفس إن ضن الجواد بها	والود بالنفس أقصى غاية الجود

وقال السموأل بن عاديا :

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا ظل منا حيث مات قتيل
تسيل على حد الضباة نفوسنا وليس على غير السيوف تسيل

وقال غيره :

نجود بالنفس إن ضن الجواد بها وما بعد جود النفس للنفس من جود

وقيل من حرض رجلاً على الجهاد في سبيل الله كان له مثل أجره، وآتاه الله مثل ثواب من بلغ رسالات ربه، فإن الله عز اسمه قد تفضل على عباده برحمته، وامتن عليهم بلطفه ورحمته، وأسبغ عليهم نعمه، وأجزل لديهم قسمه، وخص قوماً بالحكمة، وغوامض الفطنة، فألقى في قلوبهم نور الاقتباس، وفضلهم على كثير من الناس، فأبصروا الحق، ونطقوا بالصدق، فأذهب الله ما في قلوبهم من الحمية والكبر، وبغّض إليهم أهل الجاهلية والكفر، صنيعاً منه إليهم، وفضلاً تفضل به عليهم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وأقاموا سبيله ودعوته، وأوضحوا براهينه وأدلته، وجاهدوا في سبيل الله، ودعوا إلى سنة نبيه وخليله، وشدخوا يافوخ الكفر والنفاق، وقصموا شوكة أهل الظلم والشقاق، بقلوب صابرة، وعيون ساهرة، ومهج نائقة، وأنفس شائقة، فأعلى الله كلمتهم، وأظهر حجتهم، ألا إن كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى والله عزيز حكيم .

ومما ينبغي لمن أراد الفضائل، وطلب الوسائل، ورغب في الفضل والجهاد، وكسر شوكة أهل الظلم والعناد، أن يخلص نفسه ونيته، ويصلح سريرته وعلانيته، ويجاهد في الله حق جهاده، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

بيت عن الإمام راشد بن سعيد :

متى يكسب المعروف من كان همه غداء يغذي أو فتاة تقاربه

أيها الناس ، إن رأيتم رجلاً وقدرتم على نصره فانصروه ، ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ، وقال الله (عز وجل) : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٥).

مدح المسلمين في حضرموت للشيخ محمد بن مجبوب :

ومن كلام الشيخ محمد بن محبوب رحمه الله من أمر سيرته إلى حضرموت:

(أعز الله كلمتكم ، وقوى دينكم ، ورد إليكم نعمتكم، وأفلح حجتكم، وأثرى أموالكم ، وكثر على الحق رجالكم، وصدق مقالكم، وشكر أعمالكم، ورضي آمالكم، ورتق الله بكم الفتوق، وأعطاكم الحقوق، وأحيا بكم سنة

---

(١) سورة التوبة : ٧٣ .

(٢) سورة الحج : ٤٠ .

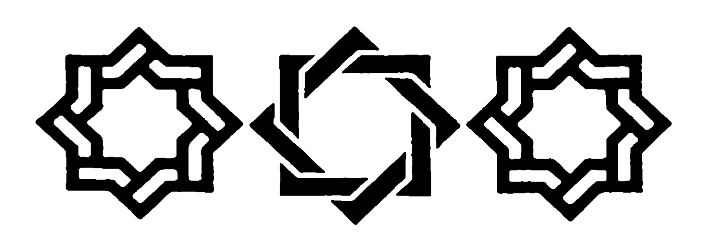
(٣) سورة آل عمران : ١٣٩ .

(٤) سورة البقرة : ٢١٤ .

(٥) سورة آل عمران : ١٧٥ .

الصادق المصدوق، وأخمد بكم ذوي الفتنة والمروق، كان الله معكم وجعلكم معه، وكان لكم وجعلكم له، ودفع الله بكم الأعداء، وداوى بكم الأدواء، ووضح بكم سبل الهدى، أدام الله ستركم، وأعز نصركم، وقوى قلوبكم، وطهر عيوبكم، ومكن بكم الإسلام، ووصل لكم الأرحام، وجلّى بكم الظلام، شد الله أزركم، ووضع وزركم .

أنار الله بكم الشرع، وأطفأ بكم البدع، وسكن الله بكم الروعات، وأذهب بكم الفزعات، وحقن الله بكم الدماء، وجل بكم العماء، ولا أراكم الله سوءا ، ولا شمت بكم عدواً، وحمد الله أمركم، ورفع قدركم، وقوى صبركم، وشكر شكركم، وأعاذكم جوار المسالك، ومحل المهالك، وأحلنا وإياكم دار السلام، ومع الحور في تلك الخيام، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما، وفعل ذلك لنا ولكم وجميع المسلمين أينما كانوا آمين آمين يا رب العالمين، ومكر الله بأعدائكم وكادهم بكيده المتين، وأتى قواعدهم من حيث لا يشعرون، وفعل ذلك بأعدائنا وأعدائكم وأعداء المسلمين حيث كانوا إن ربنا سميع قريب مجيب، نسأل الله أن يبلغنا وإياكم إلى جزيل الثواب، وحسن المآب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الـذكر الثـامـن :

في الفرح والحزن، والسلوك الحسن، ومكائد النساء، وشيء من الأدوية لكسر العظام ودواء لوجع الخادع الذي عرق بين الأذن والعين، ودواء لصمم الأذنين، ولدرح الماء في العين، ولحرق النار في الفم، ولوجع اللثة، وبخورات الفم، وأدوية لوجع الأسنان، وأدوية مما تقوي القلب، ولحسن الصوت، ومما يسمن الإنسان، ونفقة النساء، ولشرب الدواء لطرح الحمل، وأحكام لذلك، وأدوية التي تقوي الباءة، ولتضييق الرحم، ومما يعين على طرحه، مع تمام قصة المرأة التى واقعت بعلها

الفرح والحزن والسلوك الحسن :

قال الفقير لله: سألت أخي ذا الغبراء عن الفرح والغم، وما الغالب منهما؟، فرأيته وقف ساعة يفكر في الجواب مخافة الخطأ، فقال ذو الغبراء: أما الفرح والغم فلهما تفسير كثير، فإذا انتهيا إلى غايتهما قتلا بذلك صاحبهما، مثلاً إذا ولد مولود أعمى العيون ثم أراه الله الدنيا في شبابه فإنه مما يخاف عليه أن يموت من الفرح في ساعته، وكذلك الغم إن أخبر عن شيء مما كان يحبه كثيراً أنه ذاهب عليه فإنه يخاف عليه أن يموت من غمه، والفرح يحدث عقب الحزن في كل يوم، وفي كل ساعة وفي كل لحظة ما زالت الروح في الجسد، لكن منه دقيق خفي، ومنه

ظاهر بهي لا يحتاج إلى شرحه الإنسان لأن كل من فكر في شيء بعقله فإنه ينظره الفرح والحزن مقرونان، وأنا آتٍ لك بقصة أخبرني بها أحد الإخوان في الفرح والحزن والسلوك الحسن قال: هذا رجل من أعوان السلطان كان يحوط [1] على الناس في المنازل والبلدان، وكان له قدر عظيم يذكروه الناس في مجالسهم بكل لسان، ولا شك بأن الأمراء يرفعون كل إنسان لمن أراد أن يكون مسموع اللسان، وهنا تكفيك إن نظرت الخلق عن الإشارة والبيان، ثم أقبل هذا الرجل وقعد في حلقة العلماء الأبرار، فلا كلمه أحد من الأتقياء الأخيار، فاستحقر نفسه لما نظر إلى الملوك تأتي وتخضع لتلك البدور المنيرة، والشموس المضيئة، وقال في قلبه: من مشى على جرف هار فانهار به في نار جهنم.

ثم سمع قراءة العالم من الأثر، وقال الذي يذكرهم: أيها الناس إن الفتن على أبواب الجبابرة كمبارك الإبل أو كقطع الليل المظلم، فكن مجتهداً مجتنباً بهديك عند مقالك وأفعالك، أن تزلق في بعض المهالك التي يهلك بها عند الله وليس لأحد أن يرتكب معصية الله، ولا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء ظلمة، ووزراء كذبة، وعرفاء فجرة، وأمناء خونة، وقراء فسقة، يتفقهون ويتهوكون تهوك اليهود الظلمة، سيماهم سيما الأحبار، وقلوبهم قلوب الذئاب الضواري.

وكان جابر يذكر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " يحشر الظلمة وأعوانهم ومن أعانهم ببري القلم أو على ظلمهم بمدة دواة إلى النار " ، وقال الله تعالى في شيء من كتبه : إني أنا الله لا إله إلا أنا أنتقم

---

(١) أي : يمشي للنزهة .

من الظالم بالظالم ثم انتقم منهما جميعاً بعده .

مكائد النساء :

وحكي لنا عن رجل جبره الجبار إلى دلالة قرية فدله بدلالة ممن فيها مما يصنعه بها الرجل فأهلكها الجبار فهذا الدال ضامن لجميع أهل تلك القرية من الأموال والأنفس، ولا تجوز الإعانة للجبابرة، ولا يكثرهم بنفسه، ولا يجوز لأحد أن يركب على الدواب الذي جبروها لركوبهم في سيرتهم، ولا يأخذها للخدمة بأمر الجبابرة، ولا يأكل الإنسان من الطعام الذي جعل الظلمة من تحظيرهم على البلدان ليأكلوا أموال الناس وهذا من السحت، والسحت حرام إلا إن تصح معه طيبة نفسهم بذلك.

وأما الذي يأكل من الطعام الذي يخرج من بيوت الجبابرة فجائز على قول بعض المسلمين وتنزه عنه آخرون، فلما سمع الرجل هذا الكلام خشع قلبه، وسأل أهل المعرفة عن أمر دينه وما كسبه بيده وقوله وفعله لإعانة الجبابرة، فأوجبوا عليه اللزوم والإثم والقود، فلام نفسه وازورت عليه الدنيا، فأخذ حديدة ليقتل بها نفسه من اللوم، فقبضوه فقيل له: إن من قتل نفسه بحديدة أو بسم أو بسبب فمأواه جهنم وبئس المصير، ثم قال لهم: ما الرأي الذي فيه السلامة لديني ودنياي؟ فقيل له: أنت في يسر أم في عسر؟ قال لهم: في عسر .

قيل له: فالتوبة إلى الله بجميع شروطها، وأداء ما وجب عليه فيما بينه وبين الله وما بينه وبين العباد، وما عجز عن ذلك وكان مما لا يسعه إلا أداءه فيوصي به بالوجه العدل، ودين الله يسر ليس بعسر .

قال : فزال الهم من قلبه ، ودخل الفرح برحمة ربه، واجتهد في

السؤال والعبادة ومواصلة الإخوان، حتى دخل يوماً مع رجل ورآه ألّف كتباً في كيد النساء وكيد الرجال، فسمعت عن تأليفه امرأة السلطان، ودعته إلى مقامها من الحصن، فلما وصل به الداعي أمره بأكل الطعام فمد يده إلى الطعام وأخذ لقمة ورفعها في فمه فصاحت امرأة السلطان عليه وهي عارية من اللباس، فأقبلوا إليه الخدم والعسكر ليقتلوه فنادتهم من وراء حجاب وقالت لهم: مهلاً رأيته قد أساغ عظماً في حلقه فطبق وخفت عليه من الموت في بيتنا، فأمرتهم بالرجوع وقالت له: كل من الطعام فلم يطق أن يجرع اللقمة التي في حلقه ولا قدر أن يخرجها من الخوف والفزع.

ثم قالت له: هل في كتابك مثل هذه القصة التي شاهدتها؟، قال: ليس معي ولا سمعت أحداً، ثم أمرته بتمزيق كتبه التي ألفها في كيد النساء ومكرهن، وقالت له: لو عشت في الدنيا مثل نوح عليه السلام وألفت في كيد النساء لما بلغت شيئا، وشاهد بذلك كتاب الله : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [1] ، ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[2] ، فلما سمع قولها استأذنها بالخروج فرجع إليّ مسرعاً ورأيته مزق الكتب، وسألته عن خبره فقص عليّ ما جرى عليه، فهذا من أمرهن قتلته في لحظة وأحيته في لحظة ثانية.

دواء الكسر :

ثم قال: عمدت أن أسافر إلى بعض القرى فصحبت القوافل ونظرت إلى البداة كسبوا امرأة فهموا أن يفجروا بها فنادت بالاستغاثة بالله

---

(١) سورة يوسف : ٢٨ .

(٢) سورة النساء : ٧٦ .

وبالمسلمين فلزمت نفسي، وجذبت سيفي، وقصدت إليهم مسرعا، وكان لي حظ ومعرفة من عندهم بسبب رأوني في مقاربة السلطان فأكرموني بها وخلوا سبيلها، فصحبتني المرأة، وأقلنا مع الناس في انتصاف النهار تحت ظلال الأشجار، فطلعت المرأة تحني من ثمارها لقوتها فطاحت بها علية من الشجرة في بئر مغتزرة، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فعمدت إلى البئر وقبضت المرأة عن الغرق وناديت أصحاب القافلة فوصلوا عندنا مسرعين ووثبوا علينا بالحبال لإخراجها أجمعين فلما خلصتها من البئر رأيتها منكسرة الأضلاع لا تطيق أن تحمل فوق الركاب، فقلت لها: هل لك بعل؟، قالت: ليس معي رجل، فقلت لها: أنت الساعة في ضرورة، ولا يجوز لنا أن يظهر جسمك علينا، ولكن لعلك تأمري أحد الصحاب ليزوجني بك لحال ضرورتك، وحقك يكون على أقل جواز التزويج لأني لا أطيق أحمّل نفسي الدين، وهذا جائز مع المسلمين، فسمحت وأمرت لطلب سلامتها في الدين والحاجة داعية، فقعدوا على عقدة النكاح، وجمعت أضلاعها بأيدي فرددتها على ما كانت، وجعلت لها خموداً، وأخذت الأشنان ودهنت به الأضلاع وما كان من حولهما، ثم سقيتها من تراب صيبد وهو يباع مع العطارين وأصله يؤتى به من جبل صيبد من أرض الشام.

وللكسر يؤخذ المومياي ويجعله في سمن ثم يجعله على النار حتى يذوب المومياي في السمن ويشربه بعدما يفتر، ومنهم من يستعمل المومياي لأنه لطيف محلل ينفع من الأورام البلغمية والخلع والكسر والسقطة والضربة والفالج واللقوة شرباً ومزجاً، وينفع من الصداع

والشقيقة البار والصرع والدوار، ويسعط منه بماء المرزنجوش ويشرب منه قيراطاً لثقل اللسان بطبيخ الشعير الفارسي، وينفع نفث الدم من الرئة، وينفع من الخناق ووجع الحلق وزن قيراط منه بسكنجين ورب التوت وينفع لطوخ للسعال بماء العناب وماء الشعير، وقيراط منه ينفع من الخفقان بماء الكمون، وحبة منه ينفع من الفواق بطبيخ بزر الكرفس، وقيراط منه بلبن حليب ينفع من قروح المثانة، ووزن حبتين منه أو قيراط ينفع من لسع العقرب بشراب صرف أو مثلث ويجعل مثله على موضع اللسعة بسمن وهو حار يابس في الدرجة الثالثة وهو معدن في قوة الزفت.

دواء لوجع الخادع :

قال الرجل: لما نظرت محاسن المرأة ازددت سروراً بذلك فضربت الرمل من قبلها فحكم الخامس عشر بالمكائد العظيمة ثم ولدت من الأول والسابع شكلاً فخرج الشكل ممتزجاً ، ثم ولدت منه هو والشكل الخامس عشر شكلاً فخرج الشكل سعداً، فتفاءلت بالخير بعد الشدة بالأفراح، ثم رأيت بها نزل ألم في العرق الذي على الخادع[1] من أعلى الأذن إلى العين فأخذت لها الأفيون والصندلين وماء الورد وماء تمر الصبار صافي مصلول من غير مرس ومرست الفيون ثم عجنت به الصندلين وجعلته على الألم فأبرأها الله من ذلك ، ثم نزل بها صمم بسبب وجع الرأس مع سقوطها في البئر فعملت لها حلوى البيض الكاملة وصفة عملها سهم سكر البلوج وسهم صفرة البيض وسهم سمن المنقص وصفة تنقيصه في

---

(١) أي : الخد .

هذا الوصف يؤخذ جرو قرع صغير ويلخ عليه من خارجه عجين طحين الشعير، ثم يجعل في التنور بقدر نضوجه، ثم يفسخ منه العجين ويعصر ماء الجرو والقرع بأجمعه ويصفى ويصل بثوب، ثم ماء القرع ينقص به السمن فإذا ذهب الماء منه ارم عليه البيض والسكر ونصف سهم من لب اللوز المسحوق الناعم، ثم حركه بمحراك على نار خفيفة ثم اجعل عليه ماء ورد وهيل واجعله فيه حتى ينضج ومن علامة نضاجه إذا رأيته طلق قليلاً من الوعاء احدره وأنزله من ساعته في وعاء لا يشف.

قال: فلما أطعمتها هذه الحلوى رد الله إليها سمعها ولكن كثر أكلها من مرق الدجاج فنزل بعينها درح الماء.

دواء لدرح الماء في العين :

صفة: إن حدث في العين بياضاً أو غشاوة أو ماء فيؤخذ ثلاثة مثاقيل توتيان ويغلى بماء ليمون سبع مرات كلما يبس أعيد عليه ماءً آخر مما يغمره حتى يتفق له سبعة أمواه ثم يضاف إليه مثقال رصاص أسود ومرارة الغراب ومثقال راسخ ومثقال زعفران وثلاثة مثاقيل أهليليج أصفر ومثقال صبر اسقطري ووزن حبتين فلفل أبيض ووزن حبتين ملح عريشي ومثقال مر يدق الجميع بماء المثيبة دقاً ناعماً ويكتحل منه زماناً فإنه يذهب البياض من العين وينفع الدمعة ويحد البصر ويقوي جوهر العين ويكمه الماء الحادث في العين بإذن الله تعالى .

وهاك معرفة نزوله: فإنها تنحدر من الرأس رطوبة غليظة بين الطبقة العينية وبين الحجاب القرني فيجمد في وجه الحدقة فيتحجر الجليد به وبين الأبصار بالنور الخارج فيمتنع البصر ولا ينبغي علاجه في البداية

بالقدح لكن إذا استحكم، وله علامات فمنه ما يعرض لمن أصابه ذلك شبه السحاب، ومنه ما يعرض مثل البق والذباب، ومنه ما يعرض مثل الشعر، وبعضهم يرى مثل شعاع الكواكب إذا انقضت وهو إحدى عشر نوعاً فإذا رأى ذلك ولم تعمى العين إلى ستة أشهر قد يكون من يبس لا من درح الماء وأبدأ بذلك فاوسم العرقان وهما عروق في مقدم الرأس يلتقيان عليهما وهما أعلى الجبهة بقدر ثلاث أصابع فإذا أخذ الإنسان حبلاً ولزمه في رقبته ظهرت العروق أعلى الجبهة في كل قرن ومع اجتماعهما يوسمهما في ذلك المكان وسماً شافياً حتى ينقطعا، ثم للكحل يؤخذ مرارة الغراب وحل الزيت وماء المثيبة وماء البصل وسكر مصر وصمغ العتم والزعفران ثم تجمع الأدوية ويكتحل منها ويقف بعد الكحل بقدر ثلاث ساعات لأنه يجد لذع وحرقة كثيرة.

قال لنا هذا الرجل : صنعت هذا الدواء للمرأة فرجع بصرها عليها ولكن قال: منعتها عن أكل الحموضات والملوحات.

قال: وجدت في عينها عرق الظفرة وأخذت لها مرارة تيس أسود حالك وهي حارة بعد ما ذبح فأملات عينها منها فانقطع لأن هذه المرارة تقطع عرق الضفرة بدون استخدام الحديد وهذا قيل في الكتب أنه مجرب.

أدوية لأمراض الفم واللثة والأسنان :

ثم نزل بفمها حرق النار وهو شبه السلاق فأمرتها أن تغرغر بالخل مراراً .

ثم فاح من فمها بخورات منتنة وسبب ذلك رطوبة فاسدة عفنة

فأخذت لها الثوم والقرنفل وسحقتهما سحقاً ناعماً وجعلت عليهما عسل النحل وأكلته قبل الطعام ثلاثة أيام.

ولكن بعد هذا عفنت ضروسها ولثتها فأخذت موساً وجعلت أشطب به اللثة وعمور الأضراس ظاهرها وباطنها ثم أخذت حلاً وملحاً وجعلته على النار وحركته قليلاً حتى فار وأخذت حطبة وجعلت فيها قطنة وغمستها في الحل وكمدت به اللثة وعاودت إليها الدواء مرة بعد مرة حتى تبيض العمور.

قيل من ابتلى بخروج من عمور فمه دم فيأخذ الخوخ ويتسوك به فإنه يقطع الدم ويقتل الدود من الأضراس.

ولوجع الأضراس يؤكل التبعل مراراً إلى سبعة أيام فإنه يبرى.

ولوجع الأضراس الخليلقا إذا مضغت نفعت، والجوز واللوز شديد النفع، والملح مثله، والتنكار ينفع من كل الأسنان ويسكن ضربانها، ويقتل الدود الكامن فيها، والخردل جيد لوجع الضرس الكائن من البرودة والرطوبة، والفلفل مثله، والثوم طبيخه ومشويه مسكن لوجع الأسنان العارضة البرودة والرطوبة، والحبر إذا سحق في الخل ووضع في الموضع المتآكل من الضرس سكن وجعها، والحجامة أعلى الأذنين على الخادع تنفع من وجع الأسنان.

الأدوية التي تقوى القلب وتسمّن :

ووجدت أن القرنفل يقوي القلب جداً، والحبة السوداء(الشونيز) تصفي الصوت وتلينه وتحلل الرياح الباردة في المعدة وتزيل القرقرة

العارضة فيها المتولدة من الرطوبة الغليظة والأطعمة العسيرة الانهضام.

قال الرجل: رأيت في المرأة هزالاً من كثرة العلل التي عارضتها فأخذت لها أنفحة الأرنب والسمن وسقيتها فأسمنها، فرد الله قوتها فكتبت صداقها وأخذت هي أوراقها وأردت الدخول عليها فأبت وتأنت لما رأت في جسمي علائم الشيب قد ظهرت فجنتها بالملاطفة وإظهار المودة فأظهرت إلي البغض والعداوة فلا خليت لها عذر ، ودخلت عليها فرأتني ضعيف الباءة قريب الإنزال ولا قدرت على المراجعة في الجماع فقالت: ويلك أشعلت نار رحمي وألهبت شهوتي وعذبت مهجتي واستدررت غلمتي وأنقصت مهري وأبعدتني عن أهلي فقالت شعراً:

تحرك مني ساكناً وهو ساكن | وتوقظ مني نائماً وهو نائم

ثم قالت: ما أقبح صورتك وأضعف نعمتك، فقلت: الله الله يرحمك الله، ولك مني العطاء الجزيل، وأظهرت لها بمعاني الكلام كما جاء في الخبر عن عبدالله بن رواحة الأنصاري حين اتهمته امرأته بجاريته فأنكر أمرها فقالت له إن لم تكن فعلت ولا جامعت جاريتك فاقرأ القرآن فإن الجنب لا يقرأ فقال شعراً:

شهدت بأن وعد الله حق | وأن النار مثوى الكافرينا

وأن الماء تحت العرش طاف | وفوق العرش رب العالمينا

وله غيره:

وفينا رسول الله يتلو كتابه | كما انشق معروق من الصبح ساطع

في نفقة النساء :

قال: فلما سمعت كلامه، قالت: آمنت بالله وكذبت بصري، فصدقته امرأته، وأما المرأة التي معي لم تأخذ كلامي صدقا، ولم يدخل في قلبها طمعا، ثم سارت إلى المعلم وأمرته أن يكتب إلى أهلها تعريفاً خفية فجاءوا إليها عندها وأخذوها من بيتي وقصدوا بها إلى دارهم، وشكوا مني عند أمرائهم وحكامهم، فوصل معي تعريف حاكمهم أنك صل إلى أمر الشرع الشريف الذي ساوى بين القوي والضعيف، فوصلت معهم وبقلبي رجيف ولهيف، فأقبل إلي الحاكم وقال لي: لا تخف يا غرير فإن الحق غزير، فوصلت امرأتك تشكو منك التقصير من قبل صداقها قد قلت لها في سقمها بأنك فقير فسمحت لك لحال الإضرار، والآن أولياؤها بمحضرنا ويفصلوا صداقها على صداق عماتها إن قدرت وإلا فخلي سبيلها، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، قال: فأخبرته بعذري وفقري، فقال الحاكم: أما التزويج فهو ثابت، ولكن لا بد من الصداق النفقة لازمة عليك، قال: فباع الرجل سيفه وأعطاه الحاكم ثمنه، وفرض لها الحاكم فريضة لشهر ، وأمرها الحاكم أن ترجع لبلدي وبيتي، فقالت: ليس أحد في بلده ينصف بيننا في الشهر المقبل، قال له الحاكم: إن عجزت عن نفقتها في الشهر المقبل فهي طالق من رقبتك، قال: نعم إن لم ترض هي علي في الشهر المقبل فهي طالق، ثم قصدت المرأة إلى بيت أوليائها.

عقوبة الإجهاض وأدوية لطرح الحمل :

ثم جاء رجل مع الحاكم وشكى من زوجته بأنها شربت دواء وهي

حبلى فطرحت ما في بطنها فلا شيء عليها في ذلك، وإن شربت دواء ليس بمعروف مع الناس فعليها الدية والخطأ على عاقلتها، وكذلك إن سقت ابنها دواء فعلى هذا أيضا، وإن شربت دواء تريد طرح ولدها فالدية عليها، وإذا كان ذلك الدواء مما يعرف أنه للشفاء فهو على العاقلة، وإن كان مما لايعرف وأرادت بذلك طرح ولدها فهو عليها في مالها دون العاقلة، وإن شربت دواءً لا يعرف إلا أنها إنما أرادت الشفاء وهي لا تعلم أنها حامل فألقت فلا شيء عليها، وإن كانت شربت دواءً لا يعرف تريد بذلك الشفاء فألقت فهو خطأ على عاقلتها إذا كانت قد علمت بحملها، وإن صحت الدية وكان حياً ثم مات فديته لورثته ولا شيء لها معه، وإن خرج ميتاً فغرة عبد أو أمة، وهذا مني فتوى لا حكم؛ لأنه لا صح عندي من الشهود بمعرفة الدواء ولا صحت معي شهادة صحيحة مما ألقته المرأة من الحمل.

قال الرجل: لما سمعت هذا الكلام قلت له: أيها الحاكم من أين هذه المسائل حفظتها؟، قال: من بيان الشرع تجدها فاطلبها.

قلت له: وما الأدوية التي تلقي به المرأة حملها؟، قال: الأدوية كثيرة أولها الريحان إن تحملت به المرأة ورقه مسحوقاً قتل الأجنة وأدر الدم، وكذلك سلخ الحية إن بخر به المرأة مات ولدها وأخرج سريعاً، وإن شربت المرأة وزن درهمين زعفراناً خالصاً من الغش ولدت من ساعتها ولكن الزعفران لا يستعمل لها إلا مع الإياس منها، والمرأة إذا شربت منه وزن قيراطين قتل الديدان من البطن، ويسقط الجنين، ويلين فم الرحم المندمل ويفتح السدد، وإذا احتملته المرأة مع عصارة الشذاب أدر الطمث

وأخرج الجنين بسرعة.

وإذا سحق المر وعجن بماء الآس واحتملته المرأة التي يفوح من فرجها رائحة نتنة زال عنها، وإذا أذيب المر في خل خمر وقطر في الأذن نقاها ونفع من الضربان فيها ونفع من سددها، وإذا عجن المر بزيت قلسطين وطلى به إبهام الرجل اليمنى فإنه يجامع ما شاء مادام ذلك على إبهامه.

وإذا طبخ ماء الجزر مع العسل وأكل منه ثوّر شهوة عظيمة وزاد في المني وقوى الظهر، والجزر المشوي له منفعة في الباه كثيرة، وكذلك إن سحق حب الخردل وديف بالدهن وطلي به الإحليل ونواحيه هيج الباه.

ثم رأيته نهض من مجلس الحاكم فبقيت أنا حيراناً وقلت في نفسي إن هذه البلدة لا تخلو من الأجواد لما سمعت هذا الكلام يفوح من الحاكم فكم من مستمع من قوله ولذيذ خطابه يفرح به كرب الغريب المهموم والله تعالى لا يخيب أعمال العباد في الدنيا ولا في الآخرة وكيف محنتي في هذه المرأة وجعلته لله ولستر الجسم عن العنت.

ثم سمعوا عني سكان البلد بوصولي إلى الحاكم وإحساني إلى المرأة إلا أنهم قصروا في حالي لما رأوني خالية يدي من الأموال، وجسمي به الضعف والهزال، فقلت لمن حضر: أيها الناس ما الرأي في الاشتغال بالقوت الحلال حتى أنفق به على العيال، وأحيي به جسمي عن مسألة الرجال، فلا صح منهم جواب، ورأيتهم يتغامزوا بعيونهم وولوا عني بوجوههم، وبقيت وحيداً لا يكلمني منهم مكلم، ولا أطعموني بطعم، فذكرت من قول الشاعر هذين البيتين :

ألا ذهب التكرم والوفاء ... وباد رجاله وبقى الغثاء
وأسلمني الزمان إلى أناس ... كأمثال الذئاب لها عواء

الأدوية التي تقوي الجنس :

فقمت أكرر اسم الجلال حتى وصل معي إنسان وسلم عليّ، فأجبته برد السلام، قلت له: كيف اسمك يا غلام؟، قال: ربيع، وقد دعتك امرأة عفيفة لتصحبني إلى بيتها فكن ربيعا ياغرير لربيع، فقلت له: اقصد بنا ياربيع، قد جئت في شهر ربيع، وفي فصل الربيع، فعسى أن يكون الفرج قريباً سريعاً، من هذا الحمل الفشيع [1]، ثم نظرت المرأة التي دعتني في أحسن البقيع، وأنزلتني في منزل شريف رفيع، وقالت: لا تخف فإنه يصل إليك الشفيع والنفيع، ولكن يحتاج بلوغ المطلوب إلى ثلاثة أسابيع، حتى أبرهن لك العاصي والمطيع، بقدرة العليم السميع.

ثم قال لي: هل عندك شيء من الخيل؟، قلت لها: لأي شيء أردتِ؟ قالت: لأسوكه بالماء وأجعل فيه العسل وحب البر يوماً وليلة، ثم ألقيه لطير العصافير، ثم أجعلها على أبواب نحل الزنابير ومن بعد هذا اجعل عليها الأبازير، والهيل والمسامير[2].

قلت لها: فما الحيلة في قبضها؟ فقالت: مهما أكلته غشي عليها وبأيدي أقبضها، ثم أسقيها اللبن والسمن حتى تفيق من غشيتها لأذبحها، فإن أكلت منها فإنك تجد في نفسك ريحها، قلت لها: هذا معدوم الساعة عليّ فقالت: أنفع من ذلك الزرنيخ الأصفر إذا سحق وطبخ به حب البر

---

(١) أي : الثقيل .
(٢) هو أحد البهارات ، وهو القرنفل .

إلى أن يتفرغ وينضج الحب ثم ابذره للطير فكل طير أكل منه حبة لم يقدر يطير أبدا وتأخذه باليد، وإن أخذ عدساً واطبخه بزرنيخ ونورة فإذا أكله الطير لم يقدر يطير فقال لها لم أجد الزرنيخ في البلد فقالت: لا بأس الأدوية أجناس في القياس .

قال : فرأيتها أخذت من دقيق البر وجعلته في خل الخمرة ثم ألقته تحت أشجار السدر فأكلته طيور الغبر، وقت صلاة الظهر لأن المرأة بها حيض عن الطهر، وقالت: عند ذبحها للطير باسم الله أحمد وأشكر، ثم ألقتها هي والأبازير في القدر لا في أوعية الصفر، وجعلت تقليهن بنار خفيفة قليلة اللهب كثيرة الجمر، ثم جعلت فيهن حليب البقر والأرز المفلفل، وأتت بالعشاء قبل صلاة العشاء، ونهتني عن شرب الماء بعد أكل الدواء، ثم أقبلت إلي بالغداء من الأخباز المخمورة من الحنطة المجردة من القش النقية مع حلوى العسلية وأعطتني عن الماء اللبن الخالص السايغ مع السكر الأبيض المصفى، فقلت: اللهم صل على محمد النبي المصطفى، فهذا الدواء الذي يخصب البدن، وتحبه الأنفس.

فقلت : الحمد لله ، إن اليوم أفضل من الأمس ، فلما أكلت الطعام سرت قوته إلى الجوارح بالحس ؛ فقلت للمرأة : أحب أن تكون زوجتي بقربي للمس ؛ ثم قلت : بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ {١} مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ {٢} وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ {٣} وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ {٤} وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (١) ، قالت المرأة : يا غريب ، اقرأ : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ ، إلى آخرها ، لأن الله يقول : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا {٥} إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا {٦} فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ {٧} وَإِلَى رَبِّكَ

---

(١) سورة الفلق : ١ ـ ٥ .

فارْغَبْ ﴾ [1] .

فارغب إلى مولاك بالدعاء والتضرع، وقال ربك : ﴿ ادْعُونِي أسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [2] ، فقمت أدعو الله تعالى بآياته وأسمائه ثم قصدت صاحبة البيت مع زوجتي بخفية، فلما وصلت معها في بيت أهلها سلمت عليها وقالت لها: إن لي بك حاجة خفيفة جائزة شرعية، فأعجبها قولها، وجاءت بها إلى بيتها، فلما رأتني قالت لها: هذا بعلك قد أصلح الله حاله، واستعدي إلى سؤاله ومباشرته في مباله فإن لك الفائدة والفوز لك بالسعادة، وقد نجاك من الظلمة في السيوح المقطعة، ومن كل أذية وبلية، والمشيم يعرف صاحبه ومحبه في السقم والشدة لا في الرخاء والصحة وقولي : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {١} مَلِكِ النَّاسِ {٢} إلَـهِ النَّاسِ {٣} مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ {٤} الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {٥} مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [3].

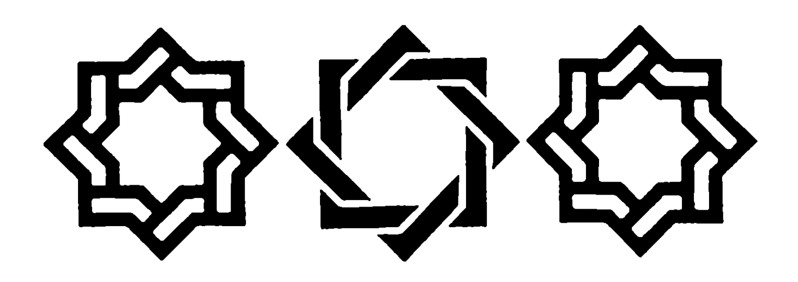
ولا تسمعي إلى قول الوشاة ، وخلي عنك الطمع والعز والجاه، والبسي لباسك، واستعدي لبعلك، والآن له قوة في جماعك، فراغ قلبها، ولا صح منها لامتثالها، ولا سمعت الخطاب، ولا ردت عليها بالجواب، كأن في آذانها وقرا، ثم فتحت الباب فقالت صاحبة البيت: لا مخرج لك إلا بمعزل الرقاب، وسدلت الحجاب عليهما، قال الرجل: فأقبلت إلى زوجتي طالباً الأجر والثواب ، ونهضت عليها كقهرة الأسد الوثاب، وقلت لها: بحق من أنزل الكتاب، وسخر السحاب وذلل الصعاب إن لم تكوني من

(١) سورة الشرح : ٥ – ٨ .
(٢) سورة غافر : ٦٠ .
(٣) سورة الناس : ١ ـ ٦ .

ذوي الألباب وإلا لتجدي أشد العذاب.

ثم قالت له: اصنع ما شئت ، فاتفق لها مرادها وأصبحت بعد الطهر متعطرة وإلى وجهي بالفرح مستبشرة كالأرض من الغيث أصبحت مخضرة، قال: فولتني نفسها ومالها ونكثت على أهلها وأمرتني بالرحيل عن وجوه أوليائها، ورأيتها في كل يوم كأنها بكر في جماعها إلا أني رأيتها تأخذ قطناً وتغمسه في مرارة الثور وتحملت به ثم بعدها أخذت مرارة تيس من الظباء وطلت به فرجها فحملت بولد ذكر فقالت: هذه المرائر كلها من أخذ منها ودهن بها إحليله وما حوله صلّبه وشده وقوّاه.

قال الرجل: فرجعنا إلى دارنا وموطننا مسرورين، وأقمنا في عبادة ربنا آمنين ومؤتلفين، وقلنا الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين وتابع التابعين من أول يوم إلى يوم الدين، آمين.



الذكر التاسع :

فيه شيء من أخبار الجهلاء، وشيء من أخبار العقلاء، وشيء من الأدوية للجراح وللضرب

من أخبار الجهلاء :

قال ذو الغبراء : جلست يوماً أفكر في أحوال الزمان، إذ أقبل عندي رجل كهل من الإخوان، سلّم عليّ باللسان، فرأيته مظلم الوجه نحيل الجسم، ويكلمني بعبرة، وأخبرني بقصة عن أمرائهم وظلمهم لرعيتهم، فقلت له: أخبرني عن أغنيائكم يسلمون زكاتهم لفقرائهم أم لا؟.

فقال: ما صح معي خبر لأدلك، قلت له: وفقراؤكم هل صبروا على فقرهم؟، قال: هم تركوا عبادة ربهم، قلت له: ونساؤكم هل فيهن الحياء؟، قال: يظهر منهن الشقاء والبلاء، وسأخبرك بقصة من إحدى خصالهن فيما ظهر إليّ من امرأة رجعت نفسها وتابت إلى مولاها وسألت المسلمين عن أمر دينها، وبما وقع عليها في قوة شبابها فذكرت لهم أنها أوطأت نفسها رجلاً، وقد تزوج بها ابنه ونسلت منه فأمروها المسلمون أن تستر فعلها عن الخلق وتخبر الرجل بنكاح أبيه إليها، وأنها حرام عليه لاتحل له، وأن تفتدي بحقها منه، وإن لم يقبل وإلا تفتدي بجميع مالها إن قبل منها، وإن لم يقبل وإلا فتمنعه نفسها، وإن لم يمتنع منها وإلا فتهرب عن بيته، ولا يجوز لها قتله لأن السبب منها للفساد.

ثم امتثلت المرأة إلى قول المسلمين، وأخبرت بعلها وسلمت إليه ما ساقه لها، وخرجت من بيته، فسأله والده عن قصتها فأخبره أنه

صحيح أمرها، ثم أخبرت بهذه الأمور كل نسوة رجلها بعلة مما يخرجها عن زوجها، وقالت النساء: لا نعلم بنسوة حلال لزوجها، ولو أخبرت بنفسها وعيوبها، فوصل الخبر مع أميرهم بقول النساء فغضب الأمير على الرجل والمرأة التي خرجت بالحرمة عن زوجها وراجع بينهما على الفساد، وأقاما على فسادهما حتى مات أحدهما فورث الحي من الميت.

وأما الرجال فأخبرك بقصة أحدهم الذي هو في ظاهر الأمر من أهل العقل، رأى في منامه كأنه جالس في يوم القيامة، وأعطي كتابه بشماله فقرأه، فلم يجد فيه حسنة مقبولة، فغلغل بالسلاسل وسحبوه الزبانية إلى جهنم، فرموه في قعرها، فنهض من نومه مرعوباً، وتاب إلى الله تعالى، وأقر بأن جميع ما عنده من الأموال هي حرام.

وسبب ذلك رشاه إياه رجل لينكحه، ثم تزوج معه ابنته فنمّى المال والأولاد، وعمّر البيوت والمساجد، وأقام المدارس، وأكرم الضيف وابن السبيل، ثم سأل العلماء عن أمر دينه، فأوجبوا عليه رد ما أخذه وما نمّى، والمرأة التي هي ابنة المنكوح هي حرام عليه لا تحل له، فقصد التائب إلى المتهم ليعطيه المال، فقال له: طب نفساً، وقر عيناً، والمال هو حلال لك، لا تسمع قول البلساء، ورؤياك هي أضغاث أحلام، ولا تخرج زوجتك من بيتك، ولا تيتم أولادك، ثم ضحك التائب، ومد الرجل يده إلى إحليل التائب فتحرك وفعل به كما يفعل به سابقاً، وأقام على جهله، وقيامه لضيفه، وعبادة ربه في مسجده.

ثم أرسل الله إلى تلك البلدة سيلاً شديداً فمات من مات، وبقي من بقي، وبعد ذلك جاء إلى تلك القرية أمير ظالم غشوم فأخذ الرجل وسجنه

وأخذ أمواله ومات في السجن وبكوا أصحابه ورثوه الشعراء بالنظم، فقال رجل: أما علمتم بقصة الرجل الذي أخبركم برؤياه وتاب إلى مولاه ثم كفر بعد ذلك بنعمة الله ، أوما سمعتم قول الله تعالى قال : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ {١٨٢} وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (١).

فقلت له : وبلدكم فيها اختلاف أم أمرهم شورى؟ قال : فيها الاضطلاف، ولا يرجى منهم ائتلاف، لأن الكبراء فيها تركوا الصلاة والصيام والأمر والنهي وعملوا بالهوى والخنا والفحشاء والمنكر وصنعوا أصوات المزمار في الأموال والقصور وتركوا عمارة المساجد فانهدمت وبعض منها سكنت وجعل فيها الدروس والأكانيف، وسلط الله أميراً أسوداً أفطس الأنف تاركاً الفرائض جامعاً لنفسه الغلمان قد أخذ نساء الرجال بعمل المسكرات، متمسكاً بشيء من مذاهب القوم فد حاز جميع أموال الموقوف فخلطها فذهبت صحتها على المسلمين.

وسألت عن هذه المسألة الشيخ عامر بن علي، قلت له: إن ذهب هذا الظالم وصار الأمر في أيدي المسلمين أيجوز هدم ما زادوه في المساجد؟ قال: يهدم وتترك على ما كانت، قلت له: وما الرأي في أموالهم إذا اشتركت ولم يقدر أحد على صحتها؟، قال: هي مثل الأموال المستهلكة والأمانات التي ذهبت عنها العلائم، والأموال التي لا يعرف لها رب وكذلك كسير البحر إن ذهبت العلائم عن أموالهم وذهب من ذهب من الناس فجميع ما ذكرته قد جرى فيه الاختلاف بين المسلمين والمعمول به عند أصحابنا من أقاويلهم إذا عدم الإمام في دارهم فللمسلمين أن يجعلوها في

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٢ - ١٨٣ .

يد رجل من ثقاتهم ثم يفرقه على فقراء المسلمين، واللقطة الكثيرة بعد الإياس من معرفة صاحبها مثل ذلك وإن كان رجل من الفقراء في يده شيء مما ذكرناه واحتاج وأخذ منها لنفسه وعياله فلا يضيق عليه وإن أحد دفعها لأحد من المسلمين وأخبره بحاجته ليعطيه فهذا قول حسن إن رده إليه مما استحقه بسبب فقره .

رجعنا إلى تمام القصة، قلت له: أليس ترجون من أحد ليصرف عنكم البلاء؟، قال: كل من أراد أن يعمل عملاً لم يتفق له وذهبت أمواله وخربت مساكنه، قلت له: لعل أعمالهم كمثل أعمال الرجل الذي يعمل كما يعملوا الناس بلا علم فما تم له عمل من أعماله في طول زمانه لأنه يعمل برأيه وقياسه وقد عمل سفينة في البر بعيدة عن البحر ونشل إليها شراعها فهبت الريح فلم تزعزعها فجبر الناس ليدرجوها إلى مسلك السيل في الوادي ليحملها فأنزل الله القطر وسالت الأودية فحملت السفينة وتكسرت، انظر إلى هذا الرجل ضرته أعماله وذهبت أمواله ولا يقع أحد بعمله من بعده، قلت له: وهل صاحبت أحد في زمانك من العقلاء؟.

قال: رأيت أناساً يذكرون الله تعالى بالليل والنهار ويقومون بالليل فمنهم علماء ومنهم أتقياء ومنهم بدلاء قد تركوا الشهوات واللذات، يصومون النهار ويقومون بالليل يرجون من ربهم رحمته ويخافون من نقمته، يملكون النفس بزمامها بتركهم النعم فعمدوا على العزلة والصوم، وقد حكي لنا عن رجل معه أموال وأولاد وعيال، فتزينت له الدنيا فأراد أن يفرقها فنهض عليه إخوانه وأعوانه مرادهم الوقوف على حاله، وأن يلتقف عنهم كل نائبة بمالهم وحالهم.

فأجابهم: أما قولكم هذا فهو من الصلاح في ظاهر الأمور وفي الباطن له تأثير في الأنفس بالعداوة والبغضاء وفيه مما يدل على هلاك المرء بذهاب دينه ودنياه ولكن اتركوا سبيلي فإن فيه السلامة لي ولكم، فلا يدخل في قلبكم الجفا فهذه هي الصفاوة بين الأحباء والمجاورة والمداخلة للشيطان فيها مسالك لمن طلب أهوية النفوس وقد هلك كثير من الخلق بسبب المجاورة والمصاحبة، وقد وقف هذا الرجل عن الحلال خوف المعاصي والشبهة.

وإن أخذ الإنسان بالمشتبه أخاف عليه أن يقع في المحرمات من الدماء والفروج والأموال، ولا يجوز لأحدٍ أن يأخذ من أموال الناس إلا عند الضرورة مع الدينونة لصاحبها وأما بالذي صحت فيه الإباحة لبعضهم بعضا فجائز لمن دعته الحاجة إلى ذلك، وكذلك في اللقطة الخفيفة مثل الثمرة والأنباة وحبة اللومي والعصي وأشباه ذلك إن رآه الإنسان في الطريق أو حملته الأودية والأنهار فكل ما ذكرناه للفقير جائز أخذه.

وأما الغني فيجوز له ما صحت الإباحة بينهم وكل ما كان يشري [1] في العين فلا يجوز تركه في الطرق ولا في المساجد ولا في الآبار والأنهار، والذي يقع منه الضرر للمسلمين كالدواب والطير والروائح المنتنة فعلى صاحبها حفظها وأن يستر رائحتها، وكل من صنع شيئاً في ماله أو في بيته أو كان مباحاً له وكان جائزاً ذلك العمل وعارضه معارض في صنعته فعلى المسلمين واجب أن يردعوا المعارض الصانع، وإن لم يقدروا على ردعه وتعرض أحد للصانع الجائر في ماله ولم يرتدع بشئ

---

(١) أي : يقذي .

وحارب فجائز محاربته إلى أن يرجع إلى الحق أو يموت حارباً، ولا على الفاعل حد، ولا قود وإن أعانه أحد على اعتدائه وأصر على معونته فهو من الهالكين، والواجب على الإنسان أن يحاسب نفسه في كل يوم وفي كل ساعة لطلب السلامة في الدنيا والآخرة.

من أخبار العقلاء :

وقد حكي لنا عن رجل عنده امرأة ذات حسن وجمال فخرج الرجل إلى السوق في بيعه وشرائه ثم خنس الرجل إلى بيته فرأى خادمه يجامع امرأة مولاه وهو مولاه، فقبض الرجل عبده قبضة شديدة وخوفه القتل إن تكلم مع أحدٍ بفعله للمرأة، وقال له: كن في المال والبيت على ما سبق من الإحسان ولك الإحسان التام، ثم أقبل الرجل إلى المرأة وقال لها: قد وقعت الحرمة بالنظر بيني وبينك والسبب أصله منك.

فقالت له: طب نفساً وقر عيناً فإن جميع مالك الذي سقته إليّ فهو مرجوع إليك بحضرة أوليائي، فسارا إلى زيارة أهلها فلما وصلا وأقاما حق الزيارة ثلاثة أيام أراد الرجل الرجوع وأبت المرأة عن صحبته وافتدت منه بمحضر وليها، فمسألتهم في الإرث لا ميراث بينهما، فرجع الرجل إلى داره وأخبر جيرانه بطلاق زوجته وفديتها منه، وكان له جار موسر فجعل الجار ينتظر الخلاص المرأة، فلما علم بخلاصها قصد وليها فوصل الولي يستشيرها فأمرتهم أن يزوجوها به فعقدوا عليه عقدة النكاح، ونقلها من دارها إلى بيته فدخل عليها وأقبلت إليه بالإحسان فقال لها الرجل: إن مطلقك فيه غيرة لنا، فقالت له: إن أردت نقمة له في الحالين اشتر من عنده الخادم المحسن إليّ في السابق فقصد زوجها

المطلق وسأله عن بيع الخادم فقال له: إن فيه عيوباً كثيرة، قال: لا بأس، ما ثمن الخادم؟.

فأخذه من عنده بالثمن الكثير ونقله إلى بيته ومكث أياماً وأراد الزوج أن يسافر فخرج للسفر، ثم بدت له حاجة في بيته فرجع فوجد الخادم فوق المرأة متجردين ، ولكنه لما نظر الاهتزار نسف برمحه إليهما فجرح الخادم وقتل المرأة فجاءوا أهل المرأة وشكوا من الزوج مع الأمير، فالأمير أمر بصلبه وضربه فأخذوه الخدم وصلبوا عليه وجلدوه فعرض عليه جاره المطلق المرأة أولاً، وتبسم ضاحكاً فقال الذي في الصلاب شعراً:

أمور تضحك السفهاء منها ... ويبكي من عواقبها الحليم

فأجابه على شعره:

أمور لم يدبرها مدبر ... وإلا صار صاحبها نديماً

فعمد المطلق عند الملك وقال له: خذ منه الحق ولا تزد فوق ذلك، فامتثل الأمير وأفلته من الصلاب، فعمد الرجل المطلق إلى مداواة الجار بحق الجيرة فأخذ موساً وشرط به في جنب المضروب حتى خرج منه الدم ثم جعل عليه بنت الذهب المدقوقة فذرها على شطور الموسى وشرى له شيئاً من الغنم وذبحها وسلخ جلدها وألبسه إياه رطباً، ولبث في السجن وباع ماله وسلّم الدية والصداق ولو أنه نظر إلى الجماع لما ألزموه الدية ولا الصداق، فانظر الفرق بين ذلك، ثم رجع المطلق مع الخادم فوجده نبيحاً، فسأل الطبيب عن الدواء له فأجابه من قول ابن هاشم شعراً :

وأما جروح الجسم فاقطع لدمها بأوراق جوز بعدما كان أغبلا
فإن لم تجد فالشب والعفص مثله ومن ثمر الطرفا إذا كان قد سلا
وبالسمن كمّده وبالصقل بعده وبالنار حذره فإن هو انجلا
وإلا فخذ سمناً وشحماً تذيبه بدهن سليط ثم ضعه إذا علا
ومن ذرة فأعط له طيراً مرققا وسمناً ولحم كبشٍ إن صار محولا
وكل غليظات وكل حوامض وكل حريقات فجنبه مسحلا

فشرى المطلق الدواء وقصد به مع الخادم فوجده ميتاً، وهذا الرجل العاقل الذي أحسن التدبير تزوج امرأة أخرى فآذته بلسانها فصبر عليها حتى رفعها الله، ثم تزوج الثالثة فرأى من الإحسان منها على ما تهوى النفس، فولدت له ذكوراً وعافاهم الله من البلاء، فنمت له الأموال وكثر الخير معه بسبب صبره.

والمرأة عورة وعلى الرجل سترها ولا يكشف لها عيوبها، قد أخذها بكلمة ويخرجها بكلمة! فكيف يخصم أولياءها بإظهار عيوبها حتى يلبس أولياءها العار.

ومن خصال العاقل كل من وصل عنده أحد ومراده الصلاح أعطاه مطلوبه، فولى عنه شاكرا.

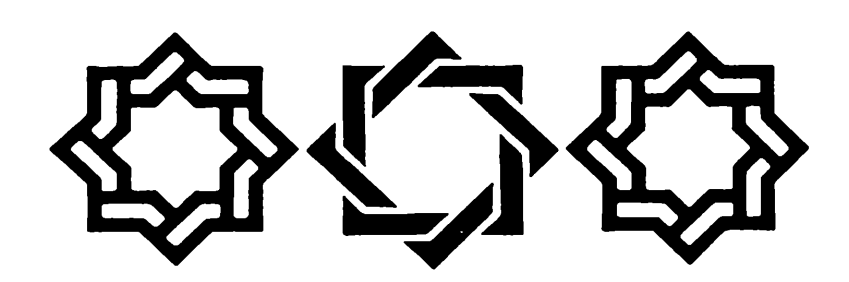
ومن سيرة العاقل يعطي الناس ولا يسأل هو الخلق، ويدين المسلمين ولا يعمد هو إلى الدين، أعني في الأموال والدموم هو يعفي من ذلك كما قال ربنا : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (١) ، ويصلح بين الخصمين ولا يخاصم هو أحداً فكلما بلاه أحد بشئ أعطاه إرادته ويتعلم

---

(١) سورة الشورى : ٤٠ .

ولا يحب أن يكون مفتياً ويصمت ولا يتكلم مع المتحدثين إلا إذا دعاه أحد أجابه بمهلة لا بعجلة، يصرف أمور المخادع من قبل أن يخدعه، ينظر بعقله لا بعينه من كثرة قياسه ويشاور في أكثر أموره ومهما رأى الصواب عمل به.

وقد حكي لنا عن أمير قوم ظهرت له عداوة وفتنة من خصمه فأرسل إليهم بالألفة والصلح عن زيادة الفتن فما زادهم قوله إلا نفورا، فجيّش إليهم وسأل المتبصرين بالحساب فأخبروه بسعده ونحوس خصمه فثوّر على خصمه وخشى [1] أموالهم وقتل رجالهم فاستكانوا له، وسلّمه الله هو وأصحابه والسلام .



(١) أي : قطع ؛ وتطلق على النخيل خاصة .

الـذكـر العـاشـر :

فيه ذكر العالم المتعنت الذي أسكره حب الدنيا ، وفيه سبع مسائل للنصارى قد سألوا الشيخ العالم ناصر بن أبي نبهان فأجابهم فيها المسألة الأولى عن أهل عُمان كلهم إباضيون أم لا ؟ والثانية في المولود، والثالثة عن القهوة، والرابعة الفرق التي تقاربنا، والخامسة في الدين، والسادسة عن هاروت وماروت، والسابعة عن الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وفي الغائب والمفقود ، وفي الوضوء والتيمم للصلاة ، وفي طلاق الصبية ومعرفة بلوغها ، وفي الحكم ، وفي ذكر طاعن الصحابة والرد عليه ، وفيه رسالة الشيخ أبي نبهان ، وجوابات من المسلمين

العَالِم المُتعنت الذي أسكره حُب الدُّنيا :

قال ذو الغبراء: ابتلاني رجل بالاحتجاج، وهو قاعد بين الصفا والمروة لمعارضة الحجاج، وجامع الكتب من كل فج كالأمواج، حتى يغالب بها من كان في قلبه ارتجاج، فقبضني بين العلمين في الهرولة بالليل الداجي، مع ضوء السراج، فسألني عن اسمي ووطني وعشيرتي ومذهبي، قلت له: لا جدال ولا رفث للحاج، فقال: أما تسمع عني بأني ملأت نحري علماً وفهما، وخضعت إليّ الخلق طوعاً وكرها، وساقوا إلي من كنوزهم فصوصاً وذهبا، فقلت له: لعل مثلك الذي قال فيه الشاعر،

قال، فما قال؟ قلت له: قال:

لا يغرك من المرء قميص رقعه وإزار فوق عظم الساق رفعه
أعطه الدرهم والدينار وانظر فيه ورعه

قلت له: دعني عنك، قال: سمعت عنك أنك ألفت كلاما، وفيه تذكر كواعباً وأترابا، وحدائق وأعنابا، وشرعاً وشعراً وفلكاً وطبا، وحديثا فيه زور وكذب، أما خفت أغلالاً ونارا جزاءً لك حقبا، لكن لو فكر قلبك، وسألت نفسك عن دينك ممن كان أفقه منك، ونظرت إلى كتبهم المصنفة لشهدت على نفسك بالعجز، ولا سوّلت لك نفسك تأليف حرف واحد، فقلت له: أنا نسخته لنفسي من قلة حفظي، وأخذته عن أئمة مذهبي، وجعلته لحاجتي، لمرضاة ربي، لا أباهي الناس بعلمي.

فقال: اسمع الكلام، أنا أعلم منك بالحلال والحرام، وبعلم الفرائض والأديان والأحكام، وبعلم النحو واللغة والصرف والبديع والمنطق والمعاني وأشعار الإسلام، وأنا به أنبيك، وخذ من علمي ما يكفيك، قلت له: اشتبه عليّ أمرك، ولا يجوز لي أن أرفع من علمك لأنك دخلت نفسك في طمع الدنيا، ولا ذخرت منه للآخرة شيئا.

فقال لي: أنا حرمي ونسبي قرشي ومذهبي إباضي حقيقي، قلت له: لا ينفع المذهب لمن ارتكب الذنب إلا بالإقلاع والرجوع إلى الله سراً وعلانية، وكل من تاب إلى الله من جميع الفرق فيرجى له رحمة ربه، وكل من خالف كتاب الله وسنة رسوله، وأصرّ على الصغائر وارتكب الكبائر فهو من الهالكين، قال العلماء: والموحدون هم سالمون،

والمشركون هم الهالكون، وكل سائل ومجتهد فهو مصيب، قلت له: حاشا وكلا، فأبلغ منك في العلم والفهم، ولم ينفعهم علمهم ولا اجتهادهم في السؤال وهم النصارى، حتى لم يبق علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب إلا وتفننوا فيه، ولا أعلم مذهب من مذاهب الإسلام إلا وتطفلوا عليه، ومن ذلك سؤالهم للشيخ ناصر بن أبي نبهان كما ترى:

المسائل التي سُئل عنها الشيخ ناصر بن أبي نبهان :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي خلق الملائكة لمحض السعادة ، وخلق الجن والإنس والشياطين للابتلاء والعبادة ، وخلق سائر الأشياء للدلالة والشهادة ، والصلاة والسلام على من له على جميع الكائنات بفضله مُطلق السيادة ، وعلى إله وأصحابه السادة القادة ، أما بعد :

فقد وصلني كتابك أيها الولد الكري ، وذكرت فيه أنك تريد جواباً لمسائل يسألونك عنها النصارى، وأرادوا جوابهن من أصحابك،

فالمسألة الأولى : عن أهل عُمان كلهم إباضيون أم لا ؟، وما السبب في وجود غير الإباضيين فيها إن كانوا غير إباضيين كلهم ؟ ، وكم فرقة من المذاهب في عمان؟، وأين وجود المذهب الإباضي من مواضع إقليم الإسلام؟، وهل إباضية أهل عمان أو غيرهم هم فرقة واحدة أم لا ؟.

والمسألة الثانية : إذا ولد لنا مولود أو مات منا أحد ما المأمور أن يعمل به أو فيه أو لأجله ؟ .

والمسألة الثالثة : عن القهوة هي حرام عندنا أم لا ؟ .

والمسألة الرابعة : أي فرقة تقاربنا ؟ .

والمسألة الخامسة : بأي شيء تخالفنا من أمر الدين ؟ .

والمسألة السادسة : عن هاروت وماروت ؟ .

والسسألة السابعة : عن معنى الآية في الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ؟ .

وهاك عني إن شاء الله الجواب، والله الموضح للصواب في ألباب أولي الألباب، ولمثلهم يحسن الخطاب، لقوة فهمهم وصحة عقولهم، ووفاء فكرهم المخترق بخرق العادات كل حجاب، فيرون بميزان التمييز الأعدل والأصح من الأقاويل والأرجح والأفضل من غير شك وارتياب، جواباً يتضح للناظرين نوره، ويشرق للمبصرين شموسه وبدوره، وبعد فاقول وأنا عبد الرحمن ناصر بن أبي نبهان، بعد حمد الله الملك المنان.

المسألة الأولى : هل أهل عُمان كلهم على مذهب الإباضية ؟

فصل : وأما المسألة الأولى: بأن أهل عُمان كلهم على مذهب الإباضية أم لا ؟

نعم، كانوا كذلك في قديم الزمان، إلا البنادر منها التي هي على سواحل البحر ففيها [1] الإباضية والسنية والشيعة والمعتزلة وهذه الأربعة وكل منهم على فرق كثيرة، و الإباضية في الزمن الأول كذلك على فرق كثيرة، وانقرضوا ولم تبق فرقة تسمى الإباضية من فرق الإسلام إلا فرقتنا نحن، وهي فرقة واحدة لا غير في جميع إقليم الإسلام من عُمان وغيرها ولم تسكن عمان فرقة من تلك الفرق في حين وجودها التي

---

(١) ليست بالأصل .

سميت بالإباضية وهم عندنا غير إباضيين بل هم فرق مبطلون ضالون، ثم نزل بعد ذلك بعض من أهل السنة ومن الشيع والمعتزلة في بلدان عمان.

ولم تزل يزيدون بالانتقال إليها ، والتوطن فيها ، وبانقلاب أهل العمى من الإباضية إلى مذهب السنية ، أما عالم من علمائنا أو متورع في أصل دينه ويقينه ، فلا نعلم أن أحداً انقلب البتة ، ولما جاء مذهب عبد الوهاب النجدي تابعته كثير من الأعراب أهل الجهل الساكنين القفار دون أهل البلدان من أهل الفضل، وحين انقرضت دولة الوهابي من عمان انقلب المتوهب سنياً فكثرت السنية بهذا السبب، ومال إليهم أهل الغرب من ناحية عمان الغربيين من جنابهم، والإباضيون في عمان وفي بلدان من أرض المغرب منها بلد تسمى نفوسة، وبلد تسمى جربا بالجيم والراء المهملة والباء الموحدة وآخرها ألف، وهما في ولاية سلطان الروم[1]، وأما أحكام البلدين فهي تجري على أحكام الإباضية إلى الآن، وبلد أخرى بعيدة عن سلطان الروم يقال لها جبل مصعب هي في أرض سلطان المغرب ولكن لم يتول بلدهم ولم يستطع عليها بالحيلة ليدخلهم في ولايته لعدم الماء فيما بينه وبينهم من بعد المسافة ولله عاقبة الأمور.

قال صاحب ذو الغبراء : وبعض من الإباضية في السواحل .

رجع :

المسألة الثانية : في أحكام المولود :

فصل : وأما المسألة الثانية : ما يجب ويستحب أن نعمل إذا ولد لنا ولدٌ أو مات منا أحد ؟

---

(١) لعله يقصد : حينما احتلها الأوربيون من أسبان وغيرهم ، وهي .

فأما الواجب فليس شيء غير التختن للعورة في محل وقته، وأما المستحب فقيل أنه يؤذن في أذنه اليمنى ويقيم إقامة الصلاة في أذنه اليسرى، ويولم بذبيحة لمعارفه ولمن يطلع عليه بذبيحته من جيرانه، ولكن لم نر الناس استعملوا ذلك وتركوه وترك ذلك جائز معنا.

وإذا مات فلا يجب شيء غير أن يغسل ويصلي عليه أحد من المسلمين أو أكثر قياماً صلاة بلا ركوع فيها ولا سجود إلا أن يكون في حكم الظاهر من أهل الولاية لله تعالى فله أن يستغفر الله تعالى له وإن لم يفعل واكتفى بالسؤال لأهل المغفرة مجملاً كان كافياً.

وأما ما يفعله الجهال يسيرون مع قريب[١] الميت ويعزونه ويأكلون طعامه بالإسراف فهذا من فعل أهل الجهل لا من صنيع أهل الفضل؛ لأنه بخلاف ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) فإنه إذا مات أحد من أقاربه أمر أهله أن يصنعوا لأصحاب الميت طعاماً لما هم فيه من الشغل بالميت، وبالله الهداية والتوفيق .

المسألة الثالثة : حُكم شرب القهوة :

فصل : وأما المسألة الثالثة التي عن القهوة هي عندنا حرام أم لا ؟ .

فالقهوة في أصل اللغة اسم يطلق على الخمر وليس لشربة البن هذه التي تسمى بالقهوة اسم في أصل اللغة لأنها شربة أحدثها العالم الشاذلي زاهد تقي في مذهبه حنفي المذهب أراد أن يكون طول ليله في الصلاة والدعاء والعبادة لله تعالى فلم يطاوعه النوم وغلب عليه.

واستعمل هذه الشربة، وسميت بالقهوة، وربما سماها أهل الجهل

---

(١) ليست بالأصل .

في الابتداء، واشتهرت بهذا الاسم فكان لها اسماً ثابتاً اصطلاحياً فليس في كتب علمائنا الأقلين لها ذكر البتة، وعسى بعض ضعفاء أهل العلم من أصحابنا المتأخرين لا من أساطين العلماء المتبصرين نظر إلى هذه الشربة ونظر أن القهوة حرام في كتب علمائنا الأقدمين، ومرادهم الخمر فظن أنهم أرادوا هذه فقال هذه القهوة حرام.

واعتقد حرمتها كل من كان في عصره من أهل عمان من العوام ومضت كذلك لهم بعض الأعوام إلى أن جاء والدي العالم وبلغ في العلم مبلغاً لم يبلغه أحد من علماء الإباضية فيما تناهى إلينا من العلم فيهم وهو العالم الرباني أبو نبهان جاعد بن خميس الخليلي الخروصي من نسل الإمام العادل الخليل بن شاذان بن الإمام الفاضل الصلت بن مالك الخروصي، والصلت بن مالك هو الذي افترقت فيه أهل عمان بعد موته وموت من كان في عصره وموت من جاء بعدهم وموت من جاء بعد هؤلاء الذين جاءوا بعدهم وذلك في زمن الشيخ العالم مالك البهلوي فأخذ مذهبه الشيخ أبو عبدالله محمد بن بركة البهلوي.

وخالف الشيخ مالك الشيخ محمد بن روح النزوي والشيخ أبو الحسن وأخذ مذهبهما الشيخ الكبير أبو سعيد محمد بن سعيد الكدمي الساكن كدم من بلدان عمان وتبرأ كل منهم من صاحبه وتابعتهما الناس، ومال الأكثر إلى مذهب الشيخ أبي سعيد وهو أعلم من جميع علماء الإباضية قديماً وحديثاً ولكنه في علم الشريعة فقط.

وأما والدي فقد تفنن في كل علم علا مقامه من العلوم الإلهية، وصنف الشيخ أبو سعيد كتاب الاستقامة في صحة مذهبه عن مذهب أبي

عبدالله البهلوي، وصنف كتاب المعتبر لجامع بن جعفر شرح فيه كتاب جامع بن جعفر الإباضي فوافقه في أشياء وخالفه في الأكثر وفاقا على كل كتاب صنفه إباضي مطلقاً في الشريعة دون فصاحتهما إذ ليس له يد فيها، وانقرض ذلك الشقاق والخلاف بين إباضية أهل عمان في ذلك وبقي الناس على مذهب أبي سعيد.

بيان: والافتراق بينهم في الإمام الصلت بن مالك وذلك أنه جعل وزيريه راشد بن النظر وليس هو ابن النظر المشهور بالدعائم في الشريعة بل هو غيره، وموسى بن الشيخ العالم موسى بن علي، ولما بلغ السن حتى صار إذا مشى يتوكأ على كل يد عصا قام بأمر الإمامة وزيراه ودخلوا بيت الإمارة وخرج الإمام منه إلى بيته.

فاختلف الناس فيهم وفي الإمام فقال بعضهم أنهم غصبوا الإمامة عنه ظلماً وعقدوا الإمامة لراشد بن النظر وهم مخطئون، والإمام محق.

وبعضهم قال بل هو سلخ نفسه بغير عذر وخان أمانته وأعطاهما إياها باطنا وهي الإمامة وهو مبطل، وقال بعضهم بل صار في حد العذر وهو محق، وهؤلاء عقدوها بحق، وقال بعضهم بل هم قاموا بأمر الإمامة على الحق وهو على إمامته وهؤلاء المختلفون كلهم يتولون بعضهم بعضا، ومضوا كذلك قرناً ثم قرناً آخر ثم قرناً ثالثاً وفي القرن الرابع أو الثالث وقعت الفرقة بالبراءة من بعضهم لبعض.

فقال البهلوي: إن الإمام قد قامت الحجة على الناس بعدله فلا تصح تخطئته ولم نزل نتولاه ونبرأ من أولئك الذين نصبوا الإمامة عليه فنحن نبرأ منهم، وقال الكدمي: إننا لم نكن في زمانهم حتى تلزمنا ولايته

أولاً، ثم لا يجوز لنا أن نبرأ منه حتى نعلم منه ما يحكم عليه به بالبراءة، وإنما كنا في زمان والناس مختلفون فيه، ولا ندري المحق منهم والصادق فيما يقولون، ولا الكاذب منهم فكيف نبرأ من أحد لا ندريه أهو مبطل أم لا، أم كيف نتولى أحداً وجدنا الاختلاف فيه في آخر زمانه.

فقال البهلوي: هل يجوز الشك في أخبار الصحابة من أحكامهم؟، قال الكدمي أبو سعيد: تلك أحداث وقع الإجماع من الأمة على صحيح وقوعها، واختلف أهل المذاهب في أحكامها، وهذه أحداث اختلف العلماء في وقوعها فبعضهم نفى كونها، وبعضهم أثبتها، ولم يختلفوا في أحكامها فبين ذلك بون بعيد.

بيان : وقد خرج بنا الاطناب عن المقصود من بيان حكم القهوة معنا فنرجع إلى بيان ذلك أنه لما نظر إلى ذلك الاتفاق من أهل عمان على تحريمها ولم يجد علة تحرمها ، ولا قياساً على شيء من الأصول الدينية ولم يجد لهم حجة تدل على تحريمها والقول بتحريم المحللات كالقول بتحليل المحرمات فحللها وتابعه الناس لعلمهم بأنه أعلم من القائلين بتحريمها، وأنه أعلم من يعلمونه من علمائهم فهو كالشيخ أبي سعيد في الشريعة، ولما أوضح لهم من الدلائل على إبطال القول بتحريمها ولكنه من غير أن يخطئ من قال بتحريمها إلا إذا دان بحرمتها فقد ضل وهلك.

بيان : وذلك في مذهبنا أن الشريعة على قسمين : قسم هو دين ولا يجوز فيه الاختلاف ، وقسم هو رأي يؤول أمره إلى نظر العلماء فيه وهو الذي يجوز فيه اختلاف، ولا يجوز أن يخطئ أحد فيه أحدا قال بخلاف قوله ما لم يدن به لأنه لا يجوز أن ندين بالرأي ولا أن يجيز الرأي

في موضع الدين .

والدين هو ما ألزمنا الله تعالى إياه فرضاً واجباً بنص الذكر الحكيم ولم يجعل لنا عذر في خلافه وتوعدنا بالعقاب في الآخرة على خلافه من تركٍ أو فعلٍ أو اعتقادٍ، وما ألزمنا إياه كذلك النبي فرضاً واجباً ولم يجز لنا فيه خلافه وما قامت على لزومه حجة العقل مثلاً إن الله تعالى أمرنا بالإحسان للوالدين، ونهانا عن أذاهما والإساءة إليهما فقال : ﴿ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا ﴾[1] ، فصح في حرمة ضربهما بالعصا أو عقهما بالحصى أشد حرمة لأنهما أكثر أذى وأشد إساءة وهذه الثلاثة هي أصول الدين الذي لا يجوز فيها الرأي أي القول بالاختلاف، والأصل الرابع إجماع العلماء المحقين إذا اجتمعوا على تحليل أو تحريم شيء هو شبيه بأصل من هذه الأصول الثلاثة وألحقوا حكمه بشبهه، ولا يجوز لهم أن يجمعوا على تحريم شيء هو أشبه بالأصل حلال من دين ولا على تحليل شيء هو أشبه بأصل محرم من دين فهذه الأربعة هي الدين وهي الأصول.

وكل قضية لم يأت القرآن حكمها ولا النبي، وأشبهت أصلين من أصول الدين أحدهما ما يدل على تحليله والآخر ما يدل على تحريمه جاز فيه الاختلاف وكان الحكم فيها من الرأي.

وكل قضية جاء القرآن ذكرها أو في سُنة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولكن دلت الأصول في قياس هذه القضية بها على تشابه أصلين مختلفين، كذلك جاز اختلاف فيها ، وكانت من الفروع ، وكذلك كل آية

---

(١) سورة الإسراء : ٢٣ .

احتملت التأويل على شيئين مختلفين من الأحكام ، رجع بهما إلى السُنة ، فإن وجد لكل معنى من التأويل أصل يُصححه من سُنة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، جاز الاختلاف في تأويل تلك الآية .

وكذلك قول النبي إذا وجد له معارض من قوله يشبه أحكامه جاز فيه الاختلاف ما لم يخص وجوبه كما روي أنه (نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع أو مخلب من الطير)، وروي بعدما ثبت هذا النهي (أن أحداً صاد ضبعاً فحكم عليه بالجزاء بكبش أملح) فدل بهذا أنه نهي تأدب لأنها تأكل المحرمات وإلا فهي من الصيد؛ لأن الجزاء لا يكون إلا في الصيد ولا يسمى صيداً إلا الحلال من الحيوانات الوحشية، وقيل بالحرمة على ظاهر الرواية.

وكل من قال بقول لم يجز له أن يخطئ غيره لأن ذلك هو مثله ليس هو بنبي ولا يجوز له أن يحكم على من يقول فيما يراه عقله برأيه فيما جاز له الرأي بخلافه أنه مبطل ولو جاز لهذا جاز لذلك في هذا أيضاً.

وعلى هذا في كل أمر أيضاً لم يكن له ذكر في الكتاب المنزل ولا في سنة النبي المرسل ولا في إجماع المحققين من أهل الاستقامة في الدين، ولا تقوم به الحجة من العقل جاز لكل عالم أن ينظر القول الأقرب إلى الحق بالقياس على الأصول الدينية أو على رأي صحيح ويكون ذلك قولاً، ويجوز لغيره إذا نظر خلافه أصح أن يخالف من غير أن يخطئه بدين فيعمل بخلافه.

بيان: ولما كانت هذه القهوة البنية لم يكن لها ذكر في الكتاب المنزل، ولا في سنة النبي المرسل، ولا في أحكام المسلمين على قياس

حكم أصل محرم من دين الله ولا في حجة العقل ما يدل على تحريمها قياساً على محرم فلأجل ذلك جاز النظر فيها والقول بالرأي في أحكامها، وأصل المحرمات في الأكل والشرب في التحريم أربعة لا غير:

إما لذاته كالنجاسات والميتة وما أشبه ذلك وليس في المعادن ولا في النبات ما هو محرم لذاته.

وإما أن يكون لفعلها كالسم المهلك أو الخمر المسكر بعدما حرمه الله علينا وما أشبه الخمر من الأشياء في السكر لقول النبي : " كل مُسكر حرام " ، ولا يجوز هنا الاختلاف في مذهبنا في تحريم كل مسكر كما جاز في النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير لأن تحريم هذا بالشبه، فإن ما أشبه الشيء فهو مثله، وذلك لأجل أكل النجاسات غالباً، ولو حرم كل آكلٍ للنجاسات لحرم لحم الغنم ولحم الطير من الدجاج والحمام الأهلي، فكذلك هو الفرق بين ذلك.

وإما لحالٍ فيها كالنجاسات إذا حلت في الطهارات وغلب حكمها عليها أو شيئاً محرماً اختلط بالحلال اختلاطاً يحرمه، ولا يصح تمييزه منه إذ الأمور لا على قانون واحد فيمكن في أشياء تمييز المختلط أو عوضه وما أشبه ذلك.

وإما لمفعولٍ بها كالغصب والسرقة والبيع والشراء على الوجه المحرم وما أشبه ذلك.

وهذه هي أصول التحريم في الأشياء المأكولة والمشروبة، وأما الأصلان الآخران اللذان هما بالحلول وبالمفعول به، فالمحلل حلال حتى يصح وقوع أحدهما في ذلك الحلال فيحرم، ولا يخص به شيئٌ دون شيء،

فأجزاء القهوة وغيرها من المحللات في ذلك سواء، وأما الأصلان الأولان الذاتي والفعلي لا وجود لهما في أجزاء القهوة مطلقاً ولعل بعضهم احتج أنها تصير فحماً أو أن الحب أشبه الأشياء بالخشب.

وكل ذلك لا يجوز تحريمها به لأن الفحم لو كان حراماً لما جاز أن يكتب بالمداد به من الآيات وتمحى بالماء ويشرب ، وكثير من أنواع الخشب يدخل في الأدوية المصلحة للبدن فيصح استعمالها على غير الضرورة، فكان القول بتحليلها معنا هو الأصح في النظر الصحيح بالعلم الصحيح.

المسألة الرابعة : المذاهب الأقرب إلى الأباضية :

فصل : وأما المسألة الرابعة : أنه أي المذاهب أقرب إلينا ؟ ، فكل فرقة تخالفنا في شيء فليس أحد يقاربنا بمذهبه ولا نقارب مذهبنا وكيف نقرب إلى مذهب أو يقاربنا ونحن نبرأ بشيء مما دان به من خلاف دين الله تعالى ونحكم به أنه هالك وأنه عدو لله جزاؤه على ذلك غداً في نار جهنم خالداً فيها أبدا بلا نهاية في الخلود، ونحن من مات منا عاصياً لله تعالى مصراً على ذنبه بعصيانه لله جل وعلا .

وهم كذلك يبرأون ويحكمون بهلاكنا ولكن هم لا يقولون بالخلود استعظاماً لعذاب الله لهم ونظروا إلى حقارة ذنبهم مع ذلك، ونحن ننظر إلى عظمة الذنب وأنه لا جزاء له إلا الخلود لأن الله تعالى عظيم، ولو صح قولهم لكان ذلك فائدة لنا ولهم، وما أحلاه من قول، وما أسلاه للعقل ولكن هيهات هيهات .

المسألة الخامسة : المسائل الفكرية التي وقع الخلاف فيها :

فصل : وأما المسألة الخامسة؛ بأي شيء خالفناهم وخالفونا فيه ؟ ، فاعلم أن الله تعالى قال : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1] ، ثم قال : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] ، إشارة إلى الافتراق وأنه تبقى أمة منكم، ومن قد تكون للتبعيض، ومحلها هنا كذلك، وشاهد ذلك قول النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى صحته أجمعت الأمة وقد صح بعده بالفعل ، " ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة ناجية " .

ولا نعلم أن في مذهب الفرق إنكار هذه الرواية، وشاهد العقل يدل على صحتها لأن الأمة قد افترقت كذلك، وصارت كل فرقة تدّعي أنها المحقة، وتحتج على تصحيح مذهبها آيات من القرآن وروايات من النبي لإقامة الحجة والدليل والبرهان، وما تخالفنا فيه وخالفناهم يستدعي بذكره وشرحه وإيضاحه إلى مجلدات كثيرة، وأنت ذكرت أن أبين لك بعض ما تخالفنا فيه نحن وأهل السنة لا غير من الفرق بإيجاز من القول ولا أورد كثيراً من وجوه المخالفات خوف الإطالة فهاك بعضاً من ذلك.

بيان : ومن أعظم ما خالفناهم فيه وبيان ذلك في كتبهم أنهم دانوا في اعتقادهم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) رأى ربه بنظر العين في الدنيا وأن ذلك في يوم أسري به إليه حتى صار قريباً منه فنظره وأن تلك كرامة خص بها في الدنيا، وأما في يوم القيامة فكلهم ينظرون ذات الله تعالى، وكذلك في الجنة، وأنه ينزل ويتجلى لهم في كل جمعة يدور في

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .
(٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .

الجنة فيذهب جميع من في الجنة إلى النظر إليه، ولا أدري ..... [1] أنه في موضع معين منها أو كل يراه وهو في موضعه كالشمس للناس في الأرض وهي في السماء، وليت شعري هل معهم أنهم يرون جمالاً وحسناً أحسن من الزوجة التي لهم في الجنة أم ذلك الحسن أحسن؟، وهل يبقى المرء مشوقاً إلى أن تأتي الجمعة الأخرى ؟ أم إذا اشتغل بالنظر إلى زوجته أنسته عن تصور ذلك الحسن في نفسه ؟ أم يبقى تصوره دائماً ؟ الله أكبر ، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وهذا عندنا من أعظم الكفر بالله الرحمن ، وعلى النبي من أعظم البهتان ، ولو قال بذلك نبي من الأنبياء ، لشهدنا أنه قد كفر بالله المنان ، وصار ملعوناً من إخوان الشياطين ، ولكن حاشا أنبياء الله أن يضلوا ، وقد قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [2].

ونحن نشهد أن الله هو شيء وحق، وأن ذاته لا يرى ولا يراها مخلوق إذ ليس هو شيء يرى، ولا يمكن تكوين شيء يرى كما لا يمكن شيء يكون كمثله، ولكنه يرى بصفاته وأفعاله في مخلوقاته فقد ضلوا ضلالاً بعيدا، وتأولوا في ذلك قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ [3] ، بالضاد : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [4] بالظاء ، وقد علموا أن معنى ناضرة مبتهجة فرحة مسرورة لأجل أنها إلى رحمة ربها ناظرة ؛ لقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [5] .

والله تعالى لا يُوصف بالمجيء ، والمعنى : جاء أمر ربك والملائكة

---

(١) في الأصل مكتوب فوق السطر كلمة : (بياض) ، وهو إشارة إلى نقص في الكلام .
(٢) سورة الأنعام : ١٢٤ .
(٣) سورة القيامة : ٢٢ .
(٤) سورة القيامة : ٢٣ .
(٥) سورة الفجر : ٢٢ .

صفوف حول الإنس والجن والشياطين ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [1] ، والمعنى : ألم تر إلى تدبير الله تعالى وإلى قدرة ربك كيف مدّ الظل .

واحتجوا بقول موسى: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ [2] ، فقالوا : أأنتم أعلم من موسى نبي الله وقد سأله، ولكن استعجل الرؤية في الدنيا، والآية تدل على أنه لا يراه في الدنيا ولا في الآخرة لأنه قال : ﴿ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [3] .

وسوف تستعمل للمستقبل، والمستقبل ما يكون بعد وقوع الأمر وما يكون في الآخرة ولم يخصص الله تعالى استحالة النظر إليه في الدنيا والآخرة فأي دليل يدل على تخصيصه في الدنيا فإن كان لأجل سؤاله في الدنيا وقع ذلك في الدنيا، قلنا لم يأت ما يدل على وجوده في الآخرة فلم يكن منها دليل لأنه قال: (سوف) قول مطلق على مستقبل لا يجد له نهاية فلا يكون نفس السؤال دليلاً على وجوده في الآخرة؛ لأن موسى لو كان معه علم أنه في الآخرة ويراه ولم يعلم من نفسه أنه يراه في الدنيا أو لا وسأله لأجل ذلك، كيف يجوز لموسى أن يسأل ربه أن يراه في الدنيا ولا يجوز لقومه حيث قالوا : ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ [4] ، وهو مثلهم لا يعلم أنه له حظ في الدنيا من الرؤية ولا شك أن هذا كفر قد حكم الله بتكفير من قال ذلك .

وقولهم : فإن كان مُوسى يسأل قبل قومه أو بعدهم ، فحُكم الله في

---

(1) سورة الفرقان : ٤٥ .
(2) سورة الأعراف : ١٤٣ .
(3) سورة الأعراف : ١٤٣ .
(4) سورة النساء : ١٥٣ .

جميع عباده واحد ، فقال الله تعالى ، في نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

بيان : والحق معنا أن النبي موسى لم يسأل الله تعالى أن يريه ذاته حاشاه عن ذلك ومن وصفه بذلك فقد وصفه بالكفر وكفر بالله تعالى الواصف له بذلك كفراً عظيما ولعنه الله وأخزاه إلى يوم الدين، وإنما سأل ربه أن يريه من قدرته الخارقة للعادة التي لم يؤالفها عقله فقال تعالى إن قدرتي لا نهاية لها وأنك لن تستطيع أن تنظر إلى ذلك إذ لا يحتمل عقلك ولكن أريك قدرتي في بعض الأشياء لتعرف ذلك فلما تجلى ربه أي فلما تجلى تدبير ربه بقدرته للجبل جعله دكاً فلو كان مراد موسى من ربه تجلي الذات عليه وجاء الجواب من الله أنه لا يستطيع، والدليل على ذلك أن يتجلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراه، لوجب أن الله يتجلى بالذات أولاً على الجبل حتى يعرف موسى حقيقة العجز ويكون الجبل قد رأى ذات الله فيكون أشرف من موسى (عليه السلام)،تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإذا قيل أليس في خلق السموات والأرض ما يغني عن التجلي للجبل بصفات القدرة فنقول: نعم، ولكن هذه كرامة اختص بها وخارق للعادة التي ألِفها، أما ترى إلى النبي إبراهيم عليه السلام قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (٢) .

وإن كان معنى هذا غير ذلك، ولكن كذلك لله آيات ينظرها إبراهيم ما يدل على قدرة الله تعالى في إحياء الموتى، وبالجملة فإنهم تأولوا هذه

---

(١) سورة البقرة : ١٤٥ .

(٢) سورة البقرة : ٢٦٠ .

الآيات في رؤية ذات الله بأعينهم، ونقلوا في ذلك روايات عن النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى رسخ في عقولهم بثبوته ودانوا به، ومن كان هذا أمره فهل هو من أهل الأمانة على نقل دين الله عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن الصحابة؟، وهل يكونون حجة على فرقة من المسلمين ؟ وهل يكون قولهم حجة وهم في اشد كفر بهذا وأعظم بهتان على رسول الله أنه قال : رأى ذات ربه بعينه في الدنيا ، وأنه قال : سترون ربكم في الآخرة بأعينكم كما ترون القمر ليلة البدر ؟ .

فلا والله ، وإن أكثروا من الدعاء والعبادة والزهد والتضرع والابتهال وكثرة النصب في بذل النفس لله تعالى فليس ذلك بنافع لهم، ولا يكونون بذلك حجة مع كفرهم بالله تعالى بذلك ومع مخالفتهم لشيء من أحكامه التي ألزمهم أداءها فلم يؤدوها بغير عذر أو أدوها على خلافه بغير عذر، مع أن المؤدي خلاف ما عليه ليس بمؤدٍ ما عليه، وهكذا جميع الفرق ولو كان المجتهد ينفعه اجتهاده في أمر يظنه أنه هو دين الله تعالى الذي يرضى به إذا عبده به لنفع المجوسي المنقطع بدينه في عبادة الله تعالى ليلاً ونهاراً وهو يبكي خشية من الله جل وعلا وخوفاً من سخطه عليه، ولصار الناس أمة واحدة، ولصار حكم فرق الإسلام فرقة واحدة، وما التوفيق إلا بالله تعالى.

بيان: ومنها أن الأعمال توزن في الآخرة، وأن أعمال الحسنات كل حسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها لا غير، وتوزن بميزان له كفتان، فإن خفت فله حكم، وإن رجحت فله حكم كما سنبينه، وتأولوا في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ

---

(١) سورة الأنبياء : ٤٧ .

مَوَازِينُهُ {٦} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ {٧} وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ {٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا ﴾ (٢) ، ثم نقضوا ما أسسوه من الميزان والوزن ، بتأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤) ، فتعارضت عليهم الاعتقادات بهذه الآيات ، فتارة يقولون : أن الأعمال توزن ويعذب كل مسلم على قدر ذنوبه .

وتارة يقولون : إن وعد وفى وإن توعّد لفى أو عفى ، أي : لا يتم وعيده ، وشبهوا وعيده بالإنسان الكريم إذا وعد وفى وإذا توعد لفى ، ومن يجازي بالسيئة سيئة مثلها فما لفى في وعيده لأنه جازى عليها .

وتارة يقولون : بين النار وموقف الحساب جسر أعلاه أدق من الشعر وأحد من السيف يجوزون فيه إلى الجنة ، وهو الذي سمّاه الله بالصراط المستقيم ، وأن كل أحد يسقط في مروره عليه في النار على قدر عمله حتى يصل الجنة، وكل هذا معنى وتأويل الضلال، وإنما صراط الله تعالى هو طريق العبادة بالحق الذي أنزله الله بيانه لا غير.

وتارة يقولون : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن ما جاء به من عند الله هو حق من عند الله دخل الجنة ، ولو ترك جميع العبادات التي ألزمه الله تعالى إياها ، وعمل جميع المعاصي ما خلا الشرك

(١) سورة القارعة : ٦ ـ ٩ .
(٢) سورة الأنعام : ١٦٠ .
(٣) سورة الزمر : ٥٣ .
(٤) سورة النساء : ١١٦ .

بالله تعالى .

وتارة يرجعون إلى الوزن فيكون المعنى : ومن صلى لله الفرض الذي تعبده به يومين بعشر صلوات له من الأجر مائة حسنة فإذا ترك بعد ذلك الصلوات الخمس عشرة أيام فهو بخمسين سيئة فيبقى لهم في الميزان خمسون حسنة، وإن شهد الزور في حق لرجل بمائة دينار وحكم له بشهادتهم وكسروا ديناراً وأخذ دراهم وفرّق كل منهم عشرين درهماً فيكون خاصاً لكل منهم مائة سيئة ويكون بالتفريق لكل منهم منتا حسنة فالمائة بالمنة ويبقى لكل منهم مائة حسنة مع ما أخذوه من الدنانير، وهكذا قالوا وتأولوا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [1] ، مع ما أتينا من الآيات، وعلى هذه الصفة هل هم أمناء على نقل الأخبار عن النبي وعن أصحاب ؟، وهل هم حجة على أحد من المسلمين؟، وهل تصح شهادتهم وتقبل على غيرهم من أهل الحق في درهم واحد ؟ .

بيان : والحق معنا أن الميزان هو ميزان معنوي ، وتشبيه ومثال وتصوير وذلك أن كل ما ألزمه الله عنده بأدائه من فعل أو ترك أو اعتقاد فرضٌ لازمٌ لم يعذره عن أدائه كأنه كفة وما أدّاه كأنه كفة، فإن تم جميع ما عليه فقد وفىّ الوزن ورجح لأن له فيها أضعافاً مضاعفة من الأجر، وإن نقص فرض لم يؤده وقد تركه بغير عذر فقد نقصت كفة عمله عن كفة ما عليه، وليس هنالك ميزان غير هذا، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [2] ، بالتوبة الصحيحة، ومعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [3]،فالحسنات هنا التوبة ، وتصديقها بالأعمال

(١) سورة هود : ١١٤ .
(٢) سورة الزمر : ٥٣ .
(٣) سورة هود : ١١٤ .

بالأعمال الصالحة ، والإقلاع عن المعاصي .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) ، لا يريد به هنا غفران الذنوب بل المراد أن الله لا يغفر لمشركي العرب برفع السيف عنهم، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فاستثنى من وجب عليه القتل من المسلمين فإنه لا يغفر له أي لا يحط عنه ذلك الفرض، ومعنى هذه الآية هو معنى قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " بعثت لأدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن ما جئت به هو حق من عند الله فإن قالوها فقد حقنوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها " ، فاستثنى النبي بقوله : " إلا بحقها " ، كما استثنى الله تعالى بقوله : ﴿ لمن يشاء ﴾ ، ولو صح أن كل من قال هذه الكلمات دخل الجنة وإن لم يعمل لله فرضاً ولم يترك محرماً لم تكن الفرائض فرائضاً ولصارت كلها وسائل ، وصارت الأمة كلها أمة واحدة ، وصار نزول الأحكام في القرآن عبثاً : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ (٢) .

بيان : ومنها أنهم نفوا الخلود في النار، وتارة ينفونه عن أهل الشرك وعن أهل النفاق، وقالوا إن الله تعالى يضع قدمه في جهنم فتقول النار قط قط وتنطفئ النار وينبت فيها شجر الجرجير، وتارة يقولون أن المشركين هم فيها خالدون وأن المنافقين يعذبون على قدر ذنوبهم.

وتارة يقولون : أمة محمد على الخصوص كلهم لا يعذبون بل يشفع لهم النبي يوم القيامة وهم في ريبهم يترددون، وأن العذاب لا يكون

---

(١) سورة النساء : ٤٨ .
(٢) سورة الكهف : ١٧ .

إلا على قدر الأعمال ونحن نقول كذلك ولكن بالتخفيف والتشديد، وكلهم فيها خالدون بلا نهاية.

وهم قسّموا معصية الله تعالى قسمين كفر وهو الشرك لا غير، والثاني فسق ونفاق ولا يسمون أهل الفسق والظلم من أهل الإسلام كفاراً، ونحن قسّمنا الكفر كفران كذلك ولكن تخالفنا في الأسماء فالمشركون معنا كفار جحود، وأهل النفاق هم أهل الضلال من الإسلام وكفرهم كفر نعمة وكفر نفاق.

ولا يسمى المشرك معنا منافقاً لأن اسم المنافق مأخوذ من بيت اليربوع إذا دخل بيته من باب فقد جعل له باباً آخر إذا أراد أحد صيده خرج من الباب الآخر فيقال نافق إذا كان يتخذ بيته في نفق من الأرض، وكذلك المنافق قد دخل الإسلام من بابه الظاهر ، وخرج من بابه الباطن عند الله .

ولا يسمى المنافق مشركاً واسم الكافر يطلق على الجميع لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا {٢} إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (١) ، ولم يجعل هنا منزلة ثالثة، وقال في الخلود : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ (٢) ، فحكم عليهم بحكم واحد في منزلة واحدة، وقالوا في نظم لهم :

وأن لا يبقى في الجحيم موحد ... ولو قتل النفس الحرام تعمدا

---

(١) سورة الإنسان : ٢ - ٣ .
(٢) سورة التوبة : ٦٨ .

أي : من شهد بالله وبرسوله وبما جاء به عن الله لا يخلد في النار ولو قتل النفس ظلماً متعمداً مجاهراً لله تعالى وقد ورد الحكم في كتابه تصريحاً بخلافه لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [1] الآية .

بيان : وضللوا من تكلم في صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتخطئة المخطئ منهم ورووا ذلك عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، واعتقدوا أنهم كلهم محقون أهل ولاية وإن خالفوا الحق فيما أمرهم الله تعالى به وما أمرهم به رسوله لأنهم لم يقصدوا بذلك معصية الله تعالى .

وإنما كان ذلك منهم عن اجتهاد في نفسه أن ذلك هو الحق عند الله فعملوا على تلك النية وعلى ذلك القصد بالرواية التي رووها عن النبي (صلى الله عليه وسلم) : " لكل مُجتهد مصيب " ، وقد اتفقت الأمة على صحة ما وقع بينهم من الحرب والقتال، وكيف يجوز لهم أن يتقاتلوا ومعهم أن كل فريق هو المحق، وأنه يجوز له أن يعمل بما يراه في نفسه حقاً فيكون كل منهم يقاتل الآخر على ما هو عليه من فعل الحق، إنّ هذا لهو الضلال المبين .

.... [2] ، والحق فلا بد وأن يكون من الصحابة فريق مبطلون على ذلك القتال مبطلون، لأن المحق إذا قاتل محقاً مثله كان مبطلاً ضالاً باغياً، أم الصحابة لا يعلمون أنّ كل واحد بما يراه في اجتهاده حقاً يجوز أن يعمل به ويكون محقاً ويحرم بذلك قتاله، وعلم هؤلاء السنيّة أنهم كانوا كذلك أحكامهم فيكونوا لا شك أنهم أعلم منهم لأنهم كلهم محقون بالاجتهاد ولكن لم يعلموا بهم يكونون محقين بالاجتهاد فيقاتلوا على الجهل بأحكام

(١) سورة النساء : ٩٣ .

(٢) في الأصل كلمة بياض .

بعضهم بعضاً .

أليس هذا من التناقض في الأحكام الواضح للأفهام حتى في أحكام أهل نحلة الحق من العوام؟، وإذا كان هذا باطلاً كان لا يمكن إلا أن يكون إحدى الفريقين مبطلاً والآخر محقاً، وإما أن يكونا مبطلين وهذا هو الصحيح من التقسيم فيهما، وإما أن يكون كلا الفريقين محقين في تخالفهما في قتالهما فهذا باطل لا يمكن صحته في يوم، فلما بطل بقي النظر في الوجهين الآخرين فإن كانا جميعاً مبطلين جاز إبطال المبطل وتخطئته وإن كان أحد الفريقين محقاً والآخر مبطلاً.

وحكم أهل الحق منهم بضلالة الضال وبغي الباغي وأجازوا قتاله ولزمنا اتباع المحق منهم جاز لنا القول بقوله وإبطال المبطل وتضليله، لأن علينا اتباعه والعمل بما معه من الحق، وما منع هؤلاء السنيّة عن نظر الحق في ذلك إلا اعتقادهم أن الذي كان من المقربين مع النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يجوز أن يحكم عليه بالضلالة ولو أخطأ الحق في اجتهاده لطلبه، لأن النبي عالم بما سيكون منهم بعد موته، ولو كان عنده أنهم مخطئون بذلك لما قرّبهم في حياته، واعتبروا الأفضل بالقرب والقرابة وبكثرة العلم وأنه لا يضل بعد ذلك، وقد جرت الفتن من أقرب الناس إليه قربة وقرابة فجرت من عثمان وقاتلوه، وجرت من عائشة وقاتلوها وتابت إلى الله تعالى، فإن قال قائل أنك سلمت الأمر أن عائشة قد ضلت بذلك فهات دليلاً على صحة التوبة، فأقول أن صحتها بتواتر الخبر أنها فعلت وأنها تابت فإن كان تواتر الخبر أنها تابت ليس بحجة فكذلك تواتر الخبر أنها فعلت ليس بحجة، فإن قال تواتر الخبر أنها فعلت بإجماع

الأمة وأما أنها تابت فليس بإجماع الأمة لأن الشيع كلهم منكرون توبتها.

فنقول أن كل فرقة تدّعي أنها هي على الحق وما سواها باطل فعلى هذا القول من خالفنا ليس بحجة علينا، وإنما أخذنا بالخبر بأنها تابت من أصحابنا ومعنا أنهم على الحق وبتواتر أخبارهم جعلنا ذلك حجة بصحته لا بتواتر أخبار من اعتقدناه مبطلاً فتواتر أخبارهم معنا ليس بحجة، وتواتر الخبر من أصحابنا أنها تابت كان حجة على صحة الخبرين، ولا يمكن أن تقاتل المسلمون عائشة إلا وقد حكموا بتخطئتها في ذلك وضلالها، ولو قتلت على ذلك من غير توبة لحكمنا عليها بالبراءة بحكم الظاهر وباطن أمرها إلى الله تعالى ، وهكذا جميع أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وأقربانه على هذا الحال ، وكيف لا يكون وهذا هو الحق والله يقول في حق نبيه (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [(١)] .

فإن قيل: كذلك علي بن أبي طالب مع الشيعة وعلي وعثمان مع أهل السنة والمعتزلة فيما نقل أصحابهم من فضائلهم هو الحجة معهم إذ كانوا عند أنفسهم أنهم هم المحقون وهم الحجة، فنقول بين هذا وبين عائشة فرق لأنّ جميع فرق الإسلام أنّ عائشة فعلت ما فعلت وأنها تابت ولم تخالف غير الشيعة أنها لم تتب، ومن شهرة التوبة جائز العمل بها وكانت من أهل الحق أو من أهل الفسق لأن من تُوُلِيَ على ما شُهر منه من الفضل فهو جائز ولو كانت في الحقيقة غير ذلك.

وأما علي بن أبي طالب فما فعله فهو أيضاً قد اتفقت الأمة على

---

(١) سورة البقرة : ١٤٥ .

وقوعه منه ولم يشهر أنه تاب لأن جميع فرق أهل الإسلام اتفقت على ما فعله علي بن أبي طالب أنه كان على الحق فكيف يشهر أنه تاب من فعل فعله على العدل إلا مع الخوارج أنه كان ذلك في حكمهم على الباطل فلو شهر مع الفرق أنه تاب لم تجز البراءة منه مع من شهر معه أنه تاب وهو يتولاه فكذلك لا يجوز للشيعة إظهار البراءة من عائشة مع من يتولاها بشهرة التوبة وإصلاح العمل فصارت بعد ذلك من أهل الولاية في حكم الظاهر؛ لأن الحق معنا أنّ من برئ من وليك الذي توليته على ما جاز لك أن تتولاه فهو مبطل لأنه قاذف، والقاذف بغير الحق عاصٍ لله تعالى.

فإن قيل: علي بن أبي طالب كذلك توليته على ما شُهر من فضله فنقول كما قلنا أولاً أنك توليته على أمر فعله وبرئ منه معه أنه بذلك مبطل، وأنت تعلم بذلك الأمر الذي تبرأ منه، هذا وإن علي بن أبي طالب وقع منه ذلك وفي حكمه أن علي بن أبي طالب مبطل بحكم كتاب الله تعالى قوله : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [1] ، فلم يكن هذا المتبرئ مع هذا المتولي هالكاً ولا قاذفاً لأنه تبرأ منه على فعل كائن منه في ظاهر الحكم محجور عليه فعله كما أنه لو رأى رجلاً ولياً لرجلٍ يقتل رجلاً فتبرأ ذلك الرائي مع وليه بذلك الفعل ووليه كذلك قد شاهد ذلك الفعل لم يكن هالكاً هذا المتبرئ من ذلك القاتل مع وليه ولو بقي وليه يتولاه لموضع الاحتمال له انه يمكن أن يكون محقاً فإن هذا تبرأ منه بحكم الظاهر من فعله فكذلك هو الفرق من شهرة عائشة وشهرة علي بن أبي طالب في الفرق الإسلامية فاعرف ذلك .

---

(١) سورة النساء : ٩٣ .

بيان : ومعهم أن أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) كل من صحبه في حياته، ونحن كذلك نقول، ولكن كذلك في حكم التسمية بحكم الظاهر وإلا ففي الحقيقة معنا كل من خالفه بما لا يسع فيه خلافه ومات مصراً على ذلك فليس هو من أصحابنا به في الباطن الذي هو حكم الحقيقة عند الله تعالى والدليل على ذلك قوله تعالى لنبيه نوح : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [1] ، فإذا كان الابن ليس من أهل أبيه الصالح إذا عمل عملاً غير صالح كيف لا يكون من أصحاب النبي ليس من أصحابه ولا من أهله ولا من آله .... [2] ، وآل النبي معنا كل من كان على طاعة الله تعالى من أمة النبي إلى يوم القيامة وكل من رضي له بالبيعة فهو مبايع إذا كان على طاعة الله تعالى إلى يوم القيامة .

بيان : وزعمت الشيعة : أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) ، سمّى في آية المباهلة أناساً من أقربائه ، فأضافهم إلى نفسه هم آله ، وجعلوا ذلك دليلاً على عصمتهم عن وجود الخطأ منهم ، والعمل بالضلالة ، بقوله تعالى : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ [3].

ونحن نقول : أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أراد بأبنائنا أي أولادنا وأولاد جميع المسلمين الذين هم معه، وكذلك نساءنا نساء المسلمين الذين هم معه، وكذلك أنفسنا، وصحة قولنا واضحة لأن الذين بأهلهم لا يرضون أن يأتوا بجميع أبنائهم وجميع نسائهم وجميع نفوسهم ويكتفون بقربانه دون المسلمين فيبقى الإسلام على حاله يقدمون هؤلاء هيهات

---

(١) سورة هود : ٤٦ .
(٢) في الأصل كلمة : بياض .
(٣) سورة آل عمران : ٦١ .

ذلك ، وليس في الآية دليل على ما قالوه ، وما التوفيق إلا بالله تعالى .

وألزموا الناس طاعة أربعة من علمائهم وهم أئمتهم، فإن كان لزوم الطاعة في أصول الدين الذي لا يجوز خلافه فهم وغيرهم من جميع الخلق العلماء منهم والجهال سواء في لزوم الطاعة، لأن المرء إذا أخبر أحداً بما يلزمه من دين الله تعالى مثلاً أخبره بفرض صلاة كان غير عارف بها فلا يصح أن لا يلزم إلا من قول عالم فلا يصح تخصيص هؤلاء الأربعة دون غيرهم، وإن كان ذلك مما قالوه من الفروع التي يجوز فيها الاختلاف فبأي حجة لا يجوز أن ينظر المرء لنفسه ما هو الأقرب إلى الحق من غير هؤلاء الأربعة.

وهل جاء عن هؤلاء الأئمة الأربعة أنّ الاجتهاد بالنظر إلى الأصح والأعدل من الفروع لا يجوز لغيرهم بعدهم؟ فإن كانوا قالوا ذلك فلا شك أنهم مبطلون لأنهم خصّوا أنفسهم بذلك بغير حجة، وإن كانوا لم يقولوا ذلك وهؤلاء هم اعتقدوا هذا الاعتقاد فيهم فهم في الحقيقة غير تابعين أئمتهم لأنهم على خلافهم في ذلك، وكيف من يذهب بمذهب الشافعي وكان إذا نظر في الأصح من الأقاويل ونظر ما قاله الحنفي أصح وأقوى فيترك ما أراه الله أنه الأصح ويعمل بالأبعد من الحق، ثم لم يكفه بذلك حتى خطّأ من قال بما رآه هو من الحق، وأنه هو الرأي الأصح في عقله ولكن تركه تقليداً للشافعي فيخطئ من عمل بذلك الحق من غير أهل مذهبه أو لا يخطئه إذا وافق أحد الأئمة وإن خالف رأيه الأئمة الأربعة، ولو رآه هو ذلك الذي على خلاف مذهبه أنه حق فلا يجوز له معه أن يعمل به بلا حجة معه أن يتركه ويعمل بما قاله أحد أولئك الأئمة، أليس هذا من الضلال

البعيد ؟ فإن كان في اعتقادهم أنهم أئمة أعلم منه فقد ثبت معهم أن أئمة الصحابة أربعة وهم : أبو بكر ، وعُمر ، وعُثمان ، وعَليّ بن أبي طالب ، واتفقت جميع الأمة حتى من خالفوا عَليّ بن أبي طالب أنه أعلم الأمة كلها إلى يوم القيامة عَليّ بن أبي طالب .

وكيف خالفوه في الميراث ، فعملوا بفرائض زيد بن ثابت ، فإن كان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " أفرضكم زيد " ، فكيف جاز لعلي بن أبي طالب خلاف من مدحه النبي (صلى الله عليه وسلم) في ذلك ؟ وكيف جاز لابن عباس أن يخالفهما جميعاً في الميراث ؟ وابن عباس أخذ العلم عن الصحابة ، لأنه مات النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو صغير ، ولم يوافق زيداً ولا علياً في الميراث مع قول النبي : " إن أفرضكم زيد " ، ومع العلم بأن علي أعلم الأمة ، وهل يجوز تخطئة علي وابن عباس في فرائض الميراث ، فيما خالفا فيه زيداً ؟ فإذا كان اللازم اتباع إمام أو إمام علم ، فعليّ بن أبي طالب إمام قد عقدت له الإمارة ، وإمام علم ، وأعلم من هؤلاء الأئمة الأربعة ، الذين خالفوا علياً في الميراث ؛ فالأولى ترك ما قالوه الأئمة الأربعة ، والعمل بما قاله إمام المسلمين ، وإمام العُلماء العارفين عليّ بن أبي طالب .

بيان : وقالوا كل مجتهد مصيب ورووا ذلك عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وتأولوا ذلك أن كل من قاتل على رأيه باجتهاده لإصابة الحق وأخطأ فقتل وهو على خلاف رأيه كلاهما مصيبان، وجعلوها رواية عمومية بقولهم كل مجتهد مصيب، ثم خص بعضهم أن النبي مراده بذلك أصحابه فخص جواز ذلك للصحابة وخصوا بها بعدهم أئمتهم الأربعة بغير حجة كل ذلك تناقض لمذهبهم ، وأخرجوا الخوارج من الصحابة ، مع

قولهم : كل مُجتهد مُصيب .

وجعلوا من قاتل الإمام علي بن أبي طالب محقاً، ومن قتله الإمام علي من الخوارج مبطلاً، ولا شك أن المقاتل للمحق أعظم خطاءً من المقتول الذي هو لم يتعرض إلى قتال من قاتله كل ذلك من تناقض الأحكام لأن الخوارج لم يقاتلوا علياً مبتدئين لقتاله وإنما كانوا جميعاً يقاتلون معاوية، ولا يجوز أن يقاتلوه ـ أي : مُعاوية - إلا وهو باغ وأراد أن يصالحهم الإمام بترك القتال قبل أن يرجع ويفئ إلى حكم الله بالتسليم والرضى بعقد الإمامة لعلي بن أبي طالب فلم ترض الخوارج وقالوا: إن الله قد حكم في أهل البغي القتال وحده حتى يفئ إلى أمر الله وها نحن قاتلناه حتى نحن صرنا إلى أمره فلا نرضى بهذا ونقاتل عدونا حتى يفئ إلى أمر الله أو تفنى أرواحنا عملاً بحكم الله علينا فيهم ، فلم يرض علي ولم يرضوا هم بفعل علي بن أبي طالب.

ومع الخوارج أنّ معنى الرواية كل مجتهد في طاعة الله بموافقة الحق غير مهمل ولا مرسل نفسه في الأعمال بغير نظر فيها أنه جائز له ذلك العمل فيعمله، أو غير جائز فيتركه فهو المصيب، وأما العقول التي تعمل بغير نظر ولا فكر فلا بد وأن يصيب تارة ويخطئ أخرى، فهذا هو التأويل الحق معهم ولذلك لم يعذروا علياً ولا غيره ممن خالف الحق وبالله التوفيق .

فصل : في بيان خروج المحكّمة عن عَليّ بن أبي طالب :

وذلك أنه لمّا قتل عثمان بن عفان وذلك أول فتنة وقعت في الإسلام في بعضهم بعضاً افترق المسلمون إلى ثلاث فرق؛ منهم من صوّب عثمان

ابن عفان وخطأ قاتليه، وفرقة وقفت عن ولاية من تولى عثمان وعن ولاية من رضي بقتله، وأصحابنا لم يعذروا الفرقة التي خطّأت قاتليه وخطّأت الراضي بقتله، ولم يعذروا الفرقة الواقفة عن ولاية المحقين منهم لأجل ما فعلوه، والحق بعدما لزمتهم ولايتهم، ولو أنهم وقفوا عن الدخول مع إحدى الفرقتين وتولوا المحق منهم لكانوا في السلامة، ولكن وقفوا عن ولايتهم، وفرقة قاتلته على حكم منهم فيه ببغيه، ومنهم من رضي بقتله ولم يقاتل فهم على ثلاث فرق، وعلي وأصحابنا ممن صوّب قاتليه، ثم قامت عائشة بخديعة من طلحة والزبير أنّ علي بن أبي طالب قاتل عثمان بن عفان وقتله ظلماً واغتصب الإمامة عدواناً، وكانت قد توبّته وسارت إلى الحج ونهضت لقتال علي وأصحابه، وأصحابنا صوبوا علي بن أبي طالب في ذلك وظهر لها الحق ورجعت وتابت كذلك مع جميع أهل المذاهب إلا مذاهب الشيع فهي غير تائبة ويحكمون بالبراءة منها، ونحن نتولاها بصحة توبتها معنا لأن شهرة توبتها كشهرة فعلها لا يجوز أن تكون هذه الشهرة مقبولة والأخرى لا تقبل وكلا الشهرتين واحدة في الحكم، ثم عقدوا الإمامة لعلي بن أبي طالب.

والإمامة معنا على وجهين؛ إما إمام دفاع يدفع عنهم عدو أحصرهم يعقدون عليه على شرط إلى أن يجدوا من هو أصلح للمسلمين فيخلوه ويقيموا الصلح، والإمام الثاني إمام مطلق بغير شرط عليه كذلك فهو إمام شاري بائع نفسه لله تعالى يقاتل حتى يقتل أو يبلغ المقصود ممن لزم قتالهم.

ولما بويع قام معاوية في طلب دم عثمان يحارب المسلمين

ويحارب علي بن أبي طالب على إمامته غير راضٍ بها، فذهب إليه الإمام علي بن أبي طالب ومن معه من المسلمين ليقاتلوه ويعتزل معاقل المسلمين، ولو لم يكن في حكمهم أنه في قتالهم له باغٍ عليهم لم يجز لهم حربه وتلزمهم المسالمة إلى ما طلبه منهم من أداء الواجب عليهم من قتل عثمان في حكمه فيهم وقاتلوه فلما غلب الظن على معاوية أنه مغلوب عمل خديعة لعلي بن أبي طالب وقال له: أنت اترك القتال والإمامة عن نفسك إلى مدة معلومة جعلوها بينهم واترك القتال ونحن نترك كذلك، فإذا انقضت المدة اجتمعنا نحن وأنت وبعثت أنت حكماً منك وبعثنا نحن حكماً منا، والذي يحكمان له بالإمامة نكن كلنا راضون بهما وصار عقد المسلمين على هذه الصفة له لا عمل عليه إنما أمر الله وعقد من أجاز الله أن يقاتل إذ كان في حكم الله باغياً هو العقد التام على المسلمين.

فجاء من جاء من المسلمين إلى علي بن أبي طالب وقالوا: لا نحكّم البغاة على أنفسنا ولا نأمنهم وقد خانوا الله تعالى، ولا يجوز لنا أن نرضى بعقدهم إماماً لنا، فلما لم يجبهم علي بن أبي طالب إلى ما طلبوه منه أولئك المسلمون خرجوا عنه واعتزلوه وحينئذٍ سموا باسم الخوارج، فلما انقضت المدة واجتمع قوم معاوية وقوم علي بن أبي طالب، بعث علي بن أبي طالب موسى الأشعري حكماً من قومه وبعث معاوية عمرو بن العاص حكماً من قومه وصعدا المنبر وخلعا علي بن أبي طالب وولّيا الأمر معاوية فلم يرض علي بن أبي طالب بذلك.

فقالت الخوارج : إن كان عند علي بن أبي طالب من تحكيم الحكمين حق كيف لم يرض به، وإن كان باطلاً كيف فعله؟، وهل بين

الحق والضلال مرتبة ؟ والله تعالى (عز وجل) يقول : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ ﴾[1] ، فرجع يقاتل معاوية الذي طالبه الخوارج أن يقاتلوه على الفعل الأول منه الذي قاتلوه عليه هو والخوارج، والخوارج في حين ترك علي بن أبي طالب إمامته نصّبوا لأنفسهم إماماً يقيم الحق بهم ويقيمون الحق به فأرسل علي بن أبي طالب عمه عبدالله بن العباس يأمرهم بالدخول معه وأنه يرضيهم بما طلبوا منه من قتال عدو الجميع فقالوا: نقبل ذلك ولكنا أقمنا إماماً شارياً في وقت تركه إمامته فيدخل معنا نقيم به الحق فإذا قُتِل أقمنا علي بن أبي طالب بعده، فقال لهم: وما تنكرون عليه حتى جاز لكم أن تقيموا إماماً عليه ؟ .

بيان : في احتجاج المحكّمة :

فقالوا : نناشدك الله يا ابن عبّاس ألا تشهد أن معاوية كان باغياً على المسلمين في مطالبته بدم عثمان ونقض بيعة الإمامة لعلي بن أبي طالب؟، قال: نعم، قالوا: ألا تشهد أن قتالنا له على الحق؟، قال: نعم، قالوا: ألا تدري في حكم الباغي قول الله تعالى : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾[2] ؟ قال : نعم ؛ قالوا : ألا تشهد أن معاوية لم يعط الانقياد إلى حكم كتاب الله فيه وعليه حتى فاء علي بن أبي طالب إلى ما أراده معاوية من الباطل في تحكيم الحكمين؟ قال لهم: أليس الله قال في المتزوج من أهل الكتاب : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾[3] ؟ .

---

(١) سورة يونس : ٣٢ .
(٢) سورة الحجرات : ٩ .
(٣) سورة النساء : ٣٥ .

قالوا له : ألا تعلم أن في القرآن الناسخ والمنسوخ، وهذا حكم قبل نزول أحكام الله في الزوجين وبعد أن نزلت الأحكام فيهما فقد نسخ، وبيان ذلك إذا تشاقا ونزلا إلى الحكم وأحضر الحكمين على هذا وقد أنزل الله في قضيتهما حكماً، أليس الحكم على ما أنزل الله في القرآن بينهما وترك ما سواه؟، قال: نعم، قد قلتم الحق، قالوا له: ونناشدك الله أما تعلم أن الله حكم في جزاء الصيد حتى في صيد جرادة وقتلها أن يحكم في الجزاء عليه حكمان عدلان كما قال : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ (١) ، فكيف يجوز تحكيم فاسق على جميع أمور المسلمين؟ ونناشدك الله ، أما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٢) ، وقد تولى الله بإيضاح أحكام الباغي من في قتاله وحدّه لنا وبيّن الحدّ فأين موضع النظر في خلافه ؟.

فقال : نعم إن الحق كما قلتم، فقالوا: ألم نقاتل عائشة نحن وإياه ولم نرجع عن قتالها حتى فاءت إلى أمر الله حكماً من الله تعالى علينا قد اجتمعنا نحن وإياه عليه فيها، واجتمعنا وإياه في معاوية حكماً من الله تعالى فأين موضع النظر بخلافه؟، وهل فوّض الله أمره إلى أحد حتى إلى رسوله (صلى الله عليه وسلم) لم يفوض الأمر إليه فأنكر عليه فعله بالغي والأعمى في عبس وفي غير ذلك؟، فقال: نعم، فقالوا: إن كان علي محقاً في حكم الحكمين فلم لم يرض به وقد رضي به من قبل على جهل من الحكمين أنهما يحكمان له بالإمارة أم لغيره، وإن كان على علم فهو أعجب وإن كان باطلاً كيف رضي أولاً به وهو باطل ؟ .

---

(١) سورة المائدة : ٩٥ .
(٢) سورة الأحزاب : ٣٦ .

فلما حجّوه وعرف أن الحق معهم رجع إلى علي بن أبي طالب وقال له: إن القوم قد حجّوك، فلم يقبل منه ولا منهم ولم يرض بأن يكون مأموماً بعد أن كان إماماً، فقال له ابن عباس: إن لم أكن عليك فلا أكون معك، وإن أنكروا كون هذا من ابن عباس فلا بأس، فالحاصل أن هذا هو احتجاج الخوارج على علي بن أبي طالب، فعندهم أن علي بن أبي طالب لا مخرج له من حكم الضلالة فيما فعله على كل حالة لأنه لا يخلو معهم ما فعله هو ومعاوية وأصحابهما وأمر التحكيم إما حق وإما باطل، وليس هنالك منزلة ثالثة لقوله تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إلا الضَّلالُ ﴾ [1].

فإن كان ما فعلوه هو الحق فكيف لم يرض بالحق وقاتل من عمل بذلك الحق وهو منهم من جملة العاملين به والفاعلين له، ومن قتل مؤمناً على أمر هو فيه محق فلا شك في ضلاله بنص الذكر الحكيم قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [2] ، وإما أن يكون فعله هو ومعاوية باطلاً فلا شك أن المحق فيه من خالفه؛ لأن المبطل للباطل لا يمكن إلا أن يكون في إبطاله لذلك الباطل محقاً بإبطاله له، فكيف من قتل من لم يرض بالباطل وهو المحق، فإن كان لا من غير ذلك فلم يصح من قوله ولا من قول أحد من أصحابه، فإن كان لعقدهم الإمامة لغيره فهو إن كان ذلك معه في زمان المدة الموقوتة للتحكيم محقاً يرضاه بذلك وهو لم يخلع نفسه عن الإمامة على قياد قول من حاجّ في ذلك بذلك فنعم لا يجوز لهم معه أن لو صح ذلك كيف لم يرض به وهو الحق معه ؟ فمن هنالك قد ضل وجاز لهؤلاء أن يقيموا إماماً وقتلهم بعد ما هو قد ضلّ، وجاز لهم

---

(١) سورة يونس : ٣٢ .
(٢) سورة النساء : ٩٣ .

عقد الإمامة لغيره وإن كان في حين رضاه بالباطل مبطلاً جاز لهؤلاء عقد إمامة لغيره في حين ضلاله معهم وقتلهم بعد ما رجع إلى مذهبهم بقلة رضاه بالحكومة.

وكل هذا القتال لا يذكره أحد من فرق الإسلام، وإنما اختلفت المذاهب في أحكامهم لا في كون وقوع هذا من الصحابة؛ فذهبت السنية أن كل مجتهد مصيب، ونقضوه بتخطئتهم للخوارج وهم من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) من المجتهدين، وكذلك المعتزلة، قالوا هم أعلم منا وقلدوهم الأمر، وقالوا أن علي بن أبي طالب هو أعلم من الخوارج والأعلم لا يضل وإنما يضل الأقل علماً، ونقضوه بولايتهم لمعاوية وأصحابه وهم أقل علماً من علي بن أبي طالب ، وهذه ظنون فاسدة وأقاويل واعتقادات متناقضة ينقضونها بأحكامهم بها في الخوارج ومعاوية، ولقد ضل بلعام بن باعوراء في زمن موسى عليه السلام وهو أعلم أهل زمانه .

بيان: فإن قيل أن علي بن أبي طالب لم يقصد في نفسه بتحكيم الحكمين تاركاً لإمامته، ولا يرضى بغير الحكم الحق من الحكمين؛ والدليل على ذلك أنه لما حكما بغير الحق لم يرض به، وإنما كان ذلك منه على معنى الانتصار لأمر معاوية عسى يرجع إلى الحق، ونصّب الخوارج إماماً فوق إمامته وهو في نفسه أنه هو الإمام لا غيره، لذلك استحقوا معه القتل وقتلهم على ذلك.

فنقول : إن كان في نفسه أنه إن نصب إماماً غيره من أهل الحق يرضى به فقد خلع نفسه خلعاً أجاز فيه أن ينصب غيره، ونصب الخوارج إماماً في وقت هو جائز لهم، وإن كان في نفسه أنه لا يجوز لمعاوية ولا

لأحد من المسلمين أن ينصب إماماً غيره ولا أن يرضى أحد إمامة إمام عن غيره، وأنه هو الإمام لا غير فكيف يرضى هو بترك إمامته وبخلع نفسه في حكم الظاهر، وكان يقاتل من أراد خلعه، وأن من أراد خلعه فحكمه باغ جائز قتاله فخلع نفسه؟، فإن كان جائز له أن يخلع نفسه في حكم الظاهر مع الناس جاز للناس مثله خلعه كما خلع نفسه، وجاز لهم أن ينصبوا إماماً غيره في حين ذلك، وإن كان لا يجوز له أن يخلع نفسه فهو مبطل إذا خلع نفسه وهو غير جائز له، وإن قيل أنه لم يخلع نفسه ولا ترك إمامته، قيل له فلأي معنى كان الأجل والتراضي والمكاتبات بينهم وأخذ العهود في الرضى في تحكيم الحكمين فيمن يحكمون له بالإمامة إن حكموا له أو لغيره بغير شريطة هنالك بينهما أنه لا يحكمان إلا بإمامة علي بن أبي طالب وإلا ليكون باغياً كما كان باغياً من قبل فالرضى بهذا مع ثبوته على إمامته هو أشدّ بطلاناً وأكثر ضلالاً.

ووجه آخر ؛ لا يخلو ما فعله علي بن أبي طالب ومعاوية من أمر التحكيم والرضى به بمن يحكمون به الحكمان إماماً وترك القيام بلازم الإمامة من قتال أهل البغي إما حق وإما باطل، فإن كان حقاً فهو الذي طلبه معاوية من علي بن أبي طالب ومن المسلمين أن يتركوا أمر الإمامة عن علي بن أبي طالب وهو الذي قاتلوه عليه وصار بعضهم في حكم الباغي في أول الأمر فلا شك أن علي بن أبي طالب ومن معه من المسلمين مبطلون بقتالهم لمعاوية لأن ما طلبه منهم هو جائز له ولهم، ومن طلب الجائز لم يجز قتاله، ومن قاتله فهو مبطل بحكم كتاب الله في قتل النفس بغير الحق ، وقتاله لمعاوية بعد تحكيم الحكمين كذلك ضلال

وباطل لأنه لم يزل معاوية وعلي يتقاتلان إلى أن مات علي بن أبي طالب ويكون الخوارج كذلك ضالون مبطلون مثله لأنه لا يجوز قتال معاوية على هذا.

وإما أن يكون ما فعله علي ومعاوية من أمر التحكيم والرضى به من علي بن أبي طالب ومطالبة معاوية من علي بن أبي طالب ومن معه من المسلمين باطلاً وقتالهم لمعاوية بحق فالباطل باطل ممن جاء به والمحق من لم يرض بالباطل واتّبع الحق، فيكون المحقون الخوارج دون علي بن أبي طالب ومعاوية، من أين توجهتَ لم تجد لعلي بن أبي طالب مخرجاً من الباطل؛ لأن ليس هنالك منزلة ثالثة هي لا حق ولا باطل، ولاهدى ولا ضلال ، لقوله تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾[1].

ولم يكف هذا الضلال حتى قتل من الخوارج أربعة آلاف نفر بعدما رجع إلى مذهبهم في قتال معاوية.

وإن كانوا مبطلين فهو مبطل مثلهم لأنهم كانوا على طريقة واحدة في قتال عدوهم، وصار آخر أمره يقاتل الذين كانوا يقاتلونه هو وإياهم جميعاً على حالته الأولى ومطلبه الأول لا غير فهو في أول الأمر مبطل وفي آخر أمره مبطل بقتاله معاوية هو وهم جميعاً.

وإن كانوا في أول الأمر جميعاً محقين علي والخوارج في قتالهم لمعاوية، فقد بقي الخوارج على الحق في معاداة عدو الله، وعلي مبطل بقتله من هو باق على الحق لا شك في ضلاله، وهلاكه إن لم يتب إلى الله

---

(١) سورة يونس : ٣٢ .

تعالى ويأتي بشروط التوبة التي لا تصح التوبة في أحكام الله تعالى إلا بها، فالدين بما فعله وهو المستحل تكفيه التوبة بالندم والاستغفار إلى الله تعالى وإصلاح العمل بموافقة الحق والنية أن لا يعود إلى ذلك، وليس عليه غرم ما أتلفه، وقول إن ما بقي في يده بعينه عليه أن يرده إلى صاحبه إن عرفه، وقيل ليس عليه ذلك بعد التوبة ولا قود على نفس قتلها ولا إرش جراح في كل من كان في دينه أن ذلك جائز له وأن ذلك هو دين الله تعالى كما لا يلزم ذلك المشرك إذا أسلم وكان قد فعل ذلك.

وأما إن كان في نفسه أن قتل هؤلاء المسلمين لا يجوز في دينه وارتكب الباطل عارفاً أنه باطل في دين الله فلا بد في التوبة من قود النفس إلى من أوجب شرع الله عليه أن يقودها إليهم بحكم شرع الله وغرم ما أتلفه من الأموال بغير الحق مع ما ذكرناها من الشروط، وهكذا حكم كل مرتكب لأمر قد حرمه الله عليه وفيه الغرم والقود لا يخلو إما أن يكون المرتكب مشركاً وأسلم أو مستحلاً وتاب فليس عليهما في التوبة غير ما ذكرناه، وإما أن يكون منتهكاً لما يدين بتحريمه فعليه جميع ما ذكرناه وعلي بن أبي طالب لا يخلو الحال فيه من إحدى وجهين في قتله الخوارج إما مستحلاً فيكفيه من التوبة ما ذكرناه، وإما أن يكون محرماً لما فعله في دينه فيما بينه وبين الله تعالى فعليه في توبته جميع ما ذكرناه ولكن قد يمكن يتوب المرء وهو في عجز عن أداء جميع ما عليه من قود وإرش وغرم من مرض أو غير ذلك من الموانع له، وفي نيته متى قدر ليؤدي جميع ذلك من نفسه في توبته وهو في حد تنفعه هذه النية وهذه التوبة ومات قبل أن يقدر أن يؤدي ما عليه فإن الله يتوب على من صدقت نيته في توبته ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً

نصُوحًا ﴾[1] ، فاعرف ذلك .

بيان: فالخوارج لم يقلدوا دينهم علي بن أبي طالب حيث كان معهم أعلم الأمة فلم يعتبروا المحق بكثرة العلم ولا بقرابة النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا بقربته لأحد ، وإنما اعتبروا المحق بموافقته لأحكام السنة والكتاب ، وقد خالف علياً من الصحابة في الميراث زيد بن ثابت وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ولم ينظروا إلى علم علي بن أبي طالب أنه أعلم منهم حتى لا يجوز لهم أن يقولها بخلاف قوله، وخالف علياً وزيداً وعمراً وعبدالله بن مسعود عبد الله بن العباس أيضاً في فرائض الميراث ولم ينظر إلى علي بن أبي طالب أنه أعلم منه حتى لا يجوز له أن يقول في ذلك بخلافه.

وعمل السنية بفرائض زيد وهي على خلاف فرائض علي بن أبي طالب وكل ذلك مشهور في الأمة ولكن تخالف هؤلاء فيما لم يأت الله تعالى ولم يأت النبي (صلى الله عليه وسلم) بيانه من الميراث صريحاً ، وأما خلاف علي بن أبي طالب للخوارج وخلاف الخوارج له من أمر قد حكم الله فيه وألزم عباده العمل به فعمل علي بن أبي طالب بخلافه من قتال أهل البغي حتى يفيئوا إلى أمر الله وتحكيم أهل البغي في أمور دين الله تعالى ، ولم يجز الله لعباده تحكيم غير أهل العدل في كل أمر من أحكامه ولا أن يحكموا إلا بما أنزل الله عليهم من أحكامه ، إن كان في ذلك حكم أنزله الله تعالى ، فقال : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2] ، فكيف لا يجوز لأحد خلافه ممن هو دونه في العلم وقد

---

(١) سورة التحريم : ٨ .
(٢) سورة المائدة : ٤٥ .

خالفه زيد وابن عباس وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود والسنية جميعاً في الميراث فيما لم يأت الله تعالى فيه ولا رسوله بياناً، ولا يجوز خلافه فيما أتى الله بيانه صريحاً وعمل هو بخلافه مجاهرة صريحاً أليس هذا من الضلال المبين مع أهل العقول المنوّرة بنور العلم ؟ .

والحق مع الخوارج أنه لو كان للنبي ولد أعلم الأمة جميعاً وأروع وأزهد الصحابة كلهم ولم يتبين منه خلاف إلا في حكم واحد ألزمه الله العمل به والحكم به فخالف الله تعالى بغير عذر إلا بكونه أنه هو الحق ودان به أو قاتل عليه وقتل على ذلك المحقين الذين لم يرضوا بذلك الحكم الباطل لحكموا له بالضلالة وأنه إن كان مات على ذلك مصراً غير تائب فهو من أهل النار خالداً فيها بلا نهاية فكيف بغيره من الناس لأن أحكام الله في خلقه سواء ما لم ينزل الله تعالى تخصيصاً في شيء من الأحكام وبالله التوفيق.

بيان : ولما جيّش عَليّ بن أبي طالب جيشاً لحرب معاوية ، ومرّ بالخوارج في مكان يقال له النهروان قاتلهم بجيش عظيم، وقتل منهم أربعة آلاف نفر، ومع السنية أن الخوارج في ذلك الوقت اثني عشر ألفاً وقتلهم جميعاً من غير أن يتعرضوا له بقتال؛ لأنه قتلهم في مكانهم حيث هم قائمون فيه.

بيان : في نسب المذهب الإباضي إلى عبد الله بن إباض :

ثم ظهر بعد ذلك رجل من التابعين يسمى عبدالله بن إباض نظر إلى هذه الأحداث التي ذكرناها الواقعة بين الصحابة، وصوّب الخوارج وشرح أمور الجميع وبيّن الفرقة المحقة من فرق فتنة عثمان وفتنة عائشة

وفتنة علي ومعاوية والخوارج .

بيان : وأهل عُمان في ذلك الوقت في معزل عن هذه الفتن يحمدون الله تعالى لما أخذوه من العلم عن النبي في زمانه وعن الصحابة من بعده من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ولا يعرفون الخوارج ولا عبد الله ابن إباض ولا غيرهم ، ولم يأخذوا عن عبد الله بن إباض مسألة واحدة .

فلما بلغهم علم هذه الأخبار وأخبار عبد الله بن إباض عرضوا أحكام جميع تلك الأحداث الواقعة على ما معهم من العلم السابق لهم فوجدوا الحق الموافق كما معهم من الحق ما قاله عبد الله بن إباض فنسبوا إليه بتصويبهم له لا بأخذ الشريعة عنه، وفي مذهبهم أن كل من نطق بالحق لأصول دين الله الذي لا يجوز خلافه فهو الحق وهو الذي لا يجوز خلافه سواء كان قول عبدالله بن إباض أو من غيره من المسلمين من جميع الفرق أو من يهودي أو نصراني أو مجوسي فالحق حق ممن جاء به، واللازم العمل به وما جاز فيه الاختلاف جاز لكل عارف أن ينظر لنفسه الأصح من العمل ولو كان على خلاف قول عبد الله بن إباض ، وجاز أن يعمل به من المسلمين ممن رآه منهم كما رآه الأول ، ولو رآه يهودي أو نصرني أو مجوسي أو مشرك أو مسلم أو إباضي ، وهو على خلاف عبد الله بن إباض ؛ لأن دين الله في الخلق سواء وليس عبد الله بن إباض بنبي حتى لا يجوز خلافه فيما يجوز فيه الاختلاف وذلك هو معنا أننا لا نقلد في ديننا أحداً من المسلمين ، فالتقليد معنا في الدين على وجوه ومنها أن يتبع المرء مبتدعاً لا يسعه اتباعه فيه أو يدين برأي من قول أحدٍ من المسلمين مما يجوز فيه الرأي ويدين بخلافه فيما يجوز خلافه

كما فعله المؤتمون بأئمتهم في الرأي .

بيان : وقد قلنا فيما سبق أن أصحابنا وهم الخوارج لم ينظروا ويعتبروا الحق بكثرة العلم ولا بقربه من النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا بقرابته منه ، ولو كان للنبي (صلى الله عليه وسلم) ولدُ بالغ وقد خالف الله تعالى على ما لا يجوز له خلافه في شيء واحد ومات على ذلك مصراً لحكمنا له في الظاهر دون الباطن بحكم الضلالة والبراءة منه، وإن كان مات على ذلك في علم الله تعالى غير تائب فهو في النار ولم تنفعه قرابة النبي .

والحق كذلك معنا وبعد ذلك حكم أنه لما كان العاصي يمكن أنه قد تاب ونحن لم نعلم به لم يحكم له بالحقيقة لأنها من علم الغيب، ولا يجوز معنا الحكم بولاية الحقيقة في أحدٍ مخصوص ولا براءةِ الحقيقة في أحدٍ مخصوص من أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) إلا من حكم الله تعالى بكفره في تنزيله، وكذلك في ولاية الحقيقة إلا من أنزل الله في كتابه ولايته مخبراً عن أحدٍ مخصوص أنزل معناه صريحاً أنه ولي له وأنه من أهل الجنة، وإن تأول من تأول بآيات القرآن في أحدٍ فليس ذلك صريح، ويجوز من قول نبي أن فلاناً من أهل الجنة أو أنه من أولياء الله في الحقيقة، ولكنه تجوز ولايته بالحقيقة لمن سمعه بأذنه من لسانه لا لمن بلغه عن غيره أنه سمع الرسول يشهد له أنه من أهل الجنة أو أنه من أولياء الله في علمه الباطن .

ولو شهد عليه ألف نفر من أولياء الله تعالى وأنهم سمعوا الرسول يشهد لهذا أنه من أهل الجنة لما جاز معنا لهذا الذي شهدوا معه هؤلاء أن يتولاه بالحقيقة بالدينونة أي يعتقد ولايته ديناً فرضاً لازماً عليه هالكاً إن لم يتولاه ولاية الحقيقة، وإنما يتولاه بشهادتهم لقيام الحجة عليه

بهم ولاية حكم الظاهر، كما حكم القاضي بإثبات حق وقد شهدا به شاهدا عدل لرجل ادّعاه على آخرين هذا الحق عليه لهذا ولا يحكم على المشهود عليه بحكم الحقيقة بصحة ذلك عليه ولا على صحة قول الشاهدين لأنه ممكن كذبهم جميعاً في علم الله تعالى، والحكم لا يكون بعلم الباطن الخفي عن الخلق وإنما هو حكم الظاهر من أحكام الله تعالى.

ومعنا أن هذه أصول هي كذلك في دين كل نبي على أمته، وهكذا لا فرق بين الولاية والبراءة بالحقيقة أو بحكم الظاهر، وقد ظن بعض أن معنى قول ابن النظر (ذاك علي في القرار الأسفل)، وقال في موضع آخر (والمخ يغلي كغلي المرجل) أن هذه براءة حقيقة منه؛ لأنه حكم أنه في النار بهذا اللفظ، وليس التفسير الصحيح كذلك ، وإنما مراد ابن النظر (ذاك علي في القرار الأسفل) من أمر الفتنة الواقعة بينه وبين معاوية والخوارج، وأن مخه يغلي بها بتدابيره الصادرة عن فكر حواسه على غير الحكم الإلهي المنزل في كتابه سبحانه وتعالى، ولم يرد ذلك ابن النظر أنه في قرار جهنم وأن مخه يغلي بها فيها إلا أن يكون على حكم الظاهر لا أنه من أهل النار على الحقيقة، لأن هذا من أحكام علم الغيب فإن قيل إن قوله :

قد قتل الأخيار فيها وصلي بقتلهم حر الجحيم المشعل

ما يدل على خلاف قولك فنقول أن كل من فعل الفعل الذي يستحق به العقاب حكم بفاعله أنه من أهل النار في حكم الظاهر في الحقيقة إن لم يتب فكذلك، وذلك جائز ولم يأت بذكر الاستثناء إن لم يتب ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [1] ، ولم

---

(١) سورة النساء : ٩٣ .

يستثن سبحانه وتعالى بأنه إذا لم يتب لأن ذلك من المفهوم أن المراد إن لم يتب ولا يشك عالم أن التائب مغفور له، وأنه إذا لم يعلم بتوبته ولا يعلم أنه مات تائباً عند الله تعالى أو غير تائب هذا من أحكام علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى أو بوحي إلهي أو بلسان نبي يسمعه السامع منه بأذنه لا غير وبالله التوفيق .

المسائل الخلافية بين الأباضية والشيعة :

فصل : في اختلافنا نحن والشيعة في هذه الأمور :

فأول ذلك أنهم دانوا بأن الإمام علي بن أبي طالب من أهل الجنة حقيقة ومن لم يدن به أنه ولي حقيقة وأنه من أهل الجنة هو كافر، وكذلك ولداه والأئمة من ولده الحسين، وقد قدمنا أن هذا لا يجوز معنا في كل مخلوق لم ينزل فيه تنزيل إلهي من الله تعالى، وأن من قول النبي لا تجوز الدينونة كذلك إلا من سمعه من لسان النبي فقط وهكذا في حكم كل نبي في أمته لأن الحقيقة هي من علم الغيب.

والوجه الثاني أنهم دانوا بأن علي ابن أبي طالب محكوم له بالعصمة بحكم الله تعالى الذي ألزم الله تعالى أمة نبيه أن يدينوا به عن الخطأ وعن العمل بالضلالة كالعصمة للنبي، وفي مذهبنا أن الله تعالى لم يخلق أحداً من أمة محمد وحكم علينا أن نلزم أنفسنا اعتقاد عصمة إلا النبي لا غير، ولو أخبر الله في كتابه أن فلاناً هو ولي في علم الغيب لم يكن ذلك الحكم يدل على أنه معصوم عن وجود الخطأ منه ولا عن العمل بالضلالة وإنما يدل ذلك على ولايته في علم الله تعالى في الحقيقة وأنه إن فعل ضلالة لا يموت منها حتى يتوب منها ويكون في حين عمله بالضلالة

ضالاً بها حتى يخبرنا الله تعالى عنه أنه معصوم عن وجود الخطأ منه وعن العمل بالضلالة، فأما العصمة عن وجود الخطأ في القليل من كمالات الأمور، فحتى النبي (صلى الله عليه وسلم) غير معصوم وإن كان معصوماً عن العمل بالضلالة كقوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى {١} أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ﴾(١) ، فلو علم الرأي الأكمل هنالك لما عمل بما هو أهزل في معاملته لله تعالى عزّ، وجلّ ولكن الله لا يدعه كذلك بل يوحي إليه ويخبره بما هو أكمل وأفضل، وأما غيره فلا .

وأيضاً أنهم دانوا بأن الله تعالى أنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) حكماً ألزمه الله عباده أن الإمامة في علي بن أبي طالب ومن بعده في ولديه وفي الأئمة من ولده الحسين، وأنهم كلهم قد حكم الله لهم بالعصمة عن وجود الخطأ منهم وعن العمل بالضلالة، وأنهم هم أوصياء النبي بعده والقائمون مقامه، وأن ذلك كان من الله لأجل بقاء معرفة الحق بهم منهم إذا افترقت الأمة ولا تصح إلا كون ذلك، وأن كل نبي له أوصياء وهذا مثلهم وهؤلاء أوصياؤه في الدين.

وافترقت الشيعة إلى فرق شتى ونقل عن الأئمة كل منهم ما يوافق مذهبه مما هو مخالف لنقل الآخر منهم عنهم، كما اختلف نقل أهل الفرق عن النبي وعن الصحابة، وكل فرقة كان نقلها ما يوافق مذهبها ويخالف ما نقل غيرهم من الفرق فلا فائدة في عصمة هؤلاء لصحة الفرقة، وهذه دعاوى لا برهان لها وليست هي بحجة على أحد، وإن كثرت الروايات معهم في العصمة وفي الإمامة فقد صح أن كل فرقة من المذاهب نقلت من

---

(١) سورة عبس : ١ – ٢ .

الروايات ما يوافق مذهبها وهو على خلاف ما نقل أهل الفرق الأخرى، فكذلك نقل الروايات معهم في صحة ذلك لا تقوم بها الحجة على الناس في لزومها عليهم.

بيان : ومن هنا تبرأت الشيعة من أبي بكر وعمر وعثمان لأنهم أخذوا الإمامة وهي لغيرهم، فكان معهم أن ذلك ظلم وتعد ولا ينفع عدلهم في المسلمين ولا في أنفسهم، وتبرأوا من جميع الصحابة من رضي ببيعة أبي بكر وعمر وعثمان ولم يتولوا إلا قليلاً من المسلمين ادّعوا أنهم لم يرضوا ببيعة أبي بكر وعمر ولم تقم الحجة بصحة ذلك لأن الأمة مجتمعة على أن هذه دعوى لا صحة لها، ولمّا لم يستطيعوا القول بأن علياً أنكر الإمامة لأبي بكر وعمر بن الخطاب، ولم يستطيعوا أن يقولوا أن علياً طالب في ذلك، فقالوا: أمسك عن ذلك تقية ودانوا بلزوم التقية.

ومعنا أن التقية تجوز في موضع الحق وعلى النفس أو على ضياع الدين ولا تلزم على أية حال لأن من قدر أن يبذل نفسه لله ولو خاف القتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جائز، أو من سكت في موضع العجز كان سكوته جائزاً والجائز اللازم بالجائز هو الذي فيه التخيير واللازم هو اللازم ولا تخيير فيه، وعلي بن أبي طالب لا يخاف من القتل إن أظهر الحجة للمسلمين وطالب بحقه إن كان له معهم، فإن وفوه بحقه وإلا أمسك وكان له العذر، فلما لم يصح هذا من علي بن أبي طالب لم تقم الحجة على الناس ما ادّعاه الشيعة ولو صح ذلك من الله ومن النبي لعلي ابن أبي طالب لما ترك علي بن أبي طالب المطالبة ولا استكان مع ما أعطاه الله من القوة .

وكثرة الجدال منهم في هذا غير مريد لإيضاح حجة بعد اتفاقنا نحن وإياهم وجميع الأمة أن علياً لم تظهر منه المطالبة فيما أوصي له به من الإمامة وما حكم له بها على دعواهم، ولا صح من المسلمين بعدما ولي الأمر علي بن أبي طالب بيان في ذلك ولا قول، ولو كان ذلك أمراً كائناً للزم علي بن أبي طالب استتابة كل من تولى أبي بكر وعمر وأظهر الحجة بالذين سمعوا النبي فلما لم يصح هذا فكل حجة يحتجون بها من المعاذير فليس بحجة ،لأن كل متدين بدين لا بد من أن يأتي بحجج وليست هي في أحكام الله بحجة وصح بذلك أن براءتهم من أبي بكر وعمر من كبائر الذنوب والمعاصي، وقد أجمعت الأمة على عدلهما وحسن سيرتهما إلا الشيعة ومضى أمرهما قبل وقوع الفتن ولم يصح من علي بن أبي طالب حين ولي الأمر فيهما إنكار عليهما في شيء ولا إنكار أعني من تولاهما وصح بهذا خطأ وضلالة جميع الشيعة بهذا البحث عليهم وببراءتهم من عائشة أم المؤمنين إذ قد أجمعت الأمة على توبتها .

ومن نظر من أحدٍ معصية وتبرأ منه ثم شهد عليه شاهدا عدل أنه قد تاب وصار بعد ذلك ولياً لله تعالى لزمه أن لا يبرأ منه فكيف من شهد عليه جميع الأمة بتوبته، فإن كان معهم أن شهادة جميع الفرق لا تقوم بهم الحجة معهم عليهم لأنهم على ضلال فنقول نعم في حكمهم أنهم معهم هم المحقون وغيرهم مبطل وشهادة المبطل لا تقبل ولكن معنا ومع جميع المذاهب أنهم هم المبطلون وقد صح بطلانهم ببراءتهم من أبي بكر وعمر بدعاوى لم يقيموا لها برهانا ولا يجدون من برهان إلى يوم القيامة ومن كان كذلك أمره في دينه فليس هو بحجة في نقل الروايات المخالفة للحق ولا على قيام حجة فيما لم يصح مع الناس وجوبه عليهم فيكون كذلك ما

نقلوه عن عائشة ليس بحجة على أحد من المسلمين وكذلك من دان بروية الباري وأن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) رآه في الدنيا بعينه فليس بحجة ما ينقله عن النبي ولا عن الصحابة مما لم يقم عليه صحته بالحجة على غيرهم من الفرق لأن ذلك منهم والمبطل لا يكون حجة على أحد في شيء لم تقم عليه الحجة بصحة ذلك إلا من نقله هو إليه، وإن قلنا نحن وقد أجمعت الأمة فلا يرون ذلك إثبات صحة إلا إذا كان معنا أنه هو الحق وبالله التوفيق .

المسائل الخلافية بين الأباضية والمعتزلة :

بيان: وأما المعتزلة فهم مثلنا في روية الباري أنها لا تجوز وكذلك الشيعة لكنهم كالسُّنية فيه تصويب أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) في المحق منهم والمبطل ولا بأس لو لم ينصبوا هذا الاعتقاد ديناً وجعلوه من الرأي الذي يجوز فيه الاختلاف لأن الأمة لا تهلك بالرأي، ولكن نصّبوه ديناً وتبرءوا ممن لم يدن بذلك، كذلك مثلهم كما نصبوه السنية ديناً ثم لم يصوبوا كذلك الجميع، بل خصوا التصويب من الفريقين المتقاتلين دون بعض وحكم الله سويّ، فإذا جاز أن يكون بعض المسلمين يتقاتلون وكلهم على الحق جاز في غير أولئك أن يكون كمثلهم ولكن هيهات يجوز أن يتقاتلوا وكلهم محقون لأن قتل المحق باطل، وقد اعترف الجميع بصحة أخبارهم بقتال بعضهم بعض واعتقدوا تصويبهم جميعاً في ذلك القتال فضلوا بالدينونة ضلالاً بعيداً وكانوا على خلاف أحكام القرآن لأن من قتل مؤمناً متعمداً على أمر وذلك المقتول على ذلك الأمر هو محق لا شك في ضلال القاتل بنص القرآن، فإلى أين هم عنه ناكثون منكبون

على وجوههم قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾[1] .

ولا شك إن حكموا لهم جميعاً أنهم في قتال بعضهم بعض في أمرهم فيه كلهم محقون فلا شك أنهم قد حكموا بضلالهم جميعاً لأن المحق لا يجوز قتله على أمر هو فيه محق كما قلنا في السنية سابقاً بنص القرآن العظيم في هذه الآية التي أوردناها وفي غيرها من الآيات، فهذا بما خالفناهم فيه، وأن جميع أعمال الخلق ليست هي خلق من خلق الله تعالى وإنما هي خلق من العباد ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[2] ، ودانوا بذلك وكفروا من لم يقل ويعتقد مثلهم، وأجمعت الأمة أن أعمال العباد من الله خلق ومن العباد فعل؛ فكل شيء لم يخلقه الله في نظير كون وجوده في الوجود فمن يستطيع أن يعلم من خلق الله حتى خلقه بنفسه ولو صح ذلك لصح أن الناس يعلمون الغيب ويقدرون على إيجاد شيء لم يعلمهم الله إياه، ومن أين علم صورة ذلك الفعل في الابتداء؟ فإن كان من نظره في غيره قلنا وذلك الغير إلى أن ينتهي في مبتدعه فمن علمه بذلك؟ ومن صَوّره في عقله حتى يعرف بالإلهام من الله تعالى أن ليس في قلبه؟ ومن ألهمه الحكم الغريبة والأشياء الدقيقة الصعب علمها وصوّرها في نفسه أليس ذلك الإلهام وتصوير ذلك في عقله هو شيء قد خلقه الله وصوّره في عقله ففعله ؟ .

هذا ومع المباحثة ينظر أهل العقول أخطاءهم ويقال لهم: التخييل هو شيء فلو لم يخلقه الله تعالى هو أيستطيع أحد أن يعمله وقد قال الله

---

(١) سورة النساء : ٩٣ .
(٢) سورة العنكبوت : ١٧ .

تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [1] ، ولكنهم لو قالوا هذا ولم يدينوا لله به ولم يخطئوا أهل الحق فيه لكان لهم بذلك عذر لأنهم قالوا بما رأوه في أنفسهم ولم ينصبوه واجباً عليهم من الله تعالى ولا كان وجوبه عن نبيه (صلى الله عليه وسلم) فرضاً عليه وجعلوه من الرأي لكانوا في السلامة، ولكن اعتقدوا أن الله هو ألزمهم أن يعتقدوا كذلك ورووا ذلك عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وتبرأوا ممن خالفهم وكان على الحق في ذلك وحكموا عليه بالعقاب في الآخرة فضلوا بذلك ضلالاً بعيدا، ومن ضل وصار في الحكم مبطلاً لم يكن حجة فيما ينقله عن النبي (صلى الله عليه وسلم) .

مذهب محمد بن عبد الوهاب النجدي :

بيان : وأما الوهابي ، فهو مذهب محدث ليس بقديم ، قد اتخذه عبد الوهاب النجدي من بين المذهب الحنبلي والمذهب الأزرقي ، وأجاز قتلهم وسبي ذراريهم ونسائهم وغنيمة أموالهم ، ولا نعلم أن أحداً من الإسلام ادّعى في قتال الصحابة لبعضهم بعضاً أجاز ذلك في بعضهم بعضاً، حتى عبد الوهاب ونافع بن الأزرق لم نعلم أنه ادّعى أن أحداً من الصحابة سبى ذرية أحدٍ من الصحابة ولا نساء من قاتله ولا غنم أمواله، وكذلك لم يجز في مشركي العرب سبي الذراري والنساء، وإنما جازت غنيمة أموالهم وأما المسلمون فلا نعلم أن أحداً ادّعى أن المسلمين سبوا أموال بعضهم بعضاً، وأما ما بقي من مذهبه فهو كالحنبلية، والحنبلي من السُّنية فيما لم نذكره فلأجل ذلك لم نفرد لهم فصلاً وبالله التوفيق .

بيان : فهذه أصول أسباب افتراق الأمة على ما هم فيه وعليه من

---

(١) سورة الصافات : ٩٦ .

المذاهب في أول ابتداء الافتراق لا جميع ما افترقوا فيه فإن إتيان جميع ذلك يستدعي مجلدات كثيرة، فالشيعة تبرأت من أبي بكر وعمر وعائشة وجميع الصحابة إلا قليلاً منهم، والسُّنية والمعتزلة تولت الجميع المحق منهم والمبطل وجعلوا محقين مع معرفتهم الجميع على الحق لأن المحق لا يجوز قتاله كما بيّناه وكررناه، ولا بأس فقد قيل في المثل : أن التكرار يُفقه الحمار ، واختلفت المعتزلة في تفضيل أبي بكر على علي وتفضيل عَليّ على أبي بكر وليس ذلك بضارّهِم شيئاً في دينهم ما لم يكن على سبيل الدينونة بذلك، ولو لم يكن فيهم غير هذا لكانوا في السلامة، ولكن خالفوا فيما ذكرناه واعتقدوه دينا.

وأما السُّنية فمنهم من جعل فضل الأئمة الأربعة سواء، ومنهم من يفضلهم على ترتيبهم فيفضل أبا بكر ومن بعده عمر ومن بعده عثمان ومن بعدهم علي بن أبي طالب، وأما نحن الإباضيون فنتولى أبا بكر وعمر من الأئمة الأربعة، ومن صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كل من صح معنا أنه على طاعة الله تعالى في حكم الظاهر، ونبرأ ممن صح معنا أنه مات على خلاف دين الله تعالى بغير عذر له براءة بحكم الظاهر، وكذلك ولاية أبي بكر وعمر وزوجات النبي بحكم الظاهر، ونقف وقوف السلامة عن كل من لم نعرف أحواله وبالله التوفيق.

بيان : ثم لم يزل الخلاف يتكاثر باختلاف نقل الروايات بين المذاهب حتى صار في كل شيء من أمر الدين، والمراد بالخلاف في الدين هو الذي لا يجوز فيه الاختلاف، لأن الخلاف في الفرق من الرأي يجوز فيه الاختلاف كما ذكرنا لأن اختلاف المسلمين في الرأي رحمة أي توسع

بالأعمال، واختلافهم في الدين نقمة لأن مخالفة الحق في مذهبنا لا يجوز بغير عذر على حال، ولعل كل فرقة تناقض نقلها الفرق الأخرى، وكل فرقة احتجت على غيرها من الفرق بما يظن أنه قد غلب بما أورده من الجج جميع الفرق الإسلامية، فإذا نظر ناظر إلى تلك الحجج رأى أنه هو الغالب وهو المحق ولكن لو نظر إلى تلك الحجج المحجوج بها أيضاً لاستطاع أن يأتي ما يتصور إلى نفس ذلك النظر إلى حججه أنه هو الغالب، ولا يزال كذلك الأمر بينهما إلى أن يعجز أحدهما فيقر بالعجز ولكن يعتقد أنه لو حاج علماؤه الأولين لأعجزوه أو يجادل مكابراً، ومثلاً لذلك أنه إذا نظر أحد من الفرق إلى ما قلته هنا استطاع أن يأتي بحجج في غير حضرتي ما يتخيل للناظر إليها أنه قد حجّني، ولكن لو نظرت حججه لاستطعت أن أنقض حججه حتى يتخيل للناظر إلى حججي أني قد غلبته ويدور الأمر كذلك بيننا، وكل أهل مذهب أتوا بالحجج على إدحاض مذهب وإبطاله فلا يرى تلك الحجج نوراً إلا أهل مذهبه.

وأما أهل المذهب الذي هو يحتج عليه فلا يتصور في نفسه ذلك نوراً، وإنما يراه إثماً وظلمة وظلماً، وبكثرة الحجج التي يأتيها حتى يظن أن الصبي ينظر حقها، ونعم فإن من الصبيان من أهل مذهبه قد يتصور نور تلك الحجج، وأما أهل المذهب الذي يحاجه فلا يرى كثرتها إلا ظلمة يتراكم بعضها فوق بعض.

وليس المراد رسم هذه السيرة الاحتجاج على المذاهب فيما يخالفنا فيه كما ذكرنا لإظهار الحق أنه معنا وإبطال ما عندهم من ذلك، ولذلك لم نأت بكثرة الحجج في بيان ما اختلفنا فيها، وإنما أوردنا مقدار ما

يعرف هؤلاء السائلون الأمور التي اختلفنا فيها واكتفينا ببعض البعض عن الكل، وبهذا كفاية وبالله التوفيق.

المسألة السادسة : مسألة هاروت وماروت :

فصل : وأما المسألة السادسة التي عن هاروت وماروت وما ذكره القوم فيها من الأخبار أنهما كانا من الملائكة وأنزلهما الله ببابل وزنيا بامرأة تسمى الزهرة، فلو لم يكن من الخلاف لهم لدين الله إلا هذا الاعتقاد في هؤلاء الذين اعتقدوها أنهما من الملائكة لكان كافٍ لهم حتى يكونوا في حكم الكفار معنا، لأن الله تعالى حرم رمي المحصنات من المؤمنات والمؤمنين بالزنا حتى يأتوا بأربعة شهداء من أهل العدل يشهدون أنهم رأوا العورة تدخل في العورة، وإن لم يأتوا بالشهداء فأولئك هم الفاسقون أي في حكمه كاذبون ولو كانوا في علمه بهم صادقون، والمعنى تحريم ذلك عليهم وأنهم إن فعلوا فقد تعدوا حدوده ، ومن يتعد حدود الله بفعل ما حرّمه عليه ، فأولئك هم الظالمون ، وقال تعالى : ﴿ ألا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[1].

فكيف يصح هذا في ملائكة الله تعالى إذا كانا من ملائكته تعالى، وإن إيكونا لا من الملائكة فكيف يجوز هذا من أهل زماننا اليوم بغير دليل من القرآن العظيم ولا صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بل قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً ﴾[2] ولم يقل وقد أرسلنا إليكم رسلاً من الملائكة، وآيات القرآن التي في ذكرهم كلها في ظاهر لفظها تصرح بالمدح لهما والثناء عليهما، والصحيح معنا في تأويل الآيات

---

(١) سورة هـــود : ١٨ .

(٢) سورة الحـــج : ٧٥ .

فيهما أنهما رجلان كانا كبيري بابل وأنزل الله عليهما علم العزائم من سحر محرم ومن مباح جائز، وعلم خواص الحروف والأسماء، وأمرهما الله أن يعلموا الناس ذلك ويبينوا لهم المحرم من الحلال لهم من ذلك، ومن الفعل بذلك ابتلاء من الله تعالى لهم كما ابتلى جميع من تعبده بعبادته من العباد، فقال تعالى : ﴿ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١) .

وقال حاكياً عنهما : أنهما يأمران بالطاعة لله ، وينهيان عن الكفر بالله ، ولذلك جازت القراءة بكسر اللام من ملكين ، ليدل على أنهما من الإنس ، وإنما جاءت بالفتح أيضاً ، دلالة عن الإخبار عنهما في أفعالهما بذلك العلم ، أفعال الروحانية وخرق العادات ، وإخبار عنهما بصفاء نفوسهما وطهارة قلوبهما ، فاكتفى بالدلالة على ذلك بتسميتهما ملكين باسم الملائكة ، ولو كانا في الأصل من الملائكة لم تجز القراءة بكسر اللام ، وقد اتفق العلماء القراء على جواز ذلك ، ولا يصح لهم ذلك إلا أن يكونا معهم أنهما من الإنس ، والدليل الثاني قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ (٢) فلو كانا من الملائكة لقال وما نزل به الملكان لأنهما هما نزلا بذلك لا أنزل عليهما إنما قال أنزل عليهما دلّ على أنهما من الإنس وغير هذا غير صحيح، وما التوفيق إلا بالله.

المسألة السابعة : معنى الصلاة على الرسول (ﷺ) :

وأما المسألة السابعة : أنه ما معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) ،

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٣ .
(٢) سورة البقرة : ١٠٢ .
(٣) سورة الأحزاب : ٥٦ .

والنبي عبد من عباد الله كيف يجوز أن يقال أن الله تعالى يصلي على النبي؟ فالجواب في ذلك أن الصلاة من المسلمين على النبي فهي الدعاء له، و من الله تعالى أن يصلي عليه وأن يسلم عليه، وكذلك صلاة الملائكة دعاء معهم له من الله تعالى ، كما يدعون للمؤمنين بالمغفرة ، فقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (١) ، من المؤمنين ممن كان على طاعة الله تعالى، وأما سلام الله الذي نسأله نحن أن يسلم به على النبي (صلى الله عليه وسلم) فهي تحيته ، كما قال : ﴿ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

وتحية الله لأوليائه ورسله وأنبيائه على معانٍ كثيرة يجمع معناها كرامته العظيمة تأتي على معانٍ شتى منها : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٣) والمراد هنا على معنى التهنئة بسلامتهم من الله تعالى من كل عيب وسلمهم الله تعالى من كل ضر، وكان على صورة التحية ليدخل في الدار إكراماً له مقابلاً له عند الدخول بالتنعيم، ومنها نزول كرامته ورحمته عليهم وهو معنى الصلاة من الله أيضاً وهي صلة رحمته إليهم ونزولها عليهم، ولم يختص بذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) عن غيره من المؤمنين لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ﴾ (٤) ، ومعنا هذا يجوز على هذا المعنى فجميع الأنبياء والأولياء قولنا اللهم صلِ على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وعلى جميع أوليائك كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين .

وإنما سميت الكرامة العظيمة من الله لعبده بالصلاة تعظيماً لشأنها

---

(١) سورة الشورى : ٥ .
(٢) سورة النور : ٦١ .
(٣) سورة الزمر : ٧٣ .
(٤) سورة الأحزاب : ٤٣ .

وإظهاراً لعظمتها، حتى سميت بأعظم شيء في الدنيا وهي الصلاة، وإظهاراً لعظمة الصلاة حتى أخذ اسمها وهي على الخصوص من غيرها ليسمى بها أعظم كرامة من الله تعالى لعبده، ولمّا كانت كرامة الله لنبيه محمد أعظم كرامة أعطاها الله عباده خصت باسم الصلاة له، وجعل السلام للأنبياء والرسل والملائكة والأولياء تعريفاً لعظمتها وإلا فهو جائز لغيره، وكذلك يجوز السؤال لله تعالى أن يصلي وأن يسلم لغير النبي بل لكل وليّ قد عرفه أنه وليّ لله تعالى بالحقيقة بوحي إلهي أو سمعه بأذنه من لسان نبي، ولكل وليّ في حكم الظاهر، وأما بالقطع (صلى الله عليه وسلم) في أحدٍ لم يعرفه بالقطع على الحقيقة أنه وليّ في علم الله الخفي فلا يصح أن يقول فيه (صلى الله عليه وسلم) لأنه قد قطع على الحقيقة أنه وليّ لله قطعاً في علم الغيب، والحكم بالفتوى بالغيب عبث فاعرف ذلك.

وفي كلام العرب وغير العرب يجوز أن يسمى الشجاع بالأسد والجواد بالبحر والعالم بالشمس وغير ذلك، وكما جاز أن تسمى كرامة الله تعالى لعبده إذا عظمت بالصلاة لعظمتها. وقد ظن قوم أن معنى الصلاة لنبيه هي الدعاء له لله تعالى وليس الأمر كذلك لأن الله هو المدعو المسئول فلا يصح هو أن يدعو له أيضاً لأنه يحتاج أن يدعو له غيره تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا، فهذا ما أردته أيها الشيخ من البيان أن أرسمه لك فيما سألت عنه والحمد لله رب العالمين.

بيان : لعله ولمّا قرأت على من رأى نفسه أنه من العلماء أنكر علينا قولنا ما قرّرناه عن الشيخ العالم الكبير أبي سعيد رحمه الله أنه لولا الإجماع من أهل نحلة الحق على تنجيس البول ـ بول الأنعام ـ لمال إلى ما

قالوه قومنا من طهارته .

فقال: ليس هنا محل الاجماع، وإنما اتفاق، ولله العجب من قول هذا القائل، ولم يدر أن المسألة إذا كانت من الرأي ومما يجوز فيها الرأي لو اتفقت على رأي من آرائها جميع أهل السموات والأرض على العمل به ورأى أحد أن غير ذلك أقوى وأقرب إلى الحق بما دلت عليه شيء من أصول الدين أو الرأي الصحيح دون الذي اتفقوا عليه لما جاز له أن يحكم إلا بما أراه الله أنه هو الأقرب إلى الحق .

وعلى هذا بني أصول كتاب الاستقامة والمعتبر، فكيف لا يجوز له إلا أن يقول بقول أصحابه ويمنع نفسه من خلافهم فيما يجوز له خلافهم ويرى الحق في خلافهم، فأين ذهب عقل هذا الناكر علينا في ذلك؟ فلعمري لم يمنعه إلا الإجماع، وقد يكون الإجماع في شيء لم يتكلم فيه أحد بشيء، وقد يكون في شيء أجمع عليه العلماء استحساناً ولم يحرموا خلافه، وما لم يحرموا خلافه فهو اتفاق، وبالإجماع أن الاتفاق يجوز الاختلاف فيه إلا إذا كان فيما لا يجوز خلافه فيكون إجماعاً وإن كان قد قال أبو سعيد لولا الاتفاق فإنه يريد به لولا الإجماع بدليل ما يورده من أحكام الشريعة في ذلك ولكنه لم يحكم قانون أهل الفصاحة والبلاغة فينهج به في كلامه عليهما وإنما يحمل ما يورده من أحكام الشريعة.

بيان : ولعله أنكر علينا قولنا في المعتزلة ؛ قولهم : إن أعمالهم لم يخلقها الله تعالى وإنما خلقوها لو قالوا ذلك ولم يبينوا بذلك لكانوا في السلامة فقال: ولو لم يدينوا لكانوا من الهالكين وإن هذا من الخطأ في القول الذي لا يجوز إلا خلافه ، وهذا في العجب منه كإنكاره في القول

الأول علينا وليس في معنى قولهم ذلك وصف نقض لكمال صفات الله وإنما وصفوا بذلك أنفسهم بضلال من التأويل ولا تبلغ بهم إلى هلاك لو لم يدينوا بذلك ولم يدينوا بتخطئة من قال بخلافهم من القوم والله أعلم.

وقد أوردنا لبيان معنى قولهم هذا – أي : المعتزلة – ولبيان وجوه الإجماع ووجوه الاتفاق والفرق بينهما في جواب آخر غير هذا طويل جداً وبالله التوفيق . هذا من الفقير إلى الله تعالى المصنف لهذا ناصر بن أبي نبهان.

الفرق بين الغائب والمفقود :

بيان : وله أيضاً قلت له ما الفرق بين الغائب والمفقود؟، قال: فالمفقود؛ مثاله أن ينظره غرق في البحر أو في ماء يقتله أو رآه أحاطوا به الأعداء أو أحاطت به السباع أو في حريق وما أشبه ذلك ولم يراه ميتاً بعد ذلك فهذا هو المفقود الذي يؤجل فيه أربع سنين، وأن يكون وارثاً في هذه المدة من مات ممن يرثه، وزوجته لا تطلق في هذه المدة، وبعد هذه المدة يطلقها القاضي أو جماعة المسلمين، وتعتد عدة المتوفى عنها زوجها إلا إذا صح موته قبل ذلك.

وأما الغائب؛ فمثاله أن يشاهد أنه سافر في البحر أو سائر في الدولة للحرب أو أنه سالك في طريق تنتهي إلى السباع؛ لأنه لم يعلم أنه أحاطت به أو لا ولا أنه أحاط به العدو أم لا ولا أنه غرق في البحر أم لا بل إنه جاءت فيه الأخبار أنه أصابه شيء من ذلك أو ما أشبه ذلك ولم تقم به الصحة التي يصح الشرع أن يحكم به أنه كذلك.

والصحة في ذلك شاهدان عدلان أو عدل ومرضيان أو شهرة ممن

يطمئن بهم القلب وتسكن بهم النفس ولو لم يكونوا عدولاً وشهرة الموت يكفي فيها اطمئنانة النفس القلة والكثرة؛ لأنه قد تطمئن النفس بالخمسة لأمانتهم في صدقهم وقد لا تطمئن إلا بالعشرة وذلك ممن شاهد موته تحقيقاً، وقد اتضح لهم أيضاً إذا استخبر كل واحد منهم على الانفراد في صفة موته فاتفقت صفاتهم فيه فعلى هذه الصفة تسكن النفس ويطمئن القلب إلى تصديقهم وعلى خلاف هذه الصفة فربما يكون التصديق أبعد والنظر هناك عن المخبرين موته وما أشبه ذلك أو أقل أو أكثر كما ذكرنا على سكون النفس واطمئنانة القلب وإذا لم تسكن النفس بمن شهر منه وكانت له زوجة وأولاد بالغون أو غير بالغين.

فأما البالغون فلا شيء لهم وأما غير البالغين فلهم النفقة والكسوة ثلث النفقة في بدايتهم فإذا أخذوا حاجتهم في الأكل فلهم ثلثي النفقة فإذا تم أكلهم كغيرهم من البالغين الشبان المراهقين فلهم النفقة تامة إلى أن يبلغوا الحلم فتقطع عنهم إلا الإناث فحتى يتزوجن إلا إذا كان لهن مال فيبدءوا بغلة أموالهن فيفرض عليه فيما قصّر عليهم إلى تمام السنة فكذا في كل سنة تدور، وأما الكسوة فكل على مقداره مثل كسوة مثلهم، وأما الزوجة فلها النفقة والكسوة والسكنى، وإن كانت من أهل الخدمة فيستأجر عليها ممن يخدمها، ومادام عنده مال يكفي لذلك لمن لزمه عوله وكسوته فلا يجوز تطليقها منه ما دام في التغييب وما أشبه ذلك نحو إذا سار عنها بلا حجة عدل.

و يجوز للقاضي إذا ذهبت معه تشتكي تريد النفقة والكسوة أو مع جماعة المسلمين أن يكتبوا لها ذلك ويؤرخوه وينفق عليها من غلة ماله

وإن لم يكف فيقضى من أصله إن شاء أن تباع وتقضى ذلك منه من الثمن وإن شاءت تصبر وتكف نفسها عن أخذ النفقة بعدما فرضت لها حتى تستغرق ثمن المال كله أو بعضه، وتقضي ذلك مالاً من أمواله فإذا استفرغ جميع المال في قضاء ما عليه لها من النفقة وما عليه لأولاده ولم يبق له شيء جاز حينئذٍ إذا اشتكت مع القاضي أو جماعة المسلمين إما الطلاق وإما النفقة أن يوكل القاضي أو جماعة المسلمين وكيلاً ينفق عليها من مال زوجها فإذا لم ينفق عليها جاز لها أن تشتكي من الوكيل مع القاضي أو جماعة المسلمين إما الكسوة والإنفاق وإما الطلاق، فإذا اشتكت ألزموا الوكيل إما ينفق عليها من مال زوجها أو يطلقها، فإذا قال لم أجد شيئاً انفق عليها منه دعي بالشهود على عدمه فإذا شهدوا أنه ليس له شيء مما ينفق عليها منه ألزموه في طلاقها، فإذا طلقها على هذه الصفة ثبت طلاقها ولا يثبت تطليق أحد زوجة غيره إلا بهذه الشروط، وإذا قصر شرط لم يثبت الطلاق، الشرط الأول: عدمه من المال، والشرط الثاني: شكايتها إما الطلاق وإلا النفقة، والشرط الثالث: شهود؛ لعدم جواز الطلاق إلا على هذه الشروط، وهكذا المجنون والمسافر الذي أطال السفر بغير عذر يصح له وفي الحكم إذا طوّل المدة لا يعذر حتى يصح له العذر.

مسائل فقهية في الطهارة والصلاة والمساجد :

مسألة : وعنه (أي : الشيخ ناصر) : ويصلي المرء بالوضوء لازم للفرض ولا يجوز إلا بالوضوء للسنن وأما التنفل فكذلك عند وجود الماء وله أن يتيمم عند وجود الماء، ومتى لم يمكنه الوضوء للفرض من عدم

أو من مرض وهو قريب من الماء أو يخاف فوت الصلاة ولو كان الماء عنده، فإنه يتيمم ويصلي.

مثاله ؛ أراد الاغتسال من الجنابة فإن اغتسل فاته الوقت، فعليه أن يتوضأ إذا كان ليدرك الصلاة ويغسل بعض المواضع التي لا يخاف منها فوات الصلاة، وكذلك مثاله؛ ليس للماء ستر إلا مكان واحد وفيه أناس يتطهرون إذا وقف لهم ليتطهر فاته الوقت، فله أن يتوضأ ويغسل المواضع من الجنابة التي لا عورة فيها أو التي هي ليس بعورة ويتيمم لما بقي ويصلي بما أمكنه، وكذلك إذا كان ازدحام بين الناس على بئر أو مورد ولا ستر فيه فهو مثل ما مضى، وإن لم يقدر على الماء لوضوئه ولا لغيره من الناس أو من عدم الآلة فليتيمم، وإن كان عليه حدث من قبل بطن ولا يمكنه أن يصلي قبل أن يسير أن يقضي الحدث، وإن سار يقضي الحدث فاته الوقت ولا يمكنه الوضوء لفوات الوقت فإنه يتيمم ويصلي بالإيماء وهو يقضي الحدث كاشف عورته إذا لم يمكنه إلا كذلك فيما أراه، وقد جاء عن أهل العلم من الترخيص لرجل حرثته الصيد ولا حرثة له إلا هي وقد نصب شبكة في شجرة من تحتها النهر يجري وحضره الطير في وقت قرب فوات الصلاة وهو في الشجرة وقد علم بالوقت وذاكر قلبه، ولكنه إن نزل يصلي فاته الطير، ولا قوت له في ذلك اليوم إلا إذا صاد منه، وإن توقف يصيد فاته الوقت فإنه يتيمم ويضرب بيده في الجذع، وقيل أنه يومئ كأنه يتوضأ بالماء، هكذا جاء الاختلاف عند عدم الماء والتراب.

ويصلي في الشجرة كما أمكنه هذا إذا خاف الضرر بذهاب الطير

على نفسه وعلى من يعوله، وكذلك إذا انطلقت دابة عليه أو هو ماسك لها بالحبل ولكن غلبته وهي تجره ولا يمكنه الوضوء والماء عنده ولا يمكنه التيمم فإنه يومئ إلى التيمم إذا كان التراب تحته موجوداً، والصلاة لا تفوت فإنه يصلي بالإيماء حيث كان وجهه إلا إحرامه فإنه يحيله إلى القبلة إن أمكنه وإلا فلا لوم عليه.

وكذلك إذا سقط في بئر أحد وخاف أن يهلك فيها ونزل يطلعه منها ولا يمكنه يتوضأ ولا يتيمم ولا يومئ فإنه يومئ للذي يقدر عليهما ويصلي بالإيماء إن قدر يقرأ الصلاة وإلا فليصل بالتكبير إن لم يمكنه إلا كذلك، ويطلع صاحبه هذا إذا خاف فوات الوقت وإن أطلعه بعدما فات الوقت فلا بدل عليه، وقس على هذا في الخانف أو تحصّل في نخلة وأشباه ذلك، وكذلك صلاة المسايفة في القتال إذا لم يمكن الصلاة إلا بالتكبير صلوا بالتكبير، وكذلك إذا كان يراغ[1] ولم يقدر يحفظ صلاته صلى بالتكبير، وبالجملة أنه يصلي الإنسان كما أمكنه على ما ذكرناه.

وإن صلّى على غير التمام على ما جاز له وفات الوقت وأمكنه التمام فلا بدل عليه، وإن أمكنه التمام والوقت بعده لم يفت فقيل فيه أن عليه أن يبدلها وقيل لا بدل عليه لأنه صلّى على ما جاز له، والمرأة إذا كان عندها طفل وعليه ضرر إذا لم تحمله في حين صلاتها جاز لها أن تصلي وهي حاملته، وإن بال في قميصها ولا يمكنها أن تتوضأ ثانية لفوات الوقت فعليها أن تنقض الصلاة وتتيمم، وإذا كانت إذا نقضت الصلاة واستأنفتها ثانية تفوتها فيصح أن تنقضها مادام الوقت فيه بقية

---

(١) أي : يطارده أحد .

وتستأنف التيمم وتصلي ثانية ما أدركت من الوقت فإن فات الوقت ولم تتم الصلاة أتمتها ولو فات الوقت، إلا في وقت لا يجوز فيه صلاة فتمسك حتى يأتي وقت يجوز تمامها فيه فتتمها فيه.

مسألة : وعنه ؛ في ماء الندى إذا اجتمع هل يجوز الوضوء منه للصلاة مع وجود الماء المطلق؟

قال : أما عند أهل الشيعة فلا يجوز لأنه لا يجتزى به وذلك أنه مفارق عن صحة الماء المطلق بصفة أختصها دونه، وهو أنه إذا جعل في قشرة بيضة سالمة من الكسر فارغة من ماء بياضها وصورتها وختم ثقبها مما يحكم سده بنحو القار واللك وما أشبه ذلك وجعلت في شمس الحر القوي الحرارة فمتى حرت يصعد بها الندى في الهواء عالياً حتى يذهب ما فيها من الندى، وأما مع السنية وهو الحق فيما معي أنه يجوز لأن أصله من الماء ولم تدخل عليه علة مانعة تفسده عن الوضوء به وأما ما احتج به الشيعة ليس فيما أراه والله أعلم.

وفي المصلي برداء على جنبه إذا لم يجعل على إبطيه من الثوب هل تفسد صلاته؟ قال: تفسد صلاته، قلت له: وإن جعل على أحد إبطيه ولم يجعل على إبطه الآخر أيكفيه؟ قال: لا يكفيه ذلك، وإن صلى فصلاته فاسدة إذا كان يجد ثوباً وهو متعمد لذلك، قلت له: وإن بان كتفه في الصلاة أله أن يرجع ثوبه على كتفه؟ قال: له أن يرجع ثوبه في حال صلاته، وسألته فيمن صلى في بساط أو سمة وفيها نجاسة أتفسد صلاة المصلي أم لا؟، قال: سؤالك هذا يحتاج إلى تصريح فإن صلى المصلي ولحقته النجاسة من أي كانت فالصلاة فاسدة، وإن كانت النجاسة بين

المصلي وسجوده فكذلك تفسد الصلاة، وإن كان المصلي يصلي في البساط أو السمة والخيوط والحبال ممتدة من المشرق إلى المغرب والمصلي في حد من حدود البساط أو كان في جهة من البساط فعلى هذا تفسد الصلاة إذا كانت النجاسة قبلة المصلي أو وراءه أو في البساط على جهة اليمين أو الشمال إذا تصلبت الحبال أو النسل خوص السفة فالصلاة تنتقض، وأما إذا كانت النجاسة في جنب آخر من حدود النسل الذي لا تلحق المصلي ولو امتدت البسط في الطول من المشرق إلى المغرب فلا تفسد الصلاة، وكذلك إذا كانت البسط مفروشة من أعلى القبلة إلى أسفلها وصلى المصلي في حدود البساط الذي لم تكن فيه النجاسة فعلى هذا لا تفسد الصلاة، وأما إذا لحق جنبه أو ثيابه في الحد الذي فيه النجاسة فتفسد الصلاة بذلك ولو كان بعيداً عن يمينه أو كان في شماله، قلت له: بيّن لنا الفرق في مثل هذا؟، قال لي: إن النسل له حدود في البساط وهو منقطع بعضه عن بعض والخيوط معقودة بعضها في بعض وفي هذا فرق بين البسط وباقي الفرش وغيرها متداخلة فإن صلى المصلي في الفرش المتداخلة بالخيوط والحبال كانت الصلاة فاسدة، حيث كانت النجاسة عن يمينه أو في شماله أوفي قبلته أو في مؤخره سواء كانت النجاسة قريبة أو كانت بعيدة وهي في الفراش، وأما إذا كانت النجاسة في الأرض لا في الفرش ولم تكن النجاسة بين المصلي وسجوده فلا تفسد الصلاة بذلك فافهم الفرق بين ما ذكرنا لك.

وسألته عن مسجد فيه شرب ماء للمسلمين وخاف الضرر على المسجد من أذى الشاربين، ألهم أن ينقلوه في غير المسجد؟، قال: لهم

رفع الضرر عن المسجد ولهم أن ينقلوا الشرب حيث شاءوا، ويجوز أن يشربوا الناس من حيث نقلوه هذا في رأينا، وأما في رأي الذي قبلنا من العلماء فلا يجوز نقل الماء عن مكانه ولا تحويل الفطرة عن المسجد.

في أحكام الصبيّة :

مسألة : ومن جواب الشيخ عامر بن علي للسيد محمد بن سليمان وعلي ابن ناصر في عدة الصبية المراهقة التي ظهرت بها علامات البلوغ بشواهد الإنبات والإنهاد، وما قاله كل عالم من المسلمين على ما يراه إلى الحق أقرب ومما يشبه الاتفاق من أصحابنا رحمهم الله على القول في مثل الذي ذكرتها لكما من الصفة أن عدتها من الطلاق ستة أشهر لريبة الحمل وثلاثة أشهر للعدة ولا أعلم من قولهم في مثل هذه اختلافاً.

قال أبو عبد الرحمن ناصر بن أبي نبهان: إذا كانت الصبية لم يبدو فيها علامات البلوغ أو صارت المرأة في حد المونسات من الكبر فعدتها ثلاثة أشهر، وأما إذا كانت من ذوات الحيض أو التي فيها علامات الصوم فعدتها مع بعض العلماء كما ذكره هذا الشيخ ومع بعض العلماء أن عدتها بثلاث حيض.

وإن قال لا يعلم في ذلك اختلافاً فالاختلاف في ذلك موجود ولا عيب عليه في قوله (ولا أعلم في ذلك اختلافاً)، ولو كان فيه اختلاف إذا لم يعلمه هو، لما رأوه من الرأي والنظر تحرزاً منهم واحتياطاً في الفروج وحرمتها، ولا يعجبني الميل عن قولهم في ذلك، وإذا كان القول منهم ومنا في هذا هكذا، فإذا حاضت هذه الصبية المطلقة قبل انقضاء السنة بيوم أو ما دونه من الساعات فقد رجعت عدتها بالحيض وانقضائها بعدما تحيض

ثلاث حيض متوالية متساوية غير مختلفة اختلافاً متفاوتاً عن أحكام الحيض إلى ما دونه مما قد قيل فيه إنه ليس بحيض ما دون ثلاثة الأيام، فإذا صح التفاوت عليها أو أنها منذ ابتدائها لم تحض إلا ما دون الثلاثة أيام فيعجبني أن تعتد ثلاثة أشهر بعد ما أتاها ذلك الدم، ولو انقضت فلا تتزوج قبل انقضاء ثلاث حيض أو ثلاثة أشهر على ما وصفته لكما من نقصان الأيام مما قال به عامة أهل العلم من أهل العدل ويوجد في ذلك من الاختلاف.

وما لا يخفى عليكما وفي نفسي معنى يدل على بيان وجوه تتوجه لي من آرائهم الدالة على جواز القول بها لقربها من الحق، ولكني أولى بي وبمن استنصحني في ذات مولاه أن يأخذ برأي أهل العلم من أهل العدل ويذر ما يراه وإظهاره مع أهل الجهل والغشم، وقد قيل أن مطلقها لا يدركه ردها إذا انقضت ثلاثة أشهر منذ طلقها، وعلى رأي من يرى ذلك لأن هذا هو الأصل من كتاب الله ، لقوله تعالى : ﴿ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾[1]، وتلك الزيادة احتياطاً من المسلمين فقد اتفقوا عليه الذين قالوا بانقضاء عدة المطلقة الصبية قبل بلوغها، وبعض لا يرى انقضاءها ولا جواز تزويجها قبل بلوغها وانقضاء عدتها بالمحيض إن بلغت به أو بثلاثة اشهر إن لم يأتها قط حتى تجاوزت محل الذي قالوا به، فعلى رأي أربع عشرة سنة وذلك إذا استكملت علاماتها للبلوغ، وعلى رأي آخر خمس عشرة سنة، وقيل ست عشرة سنة، وقيل سبع عشرة سنة، وعلى رأي آخر ثماني عشرة سنة، وقد عمل صغيركما الخادم بهذا الرأي في الحكم لغير الصبية وهو أوسط الآراء، حتى أنه قال بعض أهل العدل إلى

---

(١) سورة الطلاق : ٤ .

خمس وعشرين سنة وهذا أكثر ما قيل في تمديدها حتى الذكور من الصبيان لا بد وأن يلحقهم مثل ما لحقها من الاختلاف.

ولكن هذا القول الآخير يعجبنا العمل عليه في الحدود مع وجوبها وجواز إقامتها من الإمام العدل أو من يقوم مقامه وأين هو عنا في زماننا المدلهم فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأما ما وصفتماه فإذا تزوجت الصبية قبل انقضاء السنة وكانت ممن بدا فيها هذا الدليل المدل على كونها في البوالغ فإذا لم يدخل بها فيعجبني توقيفه حتى تنقضي السنة أو تنقضي عدتها بالحيض إن أتاها قبل انقضاء السنة، ومهما انقضت إحدى المدتين فيعجبني تجديد النكاح ثانية والأخذ في مثل هذا بالحزم والاحتياط أولى وأخف، وإذا وقع منه الدخول بها على الجهل منه ووليها برأي المسلمين فيها فلا أقول أنه واقع في محجور ولا مرتكب لحرام ولا أروم النهوض بالقول بالفراق بينهما ما لم يصح بها حمل؛ لأنه في الأصل هذا جار من المسلمين على وجه الاحتياط فأحببت التوقف عنها ما لم يدخل بها موافقاً لاتفاقهم على القول منهم بذلك إلا من شاء الله منهم، وفي المعنى الآخر بالحكم لانقضاء الأمر منه بالدخول بها على وجه يصح القول به في بعض عدله ويرفض بما صح هو له ويبطله.

وأنا أستغفر الله وتائب إليه من جميع ما خالفت فيه وغيره الحق والصواب، والحمد لله حق حمده وصلى الله على رسوله وآله وصحبه وسلّم.

ومن جواب آخر من الشيخ عامر لهم في الصبية: أما ما ذكرتماه لصغيركما هنا من قبل صفة العلامات التي ذكرتها سابقاً في الصبية من

الإنبات والإنهاد، وما أردتماه من الزيادة في إيضاحها بالتحديد واستباق بعضهما قبل صاحبه والاحتراز بظهور أحدهما قبل الآخر علماً أني لم أحفظ في ذلك أثراً منصوصاً فاقصه لكما خبراً مقصوصاً بعينه ولكن فعلى ما يتجه لي مما يدل عليه بالمعنى؛ أن هذا شيء غير خاف على من كان له قلب ثاقب من أن هذا شيء ظاهر مع من كان من أولئك، وفيما يعجبني خفاء الإنبات على الناظر فيها ممن يجوز له النظر لها من النساء فيما دون موضع الإنبات؛ وذلك كونه مما يلي الفرج فرأينا المنع عنه من الرجال والنساء إلا الزوج أو للنساء حال الضرورة إلى ذلك وهذا الموضع ليس من الضرورات المبيحة إبداء الفروج بها.

فلما أن صح معنا في رأينا الذي رأيناه المنع عن ذلك رأينا الاكتفاء بالمعنى الثاني إذ هو من أعظم القواعد والمباني مع من اعتبره بثاقب جنانه وهو الإنهاد وكفى به دليلاً على ظهور إمارات البلوغ ومقدماته، وإذا كان الأمر فيه كذلك فمتى ما بدا ارتفاعه ولو كبعرة البعير أو ما دونها من المطلقة أعجبني التربص في العدة عن التعرض لها بالتزويج قبل انقضاء السنة لعزمي على الأخذ بالوثيقة والحزم في أمر الفروج.

فإن قال قائل: لا يحكم بعدتها سنة حتى يصح استكمالها بها واستيفاء الإنهاد منها حدوده فلا روم بي على الإخراج من الرأي وجوازه بصحته في معنى الأحكام لأنها على ما هي عليه من حكم الصبا حتى يصح البلوغ، أو تأتي عليها حالة مما لا يشك فيها أنها من الحالات المدلات على البلوغ من العلامات الكاملات التي لا تكون إلا في البوالغ من النساء،

أو أنها قد صح من عامة أترابها أنهن بوالغ فهذا الوجه فيما معي هو أقربها، والمدة له إذا بلغت أربعة عشر سنة فيعجبني في معنى المدة التنزه عنها وعن التعرض لتزويجها قبل انقضاء المدة الممددة المحددة وهي السنة الكاملة فهذا ما يعجبني وأراه.

وإذا كان هذا هكذا في معنى الجواب فلا فائدة في إظهار المعنى الذي بينتماه لي من كون قولها مخبرة عما بان لها من العلامات الخافية المحجورة عن الكشف لها مع من سواها وهو الإنبات لأن خفاه ونباته مع ظهور تؤمته سواء، ومع من أجاز إبداء الفروج من النساء لمثلها عند الحكم عليها بالبلوغ بالمحيض أن حصتها معي يمتحن بها الحاكم من عبر أو غيره فعسى من قال أن يأمر الحاكم امرأة مأمونة أن تنظر إليها حال خروج الدم منها أن تجري حكمه عليها وفيها وبها في هذا في رأيه فقولها ليس معه بحجة في هذا ولا في دعواها البلوغ حال غيَرها من رجل، ومن حق أتاه أو بيع أو شراء أو قسم أو قياض أو ما أشبه ذلك إلا بالصحة أو قول المرأة المؤتمنة أو الاثنتين وفي هذا الموضوع هما حجة إذا كانتا عدلتين؛ لأنه موضع حجر على الرجال وعن الشهادة به، فافهما رحمكما الله ما بينته لكما وخذا منه الحق وارفضا الباطل لأني قليل العلم ركيك الفهم، وأنا استغفر الله من جميع ما خالفت فيه وغيره الحق والصواب، والحمد لله حق حمده وصلى الله على رسوله وآله وسلّم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله أعلم والسلام من العبد الفقير إلى الله تعالى عامر بن علي .

رسالة الشيخ جاعد في أشد الفرق على المسلمين :

قلت لذي الغبراء : سمعت أن أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) افترقت على ثلاث وسبعين فرقة ، فأي الفرق أشد على المسلمين بالعداوة والظلم ؟ قال : ستجد ذلك البيان في رسالة الشيخ الثقة العالم الفقيه خليفة الأنبياء والمرسلين أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي العلياني العماني .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، هذه رسالة من أبي نبهان (رحمه الله) :

يا من وصلني كتابه، فلم أدر من هو جزاه الله خيرا، هذا جوابه: إن أهل عمان لا يخفى على من بها ما قد ظهر على الغالب من أهلها، فشهر من الفساد والطغيان، وهذه نازلة أخرى زيادة على ما هم به من البغي والعدوان، وكأنها من أختها أكبر وأقبح وأضر لأنها داعية في دين الله إلى إطفاء نوره وإخماده، وإظهار ما لا شك في فساده، لعدم صوابه بدليل ما قد أنزله الله على رسوله في كتابه، وخوفي أن تعم البلدان، فتمحي خير الأديان، أو يبقى في كتمان .

ألا فاتقوا الله بأداء ما أمر، والانتهاء عما عنه زجر، ولا تركنوا إلى من دعاكم إلى متالف الردى، تاركين لما كان عليه أئمة الهدى، فإنهم أقرأ منكم للتنزيل، وأعلم بالتأويل، وأدل بالطريقة المثلى إلى منازل العلى، وقد ضربوا في منارها الصوى، فتبصروا من العمى وأمروا بالتقوى، ونهوا عن متابعة الهوى، وأوضحوا لكم في دين الله ما لا مزيد عليه من الهدى، ودلوكم على المحجة البيضاء، التي كان عليها سيد الأنبياء، فعرّفوكم ما تأتونه فرضاً ونفلا، وما تذرونه نية وقولاً وفعلا، وبيّنوا لكم

ضلالة من زاغ عنها من أهل الجهالة ، فجادلوا أهل الزيغ بالتي هي أحسن ، لما بها من دلالة على صحة ما هم به وعليه ، وفساد ما عداه حتى ظهر الحق فبطل ما خالفه من دعوى العُماة .

فانى والشك فيما هم به فدعوا إليه ، وقد زال الالتباس ، فلا عذر لمن خالف إلى غيره من الناس، ﴿ وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ ، الذين هداهم الله لدينه الذي ارتضاه لعباده من فضله ، فلم يغيّروه عن أصله ، بل اتبعوا فيه أثر النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن بعده أبي بكر وعمر، وغيرهما من الصحابة والتابعين صفوة الأنام ، فجاهدوا عن أمر الله من كان من المشركين حتى يسلم أو يقتل على إصراره، أو يعطي الجزية عن يد لصغاره، إلا من لا يقبل منه إلا الدخول في الإسلام، أو القتل على حال، وقاتلوا من بقي من المنافقين في إقراره، حتى يفئ إلى أمر الله أو تفنى روحه في أوزاره، فبذلوا الأموال في جهادهم، وجادوا بالأرواح لإزالة فسادهم، فلم يستحلوا في هؤلاء البغاة في قتالهم، سبي ذرية ولا غنيمة مال لحرامهما في أهل القبلة شرعا، وهذا ما لا يجوز أن يختلف في المنع من جوازه قطعا، وإنما أجازهما نافع بن الأزرق خلافاً في الدين لمن قبله، جزاه الله شرا، على ما ابتدعه ما أضله، حتى انتحل الهجرة وشرّك أهل القبلة، واستعرض الناس بالسيف على غير دعوة، فاستحل السبي والغنيمة في أهل الإقرار بالجملة، وأزل من اتبعه فصار مثله .

فاحذروا من البدع، ولا تسمعوا لمن دعاكم إليها، وحثكم عليها، فلبّس عليكم خطأه، وزيّن لكم أمره من ذوي الخدع، تمسكوا لله في دينه بالذي شرع، فائتموا بالقرآن، واقتدوا بالسنة والاجماع، واعملوا على ما

لزم أو جاز من الرأي في موضع جواز النزاع، وما لم تبصروه فاسألوا عنه أهل الذكر.

وإياكم أن تأخذوا فيه بقول أحد من المبطلين، إلا ما لا يسع رده وإلا فلا تغتروا بتلبيس المضلين، ولا بتأويل المحرفين، بل كونوا بالسلف الصالح مقتدين، وبأنوارهم مهتدين، فإنهم الجماعة، لبقائهم على الطاعة، فتمسكوا بحبالهم، وتعلقوا بأذيالهم، فقوموا لله في الصلاة قانتين، وأرسلوا فيها أيديكم خاشعين، ولا ترفعوها إلى آذانكم، ولا تضموها إلى صدوركم عابثين، فإنهما لا من عمل الأولين، والرأي في فساد الصلاة بهما أو بكل واحد منهما مختلف بين المسلمين، فدعوا ما ليس له أصل في آية، ولا صحيح رواية، كلا ولا مجاز له في عدل النظر، عند أولي العلم والبصر، ولا تقولوا فيها آمين، فإنها لا تصح معها لأنها من كلام الآدميين، ليس لها موضع في الكتاب المبين، ولا تكونوا في الركوع بعد صلاة الفجر ناصبين، وإن روي في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قد فعله في بدء أمره قبل تحريمه، ففي الخبر عنه أنه من بعد أن نزل عليه من ربه آية الخشوع تركه فأهمله، ولم يعد إليه .

ألا فاتركوا المنسوخ غير مكذبين، وكونوا بالناسخ عاملين وهو القول على هذه الثلاثة في مذهب من يأتيها في صلاته أنها لا من فرائضها التي لا تصح إلا بها وإنما هي من السنن لمن شاءها، في زعمه لفضلها، وفي قول الشيخ أبي سعيد رحمه الله وغيره من الفقهاء ما دلّ على ما لها من حكم، فلا تقتفوا ما ليس لكم به علم، فإنه من المسالك المودية بأهلهما إلى المهالك .

وبلغني في هذا الزمان عمن ترك دينه فتوهب من أكابر أهل عمان أنهم يأمرون الناس أن يأتوا في صلاتهم بهذه الأعمال فيكرهون من قدروا عليه من النساء والرجال، وليس في مذهب من مالوا إليه فاختاروا مذهبه دينا، إكراه على شيء منها فكأنهم زادوا عليه زادهم الله شينا، ألا وإن الوهابية كأنها تزعم في مذهبها حنبلية وليس كذلك لأن لهم في تشريك أهل القبلة واستحلال قتالهم وسبي ذراريهم وغنيمة مالهم شوباً من الأزرقية، وفي هذا ما دلّ على أنهم لا من الحنابلة ولا الأزارقة بالكلية، فإن كان خلطوه من هذا وذلك فاتخذوه من بينهما مذهباً فعسى أن يكون كذلك.

وأنا من نصحي لمن طلب السلامة أن يقتصر في الإقامة على ما دان به أهل الاستقامة، في هذا وغيره فإنه الدين القيم حقا، فلا تبغوا به بدلا، ولا عنه حولا، فقد بان سبيله الذي لا عوج له فاتبعوه ولا ما سواه فإنه الباطل صدقا، ودليله في قول ربكم، وسنة نبيكم، وكفى بهما هاديا، لمن اتبعهما في سلوكه إلى ربه بعد المعرفة منه بتأويلهما، فلا تغترّوا برأي من على غير مالهما من وجه يتأولهما، فإنهما مزلّة أقدام من قد فعله، بادي الرأي من فرق هذه الأمة، أو قبله في دينونة منه به.

ألا وإن هذه الفتنة في إثارتها ممن قد انتحلوا مذهبه على ما هي عليه من خلافها لما في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق وغيرهم كأنها في أوصافها من نحو هذا في أصلها، لأني وجدته يحتج في دعواه لعدلها، بما أورده الذين من قبله من آي الفرقان، وليس هي في شيء من البرهان، لما ادّعاه من تشريك أهل الإقرار، كلا إن لها معنى غير ما رامه

بها، فحاد عنه حتى وضعها جهلاً في غير موضعها، وأعانه على ما أظهره من قبلها منه فدعا إليها في القرى والأمصار، وأكره عليها فأجابه عمي الأبصار، فهاهي في البوادي والبلدان، تسري ظاهرة للعيان، فيا بنسها من بلية قادحة ما أفضعها، ومن رزية فادحة ما أفجعها، ألا إنها في الآخرة على من أبدعها، أو عمل بها فاتبعها، أو تولى أو رضي بها عنها، ويالها من نعمة لمن غيّرها، وامتنع منها فأنكرها، إن هي إلا فتنة ابن الأزرق في الأولين، أحياها محمد بن عبدالوهاب في الآخرين، فآزره على بثها من قد أظهرها، فدعا إليها وقاتل عليها، فهاهي ما أكبرها من غير ما شك عند من أبصرها ، طوبى لمن اعترض عنها فاعتزلها ، والويح لمن دخلها أو رضي عمن فعلها، أو قدر أن يمحوَ أثرها فتركها وضررها، إلا لما به يعذر لأنها من أنواع جنس الباطل في الإجماع لا جواز لها في دين، ولا رأي لأحد المسلمين، أولا تسمع بالذي بين الصحابة قد جرى يوم الدار ويوم الجمل ويوم صفين، وما بعدها من الوقائع حتى في التابعين، فإن فيه دليلاً لمن يرى على أنهم لا يشركون أهل قبلتهم، لأنهم لم يجاوزوا في قتالهم، لمن بغى في دينونة أو انتهاك لما دان بتحريمه ما قد أحل الله منهم، إلى ما زاد عليه في المشركين من سبي ذرية، ولا غنيمة مال، ولا قطع موارثة، ولا منع مناكحة، ولا تحريم ذبيحة، ولا إباحة ذات بعل، كلا بل اقتصروا على ما أذن لهم فيه مولاهم عزوجل فأمرهم به حتى يفينوا إلى أمره تعالى لا غيره في موضع فرض ولا نفل، لبقاء مالهم من حكم الإقرار المقتضي في كونه لوجود بعدهم من الإنكار، الداعي إلى شرك الجحود، أو ما به يكون الشرك من أنواع الكنود، لولا هذا لما استجازوا منهم ما لا يجوز له من المشركين، حال المحاربة في ما بينهم أو قبلها أو

بعدها، ولا جاز لهم أن يبطلوا ما لغيرهم في الغنيمة من حق فيضيعوه، ألا وإن من حقهم أن يتحاشوا هذا كله لعدم عدله.

ومن العجب في هؤلاء المتوهبين أنهم من جهلهم يشرّكون الناس قبل المعرفة بالذي هم عليه، وإذا جاز هذا لهم فأي مانع من جوازه لغيرهم، فهم قبل أن يصح معهم إسلامهم، فإن أبوه فهي المكابرة تحكماً لعدم الفرق، أن لو جاز له ولكنه لا يجوز في الحق لأن من حكم في مثل هذا على الغيب في شيء فلا مخرج له من العيب على حال، في نفس ولا مال، أو ليس قد كان على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) أناس من أهل المعاصي في نفاق أخبره الله بهم فلم يخرجهم له في شيء عن حكم المقرين، وإن لم تكن لهم ولاية في الجملة ولا عند من ظهر له، فصح معه ما هم به بلي إلا ما خص به فيهم من النهي له أن يصلي على من مات منهم أو أن يقوم على قبره دون غيره من المسلمين، لأن لهم في الحقوق والحدود مثلهم، من غير ما فرق بينهم، ولو أنه بلغ بهم، إلى الشرك لأفردهم بما لأهله على الخصوص من حكم دين الإسلام، ولمنعهم النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد عام تسعة من الهجرة، وعلى قول آخر سنة حجة الوداع من أن يقرب المسجد الحرام وكل هذا لم يكن على عهده، فأنى يجوز أن يصح جوازه من بعده، وإن كانوا في محل البراءة نازلين، أم جاز ونحن لا نعلمه أنه يأمره الله به فعلاً فتركه، أو أن يظهر قولاً فكتمه، قل هاتوا برهانكم معشر الوهابيين إن كنتم على ما تدّعونه من هذا صادقين .

ألا وإن من عجائبكم يا هؤلاء أنكم على الخوارج تنكرون، وأنتم بدين المارقة منهم في هذا دائنون، وعلى الله في تحليله تفترون، إنهم

على مروقهم لإخوانكم في الدين فلم لهم تكفرون، وما لكم كيف تحكمون، لو شئنا أن نورد على ما به من قول الله تعالى تحتجون، لأتينا فيه بما يدل على أنكم في تأويله عن طريق الرشد ناكبون، إني لأراكم عن بصيرة قوماً تجهلون، بدليل ما بأقوالكم من بعد عن الصواب، في عين من له أدنى بصر نافذ أفلا تعقلون.

فاتقوا الله أن تقولوا ما لا تعلمون ، من ذا الذي أجاز هذا قبلكم، فاستدل على تجويزه خطأ بمثل ما به استدللتم غير ابن الأزرق فلم يوافقه على ما أحدثه في أيامه أحد من الفرق لأنه في باطله أظهر، من أن يخفى على من له قلب يبصر، الحمد لله على ما هدى، وله الحمد على كل حال في الآخرة والأولى، هذا وإني من ورائه لأقول، فاسمعوا بآذان واعية لمن يناديكم، وعوا ما يقوله جهراً في ناديكم، بقلوب غير لاهية، يا قومنا مالي أراكم قد أظهرتم اللجاج، في دعاء الناس إلى هذا المنهاج، فأكثرتم من التلبيس على الضعفاء لما به من الحجاج، أفترونه صراطاً مستقيماً ونحن نراه ظاهر الاعوجاج، إذ قد شركتم من كان على غير ما به أنتم متأولين، من قول رب العالمين، ما لم تحيطوا به علماً، فسفكتم دماءهم عدواناً وظلما، وأكلتم بالباطل أموالهم غنما، واستحللتم سبي ذراريهم فاتخذتم ولدانهم عبيدا، ووطئتم فروج نسائهم سفاحا، فأتيتم منهم عظيما، وزعمتم أن الحق في أيديكم فأطلقتم محظورا وحجرتم مباحا.

أما آن لكم أن ترجعوا إلى سماع من ينهاكم عن هذا الفساد، يريد بكم النجاة فيهديكم سبيل الرشاد، ويحثكم على الرجوع إلى ربكم خوفاً من عذابه الأليم في الجحيم، وطمعاً فيما عنده من النعيم المقيم، أو تظنون

أنكم على شيء في هذا الجهاد، وما أنتم فيه من التعب في الاجتهاد، ولستم على شيء حتى تكونوا على الصواب في جميع الأمور، وإلا فالهلاك لمن خالف دينه حرفاً واحدا، فكيف بمن زاد عليه من أنواع الفجور، إلا من رجع فتاب إلى ربه، وتطهر من ذنبه، فبادروا إلى الأوبة مسرعين ، وعجّلوا التوبة في الحين ، قبل أن يحال بينكم وبين ما تشتهون ، ولا يصدنكم عنها تعاظم خطاياكم فإنه لا يهلك إلا المصرون هذا ما لا يجوز خلافه فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وإياكم والإياس من روح الله والأمن من مكره فتموتوا على الإصرار، وأن تنظروا إلى من أعطي سعة المال والحول، أو الغلبة فالأيام بين الناس دول، كم كانت للمجرمين الكفرة، من غلبة على المؤمنين البررة، وكم تقي في عسرة، وشقي في يسرة، فلا تغتروا بكثرة المال، ولا بالسواد الأعظم من الرجال، فالدين لا يعتبر بهما على حال، ولكن بالموافقة للحق في القول والعمل، المقتضي في الظاهر لمعرفة المحق من المبطل، ولا غيره قل أو كثر فزاد الأتباع، لأن الناس أكثرهم همج رعاع يميلون مع كل ريح لا سيما على التحقيق من المال، رأوا الدنيا في إقبالها عليه، ولا يلجأون إلى ركن وثيق، وأنتم على الله بما تقدمونه من صالح الأقوال والنيات والأفعال أو فاسدها، والجزاء من جنس العمل.

ومن المحال أن تصلوا إليه من طريق الضلال، أم ترجون أن تفوزوا بما أعده من الكرامة لأوليائه عن طريق أعدائه هيهات في هذا أن يكون في يوم لأن من سلكها خطأ أو عمداً لا يزال يزداد في كل طرقه من ربه بعداً إلا أن يرجع القهقرى قبل موته مسرعاً للوراء، وإلا فلا أو ليس

كذلك بلاء، وإن ظنه من قد فتح للعاصي من موحدي هذه الأمة باب الخروج من النار فسهّل المعاصي لمن شاءها من الفجّار حين نفى عنهم الخلود والأمر فيه بالعكس، لعدم ما به من اللبس، وإنما ذلك من دعوى اليهود فلا تقبلوها، فإن الله قد أنكرها، على من قالها فأظهرها.

ما هذا الذي تسوّل لكم به أنفسكم فترجونه من الوصول إلى ما تؤملونه، وقاندكم أعمى، وسائقكم إلى هوة الردى حادي الهوى، بدليل ما أقامه من الأدلة، في كشف شبهاته على طريقته المضلة، لأن له تأويلاً غير ما رامه بها ما أجهله بالفرق بين كفر المنعم وكفر النعمة، فسبحان من أعمى قلبه عن رؤية الحق حتى جعل الكفر في أنواعه، كلها شرك في نزاعه، فأضل جميع أتباعه، إذ لا يجوز فيهما إلا أن يوضع كل منهما في موضعه، الذي له، ما أوضح خطأه، الذي فضح به نفسه، فاعرفه يا هذا مجملا، فإنا لو زدنا في بيانه مع الرد عليه لاتسع الخطاب بذكره مفصّلا، ولكنا أعرضنا لأنه في هذا الموضع ليس من غرضنا، فإن ترد الزيادة فارجع فيه إلى ما قد أودع الأثر مصرحاً به لمعنى الإفادة، وعرّفه من تقدر عليه من الوهابية فقل لهم لقد أضلكم هذا الرجل فألقاكم بقيعة جهلاء، وأراكم سراباً يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا فضلاً أن يكون الزلال شرابا، فإن كان لكم إرادة صادقة في دار السعادة فبادروا بالخلاص، من هذه الورطة قبل أن لات حين مناص، فإنكم على شفا حفرة من النار، فإن ترجعوا عنها وإلا فلا بد لكم منها.

ويا من صبا من العمانية إليها، ليت شعري ما الذي حملكم عليها، أهو لشدة رهبة من أهليها، فيعذر من اتقى إن أظهر ما جاز له في

الإعلان، فأسر في قلبه ما قد أضمره من الإيمان، ولم يأت ما ليس له أن يفعله من الأركان، ويحوز الفضل من امتنع منها ظاهراً فابدى الله نكيرها، ولم يرض بها قليلها وكثيرها، أو كان هذا لرغبة منكم عن جهل بأوامها، أو علم بحرامها، أفلا تسألوا أهل الذكر عنها قبل مرامها، فإنهم القادة، لمن ألقى إليهم قياده، فلا تقبلوا من غيرهم قولاً ولا عملا، في عموم ولا خصوص إلا ما عرفتموه عدلا، فجاز لكم أو لزمكم أن تقولوه أو تعملوا به حينا، وإلا فلا يجوز لهم أن يتأسى بهم فيما يفعلونه، ولا أن يقبل ما يقولونه رأياً ولا دينا، لأن قبول غير الحق لا يجوز في توحيد ولا صلاة ولا زكاة ولا صوم ولا حج ولا جهاد ولا في شيء من الأشياء في موضع رأي ولا دين، وليس فيهم على ما يكون من نحو هذا بأمين، ونزل بساحتكم من هذه الفتنة العمياء والداهية الدهياء ما قد بان ضرره، فيمن دنا منه فأضاء به شرره، فلم أسرعتم الوثبة إليه، وهذا في الذي كنتم عليه، وبه النجاة ولا شك لأنه العروة الوثقى والحبل المتين من ربكم.

فإن تكونوا في ريبة من إفك من القول على الله كذبا، فدان في أهل الإقرار بالشرك، فاقرأوا رسالة المهنا بن جيفر مع ما دونه خلف بن زياد في سيرته، وانظروا إلى ما أرسل به محبوب بن الرحيل إلى عمان في أمر هارون بن اليمان، حين زل وأبى أن يرجع فضل، وما لغيرهم من السير مثل أبي الحواري وأبي قحطان وأبي المؤثر، لعسى أن تجدوا ما قد ثبتوه في ثروة عن الأولين هداية لمن في زمانهم، ولمن يأتي من في الآخرين، فتعرفوا ما كان عليه من عاصر النبي (صلى الله عليه وسلم) من أصحابه، من منافقي أهل زمانه أو من المشركين، من شيء أخذوه

مشاهدة من أفعاله، أو بالسماع مشافهة من لسانه، فحملوه علما، وعملوا به فيمن صح عليه حكما، فتكونوا لهم تابعين، وعن قول أهل الغباوة معرضين، وبصالح سلفهم متمسكين، وإلا فلكم البشرى بالعذاب المهين، إن أقمتم على ما أنتم به حتى متم ، والعياذ بالله من شر العمى ، ومتابعة الهوى ، ومن الضلالة بعد الهدى .

وبلغني عن الواصلين إليكم أنهم يجبرون الناس بالعصي على الصلاة في الجماعة، ولا يعذرون من تفوته وإن أمكن في حقه أن يكون لعذر فينكلونه كمن عصى، وربما يقوم إليها من جاء من الخلا، فيدخل فيها لا على طهارة خوفاً من الأذى، وليس هذا من فعال الصالحين في شيء، وأنتم ربما ألزمتموه على فواته غرما، وأئمتهم الأربعة مختلفة الرأي في أنها فرض عين أو على الكفاية، فهما وجهان لنا ولهم أيضا معنا وليس في أحدهما ما يدل على خروجه من الصواب جزما، ورأيهم في الجمعة متفق على لزومها في الأمصار، وفي القرى الخارجة عنها مفترق، وأنتم تجبرونهم على إتيانها قهرا فيما حولنا من الديار.

من هذا الذي أجازه لكم من الأحبار، أم هو إلا رأي منكم رأيتموه وأنتم لا من ذوي الأبصار، بل لو كان في موضع يجوز أن يختلف في وجوبها فيه أو في جوازها أليس على كل منهم أن يعمل على ما رآه فيكون عليه ما لكم ولهذا تركتم ما دان به من قد بقي على دين الإسلام، بالقطع إلى ما ليس له في الشرع أصل ولا فرع، أفاكفاكم ما أنتم به من الإحن، وما قد بليتم به من المحن، وزلازل الفتن، حتى وقعتم لليدين والفم، في هذه الموبقة لمن نزلها يوم الدين .

ألم تعلموا أن الله ما سلط عليكم أشراركم، إلا من بعد أن أقبلتم على الدنيا فنسيتم الآخرة، ونبذتم خياركم وراء ظهوركم، وملتم إلى من رأيتم الدنيا مقبلة عليه، طمعاً في الذي بين يديه، وضيّعتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم تبالوا بترك اللوازم، ولا بانتهاك المحارم، وسودتم من الأمانة له ولا خير فيه.

فعندها ظهر الجور فكثر العناد، وخفي العدل فعظم الفساد، حتى فشا في البلاد، فالطرق تقطع، والرجال تضرب فتقتل، والأموال تنهب فتؤكل، عقوبة من الله عاجلة، ومن ورائها أخرى آجلة، هي أشد منها وأبقى، أو ليس هذا بالحق أم هي إلا دعوى كاذبة، لعدم مطابقتها للصدق، وقراؤكم كفرة وأمراؤكم جورة، وعوامكم أكثرهم فجرة، فأين أهل التقى ما لي لا أراهم فيكم إلا أن يكونوا في قلة، على ما هم به وعليه من ذلة، لعدم أنصارهم، وتباعد ما بين ديارهم، أو لغيره من أعذارهم، إن أحق ما بكم أن يقال فيكم ما قد قيل:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادي

وكيف لا كذلك وآذانكم لا تصغي لنصيحة كأنها لا تسمع، وأعينكم لشدة ما بكم من قسوة لا تدمع، وقلوبكم لما بها من ظلمة أقسى من الحجر الأصم فلا تخشع، وأفئدتكم هواء فالموعظة فيها لا تنجع، تباً لكم ما أقبح أعمالكم، وأسوأ أحوالكم، ولا عهد ولا ورع، فلا أمانة ولا وعد، رضيتم من الله بالأدنى، فأعرضتم عما يقربكم إلى الله زلفى، ونأيتم عما دعاكم له من التقى، وقد أخبركم أن الآخرة خير وأبقى، كم قد أمركم بالذي يرضاه لكم، فيقربكم منه فلم تأتمروا، ونهاكم عما يكرهه إليكم ويبعدكم عنه فلم

تنـزجروا ، فتارة يحذركم من نفسه ، ويتوعدكم بعقابه إن عصيتموه فلم تحذروا ، وتارة يعدكم ثوابه إن أطعتموه فلم تشكروا ، وهو الذي خلقكم وصوركم ، فأحسن من فضله صوركم ، وجعل لكم السمع والبصر والأفئدة فلم تتفكروا ، وأسبغ عليكم نعمه الظاهرة والباطنة ، فلم تتذكروا ، وناداكم : أن هلموا إليّ لما لكم به من فائدة لحظ وافر فأبيتم إلا أن تنفروا، وهداكم النجدين فلم تبصروا ، وعجّل لكم من نقمه ما به يعظكم فلم تعتبروا ، إن أولى ما بكم أن يصلي عليكم من قد عرفكم من صالحي زمانكم أربع تكبيرات ، صلاة الموتى ، فيقول في دعائه : ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[1] فإنهم قد أصرّوا فلا يتوبون من ذنوبهم ولا هم يذّكرون، صم بكم عمي فهم لا يبصرون، وأن يقبل عليه بعد الفراغ فيعزيه من قد حضره أو يعزي نفسه من ناصري دين الله فإنهم قد صاروا في بطن الثرى، وبقي من لا دين له فالناس كما ترى، ليس فيهم إلا من تخلى من الورع، فتحلى بدل الطمع، وتلبّس بالمكر والخدع، فلا يفرق بين الحلال والحرام، ولا يبالي بمعونة أهل الجور على ما هم به من الضلال، يميل إلى أهوائهم، إن دعوه فأجابهم في الحال، فأطاعهم فيما يأمرونهم به من الظلم، غير ناظر لما فيه من الإثم، قد أسكره حب الدنيا أن أطمعوه بشيء من المال، نسي ما له من عاقبته في المآل .

ما أجرأه على الله قد فتح فاه ، واتبع هواه فأهمل أخراه ، فلا باليسير يقنع وإن كفاه، ولا بالكثير يشبع من دنياه، يصبح ويمسي في عماه، إلا قليلاً منهم في أهل مواضع متفرقة، لا يقدرون على إقامة حق في الورى، ولا دفع باطل جرى من هؤلاء الأمراء، أو من يكون من

---

(١) سورة هود : ٤٤ .

أعوانهم، أو كان على مثالهم من أهل زمانهم، الذين قد أظهروا كفر النعم نفاقا، ولم يزالوا في محاربة المنعم شقاقا، وكل أعلم بقدرته وعجزه، فإن تقدر على إزالة شيء قد ظهر من مناكرهم على ما جاز من أفاعلك، وإلا فاته منك لهم عنه بلسان مقالك، وإن تعجز فلا بد أن تنكره ببالك، وكفى به عما زاد عليه في حالك، فارجع إلى نفسك فإنها أحد أعدائك، فاحذرها ولا تتبع في كل يوم أمرها، وعالج ما تجده به من داء بما له من دواء، حتى تصلح لأن تقوم بأمر ربها، وإياك أن تدعها مرسلة، أو أن ترضى عنها فتتركها مهملة، فإنها أمّارة بالسوء ميّالة إليه، تفر عن الخير إلا أن تكرهها عليه أولاً، فعسى أن تحبه آخراً فتكره ما سواه، لما به لها من الضرر، فالحذر كل الحذر أن تكون غافلاً عنها فيما تأتي أو تذر، وبعدها فالأمر والنهي لغيرها على قدر، فإن اتبع وإلا فلا ضرر، إلا على من أبى فاستكبر، وأمره إلى الله فيما قل أو كثر، وما ربك بغافل عما يعملون، تم الجواب.

بيان : وقال أبو نبهان في موضع آخر: وصلني كتابك أيها الشيخ محمد بن مقرن النجدي سلّمك الله تعالى وعافاك، وما أحسن ما ذكرته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أن من حبي لكم ألا تكلّف الناس فعل ما وسعهم تركه، ولا ترك ما جاز لهم فعله في صلاة ولا زكاة ولا صوم ولا حج ولا جهاد ولا غيرها فإن ذلك مما لا وسع فيه لعدم ما به من سداد، وبلغني عن أناس أشرار من أهل عمان أنهم يجبرون على الجمعة في غير الأمصار، وقد اختلف الأئمة الأربعة فيمن يكون بالقرى الخارجة عنها هل تلزمه أم لا، وما جاز عليها الرأي فلا يجوز أن يؤخذوا به في

غير موضع الأحكام قهراً، لأن على كل منهم أن يكون على ما رآه أقوم قيلا، وأهدى سبيلا وما خرج على وجه الفضيلة فهو لمن اختاره، وفي قول من نعلمه من هؤلاء في الكفت ورفع اليدين والقنوت في الصلاة وقول آمين ما دل على أنها لا من وظائفها التي لا تصح إلا بها، وبلغني عن الأمير سعود بن عبد العزيز في شيء من هذه الخصال أنه يأمر أن يكون كل في قوله وفعله على ما في مذهبه لا على غيره من أجله، ومن الواجب على أميركم هذا فيما يرد إليه من الأخبار على ألسنة الفسقة من أهل عمان أو غيرهم أن لا يبادر إلى قبوله قبل التبيان عملاً بما جاء عن الله في القرآن، وأنتم الواصلون وليس الخبر كالمعاينة إلا بما صح بالشهرة، فعسى أن يكون أصح من الخبرة، وكفى بما ظهر عما بطن.

فلا تتبعوا ما استتر، ونحن ما عندنا من الاستغاثة بأهل القبور، ولا الذبح لغير الله شيء اللهم إلا أن يكون من جهة الرياء أو ما أريد به لمجرد عرض من الدنيا، لا لوجهه الكريم عز وجل وعلا، فربما، وكل في هذه الأمور أدرى بما أكنه في نفسه فأضمره، إلا أنه وإن كان فعسى أن لا يبلغ بالذبيحة إلى تحريمها على من فعله ولا على من أخبره أو صح معه بغيره من هذا ما قد أظهره، والغيب لمن له الأمر في الخلق لا لغيره في شيء والناس لهم في الظاهر حكم السلامة من نحو هذا في الحق ما لم يصح على أحد منهم ما به يخرج منها إلى ما قد نزل إليه فيجوز أن يقضي به عليه، وإلا فلا جواز له.

ألا وإنه قد يكون في كثرة لحياء مفرط أو تقية على دين او نفس أو عرض أو مال، ولا بأس على من فعله دفعاً لما قد نزل به من هذا

الحال، وكأنها والعلم عند الله لا أثر لهما في المنع من حلها إلا على من أدخلهما عليه شيئاً منهما فأورثه الضرر، لكنه من العرض الممكن فيه بالقطع كون زواله مهما ارتفع موجبه مسارعة في حاله، والله أعلم، فينظر في ذلك، والسلام.

من العبد الفقير إلى الله جاعد بن خميس الخروصي.

رسائل من العُلماء إلى المُؤلّف وغيره من المشائخ :

بيان : وعنه أيضاً :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى الشيخ المحب الصفي الولد الثقة الحفي سالم بن مسعود العبري ، سلّمه الله تعالى ، وبعد ، بلغني أنكم دخلتم بلد بهلا، والحمد لله لكن اجتهد في ردع القوم عن الفساد في البلاد والعباد غاية الاجتهاد، واجعل ذلك لله لا لغيره، وإن كان القوم أخذوا شيئاً فاجتهد في رده ولا تتركهم على سولهم والحق أولي ما اتبع، ومن المحال أن يقوم الحق بالباطل، فاجتهد فإن الدنيا دار زوال، وإن كان الشيخ المحب الولد محسن بن الشيخ علي بن ناصر التنوفي عندكم فاقرئه مني السلام، وقل له بمثل ما به عرّفتك، وهذه مني لكما نصيحة، وإذا بلغ إليك شيء من الأخبار عن الأخ سعيد بن هلال الرمحي فلا تلتفت إليه فليس كل خبر بصحيح، وعرّفنا ما أنتم عليه من الأحوال كما أمكن بلا مشقة وأنا الآن في بلد العوابي، وإنما وقفت فيها لأجل تسديدهم وتقوية عزمهم لأخذ حزمهم، وأعرّفك أن سمائل أخذت على سعيد الذي يسمي نفسه إمام المسلمين لتعلم ذلك والسلام .

من المحب الفقير إلى الله جاعد بن خميس الخروصي .

غيره : وهذا خط الشيخ ناصر بن أبي نبهان :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى الشيخ الأجل الأكمل الأعز الأشرف الأخ التقي النقي الصفي الوفي الكامل الفاضل الورع خميس بن راشد العبري السميدع أعزه الله ونصره وحماه ووفقه لما فيه رضاه، وبعد لم تزل القلوب مشوقة إلى لقائك كل يوم على زيادة ويا أخي ذكرت لك في مسكد أني رأيت في المنام رؤيا حسنة ببلوغ المطلوب من جماعتك العبريين ومن الشيخ محسن، وذكرت لك لعلك تدخل بينهم بصلح يصلح الجميع، والمبالغة في الجفا مخوفة معقوبة بالدوائر، ولكن أرى الصلح إن كان محسن مطلوباً بعده كان لا بأس أن اصنع صلحاً يكون أهله وأولاده الذين يأمنون منهم أن يسامحوا بالطلوع والهبوط في أموالهم وحصادها والنظر إليها والذي لا يؤمنوه صحيحاً لا أننا لأنا منه لعدواة وبغض يكون في معزل.

وفي نفسي وما أراه في الرؤيا في المنام أنهم الآن ما قصدهم الشر ولا الضر ولو لم أصنع لهم أمراً يقوم مقام الحساب لما عرفتك، وبنفسي عرفتك بما لا ضرر عليهم لا على هؤلاء ولا على هؤلاء، ويترك المطالبة والدغائل في ما بينهم فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : " من صبر على أذى جاره ملّكه الله ولاية داره " ، ومن صبر ملك والدنيا دول، والله الله في الصلح في حالهم على ما عرفتك إن قبل منك ابذل مجهودك، وإن عجزت فلك العذر ، والآن أراه لك عذراً ولكن قربة وكرامة إن تقبلت، ولو شقوا القلوب العبريون منا لما وجدوا فيها ساكناً وقاطناً إلا العبري، ويضيرنا أدنى ما يفرح به أعداؤهم لأننا صرنا حالنا واحد من

دهر الشيخ راشد بن مالك بعهود ومواثيق .

فالآن هم أحب الناس إلينا وأقربهم معنا، إن وجدونا كذلك في نفوسهم وإلا فهم في أنفسنا كذلك على كل حال، من محبكم وصغيركم ناصر بن جاعد. وعرّفني بما يكون بعد بذل الجهد وعرفتك لا بعلم من هذا ولا من هذا الغريق إلا همة نفسي وذكر قلبي لم يزل فيكم ويذكركم ومتحير في إصلاح شأنكم والسلام .

بيان : وعن غيره :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى الشيخ الأجل الصفي الوفي الأخ العزيز خميس بن راشد بن سعيد العبري الكدمي سلمه الله وعافاه مما ابتلى به كثير من خلقه، أحباؤك وإخوانك بخير وعافية جعلك الله في خير إن شاء الله، وبعد كتابك الشريف إلينا وصل بعد برهة من الزمان حتى ظننا أن حبل الاتصال مسه انبتار وانفصال، والحمد لله على كل حال، وقد فهم صغيراك وإخوانك من كتابك ما قدر الله لهم فهمه من فحواه، على قصور بصائرهم عن الإحاطة بجميع ما احتواه، مما أوردت لهم فيه شرحاً ورمزاً وإطالة ووجزاً، من معنى الفتنة الواقعة بإزائكم فذلك بقضاء الله وقدره الجاري على حكم مشيئته السابقة في عالم غيبه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، يفعل بنا ما يشاء ويحكم فينا ما يريد، لا قدرة لأحدنا بنقص ولا مزيد، عما هو قد شاءه، فعله من الجاري على خلقه، ومن خلقه وفي خلقه، كلا ولا محيد، بل على المؤمن إذا نزلت بقربه الفتن ملازمة سربه وقهر نفسه بزمام قلبه، وتجانب التعاطي في مراعيه والتمطي في مساعيه، ويتقي الله بملازمة طاعته .

فمن كانت منه هذه الخمس خصال وأخلص فيها لله فقد نجا، ومهما عارضه المعترض عليه في أي مكان وفي أي وقت كان حيث كان في المكان المباح له القيام به والسعي فيه فعليه جهاده ما أمكنه وإلا فالمتاقاة له والمدافعة عن نفسه وماله بماله أو ما قدر عليه من احتياله الواسع له في دين خالقه بالدين، أو على رأي من آراء أهل الحق، وفيما ذكرته من الخطاب بمعنى المذاكرة والسؤال فنحن لم يحضرنا في وقتك هذا معنى يمكننا أن نقوله نظراً ولا بقي بالقلوب حفظاً عن أحد قد وجدناه أثراً، لأن الأعراض التي تألبت علينا قد أثرت بالقلوب الأمراض، وذلك مما نرجوه أنه غير مخفي عليك كونه حتى نفسره لك وبالتلويح في هذا وغيره كفاية لمن منّ الله عليه بالهداية عن التصريح.

وكن شيخنا وأخانا ومحبنا عاذراً مسامحاً عافياً صافحاً عن صغيريك وإخوانك ولا تأمل ذلك من ترك الجواب الجفا بل هو من بلادة أثرت زهادة عن التخبط فيما لا علم لهم به وهو من محض الصفا لمن طلب الاصطفا، وعليك منا جزيل السلام، والتحية والإكرام، من الفقراء إلى الله تعالى إخوانك بشير بن محمد وعلي بن سليمان وخلفان بن محمد وناصر بن محمد وكافة الجماعة مع كاتب الأحرف عن الجميع الفقير الحقير الصغير عامر بن علي بن مسعود العبّادي .

للشيخ علي بن ناصر :

در القلائد من منظوم أشعار	بها عنائي وتكريمي وأوطاري
وكم أسدّ بها أزري وأشركها	بفرد أمري وأطفي جذوة النار
وكم خربت بحسناها أخا كرم	تهمي يداه فتذري سيب أمطار

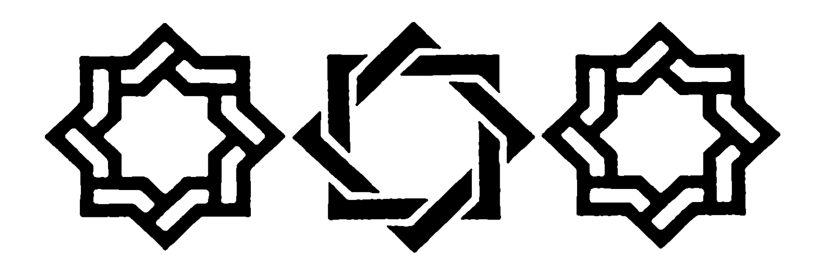
والعِلم أفضل ما يعطى الفتى ومتى ... يختاره فتراه خير مختار

ومشترٍ منه حرفاً فهو باخسه ... لو كان ينقد فيه ألف قنطار

ماذا يعادل في الدنيا فضيلة من ... به ينال رضاء الواحد الباري

وفي الدنا سلّم في نيل كل منى ... وقد يجرك من ذلٍ وإقتار

فبادروا واطلبوا التعليم ثم صلوا ... ليلاً بصبح وآصالاً بأسحار



الذكر الحادي عشر :

أوله ذكر منازل القمر السعيدة للسفر، وفيه دواء للحفظ، وفيه ما يجوز أخذه من ماء الآبار والأنهار، وفي التيمم والصلاة مع الشدة، وفيه في الدماء والفروج، وفيه ذكر العنّين و ضعيف الباه وسبب عللهم ودواؤهم، وفيه علة الجذام ودواؤها ووسمها أجارنا الله منها

منازل القمر السعيدة للسفر :

قال ذو الغبراء: قصدت يوماً إلى السفر، وشاورت الأهل ومن حضر، فقال لي صاحبي: انظر إلى منازل القمر التي هي سعيدة لسفر البر والبحر، فأولها الشرطان والهقعة والنثرة العوا والنعايم وسعد السعود وبطن الحوت والفرع المؤخر، فلما سمعت كلامه عمدت إلى (1) أخذ الزاد، وقلت أين الدليل والصاحب الذي هو من أهل الرشاد؟، قال رجل: أنا صاحبك إن كان سفرك لزيارة العبّاد والزهاد، ثم أقام إخواننا في تشييعنا ومن حضر في البلاد حتى خرجنا إلى الصحراء فوادعنا أصحابنا ؛ وقلنا : اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل والمال والولد .

وصفة دواء للحفظ :

قلت لذي الغبراء في طريقنا: إني بليت بالنسيان فهل معك شيء من الدواء للحفظ ؟ فقال: خذ مرمكي وسعد هندي وفلفل أبيض ولبان

---

(1) في الأصل : على .

وزعفران أجزاء بالسوية ثم يخلط بعسل النحل ويضرب على النار، ويؤكل منه كل يوم بقدر مثقال من قبل أن يأكل شيئاً ولا يأكل شيئاً بعده حتى تمضي عليه في معدته ساعة.

ما يجوز أخذه من مياه الآبار والأنهار :

فقلت له : بيّن لنا يا ذا الغبراء مما يجوز لنا أخذه من الموارد والآبار والأنهار؟، فقال : أما الموارد المعروفة بالطرق فلا تسأل عن طهارتها ولا عن نجاستها وخذ منها ما أردت لحاجتك للطهارة والوضوء ولعمل الطعام، وكذلك الأنهار استق منها إلا إذا كانت مغتصبة، وأما الآبار فاستق منها بدلوك لما تريد، وأما بدلاء أرباب البير أو مما طلعوه بالزجر فلا يجوز إلا برأيهم أو بإذن الزاجر، وأما إذا كانت مغتصبة فلا تستقي منها، والتيمم أولى عن مائها إذا لم تجد غيرها، وكذلك إن وجدت ماءً نجساً أو كان منتناً ولو كان غزيراً أو كان الماء جارياً ولم تطقه الكبد حتى لو كان ماء البحر ولم تقبله النفس ولم يستطع على الوضوء منه فالصعيد جائز للتيمم مع وجود ذلك.

بعض أحكام التيمم والصلاة وآداب الألفة :

قلت له: فإن أدركنا العدو وحضرت الصلاة ولم نقدر على الوضوء ولا على التيمم بالتراب كيف الرأي؟، قال: إن قدرت أن تومئ بكفك في الهواء وتنوي التيمم فذلك حسن، وإن لم تقدر فاقرأ [1] التيمم بقلبك وأحرم وأنت مقبل بوجهك إلى القبلة، واقرأ الصلاة إن قدرت وإلا فكبر خمس تكبيرات لحضور كل صلاة ولصلاة عشاء الآخرة والوتر عشر

---

(١) المقصود بالقراءة هنا النية ، أي : (فاتو) .

تكبيرات على القول المعمول به أكثر، لا فرق بين هذا والمريض، ولا عذر لك عن ذلك إن خفت يذهب عليك وقت الصلاة.

قلت له: وما الرأيِ إذا أراد الإنسان ألفة رجل وامتنع عن قربه ؟، قال: يقدم له العطية من الدراهم والأمتعة والكسوة له ولمن يعوله مرة بعد مرة قبل أن يسأل عن إرادته فإنه يلين له بعد اللقمة، أما ترى الطير والسباع والدواب تألفك باللقمة حتى تحل بها النقمة.

قلت له: كيف أرى الناس مختلفة ألوانهم وألسنتهم بالنطق، وما السبب لذلك؟، قال: شرح هذا يطول من الكتاب وأما في بعض الصفات التي تكون في عامة أهل البلد فقد يكون في بعضها من إنتلافهم على الشيء كالنطق في بعض الصفات من ذلك قد يكون بتغيير الأهوية والأروض بالطبائع الأربعة فانظر في هذا لعقلك وتفسير ذلك لا يستقصى.

مسائل في الدماء والديات والفروج :

قلت له: هل حفظت شيئاً من المسائل في الدماء والفروج حاوية من الأخبار جامعة من الأحكام لتحدثنا بها في طريقنا؟، قال ذو الغبراء: أخبرني بمثل هذا أحد الأخوان عن رجل سافر هو وزوجته إلى بلد السلطان فلما وصل دار الملك أمر له ببيت في البلد ليسكنا فيه فأقاما فيها، ثم أقبلت قوم وهجمت على البلد ظلماً وصح بين الفريقين القتل والجراح.

وخرج الرجل الغريب جاذباً سيفه ليقاتل مع أهل البلد المعتدين عليه فوجد رجلاً وحسبه من المعتدين فكر عليه بسيفه فلما رآه الرجل مقبلاً عليه نادى يا آل فلان اجنبوني لهذا الرجل المعتدي على فقتله حين استغاث بعشيرته ثم صح أنه من أهل البلد لا من المعتدين وكان الرجل

الذي قتل معه ابن فرفع سيفه على قاتل أبيه فقطع حاجبيه، فصاح من حضر معهم: ضيف الأمير ضرب.

فجاء الأمير وخدمه مسرعين فرأى ضيفه يسيل دمه على جنبه وحملوه وقبض ابن المقتول، وكان المقتول معه ابنة فسمعت بقتل أبيها فأسرعت إلى زوجة الغريب فقطعت ثديها اليمين وقطعت حلمة ثديها اليسار، وبركت في بطنها حتى طاح جنينها يصيح ومات الجنين في يومه.

فسمع السلطان بما جرى على زوجة الغريب فحضر الناس وسألهم، فقالوا يحضر الحاكم والخصمين ويحكم بينهم فحضرهم السلطان في مجلسه وسأل الحاكم أولاد المقتول وسأل الحاضرون فشهدوا بما عندهم صدقاً لا زوراً.

فقال الحاكم: اسمع أيها الأمير إن المقتول دمه هدر لأن النداء يا آل فلان في الاستعانة عند الثائرة لا يجوز ويهدر دم من قتل على ذلك، هكذا وجدناه في الأثر عن أهل العلم والبصر، وأما الغريب فله دية تامة بذهاب حاجبيه وأحكم بالدية تامة على ابنة المقتول للجنين الميت بعد الحياة وأحكم عليها بنصف دية امرأة لثدي المرأة وهي ربع دية الرجل، وأحكم بذهاب حلمة ثديها الثاني بعشر دية الرجل، ولو كانت ذاهبة حلمة ثدي الرجل لكان بنصف عشر الدية له خلافاً في هذه المسألة، ديات النساء أكثر عن دية الرجل، انظر في هذه القصة قد ذهب مالهما وأبوهما في حكم واحد.

قال ذو الغبراء لصاحبه : لعلك تبين لنا صفة الديات والطرح من النطفة إلى تمام الولد ؟ .

فقال: اسمع يا ذا الغبراء إن الديات كثيرة فأنبنك أولاً عن شعر الرأس إذا نتف أو حلق ولم ينبت فله دية كاملة، وكذلك الحاجبان إن ذهبا بلحمهما فلهما دية كاملة ومثلهما العينان دية، وذهاب الأذنين دية، وفي الشفتين دية، وفي اللسان دية، وفي ذهاب الكلام دية، وفي الأنف دية، وفي ذهاب الضروس كلها دية، وكذلك ذهاب شعر اللحية دية إذا نتفت أو قلعت ولم تنبت إلى سنة، وفي ذهاب الأصابع العشرين دية، وفي اليدين دية، وإن كسر الصلب وجبر منحنياً فله دية، وإن ذهب منه الجماع فله دية، وفي ثديين المرأة إن ذهب اللبن دية، وإن امتنع الحمل من المرأة، أن لو صح أنه من فعل فاعل بصحة يقوم فيها الحجة بشرع الله ولكني أرى صحة ذلك شبيهة بالمتعذر وجودها لأن ذلك من علم الغيب، وإن ذهب العقل فدية، وفي الجنين دية، وفي قطع الذكر دية، وفي قطع الحشفة دية، وفي البيضتين دية، وفي اختلاط القبل والدبر دية، وفي الرجلين دية، وإذا لم يملك بوله دية، وذلك إذا لم يقدر على الغائط دية.

ومن وطئ زوجته وهي صبية فماتت فلها دية إذا كانت ممن لا تطيق الوطئ وكانت بحال ممن يقتلها الوطئ، وأما إن كانت بالغاً كانت ثيباً أو بكراً فعلى قول لا شيء لها، هذا المذكور في جامع ابن جعفر منقول.

وإن استرشده أحد في الطريق فلم يرشده أو استسقاه فلم يسقه أو أراد منه الإطعام فلم يطعمه وهو قادر ومات فعليه دية، أو كان سمع صبياً يصيح فوق شجرة أو هجم عليه شيء من الدواب وهو قادر على إعانته ولم ينقذه فعليه دية.

ومن وجد رجلاً يطأ زوجته فله قتلهما جميعاً في كل مكان إذا رأى الجماع، وأما إذا رأى الرجل لازقاً في بطن زوجته ولم ينظر جماعاً فله قتل الرجل وأما المرأة فلا يجوز قتلها حتى يرى الجماع، والناكح للرجال والدواب يقتل، والمنكوح من الرجال يقتل أو يهدف من جبل.

والمرأة إن أوطت نفسها الدواب إن كانت محصنة رجمت وإن كانت بكراً جلدت، ومن فزّع صبياً فخرج منه البول فله عشرة دراهم من فزعته منه إذا تبين أنه من قبل ذلك، وإن خرج منه الغائط فله عشرون درهماً، ومن ضرب امرأة أو أفزعها فألقت جنينها حياً ثم مات فعليه دية، وإن خرج ميتاً ففيه غرة، فإن كان ذكراً فستمائة درهم، وإن كانت أنثى فثلاثمائة درهم، فإن طرحت مضغة فتسعون درهماً، وإن طرحت علقة فمائة وثمانون درهماً، وإذا كان تام الخلقة ولم يستبن أنه ذكر أو أنثى فذلك أربعمائة وخمسون درهماً، فإذا استبان خلقه فللذكر ستمائة درهم وللأنثى ثلاثمائة درهم، وإن خرج حياً ثم مات فدية كاملة.

وأما اللطمة إذا أثرت فلها بعير، وإن لم تؤثر فلها نصف بعير، والفقدة والكسعة للمؤثر عشرة دراهم، والوجية مثل ذلك، والوجه في هذا مضاعف عن سائر البدن، وأول الجروح الدامية والباضعة واللاحمة والسمحاق والموضحة والهاشمة والمأمومة، فللدامية بعير، وللباضعة بعيرين، وللاحمة ثلاثة أبعرة، وللهاشمة عشر من الإبل، وللمأمومة ثلاثة وثلاثون بعيراً وثلث بعير وهو ثلث الدية، وإن أردت توضيحه فاطلبه من الأثر.

وفصول الدية من الإبل مائة ومن البقر مائتان ومن الجعد ألفان

ومن الدراهم اثني عشر ألف درهم، والمقتول دون ماله ولو على نعله فهو شهيد ، والخطأ أن يريد الرجل الشيء فيصيب غيره ، فهي دية على العشيرة .

وأما القسامة فقد عملت بها أئمة العدل، ومن ذلك أن يوجد الرجل قتيلاً بين القريتين وبين الحيين أو في القرية ولا يدرى من قتله، وأما القريتان والحيان فإنه يلزم ديته أقرب القريتين والحيين إليه، وينظر من أهل الصلاح منهم خمسون رجلاً فيحلفون بالله ما قتلنا ولا علمنا له قاتلاً فإذا حلفوا قسمت الدية على أهل القرية من حلف ومن لم يحلف كمن نكل عن اليمين أدى الدية كاملة، وليس لعبد قتل في قرية لا يدرى من قتله دية إلا أن يعرف من قتله فيؤخذ به، والله أعلم.

وذكرت لي تريد قصة في حكم الفروج؛ فقد حكي لي أن امرأة تزوجت صبياً فدخل عليها وبعد دخوله بتسعة أشهر ولدت المرأة، ثم مكثت سنتين وجاءت بولد آخر، ثم مات زوجها الصبي من قبل أن يبلغ الحلم، فتربصت المرأة أربعة أشهر وعشرا، فحازت المال جميعه لها ولأولادها، وأرادت أن تتزوج، وجاءت إلى الحاكم ليقسم المال بينها وبين أولادها وأرادت صداقها.

فقال الحاكم: هل عندك أوراقاً؟، فقالت: حقي ألف درهم ولم يكن لي أوراقا لأن زوجي صبياً، ولم يكتب عليه أحد من الكتّاب، فقال لها: ومن أقرب عليه زوجك؟، فقالت: ليس له عصبات ولا أرحام ولا من ذوي السهام إلا أنا وأولادي.

فقال لها: مال الهالك لبيت المال، وما أكلتيه فارجعيه إلى إمام

المسلمين، وليس أرى للصبي أولاد لأن الأولاد من الماء الدافق والصبي ليس يخرج منه ماء، وأولادك ليس من الصبي، ويلزمك التعزير قد صنعت شيئاً فيه ريبة، فهذه القصة فرق بينها وبين القصة المرأة التي معها زوج، واغتصبها رجل على زوجها وأتت منه أولاداً، قيل ليس هم بأولاده، ولا على المرأة جزاء، ولا يرثوه، وقيل لأن الولد للفراش وللعاهر الحجر.

وكل من أقر بولد من امرأة ولها زوج حتى لو كان الزوج صبياً فلا يصح إقرار الزاني بالأولاد في هذا الموضع، وأما إذا لم يكن للمرأة زوج وأقر به إنسان أنه ولده من زنا، ففيه قولان أنه ولده ويرثه وقول لا، والله أعلم.

وأما الرجل المقطوع ذكره والذي لا يقدر على الجماع ودخل على المرأة وسافر .... [1] ، وأتين بأولاد ، فأولادهن لأزواجهن المذكورين ، وإن مات الزوج فلها الميراث والصداق وعليهن العدة، وكذلك الذي طلق زوجته وأتت بولد بعد الطلاق إلى سنتين فالولد ولده، وأما الرتقاء فإن مات زوجها فلها منه الميراث وليس لها الصداق، وإن أراد أن يطلقها فلا لها صداق ولو نظر ولمس .

وأما الرتقاء إن تزوجت ولم يعلم بها الزوج فإنها تؤجل سنة لتصلح نفسها فإن لم تصلح فيطلقها زوجها ولا عليه صداق لها؛ لأن الأمر في الاعتضال منها، ومن كشفت عورتها لطبيب لينظر أمرها فجائز لها ذلك وهذه ضرورة، فإن كانت السدة من الالتصاق فيشق ذلك الالتصاق شقاً بالطول بالآلة التي يقطع بها البواسير والنواصير بموضع عريض

---

(١) هنا نقص في الأصل .

فإن كانت عن لحم نابت فينبغي أن يعلق ذلك اللحم بصنارة في الوسط، وكذلك إن كان صفاقا فتقرب فيه الصنارة وتمد وتقطع بالمبضع، ثم يلقى على الجرح الأدوية القاطعة للدم والأدوية المخففة من غير لذع، ثم بالمراهم التي تلئم اللحم مثل الشحم والسمن والحل من كل واحد جزء ثم يذاب على النار فإنه مرهم جيد، وأما الذي يقطع الدم كورق الجوز المدقوق يذر على الجرح ومثل الشب والعفص وثمرة الطرفا مجموعة أو فرادى.

وأما العنين إذا أقر أنه لم ينكح امرأته وأنكرت هي فلا يصدق قوله، وإن أقرت هي أنه لم ينكحها وأنكر هو فلا تصدق عليه، وإن اشتكت مع الحاكم فيعطيه الحاكم أجل سنة فإن صلح نفسه وإلا أجبره على الطلاق وتسليم الصداق العاجل والآجل، فقد وجب عليه بالنظر والمس وجاء الأمر منه، وأما إن كانت مطلقة ثلاثاً وفارقها العنين أو المجبوب أو ماتا وورثتهما فلا تحل لمطلقها بذلك، وأما إذا أتت بأولاد منهما فإنها تحل له في حكم الظاهر، وفيما بينهما وبين الله فلا تحل له، حتى قيل أنها إذا تزوجت وتعاهدا هي والرجل على أن يطلقها حتى تحل لزوجها فإنها لا تحل للذي طلقها ولا للرجل الذي معها، وكذلك الذي أوعد امرأة ليأخذها وهي في رقبة رجل أو كانت في عدة من رجل وتعاهدا على العمد فإنها لا تحل للذي عاهدها إلى يوم القيامة، هكذا وجدتها في آثار المسلمين وكذلك الذي خرجت منه بحرمة أو بسفاح فإنها لا تحل له أبداً.

وقد حكي لنا عن رجل من العباد تزوج امرأة وولدت له أولاداً فكشف العابد كتاباً وقرأ فيه أنه يحرم من الرضاع كما يحرم من النسب،

فلما سمعت امرأته بهذه المسألة قالت له: ما تقول أنا عندي أم من الرضاعة وأسمها فلانة بنت فلان ولي إخوة وأخوات، ففكر الرجل في نفسه حتى تذكر في قلبه أنه فجر في صباه بالمرأة التي أرضعت زوجته، ثم قال لها: فهل عندك صحة؟، فقالت: نعم، فحضرت له الشهادة المقبولة في الشرع فحرمت عليه امرأته سراً، وهذا لا يجوز أن يظهره للناس.

فأخبر بقصته امرأته سراً ثم أحضر شهوداً فأصدقها عاجلها وآجلها إلا درهماً واحداً افتدت به، وطلقها ثلاثاً والناس قد ظنوا في المرأة ظناً ضعيفاً، فلما اعتدت من ثلاث حيض وحلت للأزواج، قال المطلق لصديق: اخطب هذه المرأة وأنه لا عيب فيها وأخصك بها، فأخذها صديقه وسألها عن سبب طلاقها فأخبرته، وقال الزوج للمطلق: سألت زوجتي عن كذا وكذا أهو صحيح أم لا؟، قال: لعله يكون صحيح بالتلويح لا بالتصريح.

العنين وضعيف الباه وسبب عللهم ودواؤهم :

وهاك قصة في تفسير العنين وذهاب الجماع وضعفه؛ مما حكى لي عن بعض الأطباء قد سأله رجل عن الإلجاج في الباه قال: هو من الحرارة الغريزية وبطبعها الاعتدال الطبيعية وخاصة الأبدان النحيفة والأمزاج اليابسة الذين عروقهم ضيقة ودماؤهم نزرة قليلة، وأما الذين عروقهم مع قلة اللحم واسعة ودماؤهم غزيرة كانت المضرة لهم أقل.

وأما الأبدان الباردة اليابسة فلحومهم مائلة إلى البياض والخضرة، وجلودهم لينة، وعروقهم ضيقة، ودماؤهم قليلة غليظة، ومنيهم قليل رقيق، ومطلبهم للجماع قليل، ودواؤهم خبز السميد وهو ما يتخذ من لباب

الحنطة المنقى المغسولة ولحم الحملان والزلابية والعسل والسكر الفانيد.

وأما الأبدان الحارة اليابسة فألوانهم إلى السمرة والحمرة الواسعة العروق كثيرة الدم، والمفاصل الغليظة والأعصاب والأذناب الكثيرة الشعور، وشهوتهم للجماع كثيرة، ومنيهم قليل غليظ فدواؤهم بالأغذية الرطبة والبقول والفواكه والبطيخ والسمك الطري واللبن الحليب والبيض وبأكل الرضعان والسكر الطبرزد والطعام المتخذ من اللبن والسكر والتمر المنقوع في الحليب.

وأما الأبدان الباردة الرطبة فأبدانهم سمينة شحيمة، وجلودهم ولحومهم لينة، ومفاصلهم خفية، وعروقهم قليلة الدم وألوانهم بيض عاجية أو جصية، ومنيهم كثير ورقيق وشهوتهم للجماع قليلة، فيأكل المربيات المسخنة مثل الزنجبيل والفلفل والسكر والمقويات لهذا العمل موجودة في الكتب.

وأما الأبدان الحارة الرطبة فألوانهم بيض مشوبة بحمرة خصيبة باللحم واسعة العروق كثيرة الدم ومنيهم غزير معتدل في الرقة والغلظ وأقواهم للجماع من كان في أسافل بدنه شعر كثير مما يلي العانة والفخذين فهذا ما أقل يضرهم الجماع ودواؤهم مما يقوي القلب والكبد من المعجونات مثل المفرح والإطريفل الكبير والدزاء المعمول بلسان الثور والكزبرة اليابسة والمصطكي .

وأما من برد بدنه بعد الجماع فليستحم في الماء الحار، ومن سخن والتهب ففي الماء البارد، ومن كان يابس المزاج فليتخذ الجماع في الزمان الحار، وصاحب المزاج الحار فليتخذ في الزمان البارد وليقلل

الجماع في الصيف والخريف وفي أيام الوباء وفساد الهواء وفي الأمراض الباردة وجميع العلل التي تحل بالبدن إن لم يقلل من الجماع وإلا فزادت العلة، ولا يشرب بعد الجماع ماءً بارداً.

وأما العجز عن الجماع إما لضعف الانتشار وإما لقلة المني وإما لبرودة وجمودة وإما لوهم ورأي نفس، وأما ضعف الانتشار فظاهر بيّن، وأما قلة المني فالانتشار يكون قوياً والنطفة قليلة إذا خرجت، وإما برود المني وجموده فإن شهوة الجماع معها تبطل ويكون المني مع قلته غليظاً عسر الخروج، فإن كان مع قلته سهل الخروج فإنه يكون لشدة الحرارة، فإن كان القضيب مسترخياً عن الانتشار وذهب حسه وحركته مهزول فإن فيه علة من نوع الفالج، فإن كان ذلك مولوداً أو مزمناً جداً ودق القضيب وبهل فلا علاج له، وكثير من هؤلاء من يمني ولا ينعظ، وهو الذي تسميه الناس العنين، فأما ضعف الانتشار ولم يكن باطلاً ساقطاً ولكنه ينتشر في حال، فاعلم أن النفخ البخارية التي يكون انتشار القضيب قد قلت وقل المني.

ومما يصلح للمحرورين الترنجيبن الحلال الأبيض ويطبخ بالحليب حتى يصير مثل العسل ويأكل منه كل يوم بقدر كياس على الريق، ومما ينفع الأمزاج الباردة فمعجون الليمون وصفته لوز وبدنق ونارجيل ولب الصنوبر وفستق وحب الفلفل وحب الزلم والحبة الخضراء بالسوية وزنجبيل ودار فلفل ونار مشك من كل واحد ثلث جزء فانيد شجري مقدار ما يعجن به والشربة منه مثل البيضة غدوة ومثله عشية .

ولقوة الباه شرب لبن الضأن مع سكر البلوج ومرق الفراريج

والدجاج مع الأبازير الحارة وأكل الكزبرة والعسل عجيب وشم الأراييح الطيبة نحو العنبر والعود وماء الورد العجمي وحل الصندل والزباد كله هذا مما يحرك الشهوة للجماع.

داء الجذام وسببه ودواؤه :

وسألتني عن الجذام وماسببه ؟ فأقول على ما وجدته أن الجذام على أربعة وجوه ضبعي وكوفي وحزازي وجذام.

فعلامة الضبعي يابس الحلق والعين، أبح الكلام، يابس الفرج، ثقيل الكلام والسمع، علاجه يحجم على أم رأسه سبع محاجم كلما قلعت محجمة طرحت أخرى حتى تستكمل السبعة، ويحجم العذارين محجمين والونثيين محجمين ودبل الساقين محجمين وباطن الفخذين محجمين، وبعد ذلك يأخذ ثلاثة أرغفة شعير وادهنهن بدهن الخروع واطلهن بعسل النحل وألقهن في الأرض حتى تقنص الذباب تلك الأرغفة وبعد فاهرسهن في بعضهن البعض وأطعمهن الوجيع وهو لا يدري ثلاثة أيام على الريق ولا يأكل طعاماً غيره، إلا أن يكون الحليب الطري ويبرد كل يوم في ماء جار مخشوف فيه ورق المركبة وورق الختف.

وأما الكوفي فهو يكف الأطراف ويسلب اللحم بين الأصابع ويضعف الشعر في الحال ويصفر اللون غير اللون ويضعف عن كل شيء، علاجه؛ أكل كل غداة أربعين لوماة صفراء ويشرب ماؤها، وأربعين جزرة ويعرك بها جسده أربعين صباحاً ويجتنب كل حلاوة، ويشرب عند النوم بول ناقة صفراء لم تلد، وبعد ذلك يحتجم، ويشرب ما يسهل وينقي فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، ومع أصحابنا لا يجوز شرب البول.

وأما الحزازي فإنه يغير البشرة، ويظهر الحزاز والوكح، ولا ينقص من حاله شيء في العاجل، وأصله المعدة اليابسة، علاجه؛ يشرب السليط المغلي فيه الصبر العراقي وأما سمن البقر والثوم ويغلى بالنار حتى يتهتك الثوم ويشرب منه القليل ويعرك بالباقي في جسده سبعة أيام، ولا يمتنع عن طعام إلا طعام على طعام، ويمتنع من لحم البقر، وأما إذا كان قليلاً في الجسد من الحزاز يحك جميعه بقطعة ملح حتى يرمي بالدم ثم يطلى برماد بعر الغنم المعجون بقطران، ويستعمل شرب الحليب والعسل والسمن المنقص ويجتنب ما عدا ذلك.

وأما الجذام فهي حمرة في الوجه، واتساع في العين، وبياض وكمودة وبحوحة في الحلق مع الغنة، وتآكل أطراف الأنف، ونحول لحم الأصابع، وظهور الحزاز، وانتفاخ في الوجه، ونتن الرائحة، وحمرة الأطراف ووجهه يكون منتفخاً شبه الزق المنفوخ، ورقة شعر الحاجبين، وحكة في الجسد وانتشار السواد فيه، ولا يجاوز منه إلى ستة أشهر ثم يصعب، فينبغي أن يستفرغ الخلط السوداوي وفصد الودجين والأكحل، ويفصد بين العينين وطرف الأنف وباطن العضدين، وبعد ذلك يحفر له حفيرة في الأرض ويوقد فيها ناراً ويطرح فيها قضبان العشرق بورقه ويفرش عليه ثوب من ثوب وينام عليه صاحب العلة يعمل هذا ثلاثة أيام، ثم تأخذ السليط وربع ثوم بالعطار ويغلى فيه السليط ويشرب منه ما يستطيع والباقي يعرك به جسده ثلاثة ايام، وجنّبه الحلاوات، واسعطه مرارة الضبع واسقه بعدما يسهل وينقى وأطعمه العيش [1] الحار ثلاثة أيام، ويأكل اللحم ما سوى لحم البقر .

(١) أي : الأرز .

أو بفصد ويؤخذ له عسل النحل منزوع الرغوة وسمن البقر المنقص وثوم مقشر وصبر أخضر طري يسحق الثوم والصبر بعد وزنهما سواء سحقاً ناعماً ثم تعجنهما بالسمن والعسل ويطلع الجميع على النار حتى يسخن وتنزله وتعجنه عجناً ناعماً وتستعمل أكله على الريق وعند النوم ما استطاع منه، والغداء لباب خمير الحنطة يعني النشاء ومرق الفراريج ولحمها والسمن والأرز المطبوخ بلحم الفراريج واللبن والسمن والعسل ويجتنب ما عدا ذلك فإنه يبرأ إن شاء الله تعالى، ويعاود المسهل كل أسبوع أو في الشهر مرتين أو مرة على قدر قوة الشخص وضعفه، وقيل إذا أخذ السمن المنقص وعسل منزوع الرغوة أجزاء سواء واطلعا على النار، ثم حلب عليهما حليب البقر وشرب من تحت الضرع ويجتنب كل شيء سواه فهذا يقطع كل علة سوداوية، وأما الجذام من الصفراء والدم المحترق؛ يؤخذ مصطكى أربعة دراهم وشحم الحنظل أربعة دراهم وصبر مقدار الحمصة، ثم يجفف في الظل والشربة منه وزن أربعة دراهم ولا يمضغ مضغاً بل يبلعه بلعاً، فإن ذلك ينفعه.

والذي يصلح له من المأكولات المخالفة للطبيعة كالأرز المطبوخ بسمن البقر، وقيل من أخذ سنامكي مع عروقه وأغصانه وورقه ويدق جيداً ثم يؤخذ ماؤه مقدار الشربة ويطرح فيه وزن عشرة دراهم سكر، ويسقى منه سبعة أيام متواترة وبعد ذلك يأخذ عرق سنامكي وتدقه وتعجنه مع الخمر ويطلى به العليل.

فأما من استحكمت فيه هذه العلة فليعالج بلحوم الأفاعي وصفته؛ أن يؤخذ أفعى جبلية مائلة إلى البياض من مكان لا يكون فيه سبخة

ويكون بعيداً عن الماء، فإنها إن كانت في السبخة كان لحمها مالحاً وأورث عطشاً لا يروي منه الإنسان حتى يموت، وإن أخذتها فاقطع رأسها وذنبها ويطرح كل ما في جوفها، فإن لم يخرج منها عند الذبح دم ولم تضطرب فارم بها فلا خير فيها، فإن خرج فاسلخها وتغسلها بالماء والملح وتطرحها في قدر وتطرح معه ملح وشب وقليل خولنجان وتصب فيه ماء وزيت قليل وحمص فإن طرح معها قدح كان أخفى لطعمها ويطبخ حتى تتهرى، ويغرف على خبز سميدي، ويؤمر ليحتسي بذلك المرق ويأكل من ذلك اللحم، فإن سدر وسقط فقد كفي، وإلا أعيد عليه ذلك إلى أن يسقط ويسدر وينتفخ، وقد كفي حينئذٍ، ثم يتقشر بدنه كله عن لحم رخض وينسلخ من جلده كما تنسلخ الحية، فإن من شأن لحوم الأفاعي أن تخرج فضلات البدن في الجلد والمسام، ولذلك تولد القمل الكثير في الأبدان التي فيها كيموس رديء، وكذلك لا ينبغي أن يأكل منها المجذوم إلا بعد التنقية النقاء التام بالفصد والإسهال.

صفة البزرجلي النائب عن لحوم الأفاعي، أهليليج أسود وشيطرح من كل واحد عشرة دراهم ودار فلفل خمسة دراهم وبليش أبيض درهمين ونصف يدق ويلث بسمن البقر ويعجن بعسل والشربة مثقال إلى درهمين بعد تنقية البدن وينبغي أن يدهن الأنف والشفاه ثم تشد جميعاً شداً جيداً عند دق هذا الدواء لئلا يدخل من بخار البليش شيء فيها، قال جالينيوس: كل علة يحتاج فيها إلى قطع أو بط أو شرط أو كي أو غير ذلك مما يشبهه فيجب أن ينقى البدن من ذلك الخلط غاية التنقية ثم يستعمل ذلك.

وذكر جالينيوس أن أفعى كانت ماتت في خمر وتهرأت فيه فشرب

منه مجذوم من غير ما يعرفه فتورم جسده وسقطت جلدته الظاهرة وبرأ، فمن هنالك عرف هذا العلاج، قال أهرن: ينبغي أن ينقل المجذوم من البلد الذي هو به إلى بلد أسخن منه هواء من الجذام إنما يحدث في البلدان الباردة الفاسدة الهواء، وقال: إن كل شيء يفسد المجذوم حتى النطفة لأن ولد المجذوم لا يسلم من الجذام، وينقل المجذوم إلى هواء حار رطب كثير المياه والمنابع والآجام وينبغي أن يصبر على العلاج فإنه ربما ليس له نفع ثم يظهر دفعه نفع عظيم.

وأما القوباء في البدن؛ وهي خشونة مائلة إلى السواد وهي تجيء كالدرهم أو أصغر منه أو أكبر ومنه نوع فيه إلى الحمرة ومنه نوع فيه غيره مع بياض قليل وهو كالوكح وسبب ذلك سوداء أو بلغم مالح يغلب على الدم ودواؤه يأخذ مثقالين عرق الرشا اليابس بعد دقه ناعماً وينخل بثوب رفيع وخذ مثقال ملح مدقوق يخلط الجميع ويشرب في ماء بارد فإنه يحل البلغم والسوداء وإذا حل مرتين أو ثلاث مرات فيشرب عليه سخين البر المطبوخ فيه لحم الدجاج وبعد هذه الشربة يأخذ ثلاثة مثاقيل إهليليج اسود بعد دقه ناعماً ويلقى في ماء الجبن عند عمله ويشرب الجميع يفعل ذلك سبعة أيام ويطلى بدنه بكبريت أصفر وزعفران بعد دقهما ناعماً وعجنهما بخل حاذق وقليل ماء ورد ويفعل ذلك مقدار أربعين يوماً ويكون طعامه عسل النحل منزوع الرغوة مع سمن البقر المنقص المحلوب عليه محض البقر بعد أن يسخنا على النار ويحلب عليه المحض ويشرب الجميع من بحر الضرع ويبقي منه قليلاً يجعل فيه خبز البر المخمور ولا يأكل غير ذلك من الأطعمة ويجتنب الجماع يدمن على ذلك مقدار أربعين يوماً يبرأ إن شاء الله تعالى .

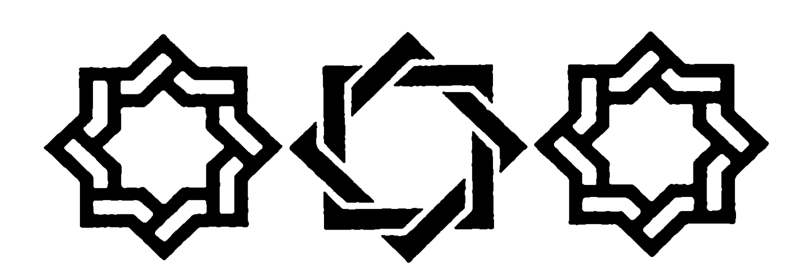
وبعض من القوباء يكفي أن تحك حتى تدمي وتطلى بعصارة الخليلقا فإن لم يكف طلي بصمغ الطلح نقع بخل فإن لم يكف طلي بالسنا وإن لم يكف طلي بالثوم فإن لم يكف طلي بدهن الحنطة فإن لم يكف ببذر الفجل مع الخل، نافع إن شاء الله تعالى.

قال محمد بن زكريا : إذا بدت الأعضاء لتسقط فلييأس من برئه، قال: وقد جربت الكي في الجذام فوجدته نافعاً يبروءه، وذلك أن يكشط جلد رأسه كشطة صلبية حتى ينتهي إلى العظم ثم يضع عليه مكاوي دقاقاً غير بليغة الحما على العظم نفسه ثلاث كيات بعضها على بعض ثم ضع عليه سمناً ولا تدعه يلتحم حتى يتقشر العظم عشر مرات قشرة بعد قشرة فإنه يبرأ، ولحم القنفذ نافع للجذام لأنه مقشر، وإن شرب كل يوم من الإهليلج الأسود أربعة دراهم مع ماء الجبن في الأسبوع ثلاث مرات ويطلى بدنه بماء القرع مع الخل، فإنه نافع.

ولكي الجذام يكوى المروري الذي لم يتقرح ولا انكسر أنفه من الجذام كية على أذنيه من كلا الحاجبين فوق الأذنين حيث لا ينبت الشعر ويكوى على عظم الوجنتين من كلا الشقين مما يلي العينين ويكوى على أطراف الأنف ويكوى على ظهر كل أصبع من اليدين والقدمين كية ويكوى فوق الحاجبين بإزائهما من الطرف إلى الطرف بمكوى رقيق الرأس يكون بين الكي والكي قدر أصبع وتتوقى إحراق العصب ويكوى على المرفقين والمنكبين وتحت الكعبين وعلى رأس المفاصل كلها وكلما أكثر لصاحب هذا الداء الكي كان أنفع له ولا تحد الكي فإنه يضره، ويكوى على النقرتين تحت يمين الرقبين وكيتين في كل رجل وكذلك من فوق الركبتين

وكيتين فوق الثديين وفي البطن وكية في العنق عددها اثنان وأربعون كية بالقيراط خاصة صورته متربع ويداه على صدره وصورة الحديدة هكذا.

قال الفقير لله : لما سمعت هذه القصص قصرت علينا الطريق ووصلنا البلد التي قصدناها، فينبغي للصاحب أن يكون كمثل هذا الذي استفدنا منه لإصلاح ديننا ودنيانا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله وأصحابه الأصفياء .



الذكر الثاني عشر :

أوله توبيخ والثاني في ذكر الحلال والحرام، وفيما ينقض الصيام وترغيب القيام، وفيه مما يعين من الطيب على صلاح الأجسام وكفاف شهوة النفس عن الحرام، وفيه دلائل من الفلك لمن طلب النكاح، وفي ليلة القدر، وفيه دلائل لبلوغ المراد، وآخره بذكر الجنة وما فيها والحور العين

توبيخ النفس :

قال ذو الغبراء : خرجت يوماً من العمران، أنظر هلال شهر رمضان، ونظرت في شماريخ الجبل رجلاً متزي بزي الرهبان، قد فرضوا له درهماً أهل الأوطان ، لينظر لهم هلال سيد الشهور والأزمان، فلما رآني اتحداني فقال: ادن عني، ولست أنت من أصحابي، لأن من أصر على الصغائر ارتكب الكبائر، ومن ظلم الفتيل حمل نفسه الكثير، ومن عصى الرحمن فقد أطاع الشيطان ، ومن زاغ عن الإيمان فمثله كمن يعبد الأوثان، ومن تجبر على الأهل والأولاد والإخوان، فوزره كمن تجبر على أهل الأرض من جميع البلدان .

ومن أعان معتدياً على ظلمه بكلمة أو بمدة فهو شريك له في الضمان، ومن أحب قوماً على ظلمهم فعليه الوزر كمثلهم، ولا يعرف من الناس الأمين إلا أن يكون للمسلمين عوين، فقلت له: مهلاً مهلاً أنا أخوك وأسر حالك وأطلب الصديق والشفيق، والرفيق في الطريق، والهادي إلى

الرشد والتحقيق، فقال: الحمد لله الذي هدانا وجمع شملنا وجعلنا شهداء للناس لعيد فطرنا والأجرة لنظر الهلال المقيد بيننا حتى تتم بذلك شهادتنا، إن علمتني في الحلال والحرام، وفي ما ينقض الصيام، والفرض والقيام، ومما يعين على صلاح الأجسام، وعن كفاف شهوة النفس من الحرام، فهذا أريد إن تفضلت به علي، فأصاحبك في اليقظة والمنام .

ثم نظر الهلال وقال لي: اتل اسم ربك ذي الجلال والإكرام، وقل: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، ربي وربك الله، لا إله إلا هو خالق النور ومالك الأمور، فسبحان من فضّلك على الشهور، وأجرى عليك الدهور، وجعلك آية للأنام، ومصباحاً للظلام، اللهم كما رزقتنا روئيته فارزقنا بركته، وكما بلغتنا غرة هذا الشهر الجديد فبلغنا النعماء والمزيد، اللهم لقنا في مفتتحه سعداً، ولقنا في آخره خيراً، برحمتك يا أرحم الراحمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين .

أحكام الصيام :

قلت له: وإن لم ينظر الهلال أهل البلدان، ومن قبل غيم في السماء أو كان صحواً ما الأحسن لهم؟، قال: كل بلد وهلالها وقال بعض المسلمين في يوم الشك أن ينتظروا المسلمين إلى ضحوة النهار فإن لم تصل إليهم أخبار بروئية الهلال فالأحسن أن يأكلوا ذلك اليوم، ومتى صح لهم الخبر بالروئية من قول الثقة أو من قول امرأتين عدلتين فالمأمور به أن يمسكوا عن الأكل، وكذلك المسافر إن رجع إلى وطنه في يومه فليمسك في بقية يومه، وكذلك إن طهرت الحائض والنفساء والتائب من الشرك والبالغ في اليوم والسقيم إن أفاق فعليهم ان يمسكوا ولا يعتدوا بذلك اليوم

من أيام شهر رمضان بل عليهم بدلها.

قلت له: ومن [1] الذي يجوز لهم الإفطار نهاراً في رمضان؟، قال: يجوز للمرأة إذا حاضت أو ولدت، وللسقيم والذي تنزل به علة العاسوف والحامل والمرضعة في الحر الشديد إن خافت أن تطرح ولدها أو كانت مرضعة وخافت عن ولدها يهلك والذي يصيبه العطش وخاف على النفس فله أن يشرب بقدر ما يحيي به جسمه عن الهلاك ثم يمسك، ويجوز الإفطار في يوم الثلاثين من رمضان إذا صح الخبر بقول العدول أن أهل الأمصار الذين يثقون بهم أنهم معيّدون، فلا يجوز الصيام في تلك اليوم إذا قامت عليهم الحجة، وكل بلد وهلالها إذا تكاثر النظر بالرؤية له وأما في يوم الثلاثين إذا جاء الخبر من قول العامة فلا يفطر الناس من قولهم إلا أن يأتوا الخبر العدول، ومن لم يقتف بسيرة المسلمين فقد ضل عن طريق المرسلين.

ومن شرائع الإسلام وما فرض الله من الصيام وهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وأكرم الله به أهل الإيمان، وجعله سبباً للغفران والرضوان، فأجزل فيه القسم، وفضل به أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) على جميع الأمم، فليله نور، ونهاره طهور، وصائمه مأجور، وله رحمة الله عند السحور، وقد رضي الله عند الفطور، وفيه تفتح الأبواب، ويضاعف الثواب، والدعاء فيه مجاب، فطوبى لمن كان له متأملا، وإلى إيمانه مستعجلا، وفيه إلى الله راغباً متوسلا، فأول ليلة منه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتغل مردة الشياطين، وقيل للصائم فرحتان

---

(١) في الأصل : ما .

فرحة عند إفطاره وفرحة يوم يلقى ربه .

دلائل من الفلك لمن طلب الزواج :

ثم قال: وسألتني عن كفاف شهوتك عن الحرام فإنه يكفيك إن داومت الصيام فإطالته يكسر النفس وينحل الأجسام، وإن كنت تريد من النساء الحلال وكان في يدك شيء من الأموال فالتمس مع الناس المرأة البالغة الحلم الموافقة لك بالحساب والنجوم.

اعلم إن أردت تسير للخطبة فاجعل رب الطالع والقمر ينظران إلى الزهرة في يوم سعيدة فإن وفق الله لك ورضيت بك هي وأولياؤها فقل لوليها يأمر أحد أن يزوجك بها يكون بصيراً عالماً فقيهاً فصيحاً فإذا أمر الولي أحد فأنصت إلى قول الخطيب واتل ما يتلوه عليك بلسانك وسلّم لها عاجلها بحضور أوليائها، ولكن الاختيار أن يكون في تلك الساعة الطالع الثور والقمر مسعود بالزهرة ورب الساعة الزهرة والساعة واليوم مسعودان لا فيهما مدخل من نحوس الشهر والاحتراق والهبوط والوبال والأوتاد قوية مسعودة ورب الطالع ورب السابع والزهرة ينظران إلى الطالع، والقمر حل في هذه المنازل كالهقعة والهنعة والعوا والغفر والقلب والنعائم وسعد السعود وبطن الحوت.

فإذا حل القمر في هذه المنازل ولم يكن فيها نحس ولا اتصل بنحس ونظرت إليه السعود من مكان جيد من الفلك فإن حواله السلامة والراحة فيما بينه وبين زوجته لأن التزويج له ستة أوجه المتصل بصاحبه هو الراغب، وأما القوي منهما الذي دليله في وتد والثاني الكوكب الذي يصل نور أحدهما بالآخر فهذا تمامه على أيدي الرسل،

والثالث إذا اتصل القمر برب الطالع في وتد، وأما الانتقاض قلة موافقة الأرباب وقلة النظر وأن لا يصل بينهما كوكب ولا بينهما قبول والقمر يتصل بكوكب ساقطاً أو منحوساً، وأما انتقاضه بعد تسيبه أن يكون الكوكب نحساً ومتصلاً بنحس فالناحس إذا كان في الثاني أو في الثامن فمن قبل المهر وفي السادس والثاني عشر فمن ضعف أصله وفي الرابع من قبل الآباء وفي الخامس من أولادهما وإن كان رب السادس ففيها مرض أو عيب وإذا كان الناحس موافقاً لأربابهما فإنه يتم التزويج بعد الانتقاض وكذلك الناحس إذا كان رب الثاني أو رب الثامن من أو باقي البيوت فعلى ما ذكرناه.

وإذا أراد الانسان الدخول على زوجته فليكتب لها آجلها ويرسله إليها أو إلى أوليائها ثم يجعل وليمة لمن حضر من الناس عنده ثم يقرأ أحدهم ، أي : الحاضرون ، صفح النور : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾[1] إلى آخره ، وهذا يكون في ليلة سعيدة من الأيام والشهر والقمر قد حل في إحدى هذه المنازل كالثريا والهنعة والذراع والزبرة والعواء والغفر والقلب والنعائم وسعد السعود وفرع المقدم وبطن الحوت فإن رأيته في إحدى هذه المنازل ولم يكن معه نحس ولا متصل بنحس وتنظر إليه السعود أو متصلاً بها فليدخل الرجل على زوجته وليحمد الله تعالى.

كيفية معالجة بعض الأورام والأمراض :

وذكرت تريد صفة لشفاء الأجسام من الآلام والأسقام وفي العلل

---

(١) سورة النور : ٣١ .

المشطوبة بالمحاجم وبالأوسام اعلم أن هذا يحتاج علمه إلى [1] الطبيب الماهر الحاذق.

قلت له: أخبرني عن علة بعض العلل التي شفيت بدواء قد صح معك؟، قال: فمن ذلك علة ابتلوا بها الناس في زماننا وهي الورمة التي تظهر في الجسد فإذا رأيت الورمة تسير وتجيء تحت الجلد فهي من أنواع السلوع فتعالج بعلاج السلوع، وإن كانت دائرة متفرطجة في الغمز لينة جنوبها ورأسها معتزل عن الجسد فإنها من أنواع الخنازير فلا يكون علاجها إلا بعد النضج الكامل وإن أريد علاجها بالحديد فتبظ ويشرح كيسها فهو جيد.

وإن كانت دائرة منسطحة وجنوبها خشنة وتبكط طولاً مررها مع صلابة جنوبها فعسى أن تكون التي تسميها الناس طالعة الركاب فأقبل عليها بالتليين والتنضيج بالمنضجات والمرخيات حتى يصير في وسطها خضخضة فتبط أو تشفى بالنار بعد النضح وتعالج بعلاج القروح كنبت الذهب والخل واشباه ذلك.

وإن كانت صلبة كمدة اللون وفي جنوبها عروق خضر إما أن تهرب عنها أو تلين فإن لانت فإنها تقبل العلاج وإن لم تكن فإنها لا تقبل العلاج وأما تليينها بكل حار رطب، وأما المسماة طالعة الركاب تعظم حتى تصير مثل البطيخة تزيد أو تنقص وهي تكون من أربعة أخلاط أصله من دم فإن خالطته الصفراء فهي التي تحدث بألم ولهيب كالنار وتهيج بحمى وحرارة الملمس، وأما الدموية فحجمها أكبر وأكثر حمرة وتمدداً وأكثر

---

(١) في الأصل : (مع) .

ضرباناً من الصفراء، وأما البلغمية فهي تكون بلا ألم ولا ضربان ويكون لونها في أول الأمر لون البدن بلا ألم وتكون رهلة الغمز، وأما السوداوية فلونها كمدة وهي صلبة جداً وإن غمزتها بالأصبع مثل العظم فالعلاج بالأدوية على قدر الخلط، وأما الكي للصفراوية والدموية فإنه علاج شافي، وأما البلغمية فمنهم من ينتفع بالكي ومنهم من لا ينتفع به، وأما السوداوية أفضل بالأدوية التي تحلل الصلابة مثل طحين الحلبة وطحين الحنطة، وإن أخذ لبن السوقم ودهنها به كل يوم مرتين أو ثلاث مرات ينفعها مجرب، وقيل يؤخذ ورق الحنظل يدق ويلخ عليها عند ابتدائها فإنه ينفعها.

ومن كتاب الأزرق للأورام ولأورام الدموية مثل الكافور والحنطة والصندل الأحمر والفوفل وماء الرجلة والأورام الصفراوية مثل الزعفران إذا خل في خل وطلي به على الحمرة في ابتدائها حللها والصبر إذا خل في خل وطلى به الورم الصفراوي نفعه، وللأورام السوداوية مثل الحلبة ومثل المر والشونيز هذه تحلل الأورام لطوخاً، وللأورام البلغمية خمير الحنطة نافع ودم التيس ودم الثور ودم الكبش إذا وضع حاراً على الأورام أنضجها ومثل المر والشبت إذا خلط بها ينفع الأورام، وكذلك حبة السوداء والصابون ومرارة الدجاج تحلل الأورام، ومن أخذ مقيبلة الشمس ودقها بورقها وعيدانها وجعل معها حل السمسم ثم إلى الجميع على النار ويلخه على الورمة في أي كانت من الجسد نفعها.

صفة للأورام التي تطلع في الجسد والبطن؛: يؤخذ عروق اللصافا وعروق القصد وعروق الشرنجبان وورق العرش وورق الرمان تدق

العروق بين حصاتين ويرض أيضاً الورق ويغلى الجميع في ماء إلى أن يطلق مزجه ثم يصل الماء ويغلى جيداً إلى أن يصير مثل العسل ويضمد به الأورام فاتراً والله الشافي، ولأورام البطن ولوجع القولنجان يؤخذ بزر الكرفس ويغلى على النار ويسقى ماءه ينزل عنه الورم بإذن الله تعالى.

وأما المسمى بالشيصة فإنها تجيء تحت الأضلاع فإن جاءت في الجانب اليمين فهي أسلم إذا عالجها بالأدوية، وأما التي تجيء في الجانب اليسار فينفعها الكي فإن لم تعالج فهي من العلل المهلكة، وعلى دائرة السرار يكوى وإن توانى عن كيها قتلت الإنسان.

وأما ذات الجنب والشوصة سببه ورم يحدث في الحجاب والغشاء الذي على الأضلاع من داخل ويضيق النفس ويحس العليل بثقل الصدر وتكون النفس حاراً جداً وكذلك ذات الجنب لا يقدر ان ينام على ظهره وتكون الحمى هادئة.

اعلم أن النفث الأبيض جيد وغيره من الألوان رديء العلاج في أول الأمر فصل الباسليق بعد النظر في السن والوقت والقوة في كلاهما فإن كان الطبع يابساً فأسهله بشيء خفيف نحو شراب البنفسج والخيار شنبر أو بالبنفسج المزنا ثم يجعل الغذاء حساء الشعير قد طبخ فيه سبسنان وأصل السوس وبنفسج ودهن اللوز وإن كان العطش شديداً والسعال فيسقى ماء البطيخ الأصفر مع سكر أبيض وماء الخيار فإن تعسر النفس جرع الماء الفاتر مع دهن اللوز ويطلى بالصندل والماء المعتصر من القرع أو الرجلة أيضاً لذات الجنب الثوم والملح الذكر والشونيز وحل الزيت واللبان المطيب ومر مكي وجوز بوا وجاوشيز .

ومما جربه المؤلف في كي الشوصة وهو الكي المذكور وليس ينبغي أن يكون بالحديد كما فعل قوم ولا يستعمل معه البط فإن ذلك مما لا يتخلص صاحبه من الموت فإن تخلص من الموت فإنه يؤول فيه الأمر إلى ناصور لا برء له لكن ينبغي أن يكوى بأصل الزراوند الطويل وذلك أنك تغمس الزراوند في الزيت وتحميه حمياً شديداً ثم تكوى به كية واحدة فيما بين اتصال عظم الترقوة بعد أن تمد الجلد ويكوى أيضاً كيتين صغيرتين دون الأوداج مائلاً قليلاً إلى ناحية اللحى ثم يكوى كيتين عظيمتين من فوق الثديين فيما بين الظلع الخامس والسداس مائلة إلى خلف قليلاً وكية في وسط الصدر وأخرى فوق المعدة وثلاث كيات من خلف واحدة بين الكتفين واثنتين من جانبي الصلب أسفل مما بين الكتفين وليس ينبغي أن تكون ظاهرة بل ينبغي بعد فراغك من العمل تستعمل في مواضع الكي الأدوية التي تنفع الكي الأدوية التي ينفع من ذلك بمنزلة مرهم الاسفيذاج ومرهم النورة وما شاء الله تعالى .

وأما ورم الخصى وريح الفتق فليدهن بدهن زنبق ويمسح صاعدا ويحط العليل رجليه مقلولتين في الجدار ويشرب السكر الأبيض مع الصمغ والسكر النبات وهو عشرة مثاقيل، وأما لوجع الصدر فيشرب له عشرة مثاقيل سكر مع مثله صمغ والله الشافي، وذكرت في الفصد والحجامة فالكي أسرع برءاً .

وأما ريح الشوكة فعلتها في الورك والثنة وسببها من برودة فإن تمادى بها افلتت الورك .

وأما عرق النسا فيشطب من الورك إلى القدم في الجانب الوحشي

من الرجل اليسرى وأصله من برودة فهؤلاء دواءها مثل عسل النحل والسمن المنقص والحنطة ولية الكبش والحلوى وأشباه ذلك ، ويمتنع عن الحموضات والملوحات والبرودات والوسم للعرق مع قطعه ثم يجعل دهن له السمن فإنه شفاء لذلك .

وأما عرق الملخ الذي وجعه في الركبتين فالأحسن أن يحجم على الأسبوع ويأكل الحار اليابس المنشف وكذلك داء الفيل الذي يرم منه الصيم والساق ينتفخ فيكرر عليه المحاجم ويأكل الحار اليابس.

وأما الشكك في الجسد فيأخذ لها المقرقاع وبذره وطحين الشعير وطحين الحلبة من كل واحد جزء ويعجن الكل بماء المجاج ويلخ على الزوايد والشكك في كل يوم بقدر سبعة أيام والله الشافي فهذا ما نقلته ولا يتعرض الإنسان لشيء لا يعرفه فيقتل صاحبه.

وقال راشد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن هاشم القري:

فذو الحكم إن أخطا فاللمال ضامن وذو الطب إن أخطا فللأرش حملا

وأما الذي يكون قليل الحفظ ركيك الفهم أخاف عليه من الخطأ في الفتوى، وقال أبو نبهان : من أفتى بغير علم ووافق الحق ففي بعض قول المسلمين أنه في أسفل سافلين وما أسفل سافلين إلا النار ، أعوذ بالله من النار .

وكان أبو نبهان في زمانه وعرفته مع قوة علمه وفهمه إذا سئل لا يفتي إلا بقدر ثلاث مسائل مع حضور قلبه، ولا يبالي بالسادة، ولا أراد علمه للجاه والمباهاة، لا كمثل من أراد اللقم بحلول النقم تمدح بالعلم

فأحرق به الجسم، فما أعظمها من مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون.

ليلة القدر وعلاماتها :

قال وسألته عن ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فقال: هي في شهر رمضان وخفيت في أي يوم منه إلا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا أنه كان يزيد في العبادة في العشر الأواخر منه وقيل أنه قال: التمسوها من العشر الأواخر [١]، ومراده زيادة العبادة .... [٢] في ليالي هذه الأيام وللمسلمين فيها أقاويل كثيرة .

وحكي لنا عن رجل تلا اسماً الذي عدده كأوسط أيام البيض، فقيل له بين اليقظة والنوم إن ليلة القدر في العشر الأواخر من الشهر، ثم قيل له في نومة أخرى إنها في الثلاث الأواخر، ثم قيل له في نومة أخرى إن ليلة القدر الأولى من الثلاث الأواخر.

وفي ليلة القدر ينزل علم في السماء جميع ما يكون في الأرض في السنة المقبلة إلى يومها من سنة أخرى، أو تعرفه الملائكة بما يكون في الأرض من علم الله في خلقه، وعلى الإنسان أن يجتهد في قيام هذا الشهر من اوله إلى آخره طاعة لربه لا يرائي الناس بعمله راجيا غفران ذنبه.

قلت له: وليلة القدر ألها علامة عن غيرها بأنوار ونجوم أم لا؟، قال: ليس لها علامة ولو كان فيها علامة لعرفها الناس أن هذه الليلة بتلك العلامات في كل سنة من قلة نومهم باشتغالهم في الأسفار وسقي الأمواه والحراس والمرضى والقائمون بهم والنساء لأولادها والعباد أهل الجهاد

---

(١) البخاري : ١٩١٧ / ٢ ؛ ومسلم : ١١٦٥ / ٢ ؛ والترمذي ، وغيرهم .
(٢) كلمة غير واضحة .

كل هؤلاء في يقظة لا في نوم ولا في سكرة، وفضلت العبادة فيها، والإجابة من الله فيها.

دلائل لبلوغ المراد :

قلت له: أخبرني بقصة؛ قال: حكي لي عن رجل رأى في نومه أقبلت عليه نساء ولم ينظر إلى وجوههن ولا عرف أسماؤهن فدخلن عليه في بيته وصافحنه حتى أقبلت إليه لتصافحه إحداهن وهي أوسطهن كأنها سيدتهن وعليها الحلي والحلل والروائح ثم أقبلت عنده للمصافحة والملاطفة بالرجل، فقال لها: بم استحققت هذا، فجرت من فمه كالمسواك وقالت له بهذا، قال فنهض الرجل من نومه ولم يزل حبها في بقلبه ولم يجد لها خبر ولا حسيسا، وجعل يقول هذا البيت:

فما أوحش الدنيا إذا لم أراكم وما أضيق الدنيا علي وانكدا

ثم قص رؤياه على أحد من إخوانه، فقال له: عسى ربك يبلغك امرأة طيبة سالمة من الدنس والعيوب، فقال الرائي: أنا رجل فقير مسكين لا قوة عندي للمهور ولا يقتعوا بي أولياء النساء في الأمور.

قال المفسر: اجتهد في الطلب فكم من معسر إلى يسر انقلب فإن الأمر على الله هين اقصد إلى السؤال حتى لو كان مطلوبك في دار حلب، أما تنظر إلى البحر قاطع البرين فجعل فيه المراكب وكذلك الماء في الأرض ينابيع فوزنوه وأخرجوه وأحيوا به أروضاً أخرى، وكذلك الإنسان إذا اجتهد في طلب العلم صار فقيهاً، وكذلك آخرون اجتهدوا في طلب التجارة والمواشي والأموال فصاروا أغنياء، وآخرون طلبوا الأمر والنهي

فبلغهم الله الملك، وكل من طلب الجائز ولم يبلغ مراده حتى قضى الله نحبه فله أجره.

فقال الرجل الرائي للمفسر: أما بالذي ذكرته لا استقام إلا بالأموال الجزيلة مثل المراكب وحفر الأفلاج وإعلاء الحصون وإحداث البلدان والمساجد، أما تنظر إلى بنيان بيت المقدس وعمل بساط النبي سليمان بن داود قيل إنه من خشب فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يحمل فيه الجن والإنس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون المركب فإذا رفعوه أتت ريح الرخاء فسارت بهم غدوها شهر ورواحها شهر، وأما الكرم فلا يحصل إلا بقوة المال والملك بقوة الرجال.

فقال: اعلم أن الحيل من الشيم انظر إلى صيد البحر يحصل بالقليل في عطانه والطير في جو السماء يحصل بحبة واحدة، والسبع تجلبه الرائحة إلى اللقمة، والجن لا ينظرون ويجلبون بالبخورات حتى تملك بذلك نفوسهم، والإنس ألفتهم بالمداد يكتب به الأوفاق، ولكن أوصيك عن كثير من الأعمال وإن قلت أن فيها الأجر والثواب فإن للشيطان معه مفاتيح يفتح بها غلق الأبواب.

أنظر إلى برصيص هلكته معرفته، وبلعام ودعاؤه لموسى عليه السلام، والعابد الذي سألته المرأة منقاشاً ليخرج لها الشوك من أرجلها في السيوح الخالية فأهلكته، والطبيب الذي طبب المرأة فساقت إليه الهدايا حتى فعل بها، وقارئ القرآن أعطاه الله نغمة فعشقته النساء فلم يملك نفسه، والشاعر يحسن صوته حتى أهلكته النساء، والعالم تصل عنده النساء تسأله حتى اهلكنه، وصاحب النظر جعلوا له فريضة لرؤية

الهلال ولقراءة الخطوط والدفاتر بالليل فوصلن عنده النساء للكتابة فغره الشيطان بسبب قوة نظره، وكذلك صاحب الشجاعة جعلوا له أهل الأمر فريضة معلومة لقيامه وقيام من يعوله فحضر معهم في القتال على غير الجواز فقتل وقتل بسبب شجاعته وفريضته، وكذلك من كانت له جائزة مع الملوك فأعطوه كثيرا مما أراد فغروه في واحدة وساعدهم بها فهلك، ولو أن هؤلاء المذكورين توقفوا عن هذه الدقائق والحيل التي اعتبرها بها لما وجدوا منهم سبيلا وما من نفس إلا مرادها هلاك صاحبها، وإذا رأى الإنسان العسر في أمر يطلبه فهو خير له ولم يدر بالباطن فليفوض أمره إلى الله تعالى ، ولكن الواجب على المرء أن ينوي في الصلاح جميعه أن يفعله بيده إن قدر، وإن لم يقدر فبلسانه وإن لم يقدر فبقلبه، وإن نوى الشر ولم يعمله ومنعه مانع عنه ثم تاب فلا عليه فيه عقاب.

رجعنا في القصة إلى الرائي فلم يزل يتلو الإسم المتقدم ذكره، فرأى ملكاً ميتاً ومعه قرطاساً وفيه ثلاث خطب ثم رأى في نومة أخرى كأنه في غرفة الملك الميت جالساً ورأى فيها نساء ثم رأى في نومه أخرى في الطريق الجائز امرأة وأحاطت بها نساء وعليهن جلباباً ولم ينظر من حسنها شيئاً حتى قيل له اتل الاسم فتلا الاسم فرأى منها ما يراه أحد ثم رآها في نومة أخرى دخلت هذه المرأة إلى بيته ودخلت في غرفته فضجت منها الأنوار، قيل له: اتل الاسم فتلاه فنظر إلى فمها وأنفها ووجنتيها وقبلها من غير شهوة، ثم قيل له اتل الاسم فتلاه فرأى في غرفة أخرى فسأل عنها قيل له إن هناك ملائكة الله الكرام فتنفس الرجل تنفس الصعداء، فقالوا له: بلوغك بالمرأة في هذه السنة، ثم رأى في نومة أخرى قصراً عالي البنيان .

فقيل له: اتل الاسم فتلاه ففتح له الباب ودخل فأقبلت إليه المرأة الذي يراها وعليها الحجب، فقيل له: اتل الاسم فتلاه فرأى شعر المرأة قد كساها من أعلاها إلى أسفلها ورأى وجهها كأنه نور يتلألأ، فقال لهم: كيف اسمها؟، قالوا له: كما ذكرتها وهي الطاهرة المطهرة، فدخل في غرفة أكبر من الأولى، فقيل له: اتل الاسم فتلاه فأمروه أن يقبض المرأة من يدها ويجعلها في حجره، قال: فقبضها وتنفس من غير شهوة، وفي نومة أخرى رأى كأنه قد دخل القصر الذي رآه أولاً فرأى فيه الخضرة والأشجار وسأل عن المرأة، فقيل له: اتل الاسم فتلاه فأقبلت إليه المرأة وعليها جلباب فصافحته من قدمه إلى خده ورأى شعرها قد كساها ورأى جبهتها وحاجبيها وعينيها ما لم يكن أحد يشبهها، وقالت له: أنا الطاهرة.

وفي نومة أخرى رآها في بيته ومعها النساء ثم دخلت معه في مقامه إلى الغرفة وجلست في حجره، وفي نومة أخرى لم ينظرها فقيل له: اجلبها بالاسم الذي تتلوه فتلاه فأقبلت إليه مسرعة هي ومن معها من النساء فصافحته فسألها من قبل تأخيرها، فقالت: جلست ألبس هذه الحلي الذي على جسمي والتاج الذي على رأسي.

قال: فأخذها من يدها ودخل بها إلى قصره، وفي نومة أخرى جلبها بالاسم فجاءت إليه وأخبرته بتانيها تلبس البرقع التي على وجهها والعجب من حسن ذلك البرقع ثم أخبرته بأعدائه، وقالت له: لا تخف إن الأمر كله مع الله هين يسير، قال: ثم رأيت في نومة أخرى غولاً في الأرض وأردت قتله مراراً فانقلب في يدي طيرة، وقال لي: إن المرأة التي طلبتها قد زوجناك بها وأحسن إلى أهلك ودم سالماً، فسرني قوله وقلت

الحمد لله رب العالمين، ثم زوجوه أولياء المرأة من نساء أعقل أهل زمانه.

وصف الجنة وما فيها من الحور :

رجعنا إلى الكلام السابق قلت له: هل سمعت بأحد من المسلمين رأى الجنة وما فيها والحور العين ؟

قال : أخبرني بذلك الرائي بنفسه أنه رأى الجنة وما فيها والحور العين، ثم نزلت به العلل وحل به السقم ومكث ثلاثة أشهر لا يقدر على الانقلاب من كثرة الطوالع التي نزلت به في جسمه حتى تهضهض ما فيهن ومات.

اعلم أن الجنات حفت بالمكاره ولا يدخلها داخل إلا هو صانع لمهرها، قال أبو نبهان رحمه الله: وقيل في الأطفال وما يصيبهم من التعب مع سكرات الموت قال بسبب ذلك التعب يدخلون الجنة.

رجع: قال: ولا تدخل الجنة بمنى بل بالاجتهاد في الأعمال وبذل النفوس تحت ظلال السيوف.

قلت له: صف لي الجنة وما فيها، وصفة أولياء الله والحور العين، قال: أصف لك على ما وجدته مؤثراً في الكتب وذكر درجة من جنات عدن يقال لها روضة الرضوان فيها قصور من ياقوت أحمر، وجنة عدن كلها من الياقوت الأحمر، وجنة الفردوس من اللؤلؤ، ودار الجلال من الزمرد الأخضر، وجنة المأوى من الذهب الأحمر، وجنة النعيم من الفضة البيضاء، ودار السلام فضة من زمردة بيضاء، ولا قواعد من تحته له سبعون مقصورة ، أما جنة الفردوس في وسط عدن كالتاج على رأس

الملك وكالكرسي على السرير فيها درجة الوسيلة وهي أعلى الدرجات وهي لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأما جنة عدن ففي وسط الجنان وهي معلقة منذ جعلها الله تعالى حتى يسكنها الشهداء والنبيون والصالحون .

ويُروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه سُئل عن قول الله تعالى : ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ [1] ؛ فقال : قصر في الجنة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمرد أخضر في كل بيت سبعون وصيفة وفي كل بيت سبعون مائدة [2] ، وقيل : إن أدنى أهل الجنة ينظر إلى ملكه مسير ألف عام ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه ويقوم على رأسه ثمانون ألف غلام لو اطلع أحدهم على الشمس والقمر لانكسفا من حسن وجوههم وهي صفة اللؤلؤ المكنون، وقيل يا رسول الله: هذا الخادم فكيف المخدوم؟، قال: كما بين القمر والكواكب ليلة البدر .

وروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : أهل الجنة جرد مرد مكحولون[3] محبرون مسورون منعمون يعطى كل واحد منهم قوة مائة رجل في الطعام والشراب والشهوة ويجد لذة شهوته بعد فراغه من انعامه لشهوته مقدار اربعين عاماً قد ألبس الله وجوههم النور وأجسادهم الحرير بيض الألوان صفر الحلي خضر الحلل في يد كل واحد عشرة خواتم من ذهب في كل اصبع خاتم، مزوجون بالحور العين متوجون بتيجان الذهب والجوهر على كل واحد منهم تاج من الجوهر ، ذلك التاج

---

(١) سورة التوبة : ٧٢ ؛ سورة الصف : ١٢ .

(٢) ورد في مُجمع الزوائد : ج ١٠ ، ص ٤٢٠ ؛ ومُسند البزار : ٩/٣٥٦٣ ؛ والمُعجم الكبير والأوسط .

(٣) الحديث إلى هنا رواه الترمذي : ٤/٢٥٣٩ ؛ والدارمي : ٢/٢٥٨٩ ؛ وغيرهم .

أخف من الريش له سبعون ذؤابة يساوي مال المشرق والمغرب ، وجبهته تطفئ نور الشمس فذلك قوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [1]، وفي يد كل واحد منهم ثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ إما أصفر بين أبيضين وإما أبيض بين أصفرين، وفي صدره وشاحان وطوق، وفي رجليه خلخالان يعرف الرجل بالتيجان والنساء بالخمر، وعلى ولي الله سبعون طاقاً من سندس واستبرق مختلفة الألوان والخدم قيام على رأسه والملائكة قيام بين يديه إكراماً له وهو متكىء على سريره من تحته فراش من سندس وإستبرق وحشوه من رحمة الله مترفف على نضائد من نور حشوها من رضوان الله عز وجل وعلى باب قصره ألف أمرد في طاعته .

وأما الحور قد وصفها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: خلقت من الزعفران وعجنت بماء الحياة وألبست اللؤلؤ والمرجان شعرها مرصع باللؤلؤ وهي في بياض الدر وصفاء المرجان مطهرة من الطرق والأذى يرى مخ ساقيها من وراء ثيابها مهفهفة مرهفة متوجة مرودة عجة غنجة سلكة مكحلة مطيبة بهية شهبة لاعبة مخدرة منعمة راضية مرضية ضاحكة مضحكة خود خدلجة، إذا خطرت من دحداح قصرها مالت الأشجار إليها قال لها خالقها كوني فكانت وهي تنادي نحن الخالدات فلا نموت أبدا ، ونحن الضاحكات فلا نحزن أبدا، ونحن الناعمات فلا نيأس أبدا، طوبى لمن كنا له وكان لنا، يا ابن آدم حور العين لبسها الأرجوان، وقيابها المرجان ، وخدامها الولدان ، ومقامها الجنان في الأمان ، وأمشاطها الذهب، ومجامرها الدر، ومداهنهن اللؤلؤ، وموائدهن الياقوت.

ويروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : إذا تحلت

---

(٢) سورة المطففين : ٢٤ .

الحور العين كأن الشمس والقمر يخرجان من جبينها وكأن حاجبيها الأهلة، وكأن اشفار حواجبها أجنحة النسور ولها اثنا عشر ألف ذؤابة مرصع شعرها من أوله إلى آخره من الدر والجوهر تمشي في الجنة باثني عشر ألف مشية على عينها اثنا عشر ألف وصيفة بأيديهن ضفاير الريحان والمسك والزعفران، وعن شمائلها اثنا عشر ألف وصيفة بأيديهن الحلي والحلل كلما مشت تبدل لها حليها وحللها، فبينما جبرائيل عليه السلام ينظر إليها إذ تبسمت في وجهه فأضاءت جنة الفردوس من ثناياها، فخر جبرائيل ساجداً لله (عز وجل) وهو يقول : سبحانك اللهم لا إله إلاَّ أنت .

ويروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : إن في الجنة قصراً ليس له علاقة تمسكه ولا دعامة تدعمه وفي ذلك القصر قبة من النور تحت القبة سرير من الكافور عليه فرش من الاستبرق وعلى السرير زوجة من الحور العين يقال لها عيناء إذا اشتهت أن تمشي في الجنة تأتي سبعون ألف حوراء من الجنة من الحور العين فيقمن عن يمينها وعن شمالها يحملن ذوائبها فتمشي في الجنة تتبختر في مشيها فترفع إذيالها إلى عينيها، فيقول لها الحور العين: يا عيناء لو رآك ولي الله كيف كان يعمل في الدنيا؟، قالت: كان يقتل نفسه في الدنيا، ثم تقول: أنا للصائمين أنا للراكعين أنا للساجدين، أنا للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أنا لمن أطعم الطعام، أنا لمن أفشى السلام أنا لمن صلى وصام والناس نيام، ويروى أن في الجنة حوراء يقال لها لعبة، خلقت من أربعة أشياء من الزعفران الرطب ومن المسك الأذفر والعنبر الأشهب والكافور الأبيض، وإن جميع أهل الجنة لها عشاق من حسنها وجمالها وظرفها وكمالها

مكتوب على نحرها من أراد أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي، وحولها سبعون ألف وصيفة ، تقول : يا ويح المُشتاقين ، إننا لو عاينونا لصبروا في الدنيا ولو نشروا بالمناشير وقرظوا بالمقاريظ حتى يصيروا إلينا ونصير إليهم .

ويروى أن لولي الله في جنة الفردوس قصر من درة بيضاء في جوف ذلك القصر سبعة بيوت طول كل بيت ألف ذراع وعرضه مثل ذلك، البيت الأول من الفضة والثاني من الذهب والثالث من اللؤلؤ والرابع من الزمرد والخامس من الزبرجد والسادس من الدر والسابع من النور يتلألأ، وأبواب البيوت من العنبر وعلى كل باب ألف سرير من الزعفران في كل بيت سرير من الكافور الأبيض فوق كل سرير ألف فراش فوق كل فراش حورية خلقها الله من الطيب من لدن أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران الرطب، ومن لدن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر، ومن لدن ثديها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن لدن عنقها إلى مفرق رأسها من الكافور الأبيض، وعلى كل واحدة منهن قرطان من الذهب وشنفان من الياقوت الأحمر، إذا أقبلت إلى زوجها ترى الياقوتتين يضيئان من ورائهما كأنهما الشمس والقمر بهجة للناظرين ولكل واحد منهن ثلاثون ألف ذؤابة من المسك الأذفر تسحبه في تراب الجنة في وسط مسك وزعفران تحمل كل ذؤابة تسعون ألف وصيفة مكتوب على جباههن هذا ثواب الله لأوليائه جزاءً بما كانوا يعملون .

ويُروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، من طريق عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، أنه قال : " القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف ، فمن قرأه صابراً مُحتسباً ، كان له بكل حرف زوجة من الحور العين " ؛ ويُروى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قرأ :

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ [1] ، قال لأصحابه : أتدرون ما شغل أصحاب الجنة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ؛ قال : افتضاض العذارى، منهم من يفتض ثمانية آلاف بكر، ومنهم من يفتض عشرة آلاف بكر على قدر اعمالهم في الدنيا .

وقال الشاعر يصف لعبة :

يا طالبي إن كنت لي طالبا ... لما تشاغلت بمن دوني

يا عاشقي لو كنت لي عاشقا ... ما كنت في الأحياء تجفوني

سبحان من صورها لعبة ... وجل من قال لها كوني

غيره ، خلف بن سليمان بن محمد ، من قصيدة له :

وتزينت دار السلام لأهلها ... محفوفة بالروح والريحان

يا فوز أصحاب الجنان إذا هم ... جاؤا لخازن بابها رضوان

وأتتهم عند الدخول نجائب ... مسروجة ملجومة بعنان

حتى إذا فتحت لهم أبوابها ... دخلوا بها واستبشروا بأمان

يستبشرون بنعمة موفورة ... من كل فاكهة لهم زوجان

أنشأهم ربي وأحسن خلقهم ... لله من حسن ومن إحسان

وأحلهم رب العباد بلاده ... دار الإقامة ما لها من فان

أبداً ولا هرم ولا نصب ولا ... فيها لغوب يا أبا غسان

يبقى السرور بها ويبقى أهلها ... ببقاء ربهم على الإمكان

لا تنقضي أيامها أبداً ولا ... تفنى لياليها بطول زمان

---

(١) سورة يس : ٥٥ .

فحليهم ذهب وخز لبسهم — لإناثهم أيضاً وللذكران
من سندس خضر ومن إستبرق — وأسرة موضونة الأركان
طوبى لساكنها له ما تشتهي — فيه النفوس وتنظرُ العينان
فيها لحوم الطير تأتيهم بها — مشوية يا نعمه لحمان
أكلوا من اللحم اللذيذ وخلفوا — منه العظام فسرن في طيران
وتفاخرت أطيارهم في أكلهم — من لحمها أكلوا بلا أثمان
والسدر في خضد وفيها الطلح في — نضد وفي ظل وفي إمكان
والنخل فيها باسقات طلعها — طلع نضيد يانع للجان
فيها مقاصير لهم محفوفة — بالتين والزيتون والرمان
أعنابها مغروسة مع غيرها — فيها جناء الجنتين دان
وبلؤلؤ مبنية وبجوهر — وبعسجد وبفضة وجهان

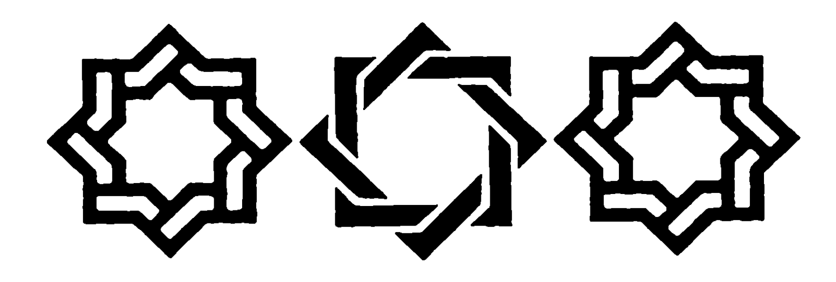
فأين الطالب لهذا والراغب فيه وله عاشق وبه مستهام بدخول جنة الخلد خالداً فيها أبداً مسروراً بين حور وقصور وأنهار وخيام بنعيم مقيم ودخول الملائكة الكرام عليه بالتحية والسلام ، لقوله تعالى : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ {٧٣} وَقَالُواْ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ ﴾ (١) .

أيها الناس : اذكروا الجنة والحور في الخطبة يوم الزينة والعيد، يوم اجتماع القريب والبعيد، يوم الندم والاستغفار، يوم التوبة والاعتذار يوم رجاء العفو والغفران واستجابة الدرجات والرضوان ، يوم ختم الله به شهر رمضان سيد الشهور والأزمان ، يوم يقول الله فيه لملائكته : أشهدكم

---

(١) سورة الزمر : ٧٣ – ٧٤ .

أني جعلت حظهم من الصيام والقيام رضائي عنهم في الجنان ، وما جزاء الإحسان إلاّ الإحسان ، ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الكرام ، عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام .



الذكر الثالث عشر :

في الفزع الأصغر والحذر عن العجلة ، وفي الوعظ والزجر والفزع الأكبر ، وفيه ذكر الموت والنار وما فيها (أعاذنا الله منها)

الفزع الأصغر والحذر من العجلة في الأمور :

قال ذو الغبراء : بدت لي حاجة في شيء من الأموال وقصدت بين المغرب والعتمة فسمعت في الطريق هزهزة فرجف منها قلبي رجفة والشعر والجنب مقشعر فأخذت الحذر فإذا هو قد ظهر لي أحد من البشر فسكن قلبي مما كان فيه من الوجل والذعر، فأخبرت بهذا أهل البصر.

فاجابني أحدهم على ما سمع من الخبر، فقال: حدثني أحد عن رجل يمشي في بلده بالنهار ماراً على النخيل والأشجار وعلى وجهه الزروع والأنهار فلاح في قلبه ذكر ملك الموت ثم رأى رجلاً مقبلا إليه وقد ألصق في لحيته صوفاً فقال هذا ملك الموت فخر مغشياً عليه فلما رآه الرجل قد طاح كلمه فلم يجبه، فقال: هذا إنس أم جني أم شيطان، فنزل بجنبيه الفزع وولى إلى بيته فنزلت الحمى النافضة بجنبه وأما ما كان من خبر الأول الذي أفاق من غشيته رجع إلى بيته وأخبر إخوته وأهله ومكث ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب من الرعب الذي نزل عليه وهذان الرجلان كل واحد منهما ابن عم صاحبه.

وأخرى : رجل مات بالليل وحملوه أصحابه ، فنزل القطر من السماء ، فأدخلوه في مسجد ، وساروا إلى بيوتهم ، وأقبل رجل غريب

ودخل في المسجد الذي فيه الميت ولم يعلم هو به، فرجم الأبواب من قوة الريح والسيل ولاحت له رائحة طيبة فرقد، وهدن المطر، فسمع أصواتاً في الصرح تجتمع، فقال من قال: ادخلوا الحملة، وقال من قال: حتى نجتمع ثم ندخل، فلما اجتمعوا قالوا: ادخلوا وشلوه، فإذا هم بالأبواب مقفلة وقالوا: هذه قصة نسمع نسخه [1] يطلع ويهبط! ولكنكم ادخلوا عليه، والرجل مرتاع، فجذب سيفه وفتح الباب وصاح عليهم صيحة الغضب، فولوا عنه مدبرين مرعوبين وفي ظنهم ميتهم الذي صاح عليهم، فجاءوا لينظروه وقت الصباح فرأوا ميتهم على حاله، وتكلم الرجل الذي صاح عليهم وحمل بسيفه عليهم ففاقت قلوبهم من الفزع.

وفي قصة أخرى: أخبرني رجل أنه كان نائما في حصن بهلا ورأى في نومه جنية بقربه وفزع في سكرته، فاستيقظ في ليله وقت سحره فنظر بقربه امرأة جالسة شعر رأسها منتشلاً على جسدها، فخاف منها وقرأ آية الكرسي ويتفل بالبصاق في وجهها مرة بعد مرة حتى ابتلت ثيابها، فأخبرته حينئذ أن زوجها ضربها وجاءت تلتجئ بمولاها فسكن قلبه من الخوف والفزع تلك الساعة.

وآخرى: قصة أحد من شجعان البداة جاء إلى حصن بهلا بالليل، فقرب إليه الماء والطعام فأكل ما طاب وأمره الوالي بالمبيت في غرفة إلى الصباح، فلما وصل وأراد النوم رأى رجلاً نائماً وهو أكرف، فاستيقظ الأكرف وهو يمشي على سراكيع يديه ورجليه وخرج من الغرفة للبول ثم رجع إلى الغرفة، والبادي ينظر إليه فقال البادي - في قلبه-: ما هذا إلا

---

(١) أي : تنفسه .

ساحر وقد جاء ليدل السحرة علي، فخرج البادي من الغرفة هابطا إلى الصباح، فقال الأكرف هذا الرجل من اللصوص وقد جاء ليسرقني فهبط في طلبه، فلما رأى البادي لاذ عنه وطلع إلى الغرفة مرة أخرى، فطلع الأكرف ودخل عليه في الغرفة، فصاح البادي بأعلى صوته الساحر الساحر ليأكلني، فجاءت العساكر والخدم والسيوف مسلولة بأيديهم، فقالوا: ما عندكم، قال البادي: السحرة في الغرفة، فقال الأكرف: الزموا اللص بين أيديكم قد جاء ليأخذني في الليل المدلهم، فتبين أمرهم للناس وقالوا لهما: أنتما خطار الملك فأفاقا.

وأخرى: رجل يسقي بمانه في نخيله بالليل المظلم، فأقبلت إليه رائحة النساء فاقشعر جنبه وقربت منه المرأة فكلمها فلم تجبه، وأخذ عصا وضربها وهي امرأة عجما وغتما.

وقصة أخرى: رجل هبط إلى المال[1] في الليل والناس الذين يخرجون إلى المال تصيح عليهم امرأة تدّعي من أبناء الشياطين، فمنهم من يموت، ومنهم من يطيح في السقم، وهذا الرجل لما رأته جاءته وصاحت عليه وعفدت[2] على ظهره، فقبضها بأنامله وحك بظهرها ورأسها جذع نخلته والدم يسيل من جسدها على أرجله، وهي تصيح وتستجير به وتنادي بأعلى صوتها وتتسمى باسمها وتنتمي إلى عشيرتها، فأقبلوا الناس إليهم مسرعين، وأخبرهم رجل أن هذه المرأة تصل عنده للفاحشة الكبرى، ومسكنها في بلدة أخرى، فهذا أمرها ردت الوزر وفارقت الدنيا إلى الأخرى .

---

(١) أي : المزارع .

(٢) أي : قفزت .

وفي قصة على شبهها تتعرض للرجال إلا أن الذي قبضها وصاحت عليه فجر بها، وأخبر الناس بأمرها فقتلوها.

وفي قصة أخرى: امرأة لها زوج مسافر وهي محتصنة في بيتها وجعلت على أبوابه أقفالا خوفاً من اللصوص، فجاء رجل شجاع وأخذ سلماً وقرب من المرأة فأخبرها بأنه أمير الجن ففزعت منه، وفجر بها، ومكث في بيتها سبعة أيام بلياليها.

وفي قصة أخرى: في غلام اعتل جسمه وهو ينحب كثيراً ولا يفهم لكلامه، فشرى الغلام من السوق لحماً وأرزاً وأخذ له قدراً ونزل في المقبرة يطبخه، فأقبل إليه رجل ينظره وسلم عليه، فنهض الغلام بالحديث والرجل لم يفهم لكلامه، وقال في نفسه هذا الغلام من أولاد الجن فولى مدبرا عنه، ولم يقدر على المشي من الخوف والرعب وطاح مغشياً، فحملوه الناس على أعناقهم، وأخبروه الناس أن هذا الغلام من الإنس وهو عليل، فلم ينفعه قولهم، ومكث الرجل أربعة أشهر لا يخرج من بيته ولا يقدر على القيام ولا القعود، ولعل هذا الرجل صح عليه خاطف من أهل الهواء مع فزعته والله أعلم بغيبه.

وفي قصة أخرى: رجلان مسافران قد ناما في المسجد بالليل، فأقبلت امرأة صماء وفتحت باب المسجد وبيدها عصا تضرب به الجدار والأرض، وتقول: أين القاضي، فأجابها ولم تسمع كلامه، فخافا منها خوفاً شديداً حتى كلمها القاضي بكلام موحش فأجابته بلسانها فعرفها وسكنت قلوبهما.

قال ذو الغبراء : الحذر الحذر في الأمور عن العجلة؛ لأنه قيل لي

عن رجل به قوة وهو خائف فمشى بالليل مستطرقاً لقتل أعدائه فوجد رجلاً في الطريق ولم يسأله فقتله، فصح أنه والده.

وفي قصة أخرى: أمير مر على رجل نائم وهو يقول الشعر وزوجة الأمير تستمع صوت الشاعر، فجذب الأمير سيفه وقتل به الشاعر الزاهد، وكذلك الرجل البادي حمل سيفه على ناقته وخطف على بواب الدار وخرج من عمران البلد فلم يجد سيفه على ناقته، فشكى البواب مع الأمير فلم يقر البواب بالسيف، فغضب الأمير وقتل البواب، ثم ظهر السيف في الماء الجاري بالوادي الخارج من البلد قد طاح من ناقته ولم يعلم به البادي، فذهب البواب.

وكرجل صاحبوه أصحابه لقتل أعدائه فقتل فيهم، ووقف راصداً لأعدائه، فجاء ابن عمه فقتله ثم مشى قاصدا إلى داره، فرأى قوماً فرمى عليهم بالحصى فضرب أميرهم، وصاحوا أصحابه فعرفهم فصح الضرب في أصحابه.

وكالرجل الذي جاء إلى بيته فرأى رجلاً في بيته فقتله، فصح أنه ابن عمه وهو مجنون.

وكرجل هوته ضبع فقبضها، ونادى أصحابه لقتلها فضربوه بسيوفهم.

وفي قصة أخرى: رجال يضربون رجلاً فمد منهم رجل يده ليأخذ بها دراهم من جسد المضروب فجزفت عليه يده.

وكرجلان سارا ليسقيا بالماء، أحدهما قصد بالماء والثاني يوثق

الأجلة، فجاء رجل بينهما يضرب ضبعاً بسيفه والضبع له رعيع، ففزع الرجل، وصاح في أصحابه فأخبرهم أن صاحبه مقتول فوجدوا القتيل ضبعاً.

وعظ وزجر من الفزع الأكبر :

أيها الناس: اتركوا الطمع ولا تخافوا من الهلع والفزع، فإن للموت سكرات وأسقام في العروق، في كل عرق ما فيه من الألم أشد من ألف ضربة بالسيف، وليوم القيامة أهوال، كل هول أشد من الموت بألف ضعف، وعذاب النار أعظم من الأهوال بألف ألف ضعف، ألا فازجروا نفوسكم ، وخافوا موعد ربكم، واستمعوا لقول الشاعر :

بني آدم مهلاً فإن زمانكم ... قصير وإن عشتم مدى ما عاشت الشعرا

بني آدم مهلاً فإن احتيالكم ... ضعيف وإن ملكتم البطش والقهرا

بني آدم مهلاً فإن أكفكم خوال ... من الدنيا وإن كسبت ذخرا

بني آدم مهلاً فإن اتكالكم ... على الله أقوى حجة فاعرف الحذرا

بني آدم مهلاً ورفقاً ورحمة ... بأنفسكم إن أنتم تبتغوا السترا

بني آدم فوق المطأيا تحملت ... بأكثركم ام لا علمتم لها خبرا

بني آدم إن المنايا تزوركم ... وإن كنتم عن أمرها غفلاً غرا

بني آدم إن الجحيم تسعرت ... فإن توجلوا من حرها فخذوا حذرا

بني آدم إن الحسان تزينت ... بجنة عدن فاستعدوا لها مهرا

فمن كان ذا عقل يبادر بتوبة ... بصحة إخلاص عسى يبلغ الأجرا

أيها الناس : إن التشمير بالإدراك ضمين ، كما أن التقصير بالهلاك

قمين ، فبادروا عباد الله للعمل الصالح قبل جمود الجوارح، وأدلجوا بالسير في أنفس المسالك قبل وورود المهالك، وطهروا السرائر من دنس التبعات، واعمروا الضمائر بذكر يوم الحسرات، واغسلوا درن الذنوب بفيض العبرات، فيا معشر من الموت سبيله، والقبر كفيله، وإلى الله تحويله، وإلى النار إن حرم الجنة مقيله، فما الانتظار يكون بعد الغفلة عما أنتم إليه ترجعون، وما الاعتذار إن وقع التعزير بما أنتم له مقترفون، كلا لتعضن على التقصير أسفا، ولتنهضن عما لاتجدون عنه منصرفا يوم عطش الأكباد وذبول الشفاه يوم نطق الجوارح وختم الأفواه يوم يعرف المجرمون بوسم الجباه، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله جعلنا الله وإياكم ممن استمع الوعظ فوعاه، وقام بحقوق ربه في جميع ما استرعاه، وعمنا وإياكم ببركة دعاء من دعاه .

عباد الله : أحذركم الدنيا فإنها سخارة مكارة، ظاهرها سرور وباطنها غرور، واعملوا فإن العمل ينفع والاعتذار يسمع، فإنكم أموات أين أصحاب الخيول والعساكر، أين القضاة والحكام، أين العلماء والفقهاء المذكورون في البلدان، أين الآباء والأجداد أين النساء والأولاد، أين القرابة والجيران، أين الأحبة والاخوان قد أرملوا النسوان وأيتموا الولدان وأدرجوا في لفائف الأكفان، وأزعجوا إلى مراكب العيدان إلى بيوت الوحدة عن الأحباب، فهم فيها إلى النفخ في الصور وإلى البعث والنشور، فهنالك يجد المشركون رائحة النار من مسيرة خمسمائة عام وهي سوداء منتنة مظلمة مدلهمة ولها تغيظ ولهيب وصفير كأنها جمالات صفر، تزفر على الخلق خمس زفرات فيفتح مالك أبوابها، وإن جهنم لها سبعة أبواب ما بين البابين مسير سبعمائة عام، في كل باب من أبوابها

سبعون ألف جبل من النار، في كل جبل سبعون ألف وادي من النار، في كل وادي سبعون ألف قصر من النار، في كل قصر سبعون ألف بيت من النار، في كل بيت سبعون ألف لون من عذاب النار والقيود والأنكال والسلاسل والأغلال والشدائد والأهوال ولدغ الأفاعي والحيات وأدنى عذاب اهل النار مخه يغلي كغلي المرجل.

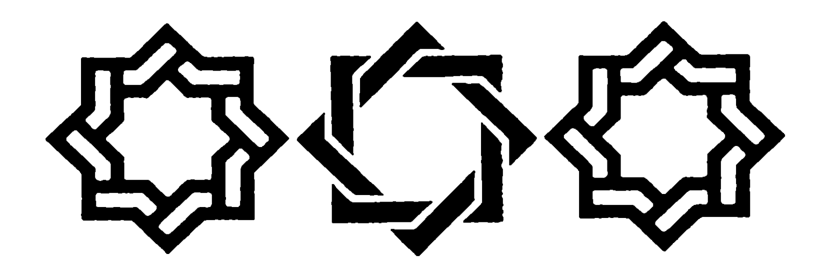
قال بعض الشعراء في المعنى :

جسم على البرد ليس يقوى ... ولا على يسير الحرارة
فكيف يقوى على جحيم ... وقودها الناس والحجارة

قال غيره :

ويساق أهل النار نحو جهنم ... ومقال أهل البغي في بطلان
وعلى وجوههم هنالك سحبوا ... بسلاسل الأغلال والأرسان
فدماغهم يغلي كغلي مراجل ... غلياً وهي أشد في الغليان
وتقطعت أمعاؤهم وتمزقت ... أكبادهم وسعى إلى الأبدان
فإذا هم شربوا الحميم تساقطت ... أنيابهم والبطن في صهران
فطعامهم فيها الضريع وشربهم ... يسقون فيها من حميم آن
فيبدل الله الجلود وكلما ... نضجت جلود جاء جلد ثاني
يرديهم خزانها بمقامع ... كالنجم منخر على شيطان
ويصيح واويلاه مما قدمت ... نفسي من التفريط والخسران
ويل لأهل النار بل ويل لهم ... من سوء أغلال وسوء مكان
يهوي بهم في قعرها وهمو بها ... لمخلدون خلود غير أوان

فهذا هو الفزع الأكبر عند دخولهم سقر ، وما أدراك ما سقر ، التي هي لواحة للبشر ، فمن دخلها فما عنها من مفر ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد شفيع البشر .



الذكر الرابع عشر :

ذكر الأدب في الأكل والشرب ، وفيه تفسير آية مماثلة بين الإنس وبين من لا يعقل من ذوات الأرواح ، وسبع حكايات في الخدعة والسرقة

آداب الأكل والشرب وتفسير آية :

قال ذو الغبراء : فقدت شيئاً من آلة السراج، ولم أدر إليها المحتاج، فجلست متحيراً في المسجد بالليل الداج، وأنا في الدعاء بالإلحاح لجاج، حتى سمعت قعقعة بالباب، فرأيت رجلاً مسلماً في حسن الشباب، وسمعته مع دخوله قال بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أولياء الله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وأعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وسخر لي أحداً من خلقك ليطعمني حتى تقوى أعضائي لتأدية الفرض بشيء من تمر الفرض، ثم نظر يميناً وشمالا حتى رآني في أقصى المسجد فجاء معي وصافحني وسألني عن حالي، فأخبرته بسرقتي وواقف منتظر إلى عودة اللص .

قلت له: فإن كان لك حيلة في ما ذكرته فأنت مأجور، فقال: لكل شيء سبب ولكن في هذه الساعة لم يحضرني علم من كثرة الجوع، فقلت له: أنا من ذوي الغبراء، قال: إن القرين مناسب لقرينه، قلت له: هذا الماء والتمر جعل وقفاً مؤبداً للمسجد ليأكلوه وليشربوه لمن شاء من الناس إلى يوم القيامة ، فقال : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في

الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، اللهم إني أسألك من هذه الأكلة نفعها وتدفع عني ضرها وتقوي بها ما ضعف من جسمي من العروق والعصب والعظم وتحيي بها ما فسد من جسدي من الجلد واللحم والدم إنك على كل شيء قدير، فأكل ما طاب له وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي واستغفر لذنبه ثم قرب مع الماء، وقال: اللهم نيتي أشرب من هذا الماء النسم الأول مرضاة للرب، والنسم الثاني لهضم الطعام، والنسم الثالث مسخطة للشيطان، وفي كل نسم حمد الله ومص الماء مصاً .

ثم قام قياماً يمشي في المسجد يريد الخروج، قلت له: قف قليلاً معي سؤالٌ وأريد منك جواباً وقد ابتليت في هذا الوطن باللصوص وفي سبيل الله بقطعه الطريق، قال: هاك الجواب سهلاً فالبس في طريقك ثياباً ملبدة، وخذ لتتكئ به عصا فلا يطمع فيك لص أبدا، وأما اللصوص فلا تعارضهم في مطلبهم فقد خصموا أصحاب الأموال والرفاهية وكذلك المريض لا تعارض فيه البصراء فتسلم من الجن والشياطين والسحرة، والسلامة أسلم في الجواب بقلة المعرفة، وهاك البيان من كلام الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[1].

قال الشيخ ناصر : أمثالكم خُلُقاً ، فأثبت الله تعالى المماثلة بيننا وبين سائر البهائم ، ومعلوم أنهم لايماثلوننا في خلقنا وأشكالنا ولا في عقولنا وسائر ما تدركه العين منهم ومنا فتبقى المماثلة في الأخلاق فلا مختلفة .

فإذا رأيت من الإنسان خلقاً خارجاً عن الاعتدال فأبصر ما يماثل ذلك الخلق من خلق سائر الحيوانات فألحقه وعامله كما كنت تعامله

---

(١) سورة الأنعام : ٣٨ .

فحينئذ تستريح من منازعتهم ويستريحون منك وتدوم الصحبة .

فإذا رأيت الرجل الجاهل في خلائقه الغليظ في طباعه القوي في بدنه الذي لا يؤمن من طغيانه وإفراطه فألحقه بعالم النمر والعرب تقول أجهل من نمر وأنت إذا رأيت النمر بعدت عنه ولم تخاصمه ولا تسابه فاسلك بالرجل كذلك .

وإذا رأيت الرجل الغالب عليه السرقة خفية والنقب ليلاً على وجه الاستسرار ؛ قلنا : هذا يماثل عالم الجراد فسد رحلك ثم أخبار حلك بما يصلح له.

وإذا رأيت رجلاً هجاماً على أعراض الناس وثلبهم فقد ماثل عالم الكلاب فإن دأب الكلب أن يجفو من لا يجفوه ويبتدئ بالأذية من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب إذا نبحك ألست تذهب في شأنك ولا تخاصمه ولا تسبه فافعل بمن يهضم عرضك مثل ذلك.

وإذا رأيت إنساناً قد جبل على الخلاف إن قلت لا قال نعم أو قلت نعم قال لا فالحقه بعالم الحمير فإن دأب الحمير إن أدنيته بعد وإن بعدته قرب وأنت تسمع بالحمار ولا تسننه ولا تفارقه.

وإذا رايت رجلاً يطلب عثرات الناس واستعطائهم فمثله في الآدميين كمثل الذباب في عالم الطير فإن الذباب يقع على الجسد فيتحامى صحيحه ويطلب المواضع المعلة منه وذوات المادة والدم والنجاسة.

وإذا بليت بسلطان يهجم على الأموال والأرواح فألحقه بعالم الأسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الأسد وليس إلا الهرب منه،

كما قال النابغة : ولا فرار على زاره من الأسد .

وإذا بليت بإنسان كثير الروغات والمفاخرة فألحقه بعالم الثعلب.

وإذا بليت بمن يمشي بالنمائم ويفرق بين الأحبة فألحقه بعالم الظربان وهي دويبة لا يطاق فسوها، تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا بينهم الظربان فتفرقوا، وخاصة هذه الدويبة إذا حصلت بين جماعة يتفرقوا، كما أن الجماعة إذا أقبلت نحوهم هذه الدابة طردوها ومنعوها الدخول بينهم، كذلك ينبغي إخراج النمام من بين الجماعة فإن لم يفعلوا يوشك أن يفرق في ما بينهم ويفسد قلوب بعضهم على بعض.

وإذا رأيت إنساناً لا يستمع العلم والحكمة وينفر من مجالس العلماء فألحقه بعالم الخنافس فإنه يعجبه أكل العذرات، ويألف روائح النجاسات، ولا تراه إلا ملابساً للأخلية والرحاضات وينفر من روائح المسك والورد، وإذا طرح عليه المسك والورد مات.

وإذا رأيت إنساناً إنما دأبه حفظ الدنيا لا يستحي في الوثوب عليها فألحقه بعالم السباع الأجدر به بأن تكف رحلك عنه .

وإذا ابتليت بالرجل عليه الديانة والسكينة في ظاهر أمره دون باطنه، وقد نصب أشراكه لاقتناص الدنيا وأكل أموال الودائع والأمانات والأرامل واليتامى فألحقه بعالم الذئاب وهو كما قال القائل شعراً :

ذئب تراه مصلياً   فإذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه   ما للفراسة لا تقع
عجل بها يا ذا العلى   إن الفؤاد قد انصدع

واحترز عنه كما تحترز عن الذئب، فإذا بليت بصحبة إنسان كذاب فاعلم أن الإنسان الكذاب كالميت في الحكم لأنه لا يقبل له خبر كما لا خبر للميت، وكما لاتصحب الميت لا تصحب الكذاب، وكما قيل في المثل : كل شيء وصحبة الكذاب لا شيء، ويجوز أن يلحق بعالم النعام فإنه يدفن جميع بيضه تحت الرمل ويترك واحدة على وجه الرمل وأخرى تحت طاقة من الرمل وسائر بيضه في قعر الحفرة، فإذا أراد الغر يأخذ تلك البيضة وينصرف أو يكشف عن وجه الرمل فيجد الأخرى فيظن انه ليس شيء آخر، والخبير إذا رأى البيضة لا يزال يحفر حتى يصل إلى حاجته ولا يغتر بتلك البيضة، كذلك الكذاب إذا سمعت منه خبر لا تصدقه حتى تبلغ الغاية في الكشف عنه .

وإذا رأيت إنساناً يصنع نفسه كما تصنع العروس لبعلها ينفض ثيابه ويعدل عمامته ويتقي أن يمسه شيء غيره وينظر في عطفيه ويطرح القذا عن ثوبيه وليس له همة عند الجلساء إلا نظره إلى نفسه وإصلاح ما اكتسى من ثيابه فألحقه بعالم الطواويس الذي هذه صفته؛ فإنه يتبختر في مشيه وينظر إلى نفسه ويفرش أرديته فيتخذ مع الملوك استحسانا له.

وإذا بليت بإنسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المدة على السقطات فألحقه بعالم الجمال، والعرب تقول: أحقد من جمل، وتجنب قرب الجمل الحقود.

وإذا بليت بإنسان منافق ينطق خلاف ما يظهر فألحقه بعالم اليربوع؛ وهو فار يكون في البرية يتخذ جحراً تحت الأرض يقال لها

النافقاء وله فوهتان يدخل من إحداهما ويخرج من الأخرى ومنه اشتق اسم المنافق، فإذا هم أخذه دخل جحره وخرج من الباب الآخر فيحفر الصياد خلفه فلا يظفر بشيء، كذلك حال المنافق ولا يصح منه شيء، وعلى هذا النمط كن في صحبة الناس تستريح وتريحهم منك.

ولعمر الله ما استقامت لي صحبة الناس وسكنت نفسي واستراحت من مكايدة الأمر حيث سرت معهم إلا بهذه السيرة.

وقال الرباحي: يا بني رباح؛ لا تحقروا صغيراً تأخذون عنه فإني أخذت من الثعلب روغاته، ومن القرد مكايده، ومن السنور صرعه، ومن الكلب نصرته، ومن ابن آوى حذره، ومن الغراب بكوره، ومن النمر شدته، وقد تعلمت من القمر المشي بالليل، ومن الشمس الظهور الحين بعد الحين، وقال بعض الشعراء:

وفي الفؤاد أمور لا أبوح بها	ما قرب النائي أيد الخيل والإبل
وإن أمت لقد أعذرت في طلب	وإن عمرت فلم أصغ إلى العذل

حكايات هادفة :

قال ذو الغبراء لصاحبه : لعلك تقعد في المجلس ونستفيد من عندك في هذه الليلة .

قال : اعلم يا أخي أن معي عيلة ولزمتني فروضاً والمراد أن أسعى لرزقهم إلى تلك القرى النازحة، قلت له: لعل الله يرزقك من هذه البلدة وإن لي أرحام ينفعوني فعسى أن يمنوا علينا، قال: أخاف إن كنا اثنين يضيق عليهم ذلك .

قلت له : ما تظن في الناس إلا الخير، قال: لعلك أنت غرير بالناس وإن سوء الظن في الناس من حسن الخلق، أما ترى الناس قد ضاعت أموالهم وأعمالهم بحسن ظنهم في أصحابهم وأهلهم، كما حكي لي عن رجل تزوج امرأة ولم يقدر على افتضاضها، فجاء مع الطبيب وأخبره بقصته، فقال له الطبيب: إذا أردت الدواء على عهد يكون منك بأن تزوجني أمك، فأحضر أمه عندهما ورضيت بذلك، فعاهده بها وأخذ له الشونيز المقلاي المدقوق وجعله في عسل النحل وأطعمه فروخ الدجاج بالحنطة النقية أربعين يوماً، وأعطاه لشربه الماء الذي أطفئ فيه الحديد.

فلما بلغ مراده وجامع أهله في نهاره وليله جاء إلى الطبيب، وقال له: لا وجدت نفعاً من دوائك، فأخذ الطبيب مسكاً وكافوراً، وقال للرجل: هذا الدهن فيه قوة للجماع وادهن به إحليلك، فعمد الرجل وجامع أهله، ونكث الرجل عهده، فأرادت أمه أن توفي بعهده فضربها ولدها ضرباً مؤثراً، ثم قال الطبيب لأرحام الرجل وجيرانه انصحوا صاحبكم حتى يتم عهده، فأخذوه بالنصيحة فلم يقبل منهم، فقال الطبيب لأم الرجل إن أراد ولدك شربة ماء فاجعلي في الماء السكر الأبيض وماء الورد والكافور الأبيض، قال: فامتثلت فسقته ولدها على ما قال لها فعطل ولدها عن الجماع البتة.

وفي قصة أخرى: خرج الطبيب إلى الصحراء يأخذ بعضاً من الأشجار فعرضت عليه امرأة حاملة ابنها قد ذهب لبنها من عوق[1] نزل بها، وتريد له مرضعة، فقال لها الطبيب: أنا أصنع لك دواء ثمنه مائة محمدية، فعاهدته بالمائة إن رجع لبنها مما يقيت ولدها، فأخذ صاعاً من

(١) أي : مرض .

الحلبة وطبخه بسبعة أمواه كلما ثار بماء أهرقه وجعل عليه ماء آخر، ثم جعلها في الشمس، وأخذ صاعين من الحنطة النقية فخشفها وأزال قشرها وجعلها في الشمس، ثم أخذ الحنطة والحلبة فجعلهما دقيقاً، ثم أخذ حليب البقر نصف صاع وجعل عليه السكر الأبيض وجعله على نار خفيفة، وجعل فيه قبضة من الدقيق ثم ساقاه بالسمن حتى نضج، فأسقاها إياه صباحاً ومساء، فرد الله عليها حليبها، وانتشى ولدها، فهذه الصفة المذكورة في الكتب نفعها لإدرار اللبن، ولداء السعال اليابس، ولحصر البول، ولوجع البطن إذا كان فيه زحير نافع لذلك، وأما من خبر المرأة فنكثت عهدها على الطبيب، فقال لها: لا بأس، فأعطاها من دقيق العدس وعجنه بالماء، وأمرها أن تدهن به ثدييها لتنشيف ماء اللبن، فصنعت وذهب اللبن كله.

وأما القصة الثالثة: جاءت مع الطبيب امرأة، وقالت له: هل عندك بصر في بقرة عصور تخفي لبنها مع حلابتها وأنا أعطيك نصف سمنها في هذه الثمرة فأعجبه الطبيب قولها لعازته[1] للدهن في شتائه، فقصد إلى الصحراء وأخذ طيخاً من الوادي من حيث لا يطوه قدم وقرأ عليه سورة الفاتحة، ونفخ به في مناخر البقرة، وأعطاها لطعامها من حشو الجزر، فدرت باللبن، ونكثت المرأة على الطبيب.

وأما القصة الرابعة: رجل له زوجة نافرة عن بيته وقربه لم يزل، فقصد مع الطبيب وشكا له وعاهده بمائتي محمدية، فأخذ له زيتاً وقليل زرنيخاً وأعطاه المرأة في شيء من العيش، فبعد ما أكلته عشقت زوجها كثيراً، ومن دهن إحليله بهذا الدواء فإنه يجامع امرأته متى شاء وأراد،

---

(١) أي : لحاجته .

فنكث هذا الرجل على الطبيب، فقال له: لا بأس، فقرب له البقلة الحمقاء والخل والجلجلان فأكلا منه وشربا من الخل هو والطبيب، وقرأ الطبيب على الخل سورة القارعة، وقال: اللهم فرق شمل الناكث عهده علي، فأمره أن يعطيه أهل بيته ليأكلوه، فحمله وأعطاه أهل بيته ففرحوا به وأكلوه، ففرق الله شمله.

وأما القصة الخامسة: وصلوا جماعة عند رجل مظلومين ومقتولين وأرادوا منه النصرة لعدوهم، فمنوه بالأماني الكثيرة وبالمرأة الصالحة، فأعطاهم الطعام ودعا لهم بالنصر والإكرام فنصرهم الله على عدوهم، وطغوا من بعد في بلدهم ونكثوا على صاحبهم، فلما صح بينهم العتاب هموا إلى قتله، فسأل مولاه أن يفرق جمعهم ويشتت شملهم.

وأما القصة السادسة: رجل عشق امرأة وأرادها للنكاح فلم ترده، وتزوجت رجلاً غيره، ومات زوجها وحملت منه واعتدت أربعة أشهر وعشرا، فغسلت وأصابها ثور بقرونه فشق بطنها شقاً عظيماً بقرب السرة فخرجت جميع الأمعاء والثرب، حتى أنها كانت مستلقية على ظهرها وكانت الأمعاء والثرب منحدرة على الأرض، وكان بها حمل ثقيل، فأرسلت إلى الرجل الذي عشقها بالوصول، فلما وصل معها قالت له النفع اليوم الذي لا ينسى وانظر في حالي، قال العاشق للمرأة: أخذت لها دهن ورد وأضيفت إليه مومياي مدقوق فسحقتهما على النار وكمدت به جميع ما خرج، وأمرت رجلاً أن يرفعها برجليها منكسة لينحدر الرأس، ثم أدخلت ما خرج قليلاً قليلاً وخطته، وذررت عليه مرداسيج وصبر مسحوقين، ثم تركتها مستلقية على ظهرها، فلما أتى عليها سبعة أيام

خرج حملها ميتاً وبرئت، فقصدت مع وليها للخطبة، فرأيت به قولنج عظيم فاحتبس به البول والغائط فلم يخرج من مخرجهما شيء أبدا، وكان إذا أكل وشرب أدخل شيئاً في حلقه وقاءه، وله سنتان على تلك الحالة.

قال: فحقنته بماء الحرمل والملح المغلي على النار المصلول، فخرج منه يابس لو دق بحجر لم يجبه، ثم حقنته في اليوم الثاني فبرئ، وكان ذاهب القوة واللحم، فأردت منه أن يزوجني المرأة، قال: النظر إليها، فوصلنا عندها فنفتنا ولا وجدنا منها سبيلاً، انظر في إحسان هذا الرجل لها ولوليها قد طلعهما من الموت ولا تذكرا الإحسان، ولكن قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [1] .

وأما القصة السابعة : امرأة صحت عليها سرقة ثياب، وقالت لرجل: أريد بيان السرقة ولك العطاء الجزيل، فعمد الرجل بالدعاء على سارق المرأة وظهرت عليه وفي بيته كثير من متاع الناس الذي سرقه، فصلب عليه ومات، وذهبت أمواله لحقوق الناس، والذي تسبب بالدعاء على السارق لم يعط مثقال ذرة، وبقي في الحاجة.

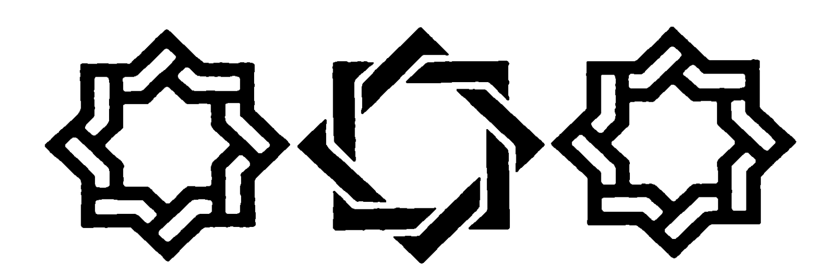
الله الله أيها الواقف على كتابنا احذر نفسك ولسانك ما قدرت.

أنظر يا ذا الغبراء فيما حدثناك به فلا تطمع بالأماني، درهم في يدك خير من ألف درهم في يد غيرك، ومَنٌ[2] تمر في يدك لسفرك خير من ألف ألف جراب في بيتك، وشربة ماء في سعنك[3] مع مشيك خير من ألف نهر في أوطانك، وصحبة رجل في حضرتك خير من ألف خادم في غيبتك،

---

(١) سورة الأنعام : ٢٨ .
(٢) المن : من المكاييل ، ويُساوي أربعة كيلوجرام .
(٣) السعن : القربة التي يحمل فيها الماء .

فكيف إذا كان الأمر في يد غيرك ويمنيك به فلا تطمع به ، فقد نكث معاوية على سيده وولد نبيه الحسن بن علي بن أبي طالب ، فكيف تطمع من الناس ، وعليك بالإياس عما في أيدي الناس ، وطب نفساً وقر عيناً ، واترك الجدال واسمح لي بطول البال ولا تطل علي في السؤال والمقال ، وعليك بالمداراة والاحتمال فيما ذهب عليك من القماش والأموال ، لأن الدنيا دار زوال .



الذكر الخامس عشر :

أوله في الحث على طلب الحج وفي من لزمه ومن لا يلزمه ، وفيه توبيخ لذي الغبراء فأجاب لمن وبخه في ذلك ، وفيه قصة حاوية من مسائل الشرع والطب ، وفيه قصة حسن سيرة بعض من الملوك للمتقرب معهم ، وفيه فضائل الحج وما جعل للحاج من الثواب ، وفيه دعاء وتضرع ، وفيه قصة الرجل والمرأة وابنتهما الصالحين ، وما لها من الأمثال في طلب الحلال لسلامة الحال والمال

الحث على الحج وبعض أحكامه :

قال ذو الغبراء : نزلت رحمة الله لعباده، وأخذت ورقة من الطلح فجعلتها على رأسي اتقاءً عن قطر السماء في جسمي وثيابي، ثم قصدت إلى الصلاة في المسجد الجامع وسمعت أخي يقرأ هذه الأبيات التي عن الشيخ محمد بن جعفر شعراً :

وفي عرفات يرحم الله تائباً ... يقر بفحش من عظيم المآثم
فإن كنت في الأحياء عند غروبها ... فعج بالحاج على ذي المكارم
ولا حلق حتى يبلغ الهدي حله ... وبالذبح تبدأ قبل حلق اللمائم
وذلك من بعد الجمار ورميها ... بواحدة ترمي على قول عالم
ومن بعد هذا زر لذي العرش بيته ... وعد راجعاً في كرة غير نائم
وكن بمنى وارم الجمار لوقتها ... إلى النفر من يوم الوفا والتمائم

وودع لبيت اللـه إن كنـت راجـعـاً   وعد بالجـزا مـن عنـده والغنـائـم

ثم قال ذو الغبراء : أيها الناس عليكم بطاعة الله والمحافظة على الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وأداء الزكاة وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، والاستطاعة هو الزاد والراحلة وأمان الطريق والرفيق وصحة البدن، فإذا اتفق ما ذكرناه فقد لزمه الحج، وعليه أن يترك من ماله لمن يعوله مما يكفيهم لمؤنتهم وكسوتهم، ومن ترك الحج ولم يوص به وكان قادراً مات هالكاً من النساء والرجال، ألا فاجتهدوا في تأدية فريضة الحج وقد أمر الله بذلك فاقتفوا بالأنبياء والرسل والذين سبقوكم بالإيمان فقد حجوا واعتمروا وزاروا، وقيل أوعد الحج بمائة ألف حاج في كل سنة فإن قصروا الإنس نزل من السماء ملائكة الله لتمام ذلك.

والنفقة في الحج الدرهم بسبعمائة درهم، والخطوة بسبعمائة حسنة، والصلاة في مسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة، والصلاة في مسجد رسول الله عن ألف صلاة، وقيل من مات في الحرم مات شهيداً.

ألا فشوقوا قلوبكم إلى نظر تلك البقاع والمساجد والمواقيت وما فيها، والنظر في اجتماع الخلق في الموقف يأتون من كل فج عميق، ولو لم يكن لازماً عليكم فرض الوصول لعشقتم ما يذكره لكم الواصلون الناظرون لأنه لا يصح البلوغ إلا بشق الأنفس، فإن قيل عن العلماء وأصحاب السحر والرياضات يحجون في كل عام في يوم عرفة ويرجعون في يومهم إلى بيوتهم فلا أقول شيئاً في الوصول، ولكن أقول لا يتم الحج إلا بالإحرام من المواقيت والوقوف بعرفة والمبيت بالمشعر الحرام ورمي الجمرة يوم النحر والذبح والحلق وزيارة البيت والسعي بين الصفا

والمروة والرجوع إلى منى والوقوف بها لرمي الجمار في الأيام التي ذكرها الله تعالى قال : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[1] ، وقال : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الآية ، إلى قوله تعالى : ﴿ أو أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [2]، ولا يتم الحج إلا بهذه الشروط إن كان الحج فرضاً أو نفلاً .

والمحرم لا يقتل الصيد ولا يأكل لحمه ولا يقلع الشجر لأن فيه الجزاء ويحكم به ذو عدل منكم، وفي حكمه أكثره بدنة وأقله إطعام مسكين هذا في الصيد والشجر، ولا يحكم الإنسان على نفسه بشيء وإن عرفه، وإن لم يجد من أهل العلم ليحكما عليه وكان هو عالماً به فإنه يخبر بذلك رجلين ثقتين فإن حكما عليه جاز حكمهما وإن لم يجد أحداً فعليه دين متى وجد سبيلاً لذلك، وأما الدموم فكثير مما تجب منها على المحرم إذا اعتمد على ارتكاب ما نهي عنه فيجب عليه دم والواجب على المرء أن يتعلم لجميع ما يعنيه.

فقال الرجل الذي يقرأ الأبيات في المسجد : أيها الناس احذروا الأمور كالذي قصد فيها ذو الغبراء لما وجب عليه الحج تمادى في زمانه عن تأديته فقلَّ ما في يده فسأل شيخه فقال له : لازم عليك أن توصي به وتشهد في وصيتك شاهدين ، ثم وجد الشيخ السبيل إلى الحج في صحبة سلطانه وأن يحمله من أول مسيره إلى رجوعه هو ومن أراده فأخذ الشيخ ذا الغبراء في صحبته لتأدية ما لزمه فأكل ذو الغبرا من جائزة السلطان وخالف شيخه مع الإحرام ولم يقتد به وجادله في طريقه وخالف

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٣ .
(٢) سورة البقرة : ١٩٨ - ٢٠٠ .

قول ربه أنه لا جدال في الحج فرجع ذو الغبراء إلى داره وقصر في نفقة زوجته فازداد جهلاً.

ومن علامة الحج المبرور يزداد في دينه كل يوم، لأن من حج انحطت عنه الذنوب وبقي لا عليه ذنب كمثل من ولدته أمه، فإن رجع إلى داره وعصى ربه أعيدت له ذنوبه، وهذا ما وردت الأخبار عن أخيكم ذي الغبراء فانظروا يا أولي الأبصار.

فقال ذو الغبراء: إنا لله وإنا إليه راجعون مالك أيها الرفيق لا تذكر قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (١) ؛ فقال الرفيق: يا ذا الغبراء رفع لنا عنك ممن نثق به ولكن بيّن لنا الحجة حتى يتضح لنا الحق والبرهان ونأخذه منك شفاهاً باللسان، فقلت له: أما الحج فقد لزمني، حدث علي مال من إرث وبعته فدخلت عليّ أشهر الحج ولم أجد المعبر ولا مأمن في الطريق وذهبت الدراهم ثم وجدت المعبر بصحبة إمام المذهب(٢) مع السلطان فصحبتهم لانحطاط الفرض اللازم، فزرنا قبر نبينا قبل أشهر الحج فأحرم الشيخ من الميقات المسمى أبيار علي، وسلطانه لم يحرم مراده القيام بجدة، وأنا علمت بأن مكة فيها أذية الجدري، فقلت إن البلا لا يعنا له والحج بعده شهرين، والشيخ ومن معه مجدورين، وخوفي مما سمعت ورأيت إن بليت بعلة الجدري لا يصح لي قائم، والسلطان مالك أمره لا ينظر إلى من دونه.

وقد حكي لي أن جدي قصد الحج فنزلت به هذه العلة فاغتلق عليه

---

(١) سورة الحجرات : ٦ .

(٢) لعله يقصد الشيخ ناصر بن أبي نبهان .

الموسم والناس رجعوا من حجهم بسرعة في ستة أشهر، وجدي مكث ستة أشهر وسنة فذهب ما في يده وقل ما عنده وبقي كلاً على الناس وعليه الديون، وكذلك أبي لزمه فرض الحج فلما وصل البقعة المباركة نزل به الجدري فتركوه أصحابه وقصدوا إلى عرفة، ومات أبي يوم الحج في مكة فذهب جميع ما كان في يده من الأموال ولا حضر أحد من أصحابه ليوصيه بحجة ولكن لعله سالم عند الله، لأني وجدت في الأثر من لزمه الحج وقصد لتأديته ومات في طريقه قبل أن يؤدي فريضة الحج فقيل إنه ينحط عنه الفرض على نيته وقصده، ثم رأيت رجالاً بلاهم الله بهذه العلة ولم يجدوا قائماً من أصحابهم وماتوا قبل الحج فلم يحج أحد عنهم.

وأنا أخبرك قد أحرمنا من أحد المواقيت الأربعة وقصدنا مكة للعمرة، وأما ذكرك في الجدال بين منى ومكة فهذا بعد الحج والإحلال من الإحرام وتأدي اللوازم، والجمّال له أصحاب متأخرون وأراد مني توقيف الشيخ ومن معه يروض[1] أصحابه لصحبة الطريق فأخبرت أصحابي بعذر الجمال فلم يقبلوا مني كلاماً فهذا ما صح من الجدال.

ومن قبل رجوعي إلى الوطن وتقصيري النفقة للزوجة اعلم أني خيرت المرأة من قلة ما في يدي أن أعطيها الصداق وأنطق لها بالطلاق وبين العذر من النفقة فاختارت أن تعذر، ولكن قيل في الفقراء عيوبهم ظاهرة وأعمالهم قبيحة، وأنت أيها الرفيق فالواجب منك أن تنطق لنا مما يسلي القلب حتى تكون لك قربة عند الرب، فانظر إلى أمرنا وضعفنا مع الأغنياء، ولا سخت نفوسهم لنا بشيء مما أغناهم الله من فضله وخصهم

---

(١) أي : ينظر .

به دون خلقه، فبقينا حيارى في عيدنا من قلة ما في أيدينا، ولكن رضينا بما جعله الله بالتدريج لخلقه لا كما ذكرت دفعة واحدة.

فقال الرفيق: أما الرزق جعله بسبب وحركة من مزروع وملبوس وتجارة في سفر البر والبحر والمواشي، شيء يتبعه شيء، والفسل له ولد يتبعه ولد، لايخرجون الأولاد دفعة واحدة، وكذلك الطير والدواب والوحوش، لو أراد الله خلقهم في ساعة واحدة لأخرجهم في أمة واحدة، وكذلك الزرع والنخيل والأشجار لها أوقات معلومات في إدراك ثمارها، وكذلك بيعه منه يباع بالرخص ومنه بالغلاء فاعتبر في قصة الرجل والمرأة الصالحين لما دخل في قلبهما الغبن من فقرهما في محضر الناس يوم الزينة والعيد الذي افتتح به شهور حج بيته الحرام وأحل فيه الطعام وحرم فيه الصيام، فقد أوصى أحد من المسلمين بدراهم تفرق في تلك اليوم فأعطي الرجل والمرأة ستة دراهم فقالا الحمد لله الذي أنعم علينا اللهم بارك لنا في هذه الدراهم، فأخذ منها ثلاثة دراهم لعيدهما وتركا الباقي ليدبرا فيها أمرا فأخذ الرجل الدراهم وقصد إلى سوق المسلمين في غير بلده فأقبل عليه الليل فدخل المسجد وسمع الجماعة يذكرون رجلاً سقيماً من أشرافهم فسألهم عن بلائه فأخبروه بعلته، فقال لهم: أحب إلى نظر السقيم، فقصدوا به إلى البيت ودخلوا عليه فرآه منكباً على بطنه ومنكف على ظهره وعصبه، فقال السقيم: هذه ساعة النفع إن كان لك حيلة يا غريب فإني أعوضك بكثير من الأموال وقد نذرت لله إن شفاني أن أسير الحج أنا وزوجتي حجة الإسلام ونزور قبر نبينا محمد عليه السلام الذي بالمدينة وفيها النسمة الطيبة والغرة المباركة والطلعة الميمونة والنفس النفيسة والروح المقدسة والقبر والمنبر وأبو بكر وعمر وناهيك

بهذا شرفاً وفضلا ونيلاً فكل عمل يعمل فيها فهو بألف جزاؤه ، قال النبي (صلى الله عليه وسلم):"ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة".

فتعجب الغريب من كلام السقيم فقال له زد نذراً إن ابراك الله أن تعطيني كما تقيم به حجك أنت وزوجتك، فقال السقيم: نذرت لله أن أعطيك أيها الغريب وأنت فقير ومن أبناء السبيل مثل ما نرزاه[1] في حجنا ونفقة من أعوله من أهلنا، فقال الغريب: عندي زوجة وأنا آتي بها إليك لتعمل الدواء، فقال له: ائتنا بها وعلينا كسوتكما ونفقتكما فوادعهما فأخذ من شجر الحنظل التي تثمر من اثنتين فصاعداً فأخذ أصفره ثم كشفه وأخذ منه بذره وجعله في كيس، ثم جعله في الماء الجاري عشرة أيام حتى يكون لا مرارة فيه وشرى بدرهم حنطة نقية وأخرج قشرها وأخذ من الحنطة سهمين ومن الحنظل سهماً، وقال لزوجته: اصنعي هذا دقيقا، ثم أخذ درهماً وشرى به عسل النحل المصفى وأخذ درهماً وشرى به سمن البقر ونقصه وقصد إلى الرجل هو وزوجته وعملا له الدواء صباحاً ومساء فأبرأه الله من علته، وقيل إنه عمل له شراب الجزر لأنه ينفع من وجع الظهر والكليتين ويزيد في الباه وصفة عمله؛ يؤخذ الجزر ويقطعه مثل الدراهم ويجعله في قدر ويصب على كل كيلة من الجزر ثلاث كيلات من الماء فإذا نضج أنزله وصفاه ثم عاده إلى القدر وتطرح علي الكيلتين من ماء الجزر كيلة من العسل، ويوقد تحته ناراً حتى يصير له قوة، ثم يجعل فيه شيء من البسباس وجوز بوة وتتركه في الصيف سبعة أيام وفي الشتاء أربعة عشر يوماً وزعم بعض الأطباء أنه إذا داوم عليه الإنسان فلا يحتاج عنده إلى دواء .

---

(١) أي : تحتاجه .

فقال الغريب : صنعت لك دواءً لبرؤك وفيه قوة لنكاحك فوجد منه الأمر كما قال له، فأراد الغريب المسير فكساهما هو وزوجته من أحسن لباس الناس وأعطاهما لزادهما من أطيب المعاش فشيعاهما.

وأقبل إليهما العيد الأكبر والنور الأزهر الذي جعله الله خاتم الأيام المعلومات من العشر فاتخذوا أهل[1] الاسلام هذه اليوم عيداً لهم في جميع الأمصار والبلدان، وأنها ايام زهوة وزينة وأكل وشرب وبعال فخرجا مع الناس إلى الجبان ودخل في قلبهما الفرح وأزال الله عنهما الحزن.

رجعنا إلى قصة السقيم الذي أبرأه الله من علته؛ فعمد إلى السفر هو وزوجته ولم يصبر عن جماعها فلما وصلا أحد المواقيت الأربعة اغتسلا وتوضنا وأحرما وصليا ولبيا وامتنع عن وطئها وعن الرفث، ثم وقفا مع الناس بعرفة وباتا بالمشعر الحرام وأخذ كل واحد منهما سبعين حصاة واصطحبا بمنى ورميا جمرة العقبة كل واحد منهم بسبع حصيات المسماة الجمار من مسيل الوادي، ولا يجوز رميها من أعلاها، ثم حلقا وذبحا وأحلا من إحرامهما وصليا بمسجد الخليل صلاة العيد فنكح الرجل زوجته، ثم قصد الرجل إلى زيارة البيت وهي زيارة الفريضة فلما زارا وسعيا بين الصفا والمروة سبعة أشواط رجعا إلى مبيت منى فباتا واصطحبا ورميا الجمار الثلاث أول رميهما بعد زوال الشمس الجمرة الشرقية بسبع حصيات ثم الجمرة الغربية بسبع حصيات ثم جمرة العقبة بسبع حصيات، وفي اليوم الثاني واليوم الثالث عملا في الرمي كالأولى، وسمعا أن من نكح قبل أن يزور فسد حجه، فسألا عن ذلك فأوجب عليهما إعادة الحج، واستحسنوا لهما أن لا يقاربها في الحج مقاربة يؤدي إلى

---

(١) ليست في الأصل .

نقض حجهما، فأقاما حتى يحجا في العام المقبل جزاء وعقوبة لهما على أكثر قول المسلمين في هذه المسألة.

ثم وقفا مجاورين البيت حتى حال عليهما الحول وأحرما بالحج وعملا في حجهما بما قالوا لهم به المسلمون في جميع الأمور ثم رجعا إلى وطنهما وحسبا جميع ما غرما على أنفسهما وعلى من يعوله في هاتين السنتين فاجتمع الحساب أربعة آلاف درهم، وأوفى بعهده إلى صاحبه الذي صنع له الدواء فأعطاه أربعة آلاف درهم فأخذها من عنده، وأنزله الله في منازل الأغنياء، واتجر بها حتى نمت أضعافاً مضاعفة.

حُسن السيرة مع الملوك والأمراء :

وأما كثرة العطاء من الأمراء والأغنياء ليس مبروكا ولا يبقى مع صاحبه، ولكن المنزلة الحسنة من نظرت إليه الملوك وقبلوا قوله كما حكي لنا عن رجل نظر إليه الملك مع جلسانه ولم ينفعه بشيء من المال ثم نظرت إليه الناس، فكلما غضب الملك على أحد من الناس جاءوا أهله بهدية للمنظور إليه، وسعى له مع الملك في عفوه فعفى عنه، فاستقبلته الناس وكرموه وعظموه وأنزلوه في منزلة الأغنياء والوزراء، ولم يكن هو من أبناء الدنيا فعاش في زمانه في عزة ونعمة، ولم يساعد بظلم ولم يجبر أحداً لحكم، فطوبى لمن وفقه الله إلى حسن المنازل، وإلى عورات المسلمين ساتر، ولعثراتهم قائل ، ولا يسمع قول القائل .

قال ذو الغبراء لصاحبه: أخبرنا عن فضائل الحج فقال لي: يروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " أيما رجل خرج من بيته حاجاً معتمراً فكلما رفع قدماً ووضع قدماً تناثرت الذنوب من بدنه كما

يتناثر ورق الشجر، وإذا ورد المدينة وصافحني بالسلام صافحته الملائكة بالسلام، وإذا ورد ذا الحليفة واغتسل طهره الله من الذنوب، وإذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له الحسنات، وإذا قال لبيك اللهم لبيك أجابه الرب لبيك وسعديك اسمع كلامك وانظر إليك، وإذا دخل مكة وطاف وسعى بين الصفا والمروة واصل الله له الخيرات، وإذا أتى عرفات وصاخت الأصوات بالحاجات باهى الله بهم ملائكة سبع سموات يقول يا ملائكتي وسكان سماواتي أما ترون عبادي أتوني من كل فج عميق وواد سحيق شعثاً غبراً قد أنفقوا الأموال وأتعبوا الأبدان فوعزتي وجلالي وكرمي لأهبن مسيأهم لمحسنهم ولأخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم، فإذا رموا الجمار وحلقوا الرؤوس ورأوا البيت نادى منادٍ من تحت العرش ارجعوا مغفوراً لكم واستأنفوا العمل " ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " من خرج من بيته حاجاً أو معتمراً أو مات أجرى له أجر الحاج والمعتمر إلى يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة " .

وقال (صلى الله عليه وسلم) : " الحجة المبرورة خير من الدنيا وما فيها " ؛ وقال (صلى الله عليه وسلم) : " الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره ، إن سألوه أعطاهم ، وإن استغفروه غفر لهم ، وإن دعوه استجاب لهم ، وإن شفعوا شفعوا " ؛ وقال (صلى الله عليه وسلم) : " اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج " .

ومن الأثر : ويحترز المسلم من الأعضاء الثمانية لكي ينجوا من الهاوية، ويفوز بالجنة العالية، وهي القلب واللسان واليدان والرجلان والبطن والفرج والعينان والأذنان، أما اللسان فهو العضو الذي يهلك

الإنسان ويكب صاحبه على المنخر في النيران ويلقيه في التهالك والخسران ويبعده من الجنان والحور الحسان، وقد حذر منه نبي الهدى وأخبر انه سيف الردى ولم يخلق له الشفتين والأسنان سدى فمن هذه حالته فآفاته كثيرة وأهواله جليلة فيجب عليه أن يستعمله في ذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشكر النعمة وتلاوة القرآن فإن العمر يقصر عن القيام بهما والإتيان بعشر معشارهما ويحفظه عن الكذب والغيبة والنميمة وجميع الصفات المذمومة، وهذه الثلاثة هي أصل المهلكات، وأمهات الكبائر الموبقات، وكان الفقهاء الفارضون والورعون المتحاضون يحفظون ألسنتهم عن هذه الخصال المذمومة ويستعملونها في الخلال المحمودة فهذه علامتهم وسيماهم لكن قليل ما هم واتل إن شئت : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ﴾ [(١)] .

وأما القلب هو العضو الذي إذا صلح صلح الجسم كله وهو ملك الأعضاء وقهرمانها وحاكمها وزمامها فمهما مال مالت وإذا استقام استقامت وهو مع تسلطه على الأعضاء سريع التقلب كثير الشك والريب فمن هذه حالته ومنزلته فدواؤه عضال وجرحه ليس له اندمال لكن يجب على العاقل أن يستعمله في التفكر في المخلوقات ويجول به في ملكوت الأرض والسموات وينوي به فعل جميع العبادات ويخلص به سائر الطاعات ويستخدمه في الأعمال الصالحات ويخرج منه الرياء والشك والحسد والغش والخيانة والمكر والخديعة والكبر وجميع الصفات المذمومة .

وأما اليدان فيجب عليه أن يستعملها في طاعة الله وطلب مرضاته

---

(١) سورة النساء : ١١٤ .

ولا يقتل بهما أحدا ولا يسرق ولا يستعين بهما على سائر المعاصي إذ ما معصية إلا ولها فيها سبب ، إما جلي وإما خفي ، وناهيك بقول صاحب القرآن : (اليدان تزنيان) .

وأما الرجلان فيجب عليه أن يستعملهما في طاعة الله وعبادته والمشي إلى المساجد وزيارة القربات والعلماء والمشاهد، وإن كان جهاداً فلا يفر بهما من الزحف ولا يمشي بهما في ضرر أحد ولا معصية ولا يضرب الأرض بهما تبختراً.

وأما البطن فهو العضو الذي أهلك الأوائل وأردى الأفاضل وأخرج آدم أبا البشر من المكان الفاضل فمن جهته يؤتى العاقل ، وبه يهلك الجاهل فيجب عليه إلا يدخل فيه الحرام ولا الشبهات ويعوده الجوع وقلة الأكل لكي ينتقل عن عالم البهائم ويرتقي درج المكارم، إذ بطيبة المطعم يستجاب الدعاء وتدرك الدرجة العليا، أمالك في حديث القبقب ما ينبيك أن البطن سبب العطب.

وأما الفرج قال إن جاء الحق وزهق الباطل فهو العضو المردي لأكثر الأنام والملحق الأفاضل الكرام بالرعاع والطغام فيجب عليه أن يحفظه إلا من زوجته وأمته ومن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون الذين هم من الله مبعدون وليحفظه عن أعين الناس ما استطاع كما جاء في التنزيل لأنه بحفظه يحصل شطر الدين ويعد المرء من المسلمين.

وأما العينان فلا ينظر بهما إلى ما لايحل له ولا يشغلهما فيما لا يجمل ويستعملهما في قراءة كتاب الله وسنة رسوله وما يجب عليه من فروضه .

وأما الأذنان فلا يسمع بهما إلى اللغو واللهو والكذب وغير ذلك من جميع الصفات المذمومات وليستعملهما في الإصغاء إلى الذكر وقراءة القرآن واستماع أصوات المخلوقات إذ ما من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم.

فإذا حصلت للحاج وغيره هذه الثمانية بعد أداء فرائضه فليكن بعد ذلك اعتماده على رحمة الله لا على عمله وليعلم أنه لا ينجو أحد بعمله كما أخبر النبي عليه السلام به فإذا تهيأت له هذه الخصال فهو ممن قبل حجه ونجح سعيه وغفر ذنبه، فإن رجع من حجه وأقبل على الدنيا بوجهه واستعمل الأعضاء الثمانية في غير ما أمرناه به فهو من الخاسرين المبعدين المطرودين الذين حظهم من سفرهم التعب والشقاء والعناء نعوذ بالله من الخذلان، لكن يجب عليه بعد هذا كله أن يستعمل ما أمرناه به أن لا ييأس من رحمة الله التي وسعت كل شيء، قال الله العظيم : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾[1] الآية، وقال أيضاً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[2]، ربنا اغفر لنا ولإخواننا...[3]

مراده أن ينظر نهودها مخافة منها عليه كما وقع على ابنة الملك لما رأت علامة لنهودها كشوب[4] النبق تذكر قلبها باللمس إليهما والملاعبة والضم لجسمها فحزنت حزناً شديداً ولا قدرت أن تبوح بالذي في قلبها على آبائها فدخل الهم والحزن على والديها ثم دخلت عليها

---

(١) سورة الزمر : ٥٣ .
(٢) سورة النساء : ٤٨ .
(٣) نقص صفحة من المخطوط الموجود .
(٤) الشوب : هي الثمرة .

عمتها وأخذتها بالتدريج في كلامها لتكشف سرها فلا قدرت عليها ثم رفعت لها قميصها إلى رأسها فرأت علامة في نهودها فعرفت أمرها وكشفت لها سرها ثم أخبرت بذلك أخاها فزوجها والدها ابن عمها في ساعة فدخل عليها فأقبل إليها الفرح والبشاشة وزال ما بقلبها من الغشاشة، وهذا الرجل الصالح حين رأى ابنته علامة نهديها أخذ فقيراً لها وأحضر شهوداً وزوجه بها في ساعة سعدها مخافة عن قصة الرجل الذي جاءه الرجل الثقة يسأله عن خلوص ابنته فسأل الوالد زوجته عن خلوص ابنته فأخبرته أنها بلغت مبلغ النساء وخلصت من ساعتها، فزوجها الثقة برجل من أهل بلده فعلمت الابنة بتزويجها وقالت لأبيها لم يراجعها الدم بعد البلوغ فعزموا الأولياء والمتزوجون والعاقدون على تمام التزويج وأفتوهم أهل الراي أنها لا تحل له.

فأصروا وخالفوا الحق ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه فبطل التزويج بالسفاح لأنه لا يحل لها التزويج إلا أن تحيض ثلاث حيض بالبلوغ وهذا الرجل الصالح قال لزوج ابنته امنع زوجتك عن الخروج من بيتي، وكن أنت قرير العين في منزلي، خوفا عليها كالمرأة التي أقبلن إليها النساء مع أبيها ليحملنها إلى بيت زوجها فخرجن بها في الطريق ثم عمل رجل من الفسقة حيلة لأخذها فأرسل في صحبة النساء امرأتين أحداهن متزينة بالحلي والحلل مثل العروس والأخرى لتتعرض للمرأة المزفوفة فالتي تشبهت بالعروس درجت نفسها قدام المرأة المزفوفة والأخرى تجر المرأة المزفوفة عن النساء بيدها وجعلت تقودها فخرجت بها عن النساء بقرب بيت الفاسق وأدخلتها في بيته والسرج لاظية وقالت لها هذا زوجك ليس مراده كثرة النساء في بيته ودخل عليها بليلته

فأصبحت في بيت الفاسق والنساء لم يشعرن بها لأن عندهن المرأة المتزينة يحملنها إلى بيت المعرس فدخلن النساء البيت ودخل الرجل عليها فلما اصبح الصباح ذهبت المرأة عن بيته لئلا يعرفها، فرجع المعرس إلى بيته من المسجد فلم يجد المرأة فسأل عنها جيرانها فأخبروه أن زوجتك في بيت فلان الفاسق فقال في قلبه لعلها ذهلت البيت لأنها غريبة في الدار فقصد إلى بيت الفاسق وسأله عن المرأة، فقال الفاسق: رأيتها في البيت و لا أعرف قصتها فأقبل إليها زوجها وسلم عليها فردت عليه السلام من وراء حجاب.

فقال لها: انهضي إلى بيتنا، فقالت له: لا حاجة لي معك وإني امرأة غريبة لا أعرف الرجال، فقال لها: أنا بعلك، فقالت له: استغفر مولاك إن كنت صحيح العقل، فقال: كيف استغفر من غير معصية ولا يحتاج إلى وقوف في بيت الرجال . فقالت له: مثلك لا يتكلم على نساء الرجال بهذا المقال .

فقال لها : أنا زوجك وأخذتك من عند وليك ونكحتك الليلة، فقالت له: تباً وسحقاً لك لا تكن من المفترين الكذابين، فقال له الفاسق: اصحبي رجلك إلى بيته وما أنا إلا رجل محتال لذوق المنال، فخرجت من بيته وقصدت إلى دار وليها وأخبرته بما وقع عليها.

فمن قبل هذه القصة احترز هذا الرجل الصالح على ابنته وجعل لها زوجاً فقيراً مطيعاً فأمره أن يدخل عليها في بيته، وقال لابنته: هذا زوجك فكوني معه كالميت يقلبه الغاسل ولا له حركة، وما خلقت النساء إلا للنكاح وللنسل ولأعمال الأطعمة والكسوة وأخاف عليك من قلة

المطاوعة مع الافتضاض من ضرر الموت لأن كثيراً من النساء مات مع الدخول بها وعرق نهر البدن في ذلك القرار المكين .

فهذا الصالح احترازه عن قصة الرجل الذي زوج ابنته رجلاً بالغاً فدخل عليها وماتت من افتضاضه بها فجاء الناس يخلفون إلى أبيها، فشكى والد الابنة الرجل، فقال الرجل ابنتك ثيب، وقال الوالد: ابنتي بكر، فقال الحاكم لأبي الابنة: هل زوجتها رجلاً قبل هذا ؟، فقال: زوجتها صبياً ولم يدخل عليها، فدعى الحاكم بالصبي، وقال الصبي: دخلت عليها فرجع والد الابنة ليس له شيء إلا نصف الصداق .

ثم قال الرجل الصالح لزوج ابنته لا تجعل صديقاً يدخل علينا في بيتنا مخافة كمثل الرجل الذي زوج عالم الأمة ابنته فأخذها العالم إلى بيته وسافر عنها وكان له خادم حارز لبيته فحملت المرأة من الخادم وولدت له ابنة زنجية .

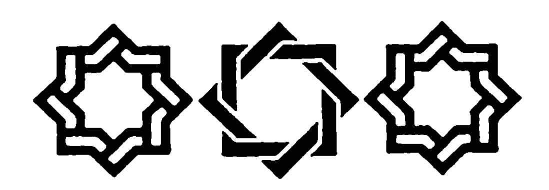
وفي قصة أخرى: رجل عنده ابنة فجاء عندهم رجل ثقة شجاع أمير في عشيرته يريدها لابنه، فزوجوا ابنه فرحين مستبشرين مسرورين بقربته ولم يعلموا بابنه أنه تهيم يدخل عليه من أراد بالنهار والليل فعلمت المرأة بتهمته ورأت رجالاً يدخلون عليه، فمالت نفسها إليهم وتحلت بالزينة والحلي وخرجت إلى الزهوة، واستعطفت قلوب المتمردة، فإن كشفت للناس عيوبها طمعوا بها وظهر لهم قبحها .

ثم قال الرجل الصالح : لا تأخذ ابنتي إلا في صحبتك إلى زيارة أهلك وحذره عليها من المكري أن يفجر بها في الطريق، كالرجل الذي كارى حماراً على زوجته حين أرادت زيارة والدها فقصد بها في الفيافي والقفار ففعل بها .

ثم قال له: أحذرك عن قرب الخدم في البيت خوفاً أن يقع منه كالأمير الذي شرى خادماً آبقاً وقربه في بيته عن خدمه ففعل الخادم بامرأة من أرحام الأمير وأتت ولداً شبيها بالخادم، وأمير آخر وجد خادمه يجامع سرية الأمير فقتله، وأمير آخر وجد خادمه فوق أم الأمير فقتله، وأمير آخر وجد خادمه يفجر بابنه، وأمير آخر أخذ خادمه رشوة على حصن مولاه فدخلوا على مولاه فقتلوه، وعالم تزوج امرأة وعرف نفسه أنه لم يدخل عليها فولدت له غلاماً، وعالم آخر شرى جارية ولم يدخل عليها فجاءت بولد شبيه بها، وإن قلت إن الشراء جائز للخدم فأقول السلامة أولى من شرائهم وقربهم .

ثم حذره عن كلمة الطلاق والرد؛ لأنه يحتاج إلى علم، كما أن رجلاً طلق زوجته طلاقاً رجعياً ثم ردها بحضرتها وحضرة وليها ودخل عليها فحرمت عليه ووجب لها الصداق كاملاً لأنه لم يحضر لها شاهدين عدلين .

قال: فسكنت ابنة الصالح مع زوجها واستقرت وولدت له ولداً، فترعرع الولد وعلمه جده الآداب والأديان خائف منه عن قصة الرجل الذي زوج ابنته رجلاً فاسقاً لصاً منافقاً كذاباً فنسلت له زوجته أولاداً وأقبلوا إلى زيارة جدهم فسرقوه وشتموه بالكلام الضعيف، فعاش في زمانه من النادمين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .



الذكر السادس عشر :

فيه ذكر الرجل الذي طلب الملك فبغى وغيّر ونزعه الله عنه ، وفيه قصة لتدبير أمر الملوك والتحكيم بين الخصمين ، وفيه قصة لخدائع الأمراء واعتبار دخول الوزراء الأمناء والخونة [1] ، وفيه قصة الذي تكلم في الأمر قبل وقوعه ، وفيه من تفاسير الرؤيا

قال ذو الغبراء: أخبرني صاحبي عن رجل طلب شيئاً من الملك في زمانه من ضعف أهل الملك والرأي في عصره، فصلح نفسه وعشيرته وجاره وخصمه فقدموه على أنفسهم طوعاً لا كرها، ثم خدم أفلاجاً وأحيا بها أروضاً قد أماتها الله سابقاً، فخوله الله من تلك النعم وأطعم منها الضيف وأصحاب العدم، فعظمه الله في عيون خلقه ووفق له مطلوبه على أعدائه فأعجب بنفسه ودخل فيه الرياء والإعجاب لما ملك الرقاب وخضعت له الرؤوس والأصحاب وخالف الكتاب ونفى أولي الألباب وظلم العباد وقرب أهل الفساد وقوى الظالم على المظلوم، وكان في زمانه رجل من الزهاد يعلم الصبيان وأهل الرشاد فعمد الأمير عليه بالشتم بمحضر العباد وغرمه بسبب امرأة متمردة محبتها الظلم والفساد والعناد، فتضرع الزاهد إلى الله تعالى بالدعاء وسمع هاتفاً بين اليقظة والمنام يقول الدعاء استجابه الله للمظلوم ولكن له وقت معلوم، ويدعون به الناس كلهم على هذا الملك الغشوم ثم نزل به البلاء والهموم في كل العموم، فبعد هذا رأى

(١) في الأصل : الخوناء .

العابد في منامه جبلاً عظيماً انهد في دار الأمير كلها وكأنها لم تكن داراً خاوية من البيوت والأموال، فسأل العابد عن رؤياه .

فقيل له إن الملك وداره سينزل غضب الله عليهم فظهر في قوم الملك الاختلاف وأرادوا من الملك أن يكون منصفاً بينهم، فمال قلبه عند الفسقة فتاهوا وتمردوا وطغوا وأعانهم الملك على فسادهم وظلمهم، فعزم الملك لظلم المحقّين فهدم بيوتهم ومساجدهم ودكّ أفلاجهم وآبارهم وغيّر أرضهم ونخيلهم ونفاهم من البلاد، فاستعانوا عليه بقوم أولي بأس شديد فجاءوا بجيش عظيم فقتلوا أصحابه، ثم ولوا عن القتال مدبرين فظهر أمرهم بالضعف في أمصار السلاطين، ثم وصل رجل مع الملك المعظم فأرسل إليه الملك رجلاً يدعوه إليه، فقال الرجل: لدخولي على الملك شروط أولها: أن يكون لي مفتحة الأبواب ولا يكون بيني وبينه حجاب وعند نطقي للخطاب لا ينظرإلى أحد من الأصحاب، فرجع الرسول بالكلام وأخبر بذلك الملك فرجع إلى الرجل بالجواب، فدخل على الملك، فقام الملك ومشى إلى مصافحة الرجل وسأله عن الأخبار .

فقال له: ارفع عن مجلسنا الأشرار إن كان مرادك الأسرار، فهذه قصة تنبيك عن أحد من الأجناد قد دخل على مالك الأمصار من جميع الأقطار، فقال له : اعلم أيها الملك، أنت خلق من خلق الله تأكل كما يأكلون وتشرب مثل ما يشربون وتنام كما ينامون وعن قريب فتموت كما يموتون، مالي أراك لا تحكم بين الفريقين والمختصمين، أما تسمع لقول الله : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾[1] .

---

(١) سورة الحجرات : ٩ .

فقال الملك: هذا يحتاج إلى أموال جزيلة وقوم كثيرة فما الفائدة في الدار التي لا نفع فيها، فقال الأخباري للملك: أراك تنفق أموالاً في غير محلها وهذه الدعوة التي جئت بها أفتح لك أقفالها حتى تدخل من أبوابها ويتضح لك برهانها ويظهر لك نفعها برفعك لضرها، فاكتب أولاً صكاً للذين وليتهم في المدائن والقرى أن يندبوا إليك جميع أمراء القبائل وكل أمير معه صاحب لا ثالث لهما فكتب الملك إلى ولاته وجاء إليه المذكورون مسرعين فاجتمع عددهم ألف أمير ومعهم ألف صاحب، ثم دبر الملك أصحاب الأمراء إلى الملك الظالم العاصي ليأتوا به إلى الحكم والشرع الشريف هو ومن أعانه على ظلمه وإن عصى عليهم ليخصموه أو ينفوه هو وأصحابه من أمصار الملك، ثم قال لهم مع تشييعه إليهم: فإن جبنتم عن أمري قتلت أمراءكم.

فقالوا له : السمع والطاعة، وقصدوا في سيرهم عند إمام الظلمة حتى وصلوا داره فلم يأكلوا شيئاً من طعامه ولا شربوا ماء من أفلاجهم فأخبروه بقول الملك أنه أراده هو وأصحابه ليصلوا معه ولنأخذ خصماءكم في صحبتنا إن أطعتم أمرنا وإلا عزمنا على قتالكم؛ لأن الملك إن رجعنا عنكم بغير حجة يقتل أمراءنا، قال: فلما سمعوا الظلمة الكلام جبنوا عن القتال فاجتمع رأيهم على طاعة الملك فصاحبوه وحضروا مع الملك فأرسل إلى العلماء والحكام والعساكر والخدام في جامعة الأيام من شهر الحرام، فقال لهم الملك: أحضرتكم لتشهدوا وأنت أيها القاضي أمرتك أن تحكم بين هؤلاء الفريقين الخصمين فاحكم بينهم بما يسعك مع الله، فقال الحاكم: سأحكم بما أنزل الله في كتابه على لسان نبيه، فأقبل بنظره إلى الخصمين، وقال لهم: من كان له حق يظهر لنا دعوته ويأتي لنا شهادته،

فتكلم أحد من المظلومين وقال: اسمع أيها القاضي أشكو إليك من الأمير فلان بن فلان لما رأى بيننا تشاجر واختلاف وصح بيننا الصلح والانتلاف فهجم علينا في بيوتنا في غفلة الناس بالنوم فهدم بيوتنا ومساجدنا وخرب أموالنا وافلاجنا وآبارنا ونخيلنا وأروضنا ثم طردنا من دارنا، فقصدنا نريد العصبة من المسلمين فشايعونا من إحدى فرقهم وقصدنا إلى دارنا وكتبنا إليه كتاباً لا مرادنا شيئاً إلا الوصول إلى دارنا ونقيم بها، فلما وصل إليه الكتاب عض على أنامله وأقبل إلينا بجيشه ورمى إلينا بسهمه فعمدنا إلى القتال وصح بيننا وبينه الازدحام ثم ولوا مدبرين، وعلى بطونهم مكبوبين، والشهود عندنا بما تريدهم من الاثنين إلى المائتين إلى الألف وهم حاضرون عن يمينك وشمالك، فأقبل القاضي إلى الشهود وسألهم فشهدوا .

فقال القاضي لأمير الظلمة : كيف هذه الجرأة منك على الله وعلى خلقه، فقال مجيباً له : هؤلاء قد ابتدأوا بالظلم والقتال وما أخذتهم إلا بسبب جرأتهم على الرجال والأموال، فقال له القاضي: وإن ابتدأوا أولاً وصح بينكم الصلح ونكثت في ذلك عهودا كما قال ربك : ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾[1]، وقد حكمت عليك ومن تابعك ومن ساعدك بغرم جميع ما أذهبته عليهم من دقيق وجليل، فقال أمير الظلمة: ما تقول في دمومنا ورجالنا الذي ذهبت ؟، فقال القاضي: لا لكم فيها سبيل وهي هدر وأنتم المبتدأون المعتدون الظالمون، ثم أمر القاضي رجلين ثقتين أن يقوما بما ذهب على المظلومين فبلغ في حسابهم مائتي ألف وعشرين ألفاً .

---

(١) سورة الحجرات : ٩ .

فقال القاضي لأمير الظلمة: أعطوا خصماءكم حقوقهم فعجزوا عن الدراهم وبذلوا أموالهم وبيوتهم وسلاحهم وقماشهم فقوماه الثقتان بمائتي ألف وبقي عليهم عشرون ألفا فكتب عليهم الملك والعلماء، وسجل القاضي فأمر بحوزها وأمر الظلمة أن ينزلوا من البيوت ويجعلوا بيوتاً من خيام، وحكم عليهم بالعشرين الألف ليخدموا كل يوم في نهارهم لطلابهم ولكن جعل لهم نفقة وكسوة بقدر ما يتقووا به على الخدمة ومن الكسوة ما يكسون به عوراتهم ونسائهم فمكثوا يخدمون الأفلاج والبلاد حتى استقامت كما كانت، فأحيى الله قوماً وأمات قوماً قال فنظر الملك إلى المخبر فكرمه وعظمه.

قلت لذي الغبراء : كيف حكم عليهم بعد الإفلاس بالخدمة ، والله (سبحانه وتعالى) يقول : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[1] ؟ قال : هؤلاء ظلمة أصروا على الصغائر، وارتكبوا الكبائر، ولم يقبلوا الحق إلا بالقوة والقهر وهذا فرق بينهم وبين المديون أو الذي أحاطت به المصائب بذهاب الأموال في السفر أو في الحضر من غير تعمد منه لذهاب حقوق الناس والصدقات، وقد أمر الحاكم منادياً ينادي بإفلاسه فهذا بعد الافلاس لا يكلف على التسليم ما دام عاجزاً والمسألة الأولى أمرناهم أن ينظروا أحوالهم بالنفقة والكسوة ولما يحتاجون إليه أن يقيموهم وأخذناهم بالخدمة لهم حتى يستقيم أمر المظلومين وتعلو كلمتهم على الظالمين .

قال رجع إلى قصة الخبر : فقال الرجل للملك : فاقتف أيها الملك بالملوك، وإن أردت القوة والعز فاجتهد واعمل بكتاب الله وسُنة نبيه

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٠ .

وعليك أن تراعي أصحابك وتنفعهم بمالك حتى يكونوا لك أعوانا فامتثل الملك الكلام وأعطاه من الهدايا والإطعام والكساء للأجسام فقال الرجل للملك أتحب أن أخبرك بقصة ؟، قال: نعم، فقال: اعلم أن أميراً خصمه أمير فلم يقدر عليه بحيلة عن عداوته ثم أقبلت نكبات الأمير فخاف من الأمير الذي أثر فيه العداوة أن يساعد عليه فأرسل إليه أناساً للصلح ومناه بالأماني، فلان قلبه وسار شفه[1] كشفه .

ثم أقبلت الجيوش إلى هلاك الأمير فأراد هذا ردعها واجتهد في أمرها فلا قدر عليها فدخل في قلبه الغيظ فأصاب الأمير وأصحابه الإنكسار فحزن هذا الأمير عليه، انظر في تقليب القلوب في طول زمانه يريد هلاكه، فلما حق عليه القول من رب السماء وسلط الله عليه جنوداً غيره هاله الأمر ثم كشف له الغطاء ورد على أصحاب الأمير فدل على مواشيهم وأخذ أموالهم فأصحاب هذا الأمير دخل في قلوبهم الغيظ وقصدوا بجيشهم إلى طلب عدوهم فسلطهم الله عليهم وهدموا دارهم وأعانوهم الهاجمون على الأميرالظالم سابقاً وأراد هذا الأمير يؤلف الظالم، فأقبل الظالم بأناس للصلح، فجعلوا بينهم أياماً معدودة، فدبّر أصحاب الأمير الظالم إلى أخذ حصن بيت المال ليغيظ به الناس، فأقبلوا إليه بجيوشهم فنصرهم الله عليه وأخرجوه من القصر، ومشوا إلى دياره، وقضى الله ما قضاه من خشْي الأموال ودكّ الأفلاج وقتل للرجال وأحاطوا به القوم.

وهاك في قصة الاعتبار: رجل قرّبه السلطان وأراد أن يوليه على بعض حصونه وخزائنه، فقال الوزير للسلطان: لا تتعجل، الناس بالتجارب، فاعتبر هذا الرجل قبل أن تدخله في شيء من الأمور فأخذ

---

(١) الشف ، أي : الميل إلى إنسان ومحبته ، وتطلق عادة على العصبية لقوم أو لشخص .

الأمير شيئاً من الحروف، وقال للرجل: اصرف لنا هذه الحروف [1] فأخذها الرجل وخفى لنفسه عشرين حرفاً فصرفها وجاء بالدراهم إلى الملك، فقبّضه أياها، فدبّر الملك للصراف وقال له: كم صرف معك الرجل من الحروف، فقال له: كذا وكذا إلا عشرين حرفا، فسأل الملك الرجل عن العشرين حرفاً فأخفاها وقال: ما أدري ولعلها ذهبت من يدي فبانت خيانته بالتجربة .

وهاك قصة لمن طلب شيئاً وجعل مطلوبه في يده فأحال بينهما الأمر: فهذا رجل عمل الرياضة فحضروا الجن بين يديه وأراد منهم العهد فوقفوا بين يديه ليعاهدوه، ثم تشبه أحدهم بولده فأقبل عنده وقال له: أريد أن أدخل معك في إحاطتك خوفي من الجن يا أبتي لسلامتي، ففتح له الباب فذهب صاحب الرياضة من ساعته .

ورجل سافر إلى بلد حتى وصل بقربها قال له قلبه هذه دار السحرة فرجع إلى داره فذهبت ايامه لا فائدة فيها . وكالذي بنى بيتاً ليحتمي فيه عن عدوه فلما تم بنيانه قيل له لا ينفعك هذا البنيان للاحتصان وليس يظهر فيه ماء فهدمه ورحل عنه فذهبت أمواله .

ثم سمع الملك الأذان وخرج إلى الصلاة .

ومن طريق الرؤيا سمعت رجلاً يقول إنه مر عليه الماء في الوادي وخطف[2] ببلد الظالم وما فيها، وآخر رأى جبلها طاح فيها.

اعلم أنها لاتحل فتنة بقوم إلا وتأتيهم من الملك العلام أعلامها

---

(١) الحرف : هو العُملة المسكوكة بالذهب عادة .
(٢) أي : مر .

بالرؤيا في المنام أو بنصيحة من الأتقياء الكرام والرؤيا الصحيحة مع الجهلاء والعقلاء، ورأينا أناساً لا يعرفون شيئاً ويفسرون رؤياهم قبل وقوع الأمر فتفسر ولا يختلف عليهم، وأما حملة القرآن فرؤياهم منه كمثل رجل رأى : ﴿ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[1] ، ثم رأى في رؤيا أخرى : ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[2] ، فذهبت القرية وما فيها، وشيء من الرؤيا بالفأل كرجل رأى في منامه أقبل عليهم رجل يسمى خائفاً فأقبل على بلده الخوف حتى رأى رجل في منامه أقبل على بلدهم رجلاً يسمى سالماً فرفع الله عنهم الفتنة، وكرجل رأى في منامه تكلمه امرأة تسمى خائفة فوقع في تلك البلد الاختلاف والتنازع وليس القتال للنساء وعلى أيديهن المكائد، وكرجل رأى في منامه مقبلة عنده أغنام فأقبل عليه الخير، ومثله الذي يرى في الصلاة أو في العبادة أو في الوضوء والطهارة والدعاء والتسبيح والصعود في القصور والجبال فيدل على صلاح الأمر الذي يطلبه، وأما الذي رأى انتقضت صلاته أو وضوءه أو هبط من الدابة أو الجبل فإنه لا يتم الأمر الذي يزاوله، وإن رأى أناساً يصلون ويؤمهم رجل في حلقة مستديرة فإن كان الرائي معهم فمستقيم أمره كمثلهم لأن الصلاة عليها العمل وإن لم يكن في صفهم فقد ضل رأيه عن رأيهم.

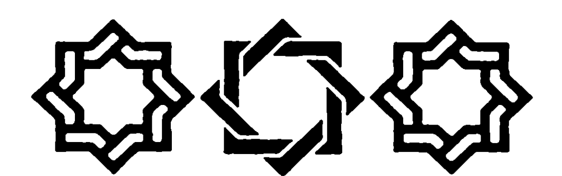
وإذا صلى الرجل على غير القبلة في رؤياه فالأمر الذي يطلبه لا يتم وإن كان مقبل بوجهه إلى القبلة فيتم أمره؛ لأن الاستقبال على أثر السنة والإدبار بخلاف عن الحقيقة، إلا أن فيها جوازاً للسقيم وللخائف

---

(١) سورة البقرة : ٥٩ .
(٢) سورة العنكبوت : ٣٤ .

ولراكب البحر إذا دارت به السفينـة بعد تكبيرة الاحرام، ورجل رأى كأن إنساناً بنى بيتاً فانهدم عماره[1] وجدره الدواخل سوى المحيط بالبيت فهذا الباني البيت يدبر أمراً فحين تم تدبيره انهدم عليه لكن بقي مستتراً لسبب الحائط ليس متضعضعاً، وكرجل رأى انقطع الماء الذي يجري في بالوادي في بلد غير بلده وبقي صيده ميتاً فهذا يدل على موت عالم البلد وبقي أهل البلد أموات بعد وفاته .

وكرجل رأى أحداً من الأموات يأكل شيئاً من الأطعمة فإنه يغلا (يرتفع ثمنه) الذي أكل منه الميت في تلك السنة، وكذلك إن رأى الميت يتلوه أحد من الأحياء فإنه يموت الذي قافي الميت وإن غضب الميت على أحد فالمغضوب عليه يبتلى ببلية فإن صافحك الميت أو ناطقك أو علمك أو أعطاك عطية أو رأيته في الصلاة والقراءة أو في تدبير الملك فذلك مما يدل على الصلاح، وإذا رأيت إنساناً مستقيماً في أمره ولباسه وجسمه على حاله فإنه يدل على رفعته وزيادة في حظه، وإن رأيت رؤيا مما يدل على ضعف جسمه ولباسه فإنها تحل به نكبة، وإن رأيت رؤيا مثل ماءٍ يسقى به أرضاً فيدل على صلاح تلك الأرض بالقطر من السماء، والرؤيا تختلف في الناس فمنهم من يرى رؤيا ولا يعرف تفسيرها ومنهم من يراها فتفسر كما يراها، والله أعلم، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد (صلى الله عليه وسلم) .



---

(١) أي : سقفه .

الذكر السابع عشر :

أوله في الطب عموماً، وفيه بيان العلل وفي طبائع الأدوية المشهورة والمستورة، وفيه قطع الحديد وقلع الطبوعات من الثياب، ومما يهرب منه الفأر والنمل والزنابير، وفيه ذكر عمل المداد، وفيه مسائل من الشرع في التزويج والدخول والطلاق والرد وفي حكم الطريق الجائز الجادة وغير الجادة وفي الوصية إذا كان الورثة أيتاماً أو أغياباً ، ومسألة في الصلاة

في الطب :

قال ذو الغبراء : رأيت صاحبي فريداً في مجلسه، وهو واقف على باب مسجده فأخبرني عن مسائل مجموعة في الطب والشرع، قال: الكافور ينفع شمه خصوصاً إذا وضع على الرأس والجبهة معجوناً بماء الورد، قال: ولا يزال رأسك مغطى وفي رجليك خفيك وادهن إن استطعت أخمص قدميك في كل ليلة وإن اشتد بك وجع الضروس أو الأذنين فادهن خصيتك ومذاكيرك ودبرك واجلس على تنور ساكنة ناره ساعة تجد من ذلك راحة لأن عروق الأسنان والأذنين ما بينهن مع عروق المذاكير أما تنظر إلى المذاكير إذا خصيت أو جبت لم تنبت اللحية ويسنحت الجلد، ولا تأكل مع من تستقذره [1] وأكثر من شم الطيب فإنه يزيد في الحفظ، ولا تجلس في موضع يتاذى منه نتن فإنه يمرض المخ ويهيج منه المرض وإن وأخذت فلفلاً وضربته بالعسل ومسحت به الذكر فإنه يعظمه كثيراً،

---

(١) في الأصل : تقذره .

وإن أخذت من ماء البصل ومثله عسل النحل وجعلته على النار حتى يذهب الماء وحدرته وأكلت منه كل يوم بقدر مثقال تجد فيه قوة للباه، وإن أخذت من المسك قليلاً وخلطته مع دهن حبر وطليت به رأس الاحليل أعان على كثرة الجماع وسرعة الإنزال، وإن أردت ضعفه فاسحق نصف مثقال كافور واجعله في ماء ثم اشربه وإن رش على رأس الذكر ماء ورد وكافور وشرب جرعة أضعفه، ومن أخذ من فور الحناء وهي الفاغية ويجعله في الماء حتى يطلق منه ثم تشربه فإنه يضعف الباه .

ومن داوم على ترياق الحلبة المطبوخة المهروسة بالسكر لا غير ذلك ذهب جميع الأورام من البطن .

وإذا كان الوجع في الجوف ظهر في الوجه، وإذا كان في الكبد ظهر في اليدين والرجلين وورم ووجع الكبد البارد يظهر بياض الشفتين واللسان، وإذا كان في القلب ظهر في اللسان، وإذا كان في الرئة ظهر في الأنف، وإذا كان كان في الطحال ظهر في الشفتين، وإذا كان في الكليتين ظهر في الأذنين، وإذا كان في المرارة ظهر في الحاجبين، وإذا كان في الاريتين ظهر في القيقعة والشوران وما كان في الذكر ظهر في الحنك والعارضين وما كان في الانثيين ظهر في الذقن والحنجرة .

صفة دواء للطحال: يشرب الماء الذي يطفئ فيه الحديد نافع لذلك، وإن أخذ التين اليابس والختف ويغلى بخل الخمر فإن غلى يطلع التين والختف ويلخ على الطحال نافع إن شاء الله تعالى .

أسماء بعض العلل ودواؤها :

وهاك بعض أسماء العلل: الشوكة حمرة تعلو الوجه والشوصة وجع الصلب والعلوصة وجع البطن واللوصة وجع الخاصرة .

ولرياح الجوف وغيرها الكمون والفلفل يستف منه، والسعتر يحلل النفخ ويطرد الرياح ويدر البول وينزل الحيض وإن قطر ماؤه في الأذن مع لبن المرأة يسكن وجعها ، والحرمل إذا دهن به الرأس والبدن قتل القمل .

اعلم أن الحنطة والسمن المنقص ثقيلان حاران رطبان، وأما الحارة الرطبة الملينة الخفيفة الدنجو واللوز ولبن البقر من تحت الضرع ولبن الضأن ولحمها والزبد ولحم الدجاج والرطب والموز في الصيف والرمان الحلو والعسل منزوع الرغوة والشونيز وأما الصبر معتدل .

وأما الحار اليابس المعتدل الخفيف ماء اللوبيا والأرز والعسل والسمسم ولبن الإبل والسمن وقيل سمك المالح والثوم والتمر والعسل النخل برغوته وقول الشونيز والحبة الحمراء والفلفل والزنجبيل والسليط والكندر والقرنفل، والقابضان المصطكي وعجم الزبيب، والبارد اليابس الثقيل كالشعير والدخن والعدس واللوبيا والباقل والجبن ولحم البقر والإبل .

وأما البارد اليابس الخفيف لبن الإبل الحامض ولبن الرقيق والرمان الحامض والسفرجل و ....[1] والخل وملح الطعام وهليلج الأصفر والكابلي والأسود والعشرق .

وأما البارد الرطب الخفيف لبن الماعز ولحمها والسمك الطري والقثاء والبطيخ وبذر قطنة، والبارد الرطب الثقيل لبن البقر الممخوض إذا برد والروب وزلال البيض والفجل والموز في الشتاء .

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل .

وأما الأطعمة التي تطلق الطبيعة مثل خبز الخشكنان مطلق ملين والبطيخ والتين الرطب واليابس والعنب والحلو والخبز العتيق إذا أكل بالعسل سهل الحرارة والعسل إذا أكل منه من غير أن تنزع رغوته لين الطبيعة والشراب الحلو يعين على تليين الطبيعة والسكنجبين أيضاً محرك للطبيعة .

ومما يحبس الطبيعة العنب والرمان والتفاح إذا كانت قابضة وأكلت قبل الطعام حبست الطبيعة وكذلك البيض المسلوق والمشوي ولحم الأرانب إذا شوي ويشرب بالعفص، والمسخنة للطبيعة الحنطة وخبزها والحلبة والتمر والتفاح والزيت ومن البقول الجرجير والفجل والسلجم والخردل والجزر والبصل والكراث والثوم والخبز والعتيق .

والأطعمة المضرة لصاحب الطحال يجتنب. الأطعمة الغليظة مثل الهريسة والعصيدة والجبن واللاقط وأكل اللبنيات سوى السمن والزبدة ومن الشوى والكبابة والتمر والرطب والدبس والبصل الني والثوم والبقول الحريفة والحلوى والعنب الحلو الحار والأطعمة الحلوة ولحم البقر ولبن الغليظ وكثرة شرب الماء، وما يولد دماً غليظاً كالزبيب والبوت وما كان بطيء الهضم ويجتنب مباشرة النساء .

وأما السفوف التي تقطع البلغم وتقوي المعدة وتقطع الرطوبات الفاسدة ويطرد الريح المتعقدة ويطيب النكهة ويحسن الصوت ويزيد في الحفظ ويذهب النسيان ويحرك الباه يؤخذ فلفل وزنجبيل أجزاء سواء يدق ناعماً ويضاف إليهما مثلهما سكر الأبلوج ويخلط الجميع بالسحق الناعم ويؤكل منه مع النوم مثقالين وقبل الغداء مثقالين .

قال : وعليك بالدسم والحلوى والحمام والطيب واجتنب الغبار والدخان والنتن وكان يقال راحة الجسم في قلة الطعام وراحة القلب في قلة الاهتمام وراحة اللسان في قلة الكلام وراحة الروح في قلة المنام.

وكان يقال من السموم كل شيء مغموم وكل لبن فاسد وكل سمك منتن وشرب الماء في ثلاثة مواطن مخوف وربما قتل فجأة شرب الماء في الحمام وشرب الماء بعد الجماع قبل أن يسكن الروع وشرب الماء عند اليقظة من النوم وإدمان شرب الماء في أوان الزجاج يورث الدق وطول المكث في الخلاء يورث البواسير وأكل البطيخ على الريق يورث أمراضاً صعبة وربما يورث موت الفجأة ومن أكل البصل وشرب الخمر فهو سم قاتل كثرة الجلوس وقلة الحركة يورث النقرس أكل السمك والبيض في يوم واحد يورث القولنج شرب الماء على البطيخ يورث البرص ومن أدهن سرته لم يخف، ومن أدهن أسافل رجليه احتد بصره وعوفي من ضعف بصره.

ولحسن الصوت يؤخذ من العلك أوقية ومن العسل أوقية ومن الصمغ أوقيتين يطبخ العلك والعسل ويدق الصمغ ويخلط الجميع ويلعق منه بكرة وعند النوم، وأما الذي يمشي فراسخاً ويحصل عليه من ذلك تعب شديد وخمود في المفاصل فيؤمر أن يبل أظفاره بدهن فإنه يسكن وينفع أن يقوم الإنسان تاعب من المشي في الماء البارد إن كان صيفاً وفي الماء الحار إن كان شتاءً وليكن ذلك إلى ركبتيه ولا يصب منه على بدنه شيئاً.

ومما يضعف النظر أكل الملح المالح، وإدمان النظر إلى البغيض،

والنظر إلى الجيف، والنظر إلى عين الشمس، وضوء البرق والنور والنار.

وإن أردت أن لا يصيبك ماء في عينك فأكثر من شم السفسف وادهن بدهن تسلم، ولا تأكل من السمين في فصل الربيع والصيف فإنه يهيج المر والدم وتأكل شيئاً تقذره النفس فإنه داء لا دواء له مثل الجذام وأشد منه.

وإذا أردت أن لا تثور بك مرة ويزيد عقلك فلا تخرج حتى تأكل على الريق اهليلجة سوداء كابلية مع شيء من سكر الطبرزد.

وإن أردت أن تسلم من السعال والسل فاحسو كل ليلة سبع حسوات ماءً ساخناً عند النوم ولا تأكل السمن والعسل بالسوية حتى يزيد أحدهما على الآخر، وكذلك العسل والماء الممزوج به ولا تأكل السمن من وعاء الصفر قد لبث فيه عشرة أيام فإنه سم قاتل واللحم إذا أتى عليه مدة ثلاثة أيام وهو نيء فإنه يضر ولا ينفع والعنب ما وجدته حديثاً فأكثر منه فإنه سيد الفاكهة وإذا عتق فلا خير فيه، وإذا أكلت الفجل فلا تأكل بعده العسل فإنه داء خبيث، وإذا أكلت السمك أو طير الماء أو طير البحر فلا تأكل بعده اللبن الرائب فإنه خبيث، وأكثر من الاغتسال في أيام الربيع إن استطعت وشرب الماء فإنها أيام شيطان[1] الدم ولا تطل الجلوس في الشمس، وإن أخذ الإنسان من كبود الغزلان وهي أولاد الظباء الصغار ثم تشرح وتجفف في الظل ويؤخذ كوزنها من اللوز المقشر ويسحقهما ناعماً ويضيف إليه من ورق البنفسج ويسحقه بدهن اللوز حتى لا يعود يشرب

---

(١) أي : فوران .

ثم جففه وارفعه لوقت الحاجة فمثقال منه يقيم عليه الإنسان ثلاثة أسابيع لا يشتهي الطعام.

ومما يغني عن شرب الماء شهراً يؤخذ كمون المكرماني ودقه واعجنه بعسل منزوع الرغوة ويأكل منه بقدر الجوزة فإنه يغنيك عن الماء شهراً فاكتمه عن السفهاء فإنه سر عظيم.

وإذا أردت أن لا تشرب الماء شهراً فخذ قلب غراب يجفف ويدق وينخل ويشربه الإنسان فإنه لا يشرب الماء شهراً لأن الغراب لا يشرب الماء شهر تموز وتموز بدرجة الأسد تنزل الشمس فيه وهو إحدى وثلاثون يوما.

وإذا أردت أن تقطع الحديد بالسكين وهو أن ينقع أي يخله بالماء يوماً قليل نوشاذر واغمس فيه السكين حامية وتسقى سيأتي في سقي السيوف كما ترى، قال بعض الحكماء ولسقي السيوف واستخراج فريدها وجوهرها يؤخذ كبريت أصفر رطلاً مسحوقاً ناعماً ويدعه ثم يصب عليه ثلاثة أرطال خل خمر وتجعله في الشمس سبعة أيام ثم يصفى الخل وتجعل أيضاً عليه رطل كبريت آخر مسحوقاً ناعماً وتدعه سبعة أيام أخر ثم يصفى ويجعل في إناء فإذا أردت تسقي السيوف وظهور فريدها وجوهرها فخذ من الاهليلج شيئاً جيداً فتدقه جيداً ناعماً وتدلك به السيف بقطعة جلد فإنه يخرج له جوهراً حسنا.

وإذا أردت قلع الصبوغات والآثار من الثياب يؤخذ حلتيت وخل وأشنان مصري وملح من كل واحد جزءاً يخلط الجميع ويغسل به موضع الطبوع مراراً فإنه يقلعه، وإن أردت دلك بالحامض والأترج أي طبع كان

قلعه.

ولقلع الجير حماض الأترج يغسل وبعد ذلك بالأشنان والخل، ولقلع الجير يغسل بالتمر المحبرط ثم بالصابون، ولقلع المداد يغسل بالملح والحليب ثم بالصابون، ولقلع كل شيء يؤخذ خرا الحمار يفرك في داخل الماء ويغسل به الثوب ينقى .

ولقلع الاصباغ يدخن بالكبريت والثوب رطب ثم يغسل بالصابون فإنه أجود ما يكون وأي الأصباغ كانت في الثوب فإنها تذهب بالمرارة وبول الإنسان ويغسل بالصابون .

ولقلع السمن والودك وغيرها يؤخذ لبناً حامضاً ودقيق شعير وطين أحمر فاغسله بماء فإنه يذهب .

ولقلع جميع الفواكه والرياحين وقشر الرمان فخذ حرض وبورق وصمغ الطلح أو السلم فاغسله ثم بالصابون فإنه يذهب.

ولقلع الرمان الأحمر من الثوب يغسل بحب الرمان الأبيض والأبيض يغسل بالأحمر، وكذلك العنب الأسود ويغسل بالأبيض والأبيض يغسل بالأسود ويدخن بالكبريت، وكذلك الدم إذا إذا أصاب الثوب يغسل بدم فرخ يذبح عليه ويدلك به ساعة ثم يدلك بطحين وماء حار فإنه يذهب من ساعته.

ولقلع النطفة يطلى بالسكر الأبيض على المني ويجرى عليه الماء ويحكه به فإنه يقلعه ويقلع أيضاً بماء الباقلاء والصابون، وقلع النطفة يطلي فوق النطفة بسمن بقر ثم يغسل بالصابون فإنه ينقى ، والله أعلم .

وإن أخذت الجلد ورطبته بالماء وبخرته بالكبريت الأصفر يجيء لونه لون الذهب .

صفة صبغ الخوص اليابس: القلب الأبيض يجعل فيه خثاء البقر الرطب سبعة أيام أو أكثر ثم يخرج ويغسل ويجفف في الشمس ويؤخذ الفوة مدقوقة ناعمة وتطبخ بالماء حتى يخرج منها فيه الصبغ ويلقى عليه شب وكاييا ويلقى فيه الخوص ويطبخ حتى يحمر .

وأما صبغه أسود: يؤخذ له سح فرض ويمرس بماء فيكون مثل الشيء المربرب ويجعل في جحلة هو والخوص ويذر عليه فوقه خردة الحديد المسحوق واتركه عشرة أيام ويخرج ويغسل ويجفف في الشمس ويؤخذ حب الرمان ويدق ويطبخ حتى يخرج صبغه ويطبخ فيه الخوص حتى يسود .

وصبغه أصفر: فهو بالجزع كما ذكرناه في الفوة، والشيعة يصبغون شعر لحاهم يأخذون الوسمة وهي ورق شجرة النيل يدقونه دقاً ناعماً ويجعلون عليه حماض اللومي القديم ويعجن بالماء ويحمر به كما يصنع بالحناء في الصبغ ويضمخ شعر اللحية به ويكون مستلقياً على قفاه بمقدار ساعتين ويغسله ويجففه ثم يلطخه كذلك بالحنا ساعتين ويغسله فإنه يسود سواداً لا يزول أبدا ولكن بعد شهر يظهر قليلاً عند منبته بالبياض فيعاودونه في كل شهر لأجل ذلك.

وإن سحق الشب بالخل وطلى به الأبطان أذهب نتن الصنان، وشجرة الحرص وشجرة المطاوعة وهي شجرة لزجة تنقيان الوسخ من الثوب والبدن، وتراب الأرز والطحين إن دلك به اليدين إذهب الدهن

منهما، وإذا أخذ ورق الحنظل وسحقه ونثره في جحر الفار قتله أيضاً وكل حيوان تركه في جحره قتله وطرده.

ومن أخذ حنظلة ونثرها في بيته أمن من لدغ كل دابة مؤذية في بيته، وأما النمل تهرب من رائحة الكبريت والحليت والقطران ومرارة الثور، والزنابير تهرب من بخار الكبريت والثوم، والرمة تهرب من دخان وريش الهدهد وريش الكركي والكزبرة وتهرب من الحبن واللثب إذا وضع في جحرها أعني الرمّة، والريحان إذا بخر به البيت أو افترشه طرد الهوام وشرب مائه ينفع من نهش الهوام، وإن شربه قبل اللسع لم تفعل فيه الدواب المسمومة شيئاً ولا يضره لدغها وإن ضمد به موضع اللسعة نفع ، وإن شرب ادر لدم الحيض وإذا قطر ماؤه في الأذن سكن وجعها وبدله الصمغ العربي.

عنب الثعلب إذا أكل ورقه نافعاً للأورام الباطنة وإذا ضمد به الأورام الظاهرة نفعها وهو قاطع لكثرة دم الحيض إن شرب أو احتمل، والقسط إذا تدخنت به المرأة نزل دم الحيض وإذا شرب منه نفع من لدغ الأفاعي ، وإذا سحق ورق العصفر (الشوران) وشرب نفع من لسع العقارب وعرق السعد مثله.

وهاك صفات في عمل المداد يؤخذ عفص وقشر الرمان بالسوية يدق وينخل ويجعل عليه خل حامض ويعصر بخرقة، أو يؤخذ مثقال دخان وربع مثقال صمغ يدق ناعماً ويجعل عليه ماء ويكتب به، أو يؤخذ أربعة أسهم حبر وسهم سمد ويدق ناعماً ويجعل في فنجان واسكب عليه الماء حتى يعلوا فوقه بقدر راحة الصبع ثم اتركه ليلة وفي النهار خذ خرقة

جيدة وصله بها واتركه في الدواة ثم اكتب به، أو خذ من الحبر أربعة عشرمثقالاً ومن السمد خمسة مثاقيل ومن الماء اثني عشر مثقالاً يخلط الجميع من ساعته ويكون مسحوقاً ناعماً واكتب به، لكن سمعت الشيخ ناصر بن أبي نبهان يقول إن السمد يأكل القرطاس، ومداد ينوب عن الذهب زرنيخ أصفر وقليل زعفران فيسحقهما سحقاً ناعماً ويضاف إليه مثل الزرنيخ من الصمغ العربي ويخلط عليه قدر الكفاية من الماء ويكتب به، وإن سحق الزرنيخ الأحمر مع مثله من الصمغ وكتب به خرج في غاية الحسن، وإن سحق الجزع وألقي عليه من ماء القلي أتى في غاية الحمرة.

في عمل المداد هو أن تأخذ خلطاً ثم تسحقه فتنخله ثم تأخذ صمغاً كان طلحاً أو قرطاً فتنقعه بالماء إلى أن يصير كالعسل ثم تخلطهما جميعاً تخليطاً كلياً ولا تزال ساعة تفركه بيدك حتى يختلط كما ينبغي فإذا عرفت اختلاطه خذ ماء الجير المنقع أو ماء الحناء فاصببه عليه قدر ما هو يكون ليكون مناسباً في الكتابة ويخلطه به ثم يصله بخرقة نظيفة ويجعله على النار حتى يفور وتم ذلك، والصمغ لا قياس له على قدر كثرة الخلط وقلته، هذا كتبه الشيخ للناسخ عبدالله النخلي في بندر مسكد بمحضر سيدنا العالم ناصر بن أبي نبهان بمسجد الخور.

خضرة تنوب زرنيخ أصفر جيد يسحق ناعماً ويضاف إليه مثل عشره من النيل الهندي يطعم به في السحق شيئاً فشيئاً حتى ترضيك خضرته ثم تضيف إليه مثل الجميع من الصمغ مسحوقاً منخولاً ويترك عليه قدر الكفاية من الماء العذب فإنه يأتي في غاية الحسن والخضرة، مداد ينوب

عن الزنجفر يؤخذ من اللك الطيب ويسحق ناعما ثم يقطر عليه في السحق ماء الأشنان إلى أن يغمره ثم تضعه على نار لينة وتحركه بملعقة إلى أن تنمي حميم في ذلك الماء فإنه يأتي في غاية الحمرة.

مسائل في الزواج والطلاق والوصية :

قال ذو الغبراء: سألني بعض الأخوان عن بعض من مسائل الأحكام في حكم الزوجين، فقلت له: لا علم معي في الدماء والفروج وهذا سؤالك أقصد به مع العلماء خليفة الأنبياء، قال: اكتب لهما سؤالاً فكتبت: ما تقول ايها الشيخ عامر بن علي في رجل قال لزوجته إن نلت هذه السكين أو أخذت هذه السكين صاش مفارقة أتطلق زوجته إن لم تأخذ السكين وهل تدخل عليه حروف الإيلاء أم لا ؟.

الجواب وبالله التوفيق : أما على فعلها هي فلا يدخل عليه الإيلاء ولا تطلق زوجته ما لم يقع منها ما حلف عليه ، وإن وقع منها فعلى لفظه هذا لها يجري الاختلاف ، قول : تطلق بهذا اللفظ لأن الفراق اسم من أسماء الطلاق ؛ وقول : على نيته ثقة كان أو غير ثقة ؛ وقول : إن صدقته وقال لم ينو بطلاقها بها جاز لها المقام معه ثقة كان أو غير ثقة ؛ وقول : يسعها التصديق له إن لم ينو به الطلاق إن كان ثقة وإن لم يكن ثقة لم يجز لها تصديقه وأرجو أن لها استحلافه فإذا حلف جاز لها وإن نكل لم يجز لها المقام معه والله أعلم ؛ والسلام عليكم شيخنا وذخرنا وأخانا الثقة خميس بن راشد العبري ورحمة الله وبركاته لا عدمناك ذخراً لنا مدة الحياة إن شاء الله ، نسأل الله أن يمتعنا ببقائك سالماً غانماً مسروراً ، من العبد الفقير إلى الله عامر بن علي ، سلّم لنا على كافة المشائخ والأخوة

ومن لنا كافة ما ذكرت ومن يرد حاجة تقضى إن شاء الله .

مسألة أخرى : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى الشيخ المحب الثقة عامر بن علي :

ما تقول في رجل تزوج المرأة ونقلها إلى بيته ولم يدخل عليها ثم طلقها بلسانه سراً ولم يخبرها ثم قصد مع وليها فزوجه بها تزويجاً جديداً فجاء الرجل بالليل ودخل على المرأة وجامعها والمرأة لا علم عندها بالطلاق ولا بالتزويج الثاني أتحل له على هذه الصفة أم هي حرام؟، وإن كان فيه اختلاف عرفنا بالرأي الذي يعجبك من قول المسلمين ومن لزوم الصداق؟.

الجواب: وبالله التوفيق فعلى صفتك هذه إن طلاقه لها واقع بها وقد خرجت عنه ولا عدة عليها وعليه هو نصف ما فرض لها من عاجل صداقها وآجله وقد حلت للأزواج لأنها من حين ما جرى عليها طلاقه صارت أملك بنفسها أن لو علمت بطلاقه لها وبينونتها منه وتزويجه الثاني بها سراً بغير علم منها به ولا بخروجها منه بالطلاق وهي حرة بالغة الحلم فقد جاء عن أهل العلم ما يدل على منعه إلا إذا علمت بالخروج منه وبالتزويج بها ثانية على هذا فتزويجه بها باطل لا يجوز الدخول بها على ما هي عليه من جهلها بالجاري منه وعلى أن معها دخوله بها على التزويج الأول فأشبه به معنى ما يدل على القول بفسادها عليه من غير قطع مني بذلك؛ لأنه عسى به شيء من الاختلاف بالرأي وأنا لم يحضرني لكنه في النفس ما يدل عليه فانظر فيه وعساك تعرف الشيخ سيدنا الفقيه ناصر بن أبي نبهان عسى يرى في ذلك رأيه أو يحفظ فيه شيئا .

وهاك مسألة من جواب الشيخ سعيد بن بشير الصبحي رحمه الله:

ومن تزوج امرأة ورضيت به وطلقها بلا علمها قبل دخوله بها وتزوجها ثانية ولم يعلمها بالطلاق والتزويج الثاني وهي تظن أنه دخل بها بالتزويج الأول ومضى على ذلك قليلاً أو كثيراً وهو يظن أن ذلك جائز أتحل له على هذه الصفة أم لا ؟، الجواب: إن هذا الرجل إذا طلقها ولو لم تعلم به وهو لم يدخل بها فقد انفسخت منه لأنه لا عدة عليها منه وحلت للأزواج وصار هو وغيره فيها سواء فإذا تزوجها ثانية بولي وشاهدين فلا يجوز تزويجها ولا تثبت عليها زوجته إلا برضاها بعد إخبارها ولا تكون له زوجة على هذه الصفة لأن شرط الرضى قد اختل هنا ولا يصح تزويج إلا برضى المرأة وهذه بعدة طلاقه لم يصح له سبب فيها إذا خرجت منه وبانت ليس هذه كالمطلقة إذا لم يخبرها بالطلاق تجوز له أن يردها بلا علمها ولا إخبارها لأن هناك أسباباً زوجية ثانية وهي وارثة كالزوجة وحكمها حكم الزوجة ألا ترى إلى قول أهل العلم في المختلعة والمبارءة لا يجوز ردها إلا برضاها وهي سبب العدة منه لأنها بائنة فكيف بهذه إذا لم يبق ثم سبب فهذا حرام حرام وهو تزويج مفرق بينهما ولا تحل له والله أعلم.

قال العبد الفقير إلى الله عامر بن علي :

صحيح هذا الجواب الذي أجاب به الشيخ سعيد بن بشير وهو رأينا وعليه معتمدنا وإن قال قائل بخلاف ذلك واحتج هنالك بتزويج الصبيان لبعضهما بعض وبالإجازة من عامة من أهل العلم الدخول بينهما وتمكين البالغ لجماعه الصبية المزوج مع مراعاة شرط رضاها بعد

بلوغها إلى غير ذلك من الحجج فلا نقول أنه أخطأ في الرأي وإن كنا لا نقول به ولا نعمل عليه حال حصول إقرار الزوج أنه لم يدخل دخولاً يوجب عليه حكم الداخل بزوجته في جميع أحكامه لعلل يراها داخلة على من قاسه بتزويج الصبية ومعاني يدل على افتراقهما والله أعلم اختصرت القول عن بسط العلل لضيق القرطاسة.

قال غيره: إذا لم ير العالم صحة رأي ورأى الأصح غيره فلا لوم عليه إذا لم يقل به بل عليه أن يقول ويعمل ويفتي بما رآه أنه هو الأقرب إلى الحق كما اعتمده هذا الشيخ، ولكن لا تدل عدم رؤية صحته هو على أن ذلك ليس برأي صحيح عند من رأى صحته ورأى ما احتج به أنها حجج تدل على صحته كما رأيناه نحن فقلنا ولا يكون قول عالم بصحة رأي دون غيره حجة على غيره ممن رأى الأصح ذلك الغير والعالم ينظر الأعدل والآراء كما ذكرناه ويعمل بذلك الأعدل ولا يبطل رأي غيره والله أعلم.

ثم عرفنا الشيخ العالم ناصر بن أبي نبهان ما تقول في رجل تزوج امرأة وأنقلها إلى بيته تدخل وتخرج وتأكل وتشرب من عند زوجها وتنام مع أمه وأولاده ثم طلق المرأة سراً في نفسه بلسانه ومكث بقدر شهري زمان ثم بدا له أن يتزوجها ثانية فحضر الولي والشهود وتزوج بها بمحضرهم وقصد إلى بيته وجامع المرأة ولم يعلمها أحد بما صنع الرجل من الطلاق والنكاح الثاني وهذا التزويج الثاني على أصله ؟، أم هو كالرد بين لنا ذلك هي حلال أم عليه حرام أم فيه شبهة لأنها في بيته فإن كان عليه حرام فما يجب عليه من الصداق ؟ .

الجواب: إن كان قد دخل بها كما ذكرت أنهما في بيت واحد مع أهل بيته وإن كان قد سترهما موضع من البيت عن أهل البيت واتفقا أن كانا هي وإياه في البيت وليس فيه أحد من أهل البيت معهما أو كانا في موضع ستر البيت أو غيره فهو في الحكم داخل بها وتلزمه أحكام الداخل بها وإن كان لم تمض عليهما وقفة في ستر هو وإياها لا غير ولو كانت في بيته مع أهل البيت فحكمه غير داخل بها وإن ادعت أنه دخل بها فلها الحجة عليه لأنها في بيته فالقول قولها مع يمينها إن طلب منها اليمين، وكذلك لو ادعى هو أنه داخل عليها وأنكرت هي فالقول قوله لأنها في بيته بخلاف أن لو كانت في معزل عنه فالمدعي بالدخول منهما على صاحبه هو المدعي إلا بالصحة العادلة فافهم، وإذا تقرر أحد هذين الحكمين فيهما فطلاقه لها في موضع يكون حكمه داخلاً عليها بطلاق يملك فيه ردها يجوز له أن يردها بشهود ممن يجوز لهم الرد رضيت بذلك أو كرهت في موضع ما يجوز له بغير رضاها ولا يجوز له إلا بشهود ولا يجوز إلا بمن يجوز له الرد بهم ولكن لا يجوز له نكاحها إلا أن يعلماها الشاهدان بالرد ولا اختلاف في هذا ولو كان قد وقع الطلاق بغير علمها وقد قيل غير هذا إذا كان بغير علمها إذا كان قد نطقت به لسانه وإن كان طلقها وهو في الحكم لم يدخل بها فقد بانت منه وليس له مراجعته لها بالرد وإنما له أن يراجعها بتزويج ثاني وفي الأثر أن يكون برضاها وولي وشهود وعقد وإن اختل ركن لم يجز التزويج وهذا هو الحق ولكن ليس فيه دليل ما يمنع من جوازه إن لم يصح منها رضى ولا كراهية إذا علمت التزويج ولم تغيره وطاوعت في الدخول إليها من الزوج.

وقد جاء في الأثر: أن سكوت البكر رضاها ولو سكتت الثيب

وعلمت بالتزويج ولم تغيره وطاوعته في الدخول لجازت له وجاز لها وكفى بإجازة دخول الزوج على الصبية المزوجة ونكاحه لها على قول من أجازه له منها وأنه لهو الأشهر والقول به وعلمها بالتزويج قبل الدخول وحين الدخول بها سواء ورضاها به وغير رضاها به سواء فصح أن ركني الرضى أريد به أنه لا يجوز على كراهيتها وقله رضاها إن ظهر منها غير الرضى لا غير أو لو زوجت بغير علمها وأخبرت ولم تنكر ولم يصح منها رضى ولا كراهية ودخل عليها الزوج وجامعها لم تقل أنه تزويج فاسد إذا لم يصح رضاها فإن قلت إن مسالمتها ومطاوعتها هو رضاها قلنا إن كانت بالغة الحلم لم يصح رضاها عند العقد وإنما صح عند نكاحها وإن كانت صبية على قول من أجاز نكاحها فرضاها وقلة رضاها سواء لأنها غير مالكة أمرها فلما جاز هذا كله في الصبية وما ذكرناه في غير الصبية من البكر والثيب لم يبعد من إجازة هذا التزويج الثاني إذ قد صار بولي وشهود وعقد ولو ظنت أنه الأول ولم تعلم بالثاني ولكن الثاني قد صح بالعقد والشهود وصح أنه لم يدخل إليها إلا بتزويج وهي تعلم بالطلاق الأول فهو لها حلال إذ لم تقم الحجة عليها بما يحرمه عليها وهو له حلال لأنه أخذها بالتزويج ومتى علمت أنه طلقها وجدد التزويج وأتمته وإن نقضته فلها النقض إذا صح أنها لم تعلم به.

فإن قيل: إن هذا نقض لما أصّلته فنقول ليس الأمر كما ظننت لأن الصبية وإن دخل عليها المتزوج بها وجامعها فمتى بلغت فلها أن تتمه فإن أتمته تم وإن نقضته انتقض وإن سكنت من غير نقض ولا تتميم لم يلزمها أن تلفظ بإتمامه بل يكونا على ما كانا عليه من الزوجية وإن كان

بين الصبية والبالغ فرق في الرضى في ظاهر الحكم ففي الباطن لا فرق لأن الصبية جائز تزويجها ونكاحها وعلمها قبل الدخول بها وعند الدخول بها سواء ولها الخيار متى بلغت الحلم والبالغ يجوز تزويجها بغير علمها ولا تعلم إلا عند الدخول بها ولها الخيار إن شاءت أتمته وإن شاءت نقضته وإن شاءت سكنت وسالمت للدخول بها وهذه علمت بالتزويج ولم تعلم بالطلاق وزوجت ثانية والتزويج صحيح فلم تعاشره وهي على أنها غير زوجة له بل عاشرته على حكم الزوجية التي صحت معها فبأي وجه يحرم عليها وهي متممة لذلك فهي كالصبية في القياس على هذه الصفة فإن قلت إن الصبية علمت بالتزويج وهذه لم تعلم قلنا هذه علمت بالتزويج ولم تعلم بالطلاق فهي زوجته ومتى صح معها التزويج الثاني وأتمته تم لأنه تزويج صحيح وهي تدري أنه لم يتعرض إليها في يوم مشهود في العرس إلا بعقد تزويج بها منه ولو زوجت امرأة بغير علمها وسمعت من أهل بلدها أنها زوجت برجل ولم تدر بالتزويج إلا حين نقلها من بيت أهلها إلى بيت الزوج وهي لاتعرفه ونقلها أناس كثيرون من أهل البلد ولم يصح رضاها ولا سخطها ولم تعلم هي بالذي زوجت به وادخلوها بيت الزوج وأدخلوه هو معها على شهرة التزويج لبعضهما بعض وفي نفسها غير كارهة لذلك ولا تعرف الزوج من هو وجامعها على شهرة التزويج لبعضهما بعض جاز ذلك ولو لم يجز ذلك لم يجز لزوج أن يجامع امرأة كذلك أمرها حتى يصح معه بالصحة الشرعية ولا يجوز لها هي أن تمكنه من نفسها حتى يصح معها أنه هو الزوج الذي تزوجها بالصحة الشرعية.

ولعسر الأمر في هذا فاعرف ذلك ولها أن تتمه كما أنها لو زوجت

بغير علمها ولم ترض به أولاً ثم رضيت به لم يلزم تجديد التزويج في أكثر قول المسلمين وليس على الصبية أن تتمه باللفظ وإن غيرت التزويج من زوجها في حين بلوغها ثم أتمته بعد ذلك لم يلزم تجديد النكاح لنقضها هي أولاً على هذه الحالة فهذا ما أراه، وإن قال أحد بخلاف قولي لم أخطئه وعسى أن يأتي بحجة يصحح قوله فيكون في النظر هو الأقرب إلى الحق فاعرضوها على أهل العلم من المسلمين عسى يحدث الله رأياً لعباده أحسن مما فتحه لي فيكون العمل بالأفضل أولى فليس المراد منا إلا وضوح الرأي الأفضل للمسلمين وبالله التوفيق .

قلت له: زد بياناً في صفة الدخول على بعضهما بعض الذي يكون في الحكم داخلاً به عليها إذا كانت هي في بيته من بعد ما تزوجها ولكنه لم يدخل بها في التسمية مع العامة لأن مع العامة لا يسمون داخلاً بها إلا أن يدخل عليها ليلة العرس التي تشتهر أنه قد دخل عليها فيها لا غير ذلك وأنت أشرت في جوابك أنهما إذا سترهما حجاب يكون في الحكم داخلاً عليها دون تلك الليلة المشهورة إذا كان هذا قد قبلها وبين لنا إن كانت هي في بيته مع أهله وفيه صغار غير بالغين وكبار بلغ مجتمعون فيه وهي معهم والزوج معهم في الليل والنهار وتارة البالغون يخرجون ويبقى الصبيان هل فرق في ذلك في الليل والنهار وفي اليقظة والنوم إذا غلق باب الحائط وأبواب الغرف مثله أم فرق بين الأبواب وإذا صح الدخول ووقع الطلاق منه لها ذلك ثم تزوجها ولم يخبرها الشاهدان ودخل عليها أتحرم عليه وإن حرمت فما الذي يجب لها من الصداق وفي أي وقت تلزمها العدة مع إعلامها بالحرمة أم قبل ذلك أو أحسن أن يلفظ بالطلاق

لها عن الشبهة وإن مات أحدهما وهي في العدة هل بينهما ميراث أم لا ؟ فاشرح لنا الجواب وأنت مأجور إن شاء الله تعالى .

الجواب: الذي ظنته العوام الدخول ليلة العرس بها وهي الليلة المشهودة المعروفة بينهما هو دخول ومن وجوهه وما ظنوه كذلك فهو حق ولكن الخطأ من العوام أنهم لا يجعلون دخولاً عليها منه بغير هذه الليلة وبغير هذه الحالة مما هو ذلك والحق مع العلماء أنهما إذا سترهما حجاب فهو في الحكم داخل بها وإذا كانت هذه الابنة في بيت هذا الزوج قد نقلها إلى بيته وسكنت فيه هي وهو مع أهل البيت فإن كانت الابنة لم تأت عليها معه حالة يسترهما في البيت عن أهله البتة فهي بعد كأنها لم يدخل بها وأما قولك إن كان في البيت الصبي والبالغ فالصبي لا عمل عليه ومتى ضمهما البيت ولو كان فيه صبيان فحكمه داخل بها وكذلك الليل إن كان هو وهي في موضع يمكنه أن يواصلها وأهل البيت نائمون فحكمه داخل بها والليل بنفسه ستر فإذا نام الأهل وهي معهم في موضع غير مغلق باب عليهم عنه أو كلهم في قنت أو كلهم في دهليز وبالجملة فإذا كان الزوج في موضع والابنة في موضع يقدر أن يصل إليها فيه منه فالحكم في ذلك على هذا ولو لم يخرجوا منه وهي معهم لأنه يمكنه بعد نومهم اتصاله بها وأما فيما بينهما وبين الله تعالى فإذا كانا مع أنفسهما لم يدخلا على بعضهما بعض فهو غير داخل وفي الموضع الذي تحرم عليه فيه مما ذكرناه على رأي من رأى الحرمة في ذلك وحكم بتفريقهما بذلك أو رأيا بأنفسهما صحة هذا الرأي المفرق بينهما في الحق فتعتد من حين تعلم بحرمتهما على بعضهما بعض ولا يتوارثان في العدة لأنها

خرجت منه بالتحريم بفساد النكاح فكيف ترثه في موضع يكون نكاحهما فاسدا فهي كأنها ليست بزوجته فلا يكون مثل هذا الطلاق والله أعلم . كتبه ناصر بن جاعد بيده . نقلته من خط يده.

قال ذو الغبراء: من تزوج امرأة ونوى الطلاق إليها بقلبه ولم يلفظ فيه بلسانه فلا يحسب هذا من الطلاق إن كان دخل بالمرأة أو لم يدخل بها، وأما إن لفظ بلسانه ولم يسمع به أحد فذلك طلاق وإن كان لم يدخل بالمرأة فقد بانت منه متى أعلمها وحلت للأزواج ولا يجوز له ردها إلا بتزويج صحيح وإن تزوجها وهي لم تعلم بالتزويج ولا بالطلاق ودخل عليها فقد تقدم فيها القول عن الأشياخ، وأما الذي طلق امرأته بغير علمها وردها بغير علمها بحضرة الشاهدين والشاهدين لا أعلماها لأنه ليس بلازم عليهما إعلامها ثم دخل عليها زوجها فهي حلال له إذا كان قبل الطلاق داخل عليها إو بإغلاق باب او إرخاء حجاب أو ستر أو صحت خلوة بينهما أو كان يدخل عليها سراً أو علانية وتقاررا بذلك فهذا دخول كله يحسب وليس كل الدخول بالجماع فالحائض لا يجوز جماعها وإن دخل عليها فهو دخول وكذلك التي خلصت من مطلقها بخروج ولدها فقد حلت للأزواج وجاز الدخول بها ولا يجوز جماعها في نفاسها وكذلك الذي اختلط قبلها ودبرها فجائز تزويجها ولا يجوز جماعها على قول، والرتقاء جائز الدخول عليها والرجل لا يقدر على جماعها ومثل هذا كثير.

وأما الذي طلقها بعلمها فلا يجوز ردها إلا بعلمها أو بمحضرها ومحضر شهود شهرة أو بمحضر شاهدين عدلين أو بمحضر شاهد وامرأتين ويعلمها بالرد قبل انقضاء عدتها وإن لم تعلم وخلصت فقد حلت

للأزواج، وقول إن أرّخا الرد ولم تتزوج فإنه يدركها وأما الذي طلق زوجته بخلع وبرآن وافتدت منه بدرهم فلا يجوز ردها إلا برضاها وبمحضر الشاهدين العدلين، وأما الذي طلقها ثلاثاً فلا يجوز ردها أبداً إلا أن تتزوج برجل ويدخل عليها وتذوق عسيلته فمات الزوج أو طلقها أو خرجت عنه بشيء من وجوه الطلاق فجائز لمطلقها الأول أن يتزوجها بعد خلوصها.

وأما الذي تزوجها عنين أو خصي أو مجبوب أو كان على شرط تحلة للمطلق فلا يجوز له على هذه الصفة إلا أن تتزوج برجل آخر وتذوق عسيلته فمات او طلقها فجائز لمطلقها الأول أن يتزوجها وأما الذي طلقها بسبب حكم من فقر أو علة أو مات أحدهما وهي في العدة فلا يتوارثان وإن أيسر الرجل او صح من علته وكان باقياً شيءٌ من الطلاق بينهما وتراضيا فله أن يتزوجها، وأما الذي حكم بطلاقها من سبب فقد أو غيبة ثم رجع زوجها فهي زوجته إذا لم تتزوج وإن تزوجت فزوجها الأول لكن عليها الاستبراء بثلاث حيض وكذلك المغصوبة للجماع فعليها الاستبراء على قول وإن كانت حاملاً فحتى تضع حملها والزانية مثلها فيها الاختلاف في الاستبراء.

وأما العدة للمطلقة إن كان بها حمل فمتى وضعت انقضت عدتها، وأما المطلقة الصبية والمؤيسة فلا فعدتهن ثلاثة أشهر وأما المراهقة قول حتى تبلغ وقول ثلاثة أشهر وتسعة أشهر لريبة الحمل وقول سنتان وثلاثة أشهر وإن بلغت قبل أن تنقضي عدتها فتعتد ثلاث حيض متتابعة، وأقل ما تصدق المرأة في انقضاء عدتها تسعة وعشرون يوما وأكثره في تصديقها إذا بلغ سنها ستين سنة والمطلقة إذا ثبت الدم بها ثلاثة اشهر

فقد انقضت عدتها على قول بعض المسلمين، وأما الإيلاء والظهار فتعتد بعدما تمضي أربعة أشهر إذا لم يكفر وكذلك امرأة المفقود والمفلس وذي العلل فأول عدتها مهما بلغها الخبر عن المسافر أو المجاهد أو صح حكم بالتفريق فعدتها متى صح في تلك الساعة، وأما المميتة فحيث رأت زوجها مات وعلمت به فتعتد أربعة أشهر وعشرة أيام فإذا اغتسلت وكان بها حمل فحتى تضع حملها كالمطلقة، والرجل تلزمه الوقوف حتى تنقضي عدة المطلقة إذا طلق الرابعة من زوجاته فلا يتزوج حتى تنقضي عدتها أو تموت بنفسها أو أحد من زوجاته الثلاث تموت فله أن يتزوج حتى لو أراد أخت المميتة فله أن يأخذها من ساعته، قال أبو سعيد رحمه الله: لا يغسل المميتة إذا تزوج أختها.

رجع: والذي أخطأ في الجماع في أخت امرأته فلا يجامع امرأته حتى تحيض أختها ثلاث حيض وإن كان بها حمل فحتى تضع حملها، ومن بيان الشرع: وقد جاء في الأثر الذي لا نعلم فيه اختلافاً بين أحد من فقهاء المسلمين أنه إذا طلق الرجل زوجته بغير علمها أجزاه لها الرد بغير علمها ولم يكن عليه أن يعلمها.

وإن طلقها بعلمها كان الرد بعلمها فإن طلقها بغير علمها وردها بغير علمها ثم أعلمها بذلك فقد عرفنا اختلاف من قول أهل النظر، فقال من قال إن القول قوله في الطلاق والرد إذا لم يكن الطلاق بعلمها ولا الرد وأعلمها الزوج أنه طلقها وردها فالقول قوله في ذلك أنها لم تعرف ذلك إلا من تغييره ولم يكن عليه في الأصل أن يعلمها بالرد، كما أنه قد جاء الأثر: أنه إذا طلقها بغير علمها ثم ردها بغير علمها ثم لم يعلمها هو ولا الشاهدان حتى انقضت عدتها ولم يطأها في ذلك ثم صح معها الطلاق

والرد بشاهدين فقالوا إذا جاء شاهد الرد وشاهد الطلاق معاً ولو كانت قد انقضت عدتها فإنه يدركها وقال من قال ولو أعلمها شاهد الرد بعد شاهدي الطلاق إلا أنه في مجلس واحد انه يدركها ولو كان الطلاق بعلمها ثم لم يطأها ولم يعلمها هو ولا أحد الشاهدين حتى انقضت عدتها ثم أعلمها بعد ذلك كانت في الإجماع فيما علمنا قد بانت منه ولا يدركها فافهم هذا الفصل فإن له في الحق أصلاً وعرفنا هذا من قول أبي الحواري فيما يوجد عنه، وقال من قال أنه إذا صدقته زوجته وسعها المقام معه وإن حاكمته كان عليه أن يحضر شاهدين بالرد كما قد أقرّ أنه طلقها لأنه مقر بالطلاق ومدع للرد فعليه في ذلك البينة فإن أحضر لها شاهدين بالرد وإلا حكم عليه بإقراره بالطلاق وعرفنا هذا من قول الشيخ أبي الحسن رحمه الله . وقال من قال أنه إذا أقر بالطلاق فقد وجب عليه أن يصح الرد ولا يجوز لها أن تقربه من نفسها ولا يسعها.....[١]

.... بعدالة الشهود ومتى تقوم الحجة عليهم بعد التهم وهم أيتام حتى يبلغوا أو هم غياب حتى يحضروا وإنما يمكن أن تقوم الحجة بهم على البالغين الحاضرين وأما بحكم من الحاكم العدل بثبوتها أو لسفر العلماء مع عدم الحاكم العدل فيعمل الوصي بما يأمره العالم الفاضل ولا يأمر العالم الفاضل العارف الوصي بإنفاذها وهم أيتام أو غياب وإنما يأمر فيها بما يراه مخرجاً له من الحق لأن العالم لو عرف صحتها حروفاً وألفاظاً وشهوداً ولم يحكم فيها حاكم عدل يثبت حكمه في الأيتام والأغياب فلا تقوم الحجة عليهم بمعرفته هو وليس هو من الحكام وإنما يدل على طريق السلامة إلى أن يبلغ الأيتام ويحضروا الأغياب ، والله أعلم .

---

(١) الكلام غير تام ، يبدو أنه يُوجد نقص في المخطوط بمقدار صفحة .

بعض أحكام الصلاة :

مسألة لناصر بن أبي نبهان: وجاء في الأثر أن الصلاة لا تجوز في الثوب الذي يصف والذي يشف، أما الذي يصف مثاله الثوب اللطيف إذا كان رطباً بالماء فيلتصق بالجسد ويتصور الجسد منه فإذا كان يابساً ويتصور العورة فيه كذلك فلا تصح به الصلاة، وأما وصفه لبقية الجسد دون العورة من السرة إلى الركبة فمعي أنه لايمتنع من جواز الصلاة به.

وأما الذي يشف هو الذي ينظر جسد لابسه من وراء الثوب فهذا لا تجوز به الصلاة أصلاً وهو أشد من الذي يصف لأنه لو جعل للعورة ثوباً آخر تحته أو فوقه وبقي يشف بقية جسده فلا تجوز به الصلاة لأن عليه ستر جسده للصلاة بالثياب لقوله تعالى : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[1] ، والزينة : هو اللباس الحسن الساتر ، لقوله تعالى : ﴿ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾[2] ، يعني : يوم العيد ، وإن لم يكن بينه وبين العورة ثوب آخر ساتر للعورة فلا يجوز لبسه بين الناس حيث ينظرون جسد عورته من وراء الثوب كان في صلاته أو في غير صلاة والله أعلم، كتبه ناصر بن جاعد، وأنا كتبته من خط يده.

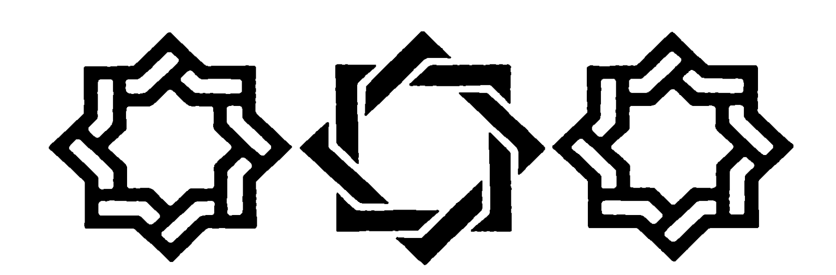
قال ذو الغبراء : سمعت الشيخ ناصر يقول إذا صلى المصلي وفي ثيابه رقعة فيها نجاسة وقد لف عليها رقعة أو رقعتان طاهرتان ولفهما جميعاً وصلى بهن، قال: لا تنتقض صلاته قياساً كالسكين الذي فيها نجاسة وأدخلها في غمدها فلا تفسد من صلى بالسكين ، قال الشيخ عامر ابن علي : وفي نفسي إعادة الصلاة من صلى بتلك الرقع المذكورة .

---

(١) سورة الأعراف : ٣١ .
(٢) سورة طـــه : ٥٩ .

وصلى بنا الشيخ ناصر جماعة في خسوف القمر وأطال القراءة في السور فلما سلّم قرأ الدعاء جهراً، قلت له: وما سبب خسوف القمر؟، قال: إن الشمس تغاورت على الأرض فانطمس نور القمر فإذا ظهرت اقتبس منها نوراً، قال: وأما الشمس لا زالت تطلع على قوم وتغرب عن قوم، والخسوف والكسوف ينظرونه قوم دون قوم.

قال في من شرى مشرقية واستبرأها ، قال : لا يجوز بيعها لأنها من العرب وسمع ذلك من أبيه جاعد ، وأما الحبشة والنوبة ومن كان مثلهم يجوز بيعهن ، والاستبراء تعبد من الله تعالى ، ويقول فيه اختلاف.



الذكر الثامن عشر :

فيه سؤالات حشوها أخبار ومسائل في الطب ولإخراج الشوك، وفي والأديان والأحكام فيما جرى في الزمان من فتن وأمان في السيوح والبلدان، وذلك في عصر الشيخ محسن بن زهران ، وفي ذكره بالنثر والنظم من فصحاء عُمان

مسائل في الطب والفقه :

قال ذو الغبراء : سرت إلى الخلا ، واستقبلت الجهة السفلى ، خوفي من احتقان الغائط والبول ، فقلت : أعوذ بالله من البلاء ، فلما نزل الأذى تطهرت بالماء وقصدت طالعا الجبلا ، في مجمع الناس يوم العيد في المصلى ، فنظرت أخي مقبلا ، فسلم وعلى محمد صلى .

فأجبته بالرد لازماً لا نفلا ، وقلت : مرحباً بقدومك وأهلا ، وأراك راكبا جملاً أقزلا ، ومن أين اقبلت ؟ قال : من بلد بُهلا ، التي يحدث بها البلا.

فقلت: اجلس عندي متمهلا، وقد حضّرتُ بيني وبينك المسئلا، ومضت عنا ساعة زحل، فما خبرك عن الوالي والقاضي الذي في حكمه تولى؟ وكيف قصة الرجل المستشير في أولاده العقلا؟ وما قصة الرجل الذي أراد مطلقته له أن تحلا؟ والعبد الذي على مواليه تعلى؟ وما أخبار السيوح والسبل؟ وكيف مراتب أهل العسر واليسر وأبناء السبلا؟ وكيف صفة النصر بالسيف أم بالنبل؟ وفسره لنا مفصلا، حتى أجمعه في

القرطاس مجملا، فقال: اعلم أن الأمير نادى مناديه في الملا، قال أيها الناس أطيعوا ربكم الأعلى، واقتدوا بالأنبياء والرسل، ولا تعملوا للمسلمين غشاً في الميزان والكيل، ولا تبيعوا المحرم كالتتن والخمر المعمول.

وسمعت بأن نوراً يضيء للناس في السهل والجبل، ويصلح اليتامى والرمَّلا، وأرفعه لك عن العلماء وأهل الرمل، وعسى أن يكون عربيا ويعربيا مقتديا بالخلفاء والكتاب المنزل(١)، وقد جئتك لأخبرك في يوم الجمعة، وقيل أنها عيد لهذه الأمة، والغسل فيها لإحياء السنة، وفيها الساعة الطيبة، والدعاء والخطبة، فإذا استقبل الناس القبلة، وأذن أحدهم فمنهي عن الكلام والمأمور به الاستماع لقول الخطيب بالذكر والقيامة والنار والجنة والمأمور أن يؤمهم أعلمهم وأفضلهم لأن النظر إلى وجه العالم عبادة والجلوس معه ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة من النوافل لأن الأمر والنهي والجهاد لا يقوم إلا به، ومداد العلماء يوزن بدم الشهداء.

وأما القاضي فرأيته يأمر الناس بالهدى فحكمه بالحق لا بالرشاء، خائف ربه الأعلى، حكمه واحد للفقير وأهل الغنى، ونظرته في رجل موسر طلق زوجته بثلاث تطليقات وسأله، قال له القاضي: لا تحل لك حتى تنكح زوجاً غيرك، فقال الرجل المطلق للمرأة: تزوجي بأجيري حتى تحلي لي، فلم تجبه فتزوج بها الأجير وجامعها فأعجبها ودخل الحب إليه في قلبها ولم يجد المطلق سبيلا إليها، فقصد الرجل المطلق القاضي

---

(١) تكلف المؤلّف في السجع ، مما أدى به إلى اللحن ركاكة الألفاظ ، وأبقيته كما هو بلا تصحيح.

وأعطاه سبعين درهماً فأخبره عن المرأة التي طلقها أنه صح وعد له منها لتزويجها الأجير حتى أتزوجها وتحل لي عندك تزويجها، فقال القاضي: الحكم يكون بمحضر الجميع ، فأعطاه بروة بوصولهما، فأقبلوا إليه كلهم، وقال لهما: إن هذا الرجل يدعي عليكما وقد صح وعد في زواجكما هل هذا كان منكما؟ فقال الزوج: لا سمعت ولا علمت بهذا، فقالت المرأة: أيها القاضي استقبلت إلي السعود، وانطمست عني النحوس فبئس بالذي يدعي القبح والحق كفجر الصبح، فأمر القاضي بحبسه، وأعطاه دراهمه من خوف ربه.

وأما قصة الرجل المستشير فكلما أراد أمراً وشاور فيه وفقه الله عليه، ولم يدبر أمراً إلا بمشورة من أهل المعرفة ففاق أهل مصره راحة بذلك واتسع رزقه وأنفذ زكاته.

وأما قصة العبد الذي تولى على مواليه فطغى أهل زمانه فسلطه الله عليهم فسامهم سوء العذاب فاستغاثوا به للتخفيف فدخل في قلبه الرحم إليهم فسمع هاتفاً في المنام لا ترحم قومك، فجاءهم إن رجعتم إلى مولاكم فالله يخفف عنكم فلما سمعوا كلامه تناظروا لإصلاح نفوسهم وأموالهم وأهليهم وإصلاح وقوفاتهم فاجتمع رأيهم وعملوا بالأثر، فخرج الخادم من الحصن، وقال لهم: الخادم لا يكون والياً لمواليه، وهذه القصة سمعت عن الشيخ جاعد بن خميس يقول إنها واقعة ببلد بهلا.

وأما ذكرك في السيوح والسبل فمن قبل الناس فيها الأمان ولكن حدث فيها كلب الأكلب والغيلان فأكل في الهوش[1] والبشر وماتوا الأكثر ومنهم من لغث وعض من كثرة الضرر فالتمسنا الدواء للمبتلى فوجدنا

---

(١) أي : الأغنام .

في قصيدة ابن هاشم هذا كما ترى :

وإن كان كلب قد تكلب فاكو ما حواليَّ جرح قبل أن يتفحلا
وضمده شهداً ثم ثوماً وملحة وأبدل مكان الملح سمناً وعدلا
إذا ما غدا في النـار واسقه فاتراً وخذ حنظة والسمن والشهد مجملا
وتغلى بمحض البقر واسق حساءه وإن كان جسم المرء بالسم بسّـلا
وإن كان ذا جـر فـبالليم داوه وتـمـر وصبار وللبطن بللا
بخرقة كتان وإن كـان بـارداً يداوي كمكلوب فعد وتـأملا
وفـي صفـة من خرق ديك وشاذر يدفأ بماء ثم يشرب لـلبلا
ولاغيـة أيضـاً وثـوم مقشـر وأوراق تيـن خذه وزناً معدلا
وإن كان من لدغ الأفاعي فمحجم ووسم وكن للوسم في الشق مدخلا
وضمد بثوم ثـم ملـح وغسله بخل وليم ثـم إن عقرباً فلا
تداوى بغير الخل والسدر أخضرا وبـزر قطونا من رأيت تنثلا

وأسرعه لخلاصه الربط والشريط والمص ويخرج منه الدم الكثير بالمحاجم من المواضع المعضوضة وإن مصه من غير المحاجم فليجعل في فمه زيتاً ويبصق بالسم .

والبصاق دواء للسمومات والحزاز وقت الصباح قبل أن يدخل في فمه شيئاً ويزيد في الألف من جعله في مأكول أو مشروب من غير علمه ويقتل الحية إن جعل في فمها وكذلك إن جعل في ظهر العقرب فإنه يقتلها وهو سم لها وبصاق الصائم والذي به جوع أبلغ فإنه سم قاتل لهما، وإن أخذ الغول ورضه وجعل في اللدغة فإنه دواء له، وكذلك إن ذبح دجاجة وجعلت على اللدغة ثم تذبح أخرى وتجعل مثلها فيعاد التكرار مراراً .

وكذلك الجلد والفرث من الأغنام نافع، وقيل شعر الإنسان إذا بلّ بخل وجعل على اللدغة أبرأه، والذكر من الغيلان أشد من الأنثى وله نابان والأنثى لها أربعة أنياب، وعرق النارنج (الأترج) ينفع عن الأورام من عضة السموم، وعرق ذكر الفشاع وهي الشجرة التي تلتوي على الغاف والسمر يطعم منها الملدوغ من الحيات والأفاعي وزن درهم وللديغ العقرب وزن دانق وإن أكل منها الانسان وزن درهم لم تضره الحية ولا العقرب.

وهذه الصفة تدفع ضر سم الأفاعي والغيلان والحيات وإن تداوى بها بعد اللدغ نفعه وحيا أي في سرعة وهو أن يؤخذ من شجرة المخيسا ورقاً وعيداناً وهي الشجرة التي تحشي[1] في الأموال وورقها وصورتها وعودها مثل الجزر وهي عريضة الورق مثله لا فرق بينهما إلا أنها أغبر من ورق الجزر ويؤخذ الحنضل ورقاً وعيداناً من التي تثمر أكثر من واحدة وهي الأنثى وأما التي تثمر واحدة فهي سم قاتلة فاحذرها ويجفف في الشمس ويؤخذ من شجرة خايسة ويسمونها خرخاش العبيد تثمر قروناً طوالاً لها ورق كثير وكل ورقة تنقسم أوراقاً كثيرة وترتفع عن الأرض دون القامة ويجفف منها ورق وعيدان في الشمس يدق كل شجرة من هذه الشجرات على حدة ويجمع الجميع بعد الدق بالميزان جزء من الحنظل وجزء من المخيسة وجزء من الخشخاش ويدق الجميع حتى يختلط فإذا أصطاب الانسان يفصد بين الأصبع الأبهيم والشاهد[2] من جانب العرش، بقدر ما يدمي من رجليه ويديه ، ووضع فيه منه قليلاً قليلاً

(١) تحشي ، أي : تنمو على وجه الأرض كشجرة البطيخ .

(٢) أي : الإبهام والسبابة .

ويشرب منه مثقال فيه ماء ويشربه ينفعه سنيناً لم يضره نهشهن، وإن شرب منه بعد اللدغ ووضع قليلاً منه في اللدغة برئ في الحال أخبرني بهذا الشيخ ناصر وكتبته عنه.

وأما لدغة العقرب فعرق اللومي يساك منه نافع والملح إذا دق وجعل فيه ماء قليلاً وجعل على لدغة العقرب نفعها، وكذلك الخل الساخن إذا جعل عليه ورق السدر المدقوق نافع.

وأما الزنبور فيدلك على اللدغة الذباب فإنه يبرئ وإن جعل على اللدغة خل وملح نفعه.

وأما أخبار السيول التي أذهبت الأموال والبيوت فقد حملت على البيوت والأموال من وادي بني غافر ووادي بني هني والحوقين وجانب الرستاق وجمة وبلد الأبيض وفلج بني خزير وغير ذلك من البلدان قد حل بها غضب وكثير بما وقع في عمان من التدمير والضرب والبلاء والطاعون مراراً إليها فذهبت الناس إلا قليل منهم من بقى ولا عليها بقاء.

وأما معرفة منازل الأغنياء والفقراء فالفرق بينهم كمثل الجنة والنار وفي الدنيا جميع الأعمال لا تصح إلا بالمال وكل الفقراء محتاجون يتكففون على أصحاب الأموال وهذا لا يحصيه الكتاب.

وصفة ابناء السبيل فكل من خرج من بيته إلى السفر فهو من أبناء السبيل.

وأما ما ذكرت عن السيوف القاطعة في القلوب الحاضرة فمثل المحذور قاطع الأسد نصفين بسيفه، وسالم بن مسعود ضرب رجلاً بسيفه فالتقاها بتفقه فقطع خشبته وحديدته، وراشد بن مالك ضرب بسيفه حماراً

فجزفه نصفين، ورجل من الدروع قطع بسيفه رأس الحصان، والحجري الذي شهدت له الفرسان فصوّل[1] وقتل الراكب في الحصان، والخادم ظفير أقبلت إليه ضبعاً لتأكله فضربها بسيفه، وابن مطر الدرعي أعطى يده فم الضبع وقتلها بيده الأخرى بخنجر له.

والذين انتصروا بغير سلاح فعشرة رجال من الشجعان أخذوهم سبعين رجلاً فستة رجعوا إلى دارهم وأخبروا بما وقع عليهم وأربعة منهم جاءوا إلى شيء من البلدان في الليل وهم عراة فأكلوا رطباً من نخيلها واستدانوا لأهلها وشربوا من مائها وتطهروا وتوضئوا وصلوا جماعة جلوساً والذي أمهم في أوساطهم لا متقدم عليهم ثم أخذوا من كربها وفتلوا حبالاً من عسقها[2] فعقد كل واحد منهم حزمة من الكرب وحملوها للحرب فمشوا إلى أعدائهم بالليل المظلم فسحبوها بقعقعة في حوال القوم وحملوا عليهم بالطعن والضرب وضربهم للقوم بالأسلحة التي معهم فصح فيهم القتل وأخذوا ما عندهم ورجعوا إلى دارهم مسرورين ورجعوا إلى أصحابهم الستة ما أخذ عليهم وما أصابهم شيءٌ إلا الشوك في أرجلهم فلم يقدروا عليها بالملاقيط[3] وصنعوا البصل المغلي بالسليط في ارجلهم فأخرج السلاء وبرءوا من ذلك وبعض منهم أخذ حب الحنضل وأحرقه وسحقه بخل وطلى بها الشوكة فأخرجها وبعض منهم أخذ ضفدعاً وسلخها ورمى برأسها ويديها ثم جعلها على الشوكة فنفعه والله الشافي .

وأما البداة فقدوا من أصحابهم أربعين رجلاً وعشرين رجلاً

---

(١) أي : صال .

(٢) أي : عراجين النخل .

(٣) في الأصل : المراقيط .

جرحى وعزموا الباقون ليقودوا نفوسهم إلى القبيلة الهاجمة عليهم فجاءوا معهم ودخلوا بأمان ولكنهم أخذوا منهم عهداً وشروطاً لا يسلكون إلى طرقهم إلا بمشورة منهم.

وحكي عن سعيد بن حميد الهطالي طالعوه البداة في طريق بهلا وقد جعل سيحة[1] في رقبته فيها مما شراه من السوق ولا عليه سلاح فأرادوا نهبه فعفر وجوههم وجمالهم بالحصى فولوا عنه مدبرين مخذولين.

وهذا إشكال الرجل المشهور مع أصحابه فكلما بدت لأصحابه حاجة من بلد دبروه ليأتيها فإذا طالعه أحد لم يقدر عليه، وعلموا أصحابه بقوم نزلوا على الطريق الجائز في السبيل وفي أيديهم الخيل والجمال فقالوا لصاحبهم ليأتي لهم شيئاً فعلم أنها مكيدة له وأنه لايطيق القتال ولا الفرار فأخذ سماً وجعل فيه سمناً وتمراً وعصد بعضه بعضاً ثم صنعه بنادق وجعله تغاليفاً خفافاً فمشى قاصداً الدار فطالعوه البداة وأخذوه أسيراً وما عنده أكلوه فولى عنهم إلى داره وعلموا أصحابه بما وقع عليه فاستهزؤا به فصبر حتى وصلتهم الأعلام عن البداة بما وقع عليهم من الموت سبعين رجلاً فعرفوا أن هذه حيلة صنعها صاحبهم.

فقلت له: قد طال الوقوف وكثر الكلام، أصحبني إلى المقام حتى تأكل الطعام، لتقوى أجسامنا على الفرض والركوع والسجود والقيام، وفي هذه الأيام ليس معي أدام، ولكني لا أعاني من الإعدام، فعندي لك التمر والجزر المتبر من مال الأرحام، لا من مال النساء والأيتام، ولا

---

(١) فِراش يصنع من شعر الغنم .

عملوه بالتسخير الخدام .

ذكر سيرة الشيخ مُحسن في شق ساقية الرس(الخصب) ودفاعه عنه :

فأجابني وقال: يا ذا الغبراء بلدك فيها الظلمة واللنام، والغالب فيها الحرام، وسكانها يؤذون الغريب بما لا يرام من النبز والإلماز ، فكيف أدخل بلداً بها الفراعنة والأسقام، وسرت عنها الأخبار والأعلام، وتبدلت عنها سيرة الإسلام، وقد كانوا أمراؤها كراما، وفقهاؤها أحلاما، ونساؤها مسترات باقيات في الخيام، والساحة افترشوها بنو ساسان والخدام، وصاح بهذا المنادي في الليالي والأيام، وسمعت شيئاً من الكلام، بمقامات الأكابر يعمل فيها الفحشاء واللهو والتتن والخمر شربوه النساء والرجال بالازدحام، ومما قلته لك لا فيه زور ومشت به الركبان في دار الكفار والإسلام.

ومن نصحي إليك يا ذا الغبراء إن كنت من الأخوان المستعان بهم لحوادث الزمان فارحل من دارك إلى دار ترى بها الأمن والأمان، فتلقى من ساكنيها الإحسان، وقد سمعت أن أهل بلدك يفيحون لك بالجنان، ويدعون بالموت عليك طول الزمان، وفيما مضى سلمت منهم ومن كيد كل فتان، وأسأل الله السلامة لي ولك ولكافة الأعوان، وبعد هذا أعظم مما ارتكبوه أمراء عمان وخاصة الشيخ محسن بن زهران، قد وصلت الأخبار في الأوطان، بإطالة يده على أصحابه كالسلطان، واستخلف بسيرة بني النبهان، من الجبر والظلم والطغيان، ونادى مناديه لكل إنسان، أن يشق الأرض بكل بستان، وأمرهم بقطع عروق النخيل وأشجار الرمان، ومنع

الفقراء الخدمة والسعي في الرزق للولدان، ولا قدروا على مشافهته باللسان، وأهل الأموال كنوا في قلوبهم عداوة له عن الامتحان، وبالله المستعان، ونسأله المغفرة والرضوان.

قال ذو الغبراء: اسودّت عليّ الدنيا من هذه الأخبار، وسالت دموعي بالنهار كبكائي بالأسحار، وسميت نفسي بالفقر حتى تركت الافتخار، وقلت أعوذ بالله من الساعي بخبر الأشرار، ومن قول الفسقة الفجار، فأين الذين يسبحون بالليل والنهار، أما سمعت عن إمام الأبرار، وشفيع الأمة مع الجبار، قد أنشأه الله مع عبّادة الأصنام والكفار، وكذلك أصحابه المهاجرون والأنصار، في أمصارهم منافقون والمؤلفة قلوبهم بالدرهم والدينار، وما عاينت العلماء والعباد والأبرار، مساكنهم في الصحاري أم في الديار التي أقام بها الجبار، وآزره الأشرار الذين لا يتقون النار والعار وما سمعت في حق الجار فقال جاور الجار بالحسنى ولو جار، وأما الأرض فحكمها طاهر إلا إذا عارضتها النجاسة والأقذار، وجميع ما في أيدي الناس حلال إلا ما شهد به العدول الأخيار، والحكم في الإرث والماء والبيع والشراء واحد للأبرار والأشرار لا يؤخذون على الاثم والأوزار .

والواجب على الانسان أن يتخلق بالأخلاق الحسنة للحاضر والبادي لا يخص به أهل الديار عن أهل الفيافي والقفار، وأما العاصون لله فأمرهم للواحد القهار، وهم أئمة أهل الضلال لا أهل الأبصار، وأعد الله لهم النار فبئس الدار، وبئس المثوى وبئس القرار، وأما إقامة الحدود عليهم فمع وجود الأئمة المالكين للأمصار إن كانوا من اليمن انتموا أو

من النزار، وأما نحن في زماننا لا نقدر على إنكار المنكر إلا بالسر لا بالإجهار، وهذا من أقل الانكار، وأما الظلمة والأشرار فهم ذخر لنا لمصادمة الأعداء الذين ارادوا إهلاك النفوس وتخريب الأموال والعمار .

وأما ما ذكرت من العلل فقد عم في الآفاق من البر والبحار، وقد أنزلها رحمة ونقمة ربنا الغفار، وقد سبق على الأمم التي خلت قبلنا في الأمصار، وأما ذهاب الأمراء وملكهم فكل له حد في الانتصار فهل رأيت شيئاً ثابتاً باستقرار، فانظر إلى الفلك الدوار، إن كان لك عبرة وفكرة كأهل الأبصار، وذكرت الخمر والتتن والمزمار، فنحن أنكرناه ولا تحمل علينا تلك الاوزار، وأشرت إليّ للانتقال من هذه الدار فداري عزيزة عن كل الديار.

وأما دعوة الناس عليّ بالموت ففي قلوبهم غير ما فاهوا به من الاظهار، فانظر إلى الوالدة تدعو على ولدها بالعلة والموت والافتقار، وإن سمت وطاب تمنت له ما في الأرض من الملك والأشعار، وجميع ما كان من أعمال الأحجار والأشجار، وهؤلاء مرادهم وقوفي عن المسالك والاختبار، ولا في قلوبهم عدواة ثابتة التي لا يرجى لها إزالة ولا انحدار، وصفة العداوة الثابتة لا تنجلي من صاحبها إلا بذهاب الأعمار ، وما لها حد إلاّ أن يقول ربنا (سبحانه وتعالى) : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[1] .

وذكرت لي في الأمراء وخاصة الشيخ محسن بن زهران، فالأحسن وصولك عنده حتى يبين لك البيان وينكشف لك البرهان وتشهد بالإحسان، لك ولكل إنسان، وتعرف أمره ونهيه وإكرام ضيفه بالمشاهدة

---

(١) سورة غافر : ١٦ .

والعيان، وذمك له مدح بذكر السادة بني نبهان، فلا زال ملكهم دائماً إلا من طلب النساء الحسان للزناء فهذا من الفسق والبهتان، ثم اقتفى بهم صاحب البرق سيف بن سلطان، ومن كان معه من الأعوان، أعجبتهم متابعة الشيطان، وأنا لا أرى في الأمراء مثله أحداً في هذا الزمان، ولكن في عصره وأيامه البلاء والامتحان، فأطال الله يداه، وعلمه بهداه، من مطالعته وحفظه للآثار، وسأخبرك بفعله وإحسانه مما صنعه من الصلاح في بلده لأصحابه لما رأى الضرر على الأموال والسبل وذهبت عليهم المنافع والغلل من كثرة الماء الجاري الذي نزل فأذهب تمرها واشجارها وأبّها فلا قدر عليه بحيلة إلا أن يجبر سكان البلد لخدمته في أموال الناس فمنهم راض ومنهم كاره، فنظرنا رأيه للحق موافقا لأنه يجوز جبر الناس على الحريق والغريق وعلى الذين يقتلون الناس من أهل دارهم في الطريق، وكل ما كان من ذهاب الأموال والأنفس ولا يقدرون عليه إلا بإجماع الجميع فجائز جبرهم لسلامة المسلمين وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لا ضرر ولا ضرار في الاسلام " ، انظر إلى رأي المسلمين رفضوا المباح لأجل الصلاح عن قطع الاشجار ورعي الاغنام والجمال والحمير والذي صنعه الشيخ من نظر الصلاح لأهل البلد لما ينتفعون به من غللهم وطعامهم لدوابهم فقيرهم وغنيهم جعلوه مباحاً لهم.

وإن قال قائل : ليس هذا سالف علينا ؛ قلنا له : فالواجب على كل مسلم أن يجتهد في زمانه لصلاح أصحابه فيما يقدر عليه وكثر من الناس من يحيي ماله بماله كان في البر أو في البحر، وكل من نزلت به المصائب وأحاطت به النوائب فلا يد له من الخلاص انظر إلى الانسان يأمر حجاماً يخرج دمه ويأمر وساماً يشوي له جنبه ثم يعطيه أجرة لطلبه الشفاء،

ويجوز الجبر لتطليع الفلج المدكوم وحفر الخنادق للبلد وقطع الطريق عن مسالك الخصيم، وكل من استغاث بالمسلمين في ليل أو نهار في بيوت أو سيوح فلا عذر للقادر حتى يجتهد إلى تفليته فإن كان المستغيث في بيت وفيه أقفال على الأبواب المركبة فيجوز كسرها وحرقها وكذلك إن دخل بيوت الناس الظلمة فيدخل عليهم إن لم يقدر عليهم إذا جاءوا فليجتهد والمسلمون بما قدروا عليه من التدمير في البيوت، وكذلك يجوز أن تسد الأودية عن ذهاب الحلة إذا لم يكن على أحد من المسلمين ضرر في ذلك، وكذلك جائز الجبر لدفن الأموات لأنهم عورة للأحياء في الحياة والممات إن لم تكن بهم علل مؤذية، وكذلك جائز جبرهم لقتل الدواب المؤذية للخلق إن هجمت على مساكنهم وبلدانهم لأن المسلم لازم عليه أن يعين أخيه المسلم وجاء في التقية أن يجبر الناس على التسليم إذا نزل بها العدو ورأوا الهلاك منه وكذلك إن ركبوا الناس في السفينة وضاع[1] منها شيئاً جاز أن يجبر صاحبها على إصلاحها وكذلك البيت المشترك يجبرون على صلاحه أو بيعه وكذلك البيوت إذا تهدمت فوق الناس فلا بد من طلوعهم عسى أن يكون لأحدهم حياة وكل ما شاكل هذه الأمور فلا يتركها تارك والواجب على الغني يوسع على الفقير إن كان عليه حق من الزكاة أو الكفارات وإلا فمن الصدقات لأنه لازم عليهم إطعام الجائع والكسوة للعراة فتدبر بما أخبرتك به وقس بعقلك وخذ بما يوافق الحق وأعرض عن الباطل .

فانظر في هذا الأمر ومعي لك شهادات مما قلته فهاك البيان فالأول من قول الشيخ ناصر بن أبي نبهان :

---

(١) ضاع هنا ، بمعنى : فسد وأصابه العطب .

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى المشايخ المحبين الكرام أهل النجدة والحمية والكرة القسورية الشيخ محسن بن زهران والمشايخ رجال الميايحة وبني غافر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد بلغني أنكم كنتم في بلد صنما في ليلة أنا بت في المشايق قاصد أصلح بينهم ونسير إلى صنما ولما وصلوا معي مشايخ أهل صنما أخبروني بكم ولمتهم كثيراً حيث لم يصلوا إليّ لأوصل معكم في الليل وتحسرنا كثيراً، وعرفتكم بخط أني واقف أحرصكم[1] في بلد السويق أعرف بما معكم أما موتوا غماً وذماً ولما شمروا عن ساق وأحيوا حياة ذكرها الله ملك الخلاق في كتابه العزيز فقال عز من قائل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[2] ، دل على أن من تقاعد على القصاص في ماله أنه من الأموات فإن وجدتم من السيد ما تريدون فهو المطلوب وأخاف أن يكون كالذي يتخطف الكيس فغمض عينه عنه، فالدنيا دعته إليها ليقيم بها عدل الله فرمحها برجله وولى بوجهه عنها و فوت نعمة آتاها إليه مولاه الذي خلقه فسواه إذا تقاعد عنها لأن كل أناس يدعونه إليهم بالنصرة، حتى أن أهل الرستاق وجدناهم قد دبروا أناساً أنه يصل معنا ونعطيه عهد الله أنا نقبضه السيد طالب قبض اليدين وقالوا لا نسير مع السيد حمود بقول له بهذا لأننا ما عرفنا قوة الهمة ولعمري إن العلماء شرطوا أن يكون الإمام أكثر الناس همة ومن لم يجدوه صاحب همة ولو عدلاً ليعزلوه كما عقدوا الإمامة للحكم بن المعلا وهو بحري وما أنكروا عليه إلا قلة همته فعزلوه وأي خير في صفات يستحق بها الإمام العزل في حكم الله وحكم رسوله وحكم المسلمين .

---

(١) أي : أنتظركم .

(٢) سورة البقرة : ١٧٩ .

ولعمري ليس الزهد والورع ترك سفك دماء أهل البغي والظلم إذا استحقوا ذلك ما ينصب المسلمون إلا لإقامة العدل ونفي الباطل بالسيف وسفك الدماء بالاستحقاق وسفك قطرة من دم باغ ظالم مستحق خير من عبادة سبعين سنة بالنوافل لأن الجنة تحت ظلال السيوف وأسنة القنا وكفى بأهل النخيلة والمرداس بن حدير خرجوا يقاتلون المشركين أم أهل البغي من المسلمين ، وكذلك عمار بن ياسر (رضي الله عنه) ، كذلك خروج المسلمين لقتال عائشة حين خرجت عليهم على غير الحق ثم تابت، وكذلك الحضرمي قبل أن يتشمر كانوا أناساً يتسمون بالزهد والورع من أهل حضرموت ويريد أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويوقفوه ويقولون له ليقع بينكم قتال وسفك دماء ولا أعظم من مناكرهم فبلغ محمد بن محبوب أمرهم فعرفه أنك قم بما أردته ودع عنك من يوهيك فأولئك هم المنافقون الكاذبون المخادعون لله أهل النفاق والطمع واعزلهم عن نفسك، فما هم أهل الدين والورع .

ومن ناصبك بالحرب عند أمرك له ونهيك له عن ظلمه وبغيه ناصبه بالحرب وسيرته موجودة في الكتب، ويوم الوالد دخل العقر قاصداً ليقاتل من يستحق القتل حتى يقتل أو يظفر بالمطلوب وما عرفنا هذه الوهانة من السيد وأهل التقاعد لعله كفاه عن مولاه ما بلغهم إياه بمشتغل به ولا له حاجة فيما سواه فإن بلغتم منه ما ترجونه ويرجوه منه المسلمون فنريد الجواب والذي تمهل لأجله أن يصل من سفره أم لا حتى به يقطع الذين يرجونه قد انكشف أمره لأن اهل السفر من تلك المواضع كلهم وصلوا وبه ينكشف أمر السيد حمود أنه على أي وجه لين العذر قد انقطع الذي يعتذر به فلا نبقي له حالاً ولا وجهاً ، إما التشمير لله تعالى

وإما أنه كفاه ما تمنى ، وليس له لله بعد ذلك إرادة ، وينظر ما يبتلى به إذا لم يقم به لربه وعلامة ما كان لله أن لا يتقاعد ولا يستمع قول أهل التقاعد أولئك سماهم الله بأنهم : ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [1] .

وإن لم تجدوا منه المطلوب ، هلموا إلينا أنتم ما تواعدنا به ، إذا كان السيد ليس معنا فمن وادينا أقوى لنا ولكم إذ ليس بيننا وإياهم بلدان نجاوزها ونتركها خلفنا أعداء ، ولا يقدر عليكم فيه سُلطان ولا شيطان، واتركوا الذي لا يمكن تقويمه ، فإذا لم يكن للمرء من نفسه همة ، لا ينفعه تقويم غيره ، من لم يتبع إلاّ رأيه وما يصور له عقله ، فلا تمكن إصابته في كل شيء ، قال الله تعالى في أعظم الناس عقلاً : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [2] ، وقال في وصف امرأة : ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ [3] ، وقال في رجل ظالم عنيد فرعون لعنه الله : ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [4].

فلا نعلم أحداً من الملوك لا يناظر ولا يعمل إلا برأيه وما تصور له نفسه وقال لقمان ومن لم يشاور ندم ومن لم يجرب الأمور خدع وإذا شئتم تعرضوا هذا الخط للسيد حمود فالنفس طيبة وإن أحب اتباع من يشور عليه بالوهانة كالذي قربه قربه كثيراً فهو اسهل لنا نحن، قد بلغتنا أمور الذي قربه وما عاهد به أنه ما دمت أنا معه لا يريد عليكم حرباً شيئاً، ونريد الجواب بما معكم أنفسكم وواقف أحرصكم ومخجل كثيراً

---

(١) سورة التوبة : ٨٧ .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٣) سورة النمل : ٣٢ .

(٤) سورة الأعراف : ١١٠ ؛ سورة الشعراء : ٣٥ .

بالوقوف، الله الله بالجواب وسرعته .

من محبكم ناصر بن جاعد بيده، ونقلته من خط يده.

وهذا مما قاله الشيخ علي بن ناصر بن محمد التنوفي في تمام الشهادة لكلامنا شعراً :

كتابك وافى محسن الفضل والحسنا ... يفوق نظام الدر منظومه الأسنى
وطاب أريجاً فاق مسكاً وعنبراً ... بأقصى بلاد جاءنا فيه والأدنى
وذلك أدنى ما نرجيه منك في ... زمان ولولا أنت كان هو الأشنى
وكان رضاني في الذي أنت ذاكر ... رضاك وحسبي رأيك الصالح الأغنى
فدم شيخنا في دولة مستقيمة ... معوذة من صولة الزمن الأخنى
ولا زلت للعهد القديم مجدداً ... خليفتنا عن سالف الدهر للأحنى

وله ـ أيضاً ـ يمدحه من بحر الوافر :

على طلل عفى أسنى السلام ... وإن أظما فؤادي بالسلامي
بلاه واكف الأنوا بلاني ... بحبي والنوى شر السقام
وصرنا شبه طرس رقم عاد ... بلاه الدهر عاماً بعد عام
بما نيران وجدي أضرمتها ... نسيم تذكري طول الدوام
وما رعد الأنين علا بصوت ... وسح سحاب أجفاني الدوام
بمالي فيك من عهد وود ... جديد في أصيحاب قدام
بدروهم تقاربها شموس ... يفرق نورها شمل الظلام
وغزلان تغازلها ليوث ... على غابات آساد النخام
وأعين عينهم أضحت تباري ... سهام ليوثهم عند المرام

فكم خصم لديهم أو مشوق ... قتيل بالحسام وبالخذام

وإن تلقى سليماً من ضياء ... بضة ضيانهم أردى السهام

محبهم وخصمهم كلاهم ... يذوقوا بينهم جرع الحمام

لهم نوب تنوب عن الليالي ... منابة محسن سلف الكدام

ولولاك الخليقة ما سعدنا ... وعشنا في قصور عن مرام

وحل بقومك البلوى وحال ... يفرق شملهم بعد التنام

فكنت نظام شملهم جميعاً ... وحامله وواسطة النظام

وما سلف بنا أسف عليه ... وأنت خليفة الشم العظام

لك الحلم الذي لو رام رضوى ... يقوم به لأعجز بالقيام

لنا ولقومك البشرى بسعد ... بطلعتك الشريفة في الأنام

ودم في طاعة المولى بأمر ... ونهي قاهر عالٍ وسام

فعش في نعمة وصفاء عيش ... وعز لا يؤول إلى انصرام

وهاك الشعر وافره ببحر ... أغوص لدره والبحر طام

يا محسن الفعل في نفسي كوالده ... ورافده من طريف وتالده

فهاك درية الألفاظ طاهرة ... الاغراض من صائغ أغلى قلانده

فاقبل إليها وقبلها فقبلك ما ... زفت لغيرك حسناً مع خرانده

ولـه أيضاً :

يا محسن الحسنى ومن حسناته ... صليت بها حسّادنا وعداته

وهو العفو إذا توعد من عدا ... وينال فيه هباته وعداته

أمت إليك ركائبي بمطالبي ... يا من لغايات الثنا طلباته

وانظر إليها نظرة حانية ... ينجاب من حطت بها ظلماته

وعليك ما عشت السلام مجدداً نفحاته تأتي بها لمحاته

وله أيضاً يمدح أخيه محمد بن زهران من بحر الخفيف شعراً :

سل بالسلم سيوف العيون ورمى قوسه بنبل الجفون
فبرى مهجتي وأدمى فؤادي فأنا كالسقيم والمجنون
كل يوم أدعو فكاكاً غزالاً اللحظ والجيد بالوصال الثمين
وأنادي شمسية الوجه ليلاً الشعر صعد أقد بلين الغصون
هل لكم رحمة بها تتلافوا خير خل من العذاب المهين
فهو ما بالإياس ميت ولا حي يرجو الوصال من بعد بين
فأحيت والإياس أحيوا رجاه ما حيا للنوال بدر الجبين
معدن الفضل والفضائل بيت المجد والجود سلوة المحزون
صفوتي في الورى محمد خير خيرتي ذخري مَعيني مُعيني
باعث من مكارم الخلق والإ حسان والجود كل ميت دفين
فاق خلقاً وراق خلقاً وضاقت الكتب حقاً لمدحه تضمين
فابق في مفخر علا بوجود المحسن الأحسن الكفيل الضمين
هو شمس لكم وأنتم بدور ونجوم على سماء هتون
ولنا من سعودكم برج سعد فهو يرمي حسادنا كل حين
وجناب يفل بالناب إن نا بت بنا نائبات دهر خؤون
لاعدمناكم ولا عدمتكم ذروات الإحسان والتمكين
هذه غادة لكم فطرتها فكرة الود من محب أمين
فاقت الغانيات حسناً وطيباً ولباساً وخير طبع ودين
زينتها قريحة بخلاخيل ثناكم وكل عقد ثمين

حملتها نوق الرجاء إليكم | وبكم لا يضيع دهري ظنون

وله ـ أيضاً ـ يمدح خاله الشيخ سيف بن حمد :

عليك سلامي يا سمي المهند | فتى حمد البر الصفي الممجد
يفوق شذاء المسك نشر عبيره | وأضواؤه تعلو ضيا كل فرقد
وأسماطه تزري نظام حروفها | قلائد در من لجين وعسجد
يدوم مدى الأيام ما لاح بارق | بمزن سحاب هامل القطب مرعد
من الصادق البر الصديق ومن به | لكم من شراب الود عذب مورد
ومن كم أتى يهوى لقاك حماكم | وأبعده الجد المعيث بسؤدد
إذا زرت أرضاً قيل عنها ترحلت | ركبابك حتى صرت في قلب موجد
فياليت شعري أي يوم به اللقا | فيشفى عليلٌ من لظى قلب مكمد
فيفرح مشتاق ويأنس موحش | ويسعد منحوس بطالع مسعد
وها أنا بالحمراء صرت منجماً | بذروة مجد في علاء ممجد
ففي كل يوم ثوب فخر مطرز | بكف الكريم المحسن الباسط اليد
فحمداً لمن أعلى ذراه وساقني | إليه وشكراً بعد شكر مخلّد
وصلى إلـه العرش ما سار جلعد | على المصطفى يقفو على إثر جلعد

وله ـ أيضاً ـ مرقومات بالخط :

فتى حمد يا ذا الوفاء المطهر | ويا خير خل للأماجد أفخر
فهاك من البحر الطويل قلائد | منظمة من خر در وجوهر
تضئ دراريا بأفق سمانه | ضياء الدراري بالسماء المنور

ولـه أيضاً :

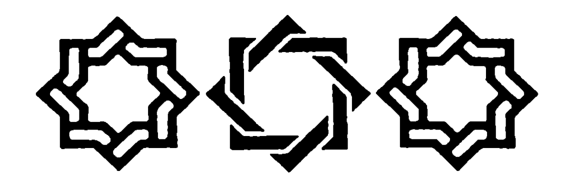
حمـد ابـن صـالـح صالح الأحـوال ... فشموس شخصـك آذنـت بـــزوال
أما زوال الشـكـر بـالـذكـر الــذي ... يـفـنـى فـذلك مـن أشـد مـحـــال
كـم مزنـة هطلـت بمنـة جنـــة ... من راحـتـيك بـجـنـــة لـنــــوال
ولـكـم لأربـاب القرى نار القـرى ... لاحـت وأربـاب الـسـرى بـلـيـــال
يا وحشـة الـبـلـد الـتـي فارقـتـهـا ... مـن بعد أنسـتـهـا جميـل الـخـــال
لو لـم يـر خـلـفـاك نـجماً ثـاقـباً ... وشـهـاب رجـم وهو شمس حـــلال
سيف الجواد ومحسن الحسنى ومن ... حسنـت لـديـه مـراتـب الأفـضـــال
ومن الـذي بـنـوالـه نـال الـثـرا ... راجـيـه واسـتـغـنـى عـن الأمـــوال
وبـنـى بـكـف علائـه بيتـاً سـمـا ... شـرفـاً لأهـل الـعِـلـم والأعـمـــال
هذا هـو الشـرف الذي يدعى بـه ... بيـن الأنـام هـو الشـريـف الـعـالي

وهذا مما قاله الناظم حميد بن محمد بن رزيق :

أيا محسن كـالاسـم إنـك مـحـسـن ... ومدحك من تفخيمه المدح أحسـن
لك الشرف المحض الذي قد ترى الدجى ... بـه وهـو بـاه بـاهـر الـنـور أعين
وفـي كـل ثـغـر مجمـلاً ومـفـصـلاً ... مديـحك تـتـلـوه مـع الشكـر ألـسن
ومـا قـدر الـتـبـر الـذي حـل قـدره ... ثـميـنـاً تـراه والـذي مـنـه أثـمـن
تجـود ولا تنفك تثني على الـذي ... تجـود عـلـيـه وهو بالشكر معلـــن
أيـا أسـد لـم يـفـر إلا بـصـــارم ... بـه الليث في الجبان لا الغاب تسكن
لقد طال مـا تـاج الـعدا يـتـهـلـل ... بـمـلـحـمــــة آسـادهــــا تـتـلـون
تكـر بلا ثان على الألف في الوغـى ... وشـخـصـك آلاف لـهـم يـتـكـون

وفي عينك الصعب الذي يفجع الورى بخطب يحيل الصبح كالجنح هين
سلالة زهران علوت بمحتد له في مكانات الكواكب موطن
رسيت بحلم دونه كل شاهق إذا ما به في كفة العقل يوزن
سرى في بلاد الله صيتك بالسنا وفي كل قلب كونه متمكن
فلا غرو أن يهدى لك المدح يومنا يشف بإفرند وكفك معدن
وما انا إذ أخرت عنك زيارتي سوى لمديح درة الحو تحزن
فجاء بحمد الله وهو كما ترى يسرك إيضاحاً وللخصم يحزن
وأحسب لو أني لغيرك رضته لألقى الرضا عن طاعتي وهو محزن
ألا أنني لست امرىء بمنافق ولكنني خل بودك مذعن
ومدحك في ثغري يشف بجوهر به ظلت في أثمانه أتفنن
أنا الشاعر الدري لا شك دره وإنك أنت المشتري إذ يراهن
فخذ مدحتي فالحر ليس على مرا كريم إذا أهدى ثميناً يثمن

تمت ، ونسختها من خطه ، وتاريخ نظمها يوم ٢٦ القعدة سنة ١٢٥٢ من الهجرة .



الذكر التاسع عشر :

فيه ذكر ما جرى على صاحب ذي الغبراء في زمانه، وما نزل به من الحزن من مصيبات أولاده، وقد ذكروها الأشياخ بالنظم

قال ذو الغبراء : سألت أحد من الإخوان لأستعين به في حوادث الزمان قلت له فهل وجدت لي أحداً في البلدان؟، قال: رأيت لك أخاً مما يسر القلب لكنه فض غليظ القلب وفي نفسي بما فيه من القساوة من كثرة جلوسه في الحجارة وفي الظلال الباردة من الجبال المرتفعة وتحت الأشجار المقفرة وشربه من المياه الراكدة ومأكله من الأطعمة المحرقة التي بخوراتها في الرأس صاعدة ولكنه رأيته في دينه محترم وعن أهل زمانه ملتزم، وإن سألته عن شيء من الأسباب فيأتيك بقصة مما توافق السنة والكتاب، وبالشهادة من لها من أولي الألباب، وهي تراها موافقة للحق والصواب، لا شك فيها للمرتاب، وإني شاهدته في حزنه على الأولاد الذين لا عليهم حساب ولا عقاب، ويقفون إبراهيم ابن الرسول في دخوله الجنة من الأبواب، ويتنعمون من اللذات والشراب، وينكحون القاصرات الطرف الأتراب، فاستحقوها من سكرة الموت وشدة الألم والعذاب، لا بتوحيد رب الأرباب، وإنما ثبت لهم الإيمان من آبائهم أو من آدم عليه السلام، لأنهم لا ينطقون إلا بالأنين وذكرهم الأم والأب، وإن أردت الوصول معه فسأله عن العلة والأسباب.

قال ذو الغبراء : قصدت إليه وسلمت عليه ونظرت كتابه بين يديه

وهو قاعد في الكهوف والأحجار بقرب الماء الجاري والأشجار، فحين سمع الكلام نهض إلى القيام، ورد الجواب بالتحية والإكرام، وقال مرحباً بالقرين في الإسلام والخل في الأحلام وقال كما قال الشاعر :

إن القرين مناسب لقرينه فاختر لنفسك أحسن القرناء

وقال يعرف الأخ في الشدائد كما قال الشاعر :

أخوك الذي إن سرك الدهر سره وإن أساء فهو عليك حزين

وقال غيره :

وإذا صفا لك من زمانك واحد نعم الزمان ونعم ذاك الواحد

وقال غيره :

وما أكثر الأخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

ثم قلت له : مالي أراك حزيناً كئيباً كأنك آيس من رحمة الله ؟ قال : فهل ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون ؛ ثم أجابني فقال : كيف أراك مستبشراً كأنك آمن من عذاب الله ؟ قلت له : لا يأمن من عذاب الله إلا القوم الخاسرون ، ولكن أخبرك أنا من أصحاب ذي الغبراء ، ولم نزل في الجوع والعرا ، وترجي قلوبنا الغنا ، وفي الاخرة رحمة ربنا ؛ فرأيته دمعت عينيه وسالت على خديه وأعطاني من كسوته وعيشه وقال شعراً :

جدد ثيابك ما استطعت فإنها زين الثياب بها تعز وتكرم

ورثـاث ثـوبـك لا يـزيـدك قـربـة عـنـد الإلـــه وأنـت عـبـد مـجـرم
وبـهـاء ثوبـك لا يضـرك بـعـدمـا تـخـشى الإلـه وتـتـقـي مـا يـحـــرم

بيان حالته الاجتماعية :

ثم قال : وما هذا المعلاق الذي حملته على ظهرك ؟، قلت له : هذا معمول من اللبن جعلوه أهل الرفاهية لشواء اللحم في ليالي العيد فلما أخذوا منه اللحم أفلتوه في الخرابات، فقلت هذا مثل اللقطة التي لا يرجع إليها صاحبها فأخذته وجعلت فيه هذه القراطيس التي فيها تسلية القلب وأكلم بها العرب على قدر لغتهم في زمانهم لا على فصاحة السابقين من أسلافهم، قال: كيف اخترت لنفسك الوحدة وخرجت عن جماعتك في العزلة؟، فقلت له: أسلي نفسي وأجلو همي وكربتي في خلوتي وقد فقدت أحبائي وآبائي وأجدادي وإخوتي وأولادي، فقال: اكشف لنا سرك فأكون معيناً لك في زمانك ونجعلها قصة في كتابك فأعطينا دليلاً وإن لك في النهار سبحاً طويلا، قلت: سل ما شئت، قال: هل أصابك ما أصاب المسلمين من أهل زمانك من الغرق والحرق وتنكيل الضرب والكسب والظلم واستحلال الأموال وسبي الذراري وسفك الدم ومن العلل والأمراض والجذام والغل والقيد والنكال والسرقة وعداوة الجار والأرحام وتسخير الأمراء ؟.

وهل عارضك معارض في الصلوات والزكوات والكفارات والصدقات والتبعات وفي الحج والعمرة وزيارة الشفيع؟، قلت له: لا عارضني معارض فيما ذكرته لي بل إني وجدت اللطف والإحسان وأخبرك بما رأيته في الزمان نظرت أبي وجدي وعم أبي وعماته وخالاته وأخواله

وكلهم في يسر ومدوا إلي بالكسوة والنعم ودارهم لا عوج فيها ولا أمتا.

ما قيل شعراً في وصف بلد الحمراء :

وأنا من بلد الحمراء التي قال في ذكرها الشيخ عامر بن سليمان الريامي المصعبي الإزكوي شعرا:

حبذا الحمراء من أرض كدم ... وبها كنز الغنى بعد العدم

ما غاب عنها قاطن إلا ندم ... يسح بالخدين وجداً دمع دم

يقول في بكائه بل القدم ... يا ليتني قبل خروجي في الردم

يا حسرة القلب ووجدان الندم ... لو قيل عنها هاك نزوى وأدم

والله لا أرضى أميراً بالخدم [(١)]

وله أيضاً :

طوبى لمن سكن الحمرا و قام بها ... في عزة يدرج الأوقات إدراجا

فالله سورها بالراسيات وفي ... حافاتها شيدوا للمجد أبراجا

فيها قصور بها الأنهار جارية ... وروضها استبهجت بالنخل ابهاجا

تهوي إليهم وفود ذاك ملتجأ ... وذاك للرفد أفراداً وأزواجا

يارب فاسبل عليها الغيث منسجماً ... عمّ السماوات هطالاً وثجاجا

بها المصاليت من عبرا بنو حكم ... الله يهديهم للحق منهاجا

فهم غيوث لضيف حل ساحتهم ... كم أسرفوا في العطا من جاء محتاجا

وهم ليوث إذا ما الروع حل بهم ... أسيافهم سفحت صدراً وأوداجا

وفيهم العِلم والمعروف حليتهم ... حتى غدوا قبساً للناس وهاجا

---

(١) يبدو أن شطر هذا البيت قد سقط .

وقال الشيخ علي بن ناصر يمدح فيها مقاماً :

إنما مسجد الحديث مقام ... ليس يحذوه في البلاد مقام

فاحتوته الحمرا وزادت جمالاً ... وجلالاً شهدت به الأحلام

هو بيت لله أعلى علاه ... وبناه الغضنفر الضرغام

سام السؤدد المسود سعد ... المستليذين والسطا والحسام

واقتفى في بنيانه صالح الأسـ ... ـلاف بل زاد فيه المرام

ارفق الدار مر فقال شتاء ... فيه يؤذي ورسموم تشام

طوقته يمين بانيه نهراً ... عن يمين مما استهل الغمام

وحباه حديقة ذات نخل ... عن شمال تحفه لا تذام

وكسته من سندس الروض برداً ... طيبته الأزهار والأكمام

سارعوا فيه إخوتي وأقيموا ... واذكروا الله فهو نعم القيام

بايعوا الله وافنوا العمر فيه ... بنعيم الأخرى وفيه الدوام

واصبروا ثم صابروا فهي أيام ... قلال يغتالهن انصرام

إن مر الصبر على الأمر فحلو ... حيث من شر به يزول السقام

ميّزات بلدة المسفاة ، وما قيل فيها شعراً :

قال: ثم رآني تغير لوني وحالي، وقال: مالي أراك تزعم أنك من بلد الحمراء وهذه البلاد طبعها اليبس وهواؤها محترق ولحم ساكنيها ونطقهم لا بهم فتازة في أجسامهم لا بها رخاوة وليس في هذا مجتمع في جسمك ونطقك ولا تخفي علي أمرك وإني أرى بجسمك رهلة ونطقك فيه ثقلة ومشيك بالجفوة كأنك تنقلها في الصخر والجبال المرتفعة وعسى أن يكون لك خولة في بلد جوة، فأجبته على كلامه وسمعته فارساً في نطقه .

قلت له : صحيح ما قلته وشاهدت في تلك البلد أمي وأبيها وجدها ونسله سلم الله ساكنيها من عمي العيون والجنون خصوصاً دون غيرها وهواؤها طيب وطبعها معتدل وقد دخل فيها رجل ذاهب بصره من الجدريِ وسكن فيها فارتد بصره مما يعرف الشمس والقمر والنجوم والدواب والشجر وخط بالقلم ببركة البلد .

وهي في جبل رضوى من البلدان المنيعة الرفيعة التي لم تصل إليها الفرقة المارقة ، ولا أهل الأمر والعداوة ، وقال فيها الشيخ العالم ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي شعراً :

أحلى مقاماً للإقامة موضع ... ربع برضوى للنواظر مرتع
في عقبة المسفاة أحلى بلدة ... من تحتها كدم جنوب أوضع
صرح لمسجد عند نهر عنده ... أحلى مقام فيه نفس ترتع
من كان فيه قاعداً تزوي لنا ... طراً جميع الأرض إذ هو أرفع
قم في نهارك في المقام وفي الدجى ... في الصرح لله بقلب يخشع
فكأنه من جنة الخلد أتى ... لنبي معجزة هنالك موضع
ونعيمه يدعو الفتى تذكاره ... روم السلوك إلى الإله وتسرع
ونسيمه يدعو إلى حضراته ... المولى ليسلكها بنور أسطع
وتقول نفسي ابن أبي نبهان نا ... صر قم ترى الآيات فيه فتطمع
لله كل الحمد صلي يا إلـ ... ـهي على النبي والذي يتتبع

وهذا مما قاله الشاهد الثاني عليّ بن ناصر بن محمد شعراً :

سقى الله داراً لا يغيرها المحل ... وثمر رباها لم يزل فيها يحل

تمتع بالطود الأشم قرارها وعن كل هون في بقاع العلا نقل

فروضاتها طلح النضيد يزينها مع الكرم والرمان في حبة النخل

وأنهارها تجري خلال رياضها وأبياتها والوقت معتدل كمل

بفصل الشتا لا كان ثلجاً بأرضها ولا حر منه يسخن الماء والظل

وأكرم بها لله بيتاً مشيداً بأعلى ذراها لا يقاس له مثل

إذا كنت فيه خلت فوق سحابة على روضة يدني نعائمها البذل

بنته يد خير البنا ثم عوضت سني ....

ما قاله الشعراء رثاء لأولاده :

وقال عامر بن سليمان :

سقى الله الشريجة كل يوم هتوناً ليس يعقبه انقطاع

لقد ضمنتها أفلاذ كبدي فلا ترجى لغيبته ارتجاع

سألت الله في الأخرى لقاه بجنات لنا فيها اجتماع

فيا أسفى على ولدي سعيد حملت أسىً وما لا يستطاع

وقال الشيخ عامر بن علي :

علوت علياً بالعلا ليت أنني تكون لي المخدوم في دارك العلا

سعدت سعيداً يا لها من سعادة وفوزاً بجنات النعيم ومنزلا

صبيان قد متا بربي أمنتما وصرت رقيباً للممات مؤملا

وخفت فراقي عنهما حيث أنني تحملت أوزاراً فلا زلت مثقلا

ولكن رجاني من إلهي لقاكما بدار بها ألقى النبي المفضلا

عليه سلام الله ما فاه ناطق وسبح طير بالغصون وهللا

وقال زاهر بن مسعود العوفي :

سعيد لقد أسعدت كل سعادة بدنيا وأخرى في سعود ممجد
قد اشتاقك المولى لتقدم عنده ليسكنك الجنات أفضل مقعد
تكون جوار المصطفى سيد الورى بجنة عدن في جوار محمد
وذلك دار ليس يفنى نعيمها فطوبى لشخص في الجنان مخلد

وقال الشيخ علي بن ناصر بن محمد :

أجفان عيني بالدموع هوامع إن لاح برق بالشريجة لامع
وإذا أضاء على العيون وميضه يعلو بأحشائي لهيب ساطع
لا مدمعي يرقى بمضطرم الحشا كلا ولا تطفي الضرام مدامعُ
سقياً لربع ممرع من روضها بمواطر من رحمة تتابعُ
وسقى الحيا ماء الحياة بأرضها قبراً به أفلاذ كبدي واقع
حتى يمج ثراه سيل مدامعي والغاديات وما لذلك مانع
أكرم به قبراً تضمن لحده خلقاً وأخلاقاً وربي صانع
فيه سعيد الخير أسعد صبيتي وأبرهم وهو العصي الطائع
ألف المكارم والمحامد كلها طفلاً وكان هو المضر النافع
ما رمت إدراك الثنا إلا انثنى طرفي وكان هو الذليل الضالع
ما خفت شر ملمة وشديدة إلا وكان هو الجلي الشافع
هو صفوتي لا صفو عيش بعده هو سلوتي مما به أنا جارع
كنا كمثل الفرقدين لنا على وجه البلاد مشارق ومطالع
أو مثل غصني بانة فاجتثها للموت ريح عاصف وزعازع

تفديه لو يغني الفداء نفوسنا وبما احتوته راحة وأصابع
لهفي عليك سعيد غيبك الثرى عن مقلتي واستخطفتك بلاقع
سافرت من دار البلا دار البقا لا راجع منها إليها ناجع
وخرجت من شرك المهالك والشقى ما نابك الخطر العظيم الشائع
ويهون في قلبي مصابك حيث لا خوفاً عليك ولا يروعك رائع
بشراك فزت بجنة وبما اشتهت نفس ولذة أعين ومسامع
يا ليت شعري في لقائك هل يكن في يوم ربك للخلائق جامع
والله أسأله لقاك لأنه أهل الإجابة وهو معط مانع
وصلاة ربي والسلام على الذي شرعت به للعالمين شرائع
أهل الرسالة والنبوة والتقى والزهد لا تحصى ثناه بدائع
وكفاه مدحاً ما أتى من ربه بكتابه وله المديح الشائع
وصفاته الحسنى يفوق ضياؤها شمس الضحى لو لم يذعها ذائع
طوبى لعين من ضياء جبينه كحلت وفي قلبي لذاك مطامع
يا رب لا تحرم عيوني نظرة من وجهه فلك العطاء الواسع
وارزقني الدارين وجه جماله وبه الشفاعة إن تعذر شافع
وعلى صحابته الصلاة ومن له ولهم إلى يوم القيامة تابع

ورأيت رؤيا : كأن معي في حجري ولد مغبر رأسه في فخذي اليمين، و يقول لي: لك السرور من قبلي هذه الرؤيا ليلة تاسع من شهر صفر وفي ليلة ثانية رأيته كأنه على طريق الربع(١) مع رجل يسمى سليمان بن ناصر وجاء عندي وأعطيته من شخاخيل الأنبا(٢) وقال لي

(١) اسم مكان ببلد الحمراء .
(٢) شجرة المانجو .

سليمان بن ناصر: ولدك أكل من عندنا أنبا فتفسير هذه الرؤيا تزوجت ابنة سليمان وأتت لي بولد ذكر وسميته إبراهيم ولعل فخذ اليمين للعمومة والفخذ اليسار للخؤولة.

وهذا ما قال فيه الشيخ ناصر من النثر بذلك ناظم القصيدة :

قال الشيخ الفصيح معجز البلغاء ومبهر الفصحاء الجهبذة المنطق المنطيق حميد ابن محمد بن رزيق في الأخ خميس بن راشد العبري حين مات له ولد ويسمى سعيد فأحدث الله له ولداً بعده سماه سالماً وقد رأى فيه وكان نائماً رؤيا أنه ليكون سعيداً غانماً وذلك قبل حدوثه له وإنما تدل على أنه ليكون عاملاً بنور الله تعالى وهادياً حكيماً عالماً وفي صيغة المقال كأنه من أبيه بلسان الحال، فقال شعراً :

أيا سالب الأحزان يا واجب الحمد ... لك الشكر إذ جذيت لي سبب الوجد

فإنك مولى لا يحصّر فضله ... ببحر الثناء الجم فوه فم العبد

فكم ترحة مزقت عني بفرحة ... وأدملت وجدا غايل الوجي بالوجد

وإني امرؤ من صورة البشر لي نهى ... نباهة تنهاه عن سورة الفقد

وكيف أدير الفكر في فلك جرى ... بنحس ولي طرف يرى كوكب السعد

فلله نجم لم يذر لي بزوغه ... تذكر نجم آفل في ثرى المجد

ولما أراني الله صورة وجهه ... لبست الهنا إذ كان كالوشي والبرد

وقلت له أبها سليلي لقد نما ... ودادك في الاحشاء عن سائر الولد

ومن اسمه الرضوان سميت سالما ... لفعل ترى صلحه أعين الرشد

وأي هجان لا ترى فيه جنة ... جنانك إذ كالسيف لا الغمد للجند

فحمداً لمولى قد أراني بوحيه ... وجودك يا مجدي ركاب الهنا مجد

ومن قبل أن أحضى بوجهك رؤية — أراني خيالي بهجة نهجها قصدي
وفسرها رشدي على انك الذي — تقر به عيني وينمو به ودي
ولا غرو أن ألقى خيالي مخايلا — لانسان عيني منك صادقة الوجد
ولي محض ومض من محياك مشرق — إلى طرق الإرشاد أنواه تهدي
وما لي لا أفتر بشرا وقد أرى — إذا لحت في الولدان في جنة الخلد
فعش ولدي في نعمة مستشفة — بجوهرها الزاكي على لؤلؤ العقد

قال ابن رزيق : فلما بلغت الأبيات خميس بن راشد انسجمت سحب أيادي يديه بالنوال وربحته سجسج الثناء، فتمايل طرباً بعذب زهور زهرة المقال، ثم فاتحه ابن رزيق بسورة التفخيم والتعظيم لما كانت ذلك بذلك امراً ولا غرو أن قال في حقه الواجب الذي لا ينل إلى السالب شعراء وعدد هذا المقطوع الثاني ستة عشر بيتاً من بحر الطويل فقال :

فتى راشد لازلت مؤتلف الرشد — وودك للأحباب معذوذب الورد
وما برحت تتلى عليك من الثنا — بوارع آيات بفاتحة الحمد
ومن يدك البيضاء لم يَعشُ مترب — ومن السنة الشهباء سالبة الوجد
وأي كفاح لا يرى منه مصدر — وما ترك الوراد كالأسد الود
وإنك قرم قد ترى الحب واجباً — عليك لبيض الهند والصد عن هند
وما ارتاب غيم النقع تسجامك الجلي — وصوتك والصمصام كالبرق والرعد
وقلبك للتقوى يلين وفي الوغى — على فئة الأعداء كالحجر الصلد
ولم تجهل الأحبار أنك عالم — صفي وفي صادق القول والوعد
ومجدك لا ينفك يزداد بهجة — لأعين فهر الشم والسادة الأزد
ولا غرو أن أثني عليك وبالندى — لأن فنا ناديك ينصاع كالند

ولي روضة تزهو بزهر قريضها ... ومن وبلك المعروف عرف الثنا تهد

أيا غيث يا ليث زهت وتناصلت ... بنو حكم بالبأس منه وبالزهد

وإن الذي سماك منهم لمنصف ... خميساً وقد تعزى خميس إلى الجند

وحسبك أحساب تضيء بأنجم ... تخال هي الأقمار في فلك السعد

وإني لذو علم بأنك آية ... مبرهنة بالجد والجد والمجد

فعش يا سليل الشم في فسحة العلا ... على رغم أنف الآنفين عن الود

قال الشيخ علي بن ناصر أيضاً تهنئة وثناء ودعاء صالحاً للولد سالم على لسان أبيه خميس بن راشد شعراً :

سميت سالم حيث أنك سالم ... مما يكدر خاطري ومسالم

وافيتنا فأتت أمامك نحونا ... منن الإله كثيرة ومغانم

وبشائر عنها سعود أفصحت ... يلقى ضياها جاهل والعالم

وقتلت أتراحي بأفراح بها ... كلي ثغور ابسمت ومباسم

أخليفتي عن سالفي بمكارم ... يا سلوتي دانت لهن مكارم

روضت عيني في أريض زاهر ... من روض وجهك وهو روض باسم

وحللت منك تحية فلي الهنا ... نلت المنى ولنا النعيم الدائم

هذا هو الفضل العظيم ومن أرى ... بالشكر معطيه فليس يقاوم

شكراً له ربي بإدراك المنى ... وأنا الغريق بفضله والعائم

والله يبقيه ويبقينا له ... في رغد عيش بالدوام منادم

ويقيمنا دار استقامة ديننا ... بخلاصة الاخلاص وهو الراحم

وصلاة ربي والسلام نبينا ... تغشاك ما جادت ثراك غمائم

وعلى صحابتك الكرام ومن لهم ... فضل على كل الورى وتعاظم

وله أيضاً :

خميس لك الخيرات هنيت بالبشرى ... وما ضمن الالهام فكرتي الشعرا

تفاءلت بالخير الذي قارن الدعا ... وكنت بذا أولى وأنتم به أحرى

وقرضت في أحياكم الشعر مادحاً ... وأرثيت منكم راحلاً سكن القبرا

وكان على جيدي لكم طوق منة ... ولا منة يوماً عليكم ولا فخرا

ولي ولكم أدعو الإله إعانة ... ورشاً وتوفيقاً يوصلنا الأجرا

وصل إله العرش في كل لحظة ... على المصطفى ما دام قرآنه يقرا

وأصحابه والتابعين سبيلهم ... بما مقتر من كثر دعوته أثرى

وله أيضاً :

يا ابن الكرام الأماجد ... أقصد خميس بن راشد

ذاك الذي قد فاق خلقاً ... إذ حاز كل المحامد

وأقريه مني سلاما ... وقل له لا تباعد

في زورة لمشوق ... لديه أعدل شاهد

وله أيضاً :

كتابك وافى أيها الخالص البر ... خميس الذي يسمو لإحسانه الشكر

تلألأ إشراقاً ووداداً وحكمة ... يكاد بأن يبيض من ثوره السطر

وفاح لنا ريحان حبك نعتلي ... على الروح والريحان يا حبذا البشر

فلا حرمت عيني محياك ساعة ... ولا فارقت عيني خلائقك الزهر

ولا عدمتك المسلمون أخا هدى ... وكهفاً إذا ما نابهم أبداً دهر

وبعد خطابي والدعاء مع الثنا فمنك اوافي لا بمن لك الأجر
سألت لك المولى جزاء ورحمة ولا حل ربعاً أنت ساكنه الفقر
ومني اقتني أسنى السلام مجدداً بما طال في طول الزمان لك العمر

وله أيضاً :

لله فضل بالإنام ورحمة بالمؤمنين ومنة تتعاظم
سميت سالم حيث إنك سالم من كل مهلكة وأنت الغانم
أضحت منيتك المنى فلك الهنا نلت الغنى بالفقر ليس يزاحم
نلت السعادة قبل نهج طريقها من جود مالكها بما هو عالم

.... (١)

ولم يسعدني الجد فعساك أنت أقرب إلى مساعدة الجد بالوصول وهو المرجو والله ولي التوفيق، وعليك وكافة المشايخ والأخوة والجماعة من جزيل السلام تحية أخيك ومحبك الذاكر فضلك وإحسانك الفقير إلى الله عامر بن علي بن مسعود العبادي وإن بدت حاجة تقضى إن شاء الله ٤ شعبان ١٢٥١.

ومات الشيخ عامر في ١٥ شعبان سنة ١٢٥٣.

تضرع إلى الله ووعظ وتذكير :

ثم قلت له: اعلم يا أخي لا بد للإنسان في هذه الدنيا من نزول الأمراض والمصائب وجميع ما في يدك من أولاد وأموال أمانة ولها مطالب ولعل المصيبة لذنب قد سبق قال ربك : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ

(١) يُوجد نقص صفحة كاملة .

فبمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [1] ، وكلنا تضرع إلى الله بالدعاء وتوسل إليه بالنحيب والبكاء، وقل يا رب يا مولاي أنت الغني الكريم، وأنا الفقير المحتاج، وأنت الغفور الرحيم، وأنا العاصي المذنب المرتكب الاعوجاج، وأنت السميع العليم، وأنا المسيء الذميم، وأنت الملك القادر وأنا العاجز القاصر، وأنت الرب العلي، وأنا العبد الدني، وأنت القوي وأنا الضعيف.

قد اعترفت بذنبي وأنت ربي وشهدت على نفسي بالعصيان، ولا أحد لي ملجأ ولا منجا منك ولا مفر عنك يا رحمن، فأدعوك يا مولاي يا منان بأن تغفر لي ذنوبي وتعفو عني جميع ما كان ولا تؤاخذني ما عصيتك به طول الزمان، فإنه لا قدرة لي على عذابك ولا طاقة لي بعقابك، فلا تردني خائبا وإني أدعوك من فضلك لا باستحقاقي فعفوك عني لا ينقص فضلك، وأنا لا أجد لحاجتي أحداً غيرك، فإن رددتني فإلى من التجي وبمن أتوسل وأين أذهب وأين المفر فيا مولاي يا أرحم الراحمين إلهي وسيدي إنك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤالي وتعلم ما في نفسي وقد التجأ بي أولادي فما جوابي وحيلتي إلا دعائي ربي وشاهد على نفسي بموتي ولحوق أحبتي وأولادي وما قولي في حياتي إلا كمثل الذي قال من قبلي شعرا:

نروح ونغدو في الحياة كما غدوا ... فعما قليل لا نروح ولا تغدو
وما نحن إلا مثلهم غير أننا ... أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا

فأجابني صاحبي بهذين البيتين قال :

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبداً وما هو كائن سيكون

---

(1) سورة الشورى : ٣٠ .

سيكون ما هو كائن في وقته وأخو الجهالة متعب محزون

قال غيره:

لا دار للمرء بعد الموت يعمرها إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها

اعلموا أيها الناس ، أن الدنيا دار غرور، ومكر وفجور ، دار الفجائع والألم، دار المصائب والسقم، دار تقلب وأهوال، وأدوار وأحوال، دار أضغاث أحلام في طيب المنام، فإلى كم هذا الأمل الذي لا انتهاء له، والألم الذي لا شفاء له، والعمل الذي لا إخلاص فيه، والعلم الذي لا منفعة تليه، أإله غير العزيز الأكبر، أو دين غير دين النبي المطهر، أم جراءة على الحي القيوم، أم أمن من العذاب السموم، أم تحسبون أن الدنيا لكم تدوم، ألا أخبركم عن أمر تعاينوه، لا عن شيء تخبروا به وتسمعوه، شيب وهرم، وصحة وسقم، ووجود وعدم، وعافية وألم، ونور وظلم، وحسرة وندم، حال المنون وأصله، وليس لها صارم، ويده حاسمة وليس لها حاسم، كم قطعت قبلكم من أمم، وأفرست بغصصها من ملك مكرم.

أين ذو البؤس والنعم، وعاد وإرم، أين الملوك، أين أبناء الملوك والأقاصرة، والأكاسرة والجبابرة، أين أهل الوفاء والسداد، والذين لم يخلفوا الميعاد، أين الذين سولت لهم نفوسهم وأضلتهم عن طريق الرشاد، ولم يتخذوا من دنياكم هذه زاد، أين ثمود وعاد، ونمرود معدن الفساد، أين فرعون ذو الأوتاد، وبنو نبهان الذين استكبروا في البلاد، أين الذين عمروا جناتهم، وشيّدوا بنيانهم، أين الذين حوزوا ذخائرهم، وملكوا

عبيدهم وحرائرهم، أين الآباء والأجداد، أين النساء والأولاد، أين الأحبة والعباد، أين العلماء والزهاد، أين الذين ركبوا الجياد، قبضتهم المنون، وفقدتهم العيون، كأنهم ما كانوا أهل عز ورفعة، ولا أهل مملكة ومنعة.

أمسوا تحت أطباق اللحود، حتى تمزقت منهم الجلود، وصاروا معاشاً للدود، حتى أصبحوا أجداثاً دارسات، وأمست منازلهم تسفي عليهم الرياح الذاريات، قد فارقوا الأخوان والأصحاب، وثووا تحت أطباق التراب، قد صار ذكرهم مؤثراً في الكتاب، وعبراً لأولي الألباب، ومواعظاً للعلماء والخطاب، فندموا هنالك من حيث لا تنفع الندامة والبكاء، ولا تغفر الزلل والخطاء، فإما فائز بنعيم مقيم، وإما رهين في عذاب أليم، ذلك يوم يشيب فيه الطفل والوليد، ذلك : ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ {٨٨} إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [١] ، ذلك يوم القيامة، والعرق إلى الهامة، يوم الصاخة، يوم القارعة، يوم الطامة الكبرى : ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى {٣٥} وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى {٣٦} فَأَمَّا مَنْ طَغَى {٣٧} وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {٣٨} فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى {٣٩} وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى {٤٠} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[٢] ، جعلنا الله وإياكم ممن ارتضى من صفوته، ومن الراجين جزيل الثواب من رحمته، إنه هو أرحم الراحمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة الشعراء : ٨٨ – ٨٩ .

(٢) سورة النازعات : ٣٥ – ٤١ .

الذكر العشرون :

في ضعف تدبير أهل الأمر، وانحطاط منازلهم العليا إلى الدرجة السفلى بنزول البلاء عليهم(١)

قال ذو الغبراء : وجدت في الأثر عن الحسن البصري مر عليه أمير البصرة وهو يمشي مشية الخيلاء، والكبر في قلبه أعلى وأملى ، فقال له الحسن : إن الله لا يرضى بمثل هذه المشية، فقال الملك: أما تعرفني يا حسن؟، قال له الحسن: أعرفك حق المعرفة أولك من نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وبين ذلك حامل العذرة، فلما سمع الملك الكلام مشى عنه يرفل كابن آوى.

فقال الحسن : مسكين ابن آدم ، يتكلم بلحم وينظر بشحم ويسمع بعظم، أسير جوعه ، وصريع شبعه ، تؤذيه البقة وتنتنه العرْقة ، وتقتله الشرْقة ، فلا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

وفي حديث آخر : سمعت عن رجل نصبوه الناس إماماً لهم فأعجبته نفسه وطغى وتجبر وعمد إلى الهوى والزنا وشرب الخمور وضرب الزمور فوازروه كثير من الناس فسلط الله عليه رجلاً من خصمائه من أفقر أهل زمانه فأخذ عليه الملك وما خوّل من الأموال هو وعشيرته وهذا الرجل طلب الإمامة وغصب المسلمين على نصبه فلانت الرعية لطاعته فنظر نفسه لا ثاني عليه فقتل الأكابر وسجن أمراء

---

(١) في الأصل : بنزول عليهم البلاء .

العشائر فخذله [1] الله وسلط عليه البلاء ومن لا يرحمه .

وآخر صنع كصنعته في فئة قليلة فأعزهم الله وقتلوه .

وآخر قتل ناساً من رعاياه على مطلب هواه فأضعفه مولاه ولم يجد مأواه فحازوا عليه الأموال والمياه .

وآخر من الولاة أرسل عسكره إلى قتل رجل من المسلمين فلما قتل الرجل عزل الوالي عن ولايته .

وآخر أخذ حارة على جاره فذهبت قوته ونصرته .

وآخر عشق امرأة فأخرجها عن بعلها ومات قبل أن يأخذها .

وآخر خلف له والده ملكاً فضاقت عليه الأمور في أول شبابه فقواه الله في اكتهاله وبلغ مراده فأمر أحداً من وزرائه يقتل رجلاً من قضاته وحوز أمواله فحين قتل الرجل القاضي نزلت بالملك النكبات وظهر على ملكه رجل من أصحابه وأخذ عليه كثيراً من حصونه من غير قتال لأصحابه ثم جاء الملك بجيشه فولى خائباً عن ابن عمه ولا زال متحيراً يبذل أمواله في طول زمانه .

وما أحسن للوزير أن يكون صاحب قريحة ثاقبة وأن يكون مميزا في عقله مما يسر الملك أن يسلي به، إذا غضب فيخفف غضبه على رعيته، وكذلك الملك أحسن له أن يعتبر الناس لأن أكثر الناس يفيحون للملك بالكذب مما يسره في ساعته وبعض منهم إذا سألهم الملك عن مائة كلمة ، أعطوه واحدة مما تسره فأعجبه منهم ، ورآها أثبت من كلام

---

(١) في الأصل : أخذله .

الكذابين [1].

رجع لإكمال الأول :

وهذا الرجل الذي طلع أمره على الملك أخذ أسارى فرأى فيهم رجلاً من غير عشيرته فقتله بنفسه في حصنه وقوة أصحابه وعفى عن أقاربه والذين ينتمون من صفه، فبعد هذا الأمر لم يجد الظفر، فقد أصاب رعيته السبي والقتل والاستحلال ثم كتب للمسلمين الذين هم على الحق مستقيمين يريد منهم النصرة.

فهذا جواب أحدهم له: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله الذي جعل التمسك بالحق من أكبر نصرة المؤمنين، وقوى بالتوكل عليه وحسن الظن فيه قلوب المجاهدين، وابتلى أنبياءه وأولياءه ابتلاءً حسناً بأنواع الشدائد، وأعانهم على الصبر بعد تسليم أنفسهم في المجاهدة له بالنصر على فاسد وعاند، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة القائم له بحقها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وسلم) شهادة من علم بصدقها ، وعلى آله وصحبه البررة الكرام، الذين شيّدوا أعلام الإسلام، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في حق الملك العلام، ثم إني أخص بجزيل السلام وأسنى التحية والإكرام السيد المحب الأكرم فلان بن فلان الفلاني، سلمه الله من فوادح الليالي والأيام، وهداه إلى سلك طريق أولي التحقيق الآمنين من جزع يوم القيام، وبعد فقد وصل إليّ شريف كتابك، وفهم العبد الفقير إلى ربه لذيذ خطابك، وبنفسي حرج من رد جوابك، على ما نفسي من النصح الذي ترجى به المنفعة والسلامة الأبدية وسلوك

---

(١) في الأصل : الكذاذيب .

سبيل المؤمنين المعروفة بالمحمدية، وخوفي أن يختلس الشيطان عقلك، فيريك غير ما أنا عنيت، ولك بذلك ابتغيت، لأن أكثر أهل زماننا المتورعين من العلماء والضعفاء المستضعفين، كأنهم يلجؤون إلى رخصة التقية، ويتكلمون فيما يمتحنون بكلام مجمل يحتاج إلى تأويل ذي فطنة نقية لما يرجون من قلة أتباعهم، وضعف نصرتهم على الحق وأتباعهم، وكان ذلك هو الأحسن والأسلم، عاقبة لهم من مضرة الدين والدنيا.

وأما في حقك معي ومنزلتك العلية فما أقول ممن يكره الحق فيتقى، لما كنت أعهد فيك من النقا والاتقا، وقولي لك هنا وغير هنا بحسن ظني فيك بقبول الحق، وتصديق الصدق، لا حقارة لقدرتك، ولا استخفافاً بسلطانك وأمرك، وعلى ذلك أقول، مما خطر من المنقول والمعقول .

فاعلم أنك ممن أطال الله يديه، وأرغم له أعداءه، ونقله من رتبة المساكين الضعفاء، إلى منزلة السلاطين الشرفاء، وإن كان مقامك في ذلك مقام ابتلاء، ولو كان في ظاهر الأمر مجداً وعلا، ومثله كالمختبر الدينا في النار، ليظهر سره الذي علمه فيك، حتى يكون لك حجة معه أو عليك، ومع قلة معرفتك بالملك وعمد ابتلائك به سابقاً، تساهلت به أولا ولاحقا، فظهر لك معه ما لا تظنه ولا يخطر بجنانك، ولا سيما من أهل زمانك، وانبعثت عليك بواعث الامتحان، بعد السلامة من جميع ذلك فيما مضى من سابق زمان، ودخلت في مداخل كنت تكرهها في غيرك وسواك، ولا تقل أنك ممن يرد خلاف الحق بهواك، بل العذر في خلاف الحق يغوى ويعمى، وابتلاك بالملك أهون ابتلاء، مما به غيرك ابتلى، خصوصاً في أول دخولك في هذا الأمر وحلولك، إذ تهيأ لك أقصى مرادك بأدنى

اجتهادك، ولعلك كنت أشرف رتبة مع الله، ولنا في ذلك ظاهر دليل وأوضح سبيل، إنك كنت مسكيناً من أهل المساكين، وبتلك الحالة أقدرك الله حتى نازعت في ملكه أكبر السلاطين ، ونزعت ما نويت من ملكه وهو على اقتداره ، وقوته وآله وماله وأنصاره ، وكان الذي تريد لا الذي يريد، وما كان ذلك ملكاً ، إلاّ كما قال الله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾[1] وظاهرتك أعداؤك على هذا الأمر مظاهرة أوداك، وفي بداية الأمر كل مسرور بذلك، ويدعو لك بالنصر، من كافة أهل العصر .

والآن لم أعلم من أكثر أهل الزمان، من يشكرك إلا قليلا بجنان ولا لسان، وقد بينت لك هذا عساك تنتبه، إلى شيء من حكمة الله فيك، أو تعرف ما أنت جاهله مما أمامك أو وراءك، لتتدبر أمرك، وتبادر بالرأي الرشيد، مجاهدة في هذا الأمر من دهاك، لأن المؤمن مرآة أخيه المؤمن، والتذكرة في حق الأخوة نصرة، والمراد أن تفكر في علانيتك وسرك، فعسى ينصرك الله بنفعك وضرك، وتولي صالحي المسلمين جميع نهيك وأمرك، لأن هذا أمر عظيم، والخطر فيه جسيم، ويحتاج إلى معين ومشير وعشير، يقدم الجميع حكم كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع أهل صواب، مع حسن سياسة وتدبير، ومالم يوطد الأمر والنهي بجماعة المسلمين الذين تقوم بهم الحجة في الدين، وإلا فأتت في فتنة مبصورة عمياء، وداهية دهياء، لا يرجى بها صلاح الدين ولا سلامة الدنيا، لأن أكثر أهل هذا الزمان، أرادوا الدنيا بدلاً عن الآخرة، وأرادوا بها مكابرة الحق والمباهاة والمفاخرة، قبض الله عنهم دنياهم، ولم يمتعهم فيها بهواهم، جزاءً لهم بترك العصمة الوثقى من عروة العدل والتقى، فيجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم، بتفويت العاجلة، ومن ورائها خسران الآجلة ، وذلك

---

(١) سورة الأنفال : ١٧ .

جزاء من عصى الله بعلم وهو العذاب المهين، والخسران المبين، والعاقل يكفيه ما يرى، من تغيير المعتاد من أهل عمان، من البلاء والحرمان، وأنت إن أردت السلامة، فعليك بالإقامة، والاتباع فيما آثروه أهل الاستقامة، ومتى رضيت بكتاب الله حكما، وبأهل العدل حكما، وسلمت الأمور كلها طرباً ورغبا، فأنا ومن معي ننصر كلمة الإسلام، ونجيب دعوتهم وننصر كلمتهم، والله الموفق، وهو على كل شيء قدير، وإليه المصير، ووصولي ووصول غيري على غير ترتيب يشد الأزر ويحط الوزر ، فلا فائدة فيه إلاّ التعب والعناء ، الذي لا يدرك به مُنى ولا غاية غنى ، واعلم أنك مادمت على هذه الحالة ، فأهل الدنيا لا يطمعون في دنياك ، ومن ذلك تجافيهم عنك ، وتبعدهم منك ، وأهل الزهد والفقه يتباعدون عنك خوف الفتنة ، بدخول الفتنة ، وأنت مع ذلك محتاج إلى عصائب بالمال والرجال لحدوث النوائب ، ولا تقيم الحجة إلاّ من حجة ، وفي النفس تكميل التصريح لهذا التلويح ، بل تركناه اختصاراً من أحوال ما آثروه ساداتنا وفقهاؤنا في صالح النيات ، وأفوض أمري إلى الله ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ، والله سبحانه يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ، ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾[2] ، واستغفر الله من جميع ما خالفت فيه الحق والصواب والسلام،من المحب الفقير لله علي بن ناصر ، وتاريخ النقل من لسانه نهار ٢٣ صفر من سنة ١٢٥٣هـ .

---

(١) سورة الذاريات : ٥٥ .

(٢) سورة البقرة : ٢٦٩ ؛ سورة آل عمران : ٧ .

الذكر الحادي والعشرون :

فيه دليل من الفلك لحفر الآبار والأنهار، ولابتداء عمل البنيان، وفيه يماثله من الأخبار والمسائل في الحضر والسفر في البر والبحر، وفيه أخبار عن المبتلى بالنساء والأمراء والأموال، وآخره في الوعظ والزجر ، وما جاء في ذلك عن الأوائل

الاستدلال بعلم الفلك عند حفر الآبار والأنهار :

قال ذو الغبراء: سألت صاحبي عن حفر الآبار والأنهار والبنيان والعمارات الذي نراها لا يتم عملها وإن تم عملها خربت بالحال، ما صفة الذي تم وأقام فيها الطائع والعاصي لله ولرسوله، ما الفرق بينهما؟.

قال: الفرق كثير وبيّن، فإن فكرت في كل شيء له أدلة، انظر إلى بني آدم منهم من خرج سقطاً من بطن أمه وقليل منهم يصل إلى منتهى حده، وكذلك الدواب والزروع والأشجار والثمار وما خلق الله من الحيوانات التي في البر والبحر فلا يخفى عليك، وذكرت تريد بيان معرفة الفرق بين الاستقامة والهدامة فهاك بعض مننها ولا تمكن الإطالة في الكتاب فكل عمل يعمله الإنسان ينظر إلى السعود والنحوس فالأول يصلح الطالع والقمر ورب البرج الذي فيه القمر ورب بيت الحاجة ورب الطالع، فإن نظرت هذه الأرباب إلى الطالع كان الأمر سهلاً منجحاً على أفضل ما تحبه النفس ويرضاه العقل ثم اجعل في ابتداء الأعمال القمر ورب البرج الذي فيه القمر يكونان في الأوتاد الأربعة فإن ذلك العمل يكون في أوله

وآخره صالحاً مثبتاً، وأما إذا لم يكونا في الأوتاد فلا يثبت العمل وإن كان القمر في الأوتاد و ...... [1] رب بيته في السواقط فإن العمل يكون في أوله مرتفعاً ثابتاً واضحاً وفي آخره يدل على الفساد والضعف لأن أول العمل يؤخذ من القمر وآخره من رب بيته، وأما إن كان رب بيت القمر في الأوتاد والقمر ساقطاً فإن أول العمل فيه مشقة وآخره فيه سهوله ومنفعة.

ومن كتاب آخر: إذا أردت أن تبتدئ بعمل وكان ذلك نهاراً فليكن الطالع من البروج الأنثى والقمر في برج ذكر، وإن كان ذلك ليلاً فليكن الطالع برجاً ذكراً والقمر في برج أنثى، وخير الطالع بالليل والنهار البروج المستقيمة الطلوع إذا كانت سليمة من مجامعة النحوس ولم ينظر إليهما من التربيع والمقابلة، فإن لم تقدر على ذلك فليكن الطالع من البروج المعوجة والسعود مجامعة له أو ناظرة إليه من تسديس أو من تثليث، والبروج المعوجة الحوت والجدي والدلو والحمل والثور والجوزاء، والمستقيمة السرطان والأسد والقضيمة والميزان والعقرب والقوس، والبروج المتقلبة المسرعة والمجسدة لتوسط الأمر والثابتة لثبات الأمور، فانظر في أمرك وقس بعقلك .

ولا يمكن الدخول في الاعمال إلا بدليل من العالم بذلك العلم وفنونه ودقائقه، وإن دخل فيها بغير علم فقد ذهبت أمواله وأموال الناس على يديه .

كما حكي لنا عن أهل قرية أرادوا يحفرون فلجاً فاجتمعوا أهل البلد على خدمته .

---

(١) كلمات مُتقطعة غير واضحة .

فقال أحدهم: لا تدخلوا في المغرم الأيتام والوقف والأغياب خوفاً أن لا يتم عملكم وتذهب أموالهم ويلزمكم ضمانها، فأجابه أحد من أبناء الدنيا العامرين فيها.

فقال لهم: أنا الضامن للأيتام والوقوفات والأغياب ولكنكم أحضروا صاحب الفلك وارضوه، قال: فحضروه وسألوه.

فقال: أريد منكم كل يوم مائة محمدية ما أقامت أجراؤكم في الخدمة.

فقال لهم صاحبهم: أعطوه ما أراد الفلكي وهو الدليل وينظر مسلك الماء كما أنتم تنظرون الطريق، فقالوا أهل العلم بالشريعة: هذا من التبذير في العطاء الكثير وكل له قدر في العناية فجبنوا عن عطائه وهموا بأنفسهم في خدمته فخدموا وكلوا وملوا وغرموا أربعة آلاف محمدية ولا بان لهم تسهيلاً فرجعوا عن خدمته.

فقال لهم الفلكي: أنا أخدم لكم نهراً يظهر لكم غيزين مسحاة ثابتاً في شدة المحل وأريد منكم بالمقاطعة عليه أربعة آلاف محمدية، وإن لم يصح قولي فأرجع لكم دراهمكم ولكم الخلاص حتى يطلع إلى أروضكم، فسرهم قوله وقاطعوه فعمد في خدمته في ساعة القمر والطالع برج العقرب والشمس في وتد السماء والقمر في برج الدلو وهو وتد الأرض مراده إثبات الفلج لأن البروج الثوابت لإثبات جميع الأعمال ثم جعل الزهرة في برج الحوت مائي وهي تنظر إلى الطالع من تثليث ورب الطالع في الاوتاد ثم ذرع الأرض وجعل علائم للفرض ووقف لكل علامة أناساً ثم أمرهم بالخدمة جميعهم في تلك الساعة التي وقفها وكان الماء قريباً جداً

لأن المشتري في الطالع ورب الطالع ينظر إلى الطالع فسهل الله خدمته وجرى الماء في بطنه ولا احتاج إلى حصى للظفر وسم فرضه عن الأودية وصح له من الغرم ألفين محمدية وأخذ الفائدة له ألفين.

فتدبر يا أخي القياس خوف الالتباس؛ وانظر في قصة الأمير الذي دبر والياً لبعض القرى فأقام الوالي في تلك القرية مدة من السنين ثم سعت الوشاة عليه مع الأمير بقلة فعله في الأمر والنهي والظلم فدخل في قلب الأمير الغضب وأرسل إليه قاضيه الأكبر لينظر أفعال واليه فشحن له مركباً وأمره ليتحصل في المركب.

فقال القاضي لأميره: أريد في صحبتي معلماً فأخذ في المركب من أعلام أهل البحر وجعل له فريضة معلومة فقال عالم البحر: أريد رُباناً لهذا البحر وبه جبال خفية، فقال الربان: أريد فريضة في كل يوم مائة محمدية لقيام البحر فاستكثر الأمير فقال معلم البحر للأمير: اعط الرُبان ما قال، وكل أخبر بعلمه وطرقه .

وقد حكي لنا عن النصارى خطفوا[1] على هذا البحر وأخبروا بالبحر وأنه لا يسلم أحد في سلوكه إلا بربان فطلبوا الربان وأراد الفريضة فجبنوا وخطفوا بأنفسهم فتكسرت مراكبهم في البحر وذهبت أموالهم ونفوسهم فلما سمع الأمير قصة النصارى بذل للربان ما أراد لأنه دليل في سلامة الخشب[2] .

وقال المعلم : تأتي لنا الخشب الذي تريد السفر ، وتقطرها في

---

(١) أي : مــروا .
(٢) أي : السُفن .

مركبنا ورُبان واحد كافل لنجعل على كل خشبة ما ينوبها فاجتمعوا كلهم وقطروا السفن في المركب عشرين خشبة، فناب لكل واحدة في كل يوم خمس محمديات وفي السابق لكل خشبة ربان، فقال الربان للمعلم: إن بقربكم جبل المغناطيس الذي يجذب الحديد من الخشب، فأمر المعلم صاحب السكان[1] يحول مركبه فجاوز بهم عن ذلك الجبل حتى وصلوا إلى البندر المراد، فنزلوا من الخشب إلى الدار فحضر القاضي الوالي وأهل البلد.

فقال لهم القاضي : قد وصلت أعلامكم إلى الأمير أنكم تركتم الأمر والنهي وأخذتم أموال الناس ظلماً من كسيرة البحر، ما لكم ما امتثلتم إلى كتاب الله وسنة رسوله وآثار المسلمين؟، فقالوا: اسمع أيها القاضي لا خالفنا مما ذكرته لنا حرفاً واحداً ولا أمرنا الأمير بإقامة الحدود ولا بتغرير العاصي بالقيود ولا أتى إلينا قاضياً ليحكم على المسلمين في دمائهم وأموالهم وفروجهم، فاجتمع رأينا على أن يكون كل أولى بما في يده مما يكون متمسكاً برأي من أقاويل المسلمين وزجرنا للذي يتعرض عليه برأي من أقاويل المسلمين خوف التنازع والخصام من عدم الأحكام والعلماء، فقال القاضي: هذا هو الحق المبين والصراط المستقيم فجلس القاضي يحكم بين الناس والرُبّان قصد يوماً في سكك المدينة يريد أن يشتري أثمداً لعينيه عند امرأة فشرى الأثمد وأراد الرجوع إلى مقامه فنادته المرأة مهلاً يا ربان أسألك في الطب مسألة لإدرار الحيض.

فقال لها شرب اللبن يدر الحيض ومثله الزعفران شربه بالماء

---

(١) أي : مقود السفينة .

يدر الحيض ولكن ينبغي إلى المبتلى ليعرف قطعة ويقطعه الزنجبيل اليابس ودم الأخوين وزبد البحر وقشر بيض النعام تدق الأدوية دقاً ناعماً ثم يأخذ قطعة ويغمسها في الماء ثم في الدواء وتتحمل بها المرأة فإنه ينقطع الدم وهذا لكل دم سائل يقطعه.

فقالت له : أعطيك دراهم واشر لي هذا الدواء، فقال لها: أنا رجل غريب لا أقارب النساء ولكن أحد من أقربائك أعطيه الدراهم ليشتري لك ويدخل عليك، فقالت له: أنا امرأة فقيرة وقطيعة لا معي أحد فيها من العصبات ولا من ذوي الأرحام إلا عمة أمي ومعها زوج وهو الذي طلقني طلاقا رجعيا بالسنة وأخرجني من بيته وهو في شدة المرض ولا سبيل إلى الوصول إليهما وأنا في عدة منه مذ سبع سنين، وما اتفقت أقرائي ثلاثاً ولا راجعني إلا مرة واحدة وبعدما طلقني أعطاني صداقي العاجل والآجل عشرين محمدية فتمتعت بها ستة أشهر، وكانت معي خالة موسرة تنفعني من زكاة مالها فأحال الله بيني وبينها وقضت نحبها وأخذت مالها عمتها التي هي عمة أمي والآن هي التي في رقبة مطلقي، والرباني له دلالة تعلم الفرائض، فقال لها: يا أيتها المرأة أقبلت سعودك وانطمس عدوك فإن الله ينقذك من الشدة والبلاء ويغنيك بالأموال مع المرأة والرجلين وأنا الذي أخبرك من أبناء السبيل، وكم تسلمي إن فتحت لك طريقاً مسهلا؟، فقالت له: معي لك ألف درهم مجمل، إن كان قولك من كتاب الله المنزل.

فقال لها : هذا أمرك مع الحاكم الذي في البلد قائم، وإنه لا يخاف في الله لومة لائم، وقالت له : كيف الدليل بعدالته؟، فقال لها : إن هذا

الحاكم جعل له الأمير كل يوم مائة محمدية فريضة، وأناس جاءو إلى الأمير من أعوانه في زمانه فسألوه عن كثرة عطانه لقاضيه فصنع الأمير رأياً ونقل عن ماله طريقاً جائزاً فعارضه الحاكم ولم يرجع الأمير فمنع القاضي الناس عن الصلاة خلف الأمير في صلاة الجمعة ودعا بالحاكم إلى مجلسه، ثم قال له: أنا الذي جعلتك قاضياً على المسلمين وقد فصلتك عن الحكم وأنصب للناس أحداً من المتعلمين فما جزاؤك عليّ، كسرتني بمحضر الناس أجمعين.

فقال القاضي : لأنك خالفت قول رب العالمين بتحويلك طريق المسلمين ونفسك أنزلتها في منازل فرعون اللعين، فأنت معه من اللاحقين في حكم مالك يوم الدين، فرجع الأمير مع المسلمين وقال الحق فقال لهم فحقيق بالعطاء ولو أراد جميع المدخول وهو أولى به عن الجميع، وكن أيها القاضي في حكمك وأنا مما صنعته في الطريق جعلته لاختبارك حتى يظهر للناس جوهرك، وقوة رأيك وغرمك فهذه من إحدى الخصال، وكم وكم ما فاح منه لإصلاح النساء والرجال، وقومي في صحبتي معه للسؤال فإن الله يكشف الحق على يديه والغنى والفقر قد جعله الله على لسانه وأخبريه بالقصة والطلاق والخالة وعمة أمك، قال: فعمدت إلى المسير في صحبته وسألت الحاكم عن علتها وعدتها وكيف المدة في خلوصها من مطلقها؟، فقال لها الحاكم: وأين الرجل الذي طلقك فأخبرته بمرضه وأنه لا يخرج من بيته، فقال لها: الحكم لا يصح إلا بحضرة الخصمين ولكن على قولك هذا له عذر عن الوصول وأنا لأصحبك معه للحكم في بيته ولحق زيارة المريض، فقصد القاضي وأصحابه الوالي والرباني والمرأة ومن حضر في مجلسه فلما وصلوا بيته استأذنوه

بالدخول فأذن لهم فنظروه مريضاً .

فقال القاضي للمريض : أنت الذي طلقت هذه المرأة طلاق السنة الرجعي؟ قال: نعم أنا الذي طلقتها وكيف إرادتها؟، قال القاضي: تدعي أنها لم تنقضي عدتها وهي مصدقة في قولها وهي ترثك وعليك النفقة والكسوة حتى تنقضي عدتها لأنك أخرجتها من بيتك وهي كارهة للخروج وليس هذه كالتي خرجت بحرمة أو بثلاث تطليقات أو مختلعة بدرهم أو خرجت بلعان أو اختارت نفسها بأمة تزوجت فوقها أو كانت هي أمة فعتقت واختارت نفسها فهؤلاء لا ميراث لهن من المطلق ولا نفقة عليهن وإن كن في العدة وأما التي طلقها ضراراً في مرضه ومات فإنها ترثه إن كانت في العدة وتذكر هذه المرأة التي طلقتها أن المرأة التي معك هي تكون لها عمة أمها صحيح قولها هذا ؟.

قال المريض : نعم صحيح وما الحجة فيها؟، قال له القاضي: هي حرام عليك ولها الصداق كاملاً بالدخول وقد جاء الأثر عن أبي سعيد رحمه الله حرام على الرجل عماته وخالاته وعمات أبيه وخالات أبيه وعمات جده وخالات جده وعمات أمه وخالات أمه وعمات وخالات أبيها وأمها وجدها ولا عمات وخالات أمها وأبيها وجدها وهذه المرأة التي تزوجت بها والمرأة التي هي طلقتها هي في عدتها فهذا تزويج فاسد مفرق بينكما كرها، فقال المريض: إن لي أولاداً منها .

فقال القاضي : هم أولادك ويرثونك، فقال: أريد أن أوصي إليهم لأجل حقارتهم وصغرهم، فقال له: لا وصية لوارث إلا إذا كانت من ضمان مبين للوارثين، فقال المريض: بها حمل مني، فقال القاضي: لها النفقة

من مالك حتى تضع حملها فإن وضعت حملها حياً فلها الربوة سنتان وبما يحتاج من الكسوة والحل والدهن والقوت ومن بعد الفطام يفرض له ثلث النفقة حتى يكون خماسياً ثم نصف النفقة حتى يكون سداسياً ثم ثلثي النفقة إلى بلوغه ثم النفقة التامة إن كان الولد مريضاً أو به شيء مما لا يقدر على المؤونة لنفسه، وأما الأنثى فلها النفقة الكبرى حتى تتزوج وإن هلك الوالد وكان الرضيع له مال فينفق من ماله وإن لم يكن له مال فالنفقة تجري على ورثائه، فقال الرباني للقاضي: أيصح قوله أن بالمرأة حمل منه؟، قال: نعم إذا ظهر وصح كما قال لأن النكاح الفاسد فرق بينه وبين ولد الزنا إن أقر به أنه ابنه من زنا فلا يصدق ولا يرث ولد الزنا فانظر في ذلك، ثم أقبل الحاكم إلى المرأة، وقال لها: قلت أنك ابنة أخت الهالكة التي خلفت الأموال والأخرى هي عمة الهالكة كذا، قالت له هكذا.

قال لأهل البلد: أتشهدون أنتم بما قالت النساء؟ قالوا: نعم نشهد بذلك، قال لهم: اعلموا أن الجماعة أو الوالي أو العالم فلهم أن يأمروا في المختلف فيه بالرأي من أقوال المسلمين إن يكن المال في يد من كان في يده ولو رأوا الحق والأصوب في قول آخر، وأما الحاكم فله أن يعدل بالأعدل بين الخصمين ولا ينتقل عن ذلك الرأي حتى يرى في نفسه قولاً غيره أقرب إلى الحق فينتقل ولا يعود إلى الرأي الأول وهذا المال فيه قول أن المال كله للعمة وقول أن لها الثلثان وقول لها النصف وقول ليس لها شيء والمال كله لابنة الأخت، وهذا القول الأخير أقرب إلى الحق وأنا أحكم بأن المال كله لابنة الأخت وهي أقرب بدرجة في ميراث الأرحام، ولا يجوز خلاف الحكم رأياً يدخل عليه ومن خالف فقد ضل عن السبيل، ثم هلك الزوج وعقدوا على المرأة عدة المتوفى عنها زوجها أربعة اشهر

وعشرة أيام، وأخذت ثمن ماله فنزلت في منازل أهل الغنى وأعطت الرباني الألف الذي وعدته لإياه، فلما انقضت عدتها تزوجها الرباني ودخل عليها فحملت وجاءت بولد ذكراً، وقطع أسراره وضمه لسر فيه للأدوية، وربت الأم ولدها فنزلت بجسمه الحمى فصرعته ميتاً فأخذ الرباني وطعنه بالإبرة تحت أظفاره فردت إليه روحه، فأتى إليه بدهن الورد اليريهوا ودهنه به من بعد التبريد بالهواء فأبرأه الله وهذا العمل الذي يصنع به لموت السكتة كما كتبناه .

رجع إلى القصة : فدار الموسم وحمل الرباني امرأته في صحبته فركبوا في الفلك وسارت بهم تجري في موج كالجبال فأمرهم القاضي بقذف ما في المركب لسلامة الأموال والأنفس فرموا بالثقيل من الأمتعة وسلمهم الله من الغرق، وثمن المركب وما بقى فيه وعلى الأنفس فجعل عليهم كل بقدره فنزلوا من المركب فقصد القاضي مع الأمير فسلم عليه وحياه بالتحية والإكرام فأخبره بأمر الوالي وأهل القرية أنهم على طريق الحق والعدل ولكنك اندب إليهم حاكماً واكتب لواليك كتاباً بالإقامة الحدود واللوازم والقبض والبسط وإنفاذ الأمر في محله فامتثل الأمير ودبر إليهم حاكماً وخطاً لواليه فحين وصل إليهم الحاكم والخط استطاعوا له فتدبر ما كتباه.

قلت له : وما سبب ابتلاء الناس بالنساء وبالأموال وأهل الظلم؟ قال ذو الغبراء : سببه بالمقاربة والمجاورة والمداخلة فإن كف الإنسان نفسه عن ذلك سلم في دنياه وإن فتح لنفسه باباً فتح الشيطان له سبعين باباً .

انظر في قصة الرجل الذي استكفى من المعيشة بالقليل ولا

استضاف الناس في سفره بتجارته فقد ملك نفسه الجموح باللذات والمحارم ولكن بلاه الله بالسقم فوصل مع الطبيب ودله بأكل حلوى البيض ولحم الكبش الحولي الخصي المغلي[1] على النار بالأبازير مع خبز الجواري فعمله الرجل فبرئ جسمه وأشار عليه أهل الرفاهية فدخل على بيوتهم وأكل ما طاب له فعمد إلى مداخلة الجار والأرحام والأمراء الكرام فحملوه الهدايا والعطايا فاعتادت نفسه على ذلك وأعجبته مجالسة النساء من أرحامه فعشقته ابنة أخته فجعلت تكرمه وتبخره وتغسل له ثيابه وهو ينظر إليها بالمودة وكل منهما أكن في قلبه مطلوب صاحبه ولا اتفقت لهم خلوة في البيوت، فأقبل عليهم عيد الأضحى وسار الرجل يسقي بمائه في ماله فتزينت ابنة أخته وحملت له طعاماً فأكل ما طاب له من العيش وفرحا بالخلوة فهم بها وجامعها، وترك الماء والناس ينظرون من أعلاهم مع صلاة العيد فأسرعوا في قربهما وأخذوه من جسمها وجعلوا لجسمه نيلاً ونورة وأتوا به[2] إلى القاضي وسألوه عن جوابه.

فقال القاضي: الفاعل بمحارمه يهدف من أعلى الجبل وكذلك ناكح الدواب والرجال، وأما الذي زنا بغير محارمه وكان محصناً فإنه يرجم وإن كان غير محصن فإنه يجلد مائة جلدة، والعبد المملوك فعليه نصف الحد وأما الذي يلزم الضمان ففي رقبته وأما الصبي فلا عليه حد، وبعض جنايته على قول في ماله، وفي ما لا اختلاف في لزومه في ماله فبعضهما يكون على عاقلته والإمام يقيم الحد فإن عدم فالحاكم والجماعة منتظرون، ولا يجوز لأحد أن ينافس في إخراجه من حبسه قبل أداء الواجب عليه

---

(١) في الأصل : المغلاي .
(٢) في الأصل : وأتوه .

والإنسان مخير في العفو عنه أوأخذ حقه.

وكل من أقر بما يجب عليه الحد ثم أكذب نفسه فلا يقام عليه حد ولا يؤخذ بإقراره في القيود، وكذلك الشهود إن رجعوا قبل أن يحد فلا عليهم حد وأما إن رجعوا بعد إقامة الحد فعليهم الحد ولا يبين لي في هذا الزمان يصح شهادة الزنا على أحد لأنه لا يجوز النظر لعورات المسلمين، وإن نظر أحد على غير اختيار فلا يجوز له أن يخبر المسلمين لينظروا وإن أخبرهم فلا يجوز لهم النظر ولا التجسس لعورات المسلمين وخاصة بالليل فلا تصح شهادة فيه إلا بحضور النار، ولا يجوز لأحد أن ينظر إلى الزاني متعمداً.

ولا يجوز للمسلم أن يخوض مع الخائضين ولا يتجسس على عورات الناس، وأما إن قال على سبيل التحذير للمسلمين أن فلاناً متهماً بكذا وكذا من الخنا والزنا والسرقة واحذروا من قربه وخدائعه فهذا لا بأس أن يذكر بما فيه من غير تصريح . قال : وأحاطوا بالرجل الزاني في سكك المدينة وسحبوه بحبل قد عقد في رجليه فمات بالخاتمة الخبيثة، وقد كان مجتهداً في عبادة ربه فهذا أمر من تابع النفس في شهواتها فلا بد من البلاء وإن سلم في الأولى والثانية والثالثة والرابعة وفي المائة والألف فإن تكاثرت عليه الخطايا والزلل فإنه ينهمك في الفواحش والكبائر، وإن ظهرت لك من أخيك سيئة في دينه فاعلم أن لها أخوات كثيرة باطنة وعلى الإنسان أن يراقب نفسه في كل ساعة فالماضية قد فاتته والمقبلة عليه لا يعلم أنه يدركها أم يتقاصر عنها فكثير مات بغرق أو حرق أو طاح من نخلة أو بيت أو انهدم عليه عمار أو فلج أو قتل في

نومه أو كان يأكل طعاماً فيه سم أو كان عظماً أوشرب ماءً فشرق ومات من جرعته أو ركب حصاناً أو دابة فطاح فمات بساعته، وعلى هذا القياس كثير في موت المفاجأة.

وحكي لي عن ملك جيّش جيشاً عظيماً وسرى به فلاقاه رجل وعليه ثياب رثاث وقهر(١) عليه لجام الفرس.

فقال الملك: ما مثلك من يقهر لجام الملوك، فقال الرجل: إن لي جاحة وأردت أن أسرك بها، فحنى الملك رأسه قليلاً.

فقال له: أنا ملك الموت أمرني ربك بقبض روحك، فقال الملك: أمهلني قليلاً حتى أفرق هذه الأموال والخزائن، فقال: لا لك إلا ما قدمت ولا أنا مؤخر عنك لمحة فقبض روحه، فسقط من حصانه ميتاً فصار من أهل النار، وتشتت الجيش ثم قصد ملك الموت إلى رجل من العباد فسلم عليه ورد العابد الجواب.

وقال له : ما حاجتك أيها الرجل ؟ فقال : انا ملك الموت وأمرني ربك بقبض روحك على أي حالى أردت فأجابه في سجودي لله هذا فقبض روحه وصار من أهل الجنة، والموت مقبل على كل أحد من الإنس والجن، وعلى العاقل أن يتأهب كما قال الشاعر :

الموت لاشك آت فاستعد له ... إن اللبيب بذكر الموت مشغول
فكيف يلهو بعيش يستلذ به ... من التراب على عينيه مجعول

وقال غيره :

---

(١) قهر ، أي : امسك .

مشيناها خطىً كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطىً مشاها
ومن كتبت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

وقال غيره :

لا دار للمرء بعد الموت يعمرها ... إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه ... وإن بناها بشر خاب بانيها

اعلموا أيها الناس ، أن الدنيا دار غرور، ومكر وفجور، دار الفجائع والألم، دار المصائب والسقم، دار تقلب وأهوال، وأدوار وأحوال، دار أضغاث أحلام في طيب المنام، فإلى كم هذا الأمل الذي لا انتهاء له، والألم الذي لا شفاء له، والعمل الذي لا إخلاص فيه، والعلم الذي لا منفعة تليه، أإله غير العزيز الأكبر، أو دين غير دين النبي المطهر، أم جراءة على الحي القيوم، أم أمن من العذاب السموم، أم تحسبون أن الدنيا لكم تدوم، ألا أخبركم عن أمر تعاينوه، لا عن شيء تخبروا به وتسمعوه، شيب وهرم، وصحة وسقم، ووجود وعدم، وعافية وألم، ونور وظلم، وحسرة وندم، حال المنون واصلة وليس لها صارم، ويده حاسمة وليس لها حاسم، كم قطعت قبلكم من أمم، وأفرست بغصصها من ملك مكرم.

أين ذو البؤس والنعم، وعاد وإرم، أين الملوك، أين أبناء الملوك والأقاصرة، والأكاسرة والجبابرة، أين أهل الوفاء والسداد، والذين لم يخلفوا الميعاد، أين الذين سولت لهم نفوسهم وأضلتهم عن طريق الرشاد، ولم يتخذوا من دنياكم هذه زاد، أين ثمود وعاد، ونمرود معدن الفساد، أين فرعون ذو الأوتاد، وبنو نبهان الذين استكبروا في البلاد، أين الذين عمروا جناتهم، وشيدوا بنيانهم، أين الذين حوزوا ذخائرهم، وملكوا

عبيدهم وحرائرهم، أين الآباء والأجداد، أين النساء والأولاد، أين الأحبة والعباد، أين العلماء والزهاد، أين الذين ركبوا الجياد، قبضتهم المنون، وفقدتهم العيون، كأنهم ما كانوا أهل عز ورفعة، ولا أهل مملكة ومنعة، أمسوا تحت أطباق اللحود، حتى تمزقت منهم الجلود، وصاروا معاشاً للدود، حتى أصبحوا أجداثاً دارسات، وأمست منازلهم تسفي عليهم الرياح الذاريات، قد فارقوا الأخوان والأصحاب، وثووا تحت أطباق التراب، قد صار ذكرهم مؤثراً في الكتاب، وعبراً لأولي الألباب، ومواعظاً للعلماء والخطاب، فندموا هنالك من حيث لا تنفع الندامة والبكاء، ولا تغفر الزلل والأخطاء، فإما فائز بنعيم مقيم، وإما رهين في عذاب أليم، ذلك يوم يشيب فيه الطفل والوليد، ذلك : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ {٨٨} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[١] ، ذلك يوم القيامة، والعرق إلى الهامة، يوم الصاخة، يوم القارعة، يوم الطامة الكبرى : ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى {٣٥} وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى {٣٦} فَأَمَّا مَن طَغَى {٣٧} وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {٣٨} فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى {٣٩} وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى {٤٠} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[٢] ، جعلنا الله وإياكم ممن ارتضى من صفوته، ومن الراجين جزيل الثواب من رحمته ، إنه هو أرحم الراحمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة الشعراء : ٨٨ – ٨٩ .

(٢) سورة النازعات : ٣٥ – ٤١ .

الذكر الثاني والعشرون :
في المواعظ والزجر والتوبيخ، وصفة ابتداء الزهد

قال صاحب ذي الغبراء : كان لي أخ فسرت إلى زيارته فلما رآني نهض مسرعا، وبالطعام مكرما، فقال لي: لعلنا نسير مع أخينا الذي هو أكبر سناً وعقلا، وأفصح لساناً، والساعة في مجلسه قائماً يذكر الناس وعظاً وأديانا وزهداً، قلت له: نخاف إن سألناه يردنا ويفضحنا، أو يقول لنا تلويحا كما قال الشاعر :

لا ينفع الوعظ قلباً قاسياً أبدا ... والحبل في الحجر القاسي له أثر

إذا قسا القلب لم تنفعه موعظة ... كالأرض إن سبخت لم يحيها المطر

فقال ذو الغبراء : زيارة الأخوان إذا وجد الإنسان الإمكان فيها إعانة لأداء الفرائض في أوقات الزمان، وصلاح النفوس والأبدان، وحاشاهم عن أقوال الزور والبهتان ، ولهم مخافة من ربهم المنان .

قال: فقصدنا إليه ورأيناه جالساً والناس من حواليه، فسلمنا عليه، فرد جوابنا وهو قاعد على ركبتيه، ثم قال: لا يدخل قلبكما جفاء، فإنا لا نقوم من مجلسنا إلا لعلمائنا ووالدينا، وكيف الحاجة التي دعتكما إلى وصولكم إلينا ؟.

قلنا له : إرادتنا أن نشفي أجسامنا بحلاوة(١) الذكر ، قال : سمعت بأن ملكاً ينادي كل يوم بالمشرق ليت الخلق لم يخلقوا، فيجيبه ملك

---

(١) في الأصل : من حلاوة .

بالمغرب ليتهم إذا خلقوا تفكروا وعقلوا، قال: ووجدت في الكتب أن لله ملكاً يقول يا أهل الدنيا مهلاً من الدنيا مهلا فإن لله سطوات ونقمات، فلولا رجال خشع وأطفال رضع وبهائم رتع لصببنا عليكم العذاب صباً صباً، ولرضضناكم في العذاب رضاً رضا، وقيل لبعض الرهبان لأي شيء قست قلوبنا وكثرت ذنوبنا ولا نتقرب إلى ربنا؟، فقال: لأنكم تركتم الآخرة، وعملتم أعمالاً خاسرة، وتركتم العلم، وظهر منكم الجهل والظلم، وضيعتم الأمانة، وأظهرتم الخيانة، ودخلكم الكبر والعجب، وضيعتم الصلوات، ومنعتم الزكوات، وقطعتم الصدقات، ومشيتم بالنميمات، وظلمتم الأيتام، وجرتم في الأحكام، وعصيتم الرحمن، وأطعتم الشيطان، وسايرتم النساء، وتعاملتم بالفجور، وشهدتم بالزور، وتواضعتم للأغنياء، وتكبرتم على الفقراء، وقست قلوبكم، وكثرت ذنوبكم، فلا واعظ زاجر، ولا خائف حاذر، كلامكم حلو، وفعلكم مر، وألسنتكم باشة، وقلوبكم غاشة، فلا من الله تستحون، ولا إليه تتوبون، فعن قريب تموتون، ثم تبعثون فتسألون عما كنتم تعملون.

فأين القرون الماضية، والأمم السالفة، ألم يخرجوا من القصور، وصاروا إلى القبور، فتغيرت وجوههم الحسان، وسالت أعينهم في الأكفان، وأكلت لحومهم الديدان، وصارت عظامهم رفاتا، ومنازلهم خرابا، فلا يسمعون من ناداهم، ولا يحسون من دعاهم، أبدانهم قد بليت، وأخبارهم قد نسيت، وآثارهم قد فنيت، فالله الله عباد الله في أنفسكم، فكأنما قد نزل بنا وبكم والسلام، واستمع لقول الشاعر :

يا أيها المغرور في سكرة الصبا   أفق ويك إن الموت يجري على الأثر

فلا تغترر فالموت مر مذاقه   تجرعه سماً عندما حل في الصدر

ومن التوبيخ : يا سفيه الرأي ، أما تستحي من قلة الحياء، وطول الجفاء، بمن أجزل العطاء، وأحسن البلاء، وسنى اليسير فأعطى الكثير، ووعد الجزيل على العمل القليل، وستر العيوب، وغفر الذنوب، وصفح بحلمه، وجاد بكرمه.

أما يراقب من لا يغيب عنه إذا استترت، ولا يخفى عليه ما عملت، وأحصى عليك ما قدمت وأخرت، وأسررت وأعلنت، واطلع على ما هممت ونويت، أما آن لك أن تتوب، أما آن لك أن تراجع وتنوب، أما آن لك أن تستحي وتنتهي، وتفطم نفسك عما تشتهي، وتقصر عن مساويك وترعوي، أما سئمت من الخطايا، وأنت معرض للمنايا، صرت في الدنيا وجيها حتى شغلت قلبك بذكرها، وركنت إليها كأنك مخلد فيها، فعظمت في صدرك، وأسرعت الإجابة إذا دعتك دواعيها، فلا تجد في الآخرة في قلبك مكانا، ولا لذكرها في صدرك قرارا.

مالك يا مفتون بالدنيا التي ليست لك بدار، ولا لك فيها قرار، ما الدنيا إلا فيء زائل، أو حلم باطل، أو سراب لامع، أو برق ساطع، أليست كانت صاحبة أخيك وأبيك وأعمامك وذويك، هلا اعتبرت بما صنعت بهم فأبغضتها من أجلهم، ما أقل عبرك، وأعجز حفيظتك، وأسوأ نظرك لنفسك، يا عزيز الثمن لا تبع نفسك بالثمن الخسيس، وأعطيت فيها الثمن الربيح، أترضى بالنار عوضاً عن الجنة، ولا بالدنيا عوضاً من الآخرة، ولا بالخبيث عوضاً من الطيب، ولا بالزائل الفاني عوضاً من الدائم الباقي، ولا باليسير الحقير عوضاً من النعيم الكثير، ضيعت أكثر عمرك، وقد طال

ما أوقرت على ظهرك، فانتبه من رقدتك، واستيقظ من وسنتك، وافزع إلى التوبة قبل أن تؤخذ على الغرة، يا رهين الخطيئة، وأسير الهوى، وعرض الردى، وضجيع الأماني، مالك إن تذكر الموت فتفزع، وتذكر الحساب فتخشع، وتذكر النار فتصدع، حتى أنت في مؤنة الدنيا وعمارتها، وابتذال نفسك في صبابتها، لا بد لك من مال مجموع، وبناء مرفوع، وسرير موضوع، وملبس سَني، ومركب وطي، ومطعم شهي، ومنظر بهي، وفناء مشهور موفور، وشراب مرموق، فتصدق مقالتها، وتزكي شهادتها، وتفضح مبانيها، وتسر أجانيها، ألا وعظتها، ألا رحمتها، ألا زجرتها، ألا ذكرتها الموت، ألا خوفتها الفوت، ألا عرضتها على القرآن، وكامعتها إلى الإيمان، ألا حذرتها شفير القبر، وأريتها ما قدر لها من الذعر، وما عملت لها فيما مضى من العمر، ثم نظرت إلى جهازك الذي عملت به، وعملك الذي تقدم عليه، وإلى ما غرست فيه الضريع والزقوم، وأجريت فيه أنهار الصديد واليحموم، وأزرعت فيه الحسرة والندامة، والخيبة والكآبة، أترضى من دارك المعارة المرتجعة عن قريب، وقال شعراً :

تلين الجبال وقلبي حديد	كأني على النار جلد جليد
فيا حسرتا عند وقت الحساب	إذا قالت النار هل من مزيد

فقلنا له : بأي معرفة بلغك الله هذه الدرجة ؟ فقال: بمجاهدة النفس والجوع والعطش وذكر الموت والحساب والعقاب والنار وما فيها من العذاب والأغلال والنكال، ثم ألهمت نفسي ذكر الجنة وما فيها من النعيم والحور العين فاجتهدت في الصيام بالنهار والقيام بالليل وأخذت العزلة وواليت أولياء الله ورسوله وعاديت أعداء الله ورسوله، ثم روضت نفسي

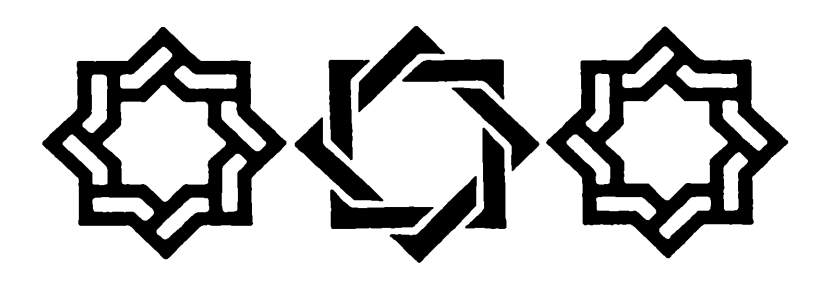
ستة أشهر فلما تمت رياضتي أملكت نفسي بحول الله وقوته وهذا لكما بياناً إن أردتما الدخول في الزهد فروضوا قلوبكما فيه أربعين يوماً ثم انقلاه إلى الخوف أربعين يوماً ثم شوقا نفوسكما إلى الجنة أربعين يوما ثم الحب في الله أربعين يوماً فإن خلصت النية لله أخضع الله له الملائكة والإنس والجن أجمعين لأن الزهد والخوف كالكوكب المضيء على النجوم والشوق إلى الجنة كالبدر الطالع على النجوم والمحبة في الله كالشمس المضيئة ولا يكون الإنسان زاهداً حتى يكون عابداً ولا يكون عابداً حتى يكون ورعاً ولا يكون ورعاً حتى يكون عالماً ، وعليكما في الاجتهاد والانتباه كما قال الشاعر :

ألا فانتبه يا نائماً واهجر الكرى	ألا فانتبه يا ساهياً وتذكرا
ألا فانتبه يا غافلاً وتفكرا	فهل ترى حياً في الزمان معمرا
فحتى متى في روضة السهو راتع	وحتى متى في خمرة اللهو جارع
وحتى متى للجهل خوداً مضاجع	وتطلب يا ذا بالبواكر والسرى
فخذ بلغة تغنيك في كل غربة	وخذ أهبة تشفيك من كل كربة
وخذ صاحباً منه ترى خير صحبة	لرحلتك القصوى إلى مشعر الثرى
وذلك تقوى الله خدن موافق	لمن يصطفيه فهو خل موافق
أيا نعمة ذاك الصفي المشافق	فلا السوء والمكروه صاحبه يرى
وأوصيك يا نفسي بتقوى إلهك	ومسلكه لا شك خير المسالك
فإن أخا التقوى غدا غير هالك	ويهلك من فيها عصى وتكبرا
فكم قائل في الليل وهو مصبح	لتأتي غد منه الحوائج تنجح
وترجو رجاء ربما ليس يصبح	وقبل انفجار الفجر في الترب صيرا

وقال أمير المُؤمنين عُمر بن الخطاب (رحمه الله) ، شعراً :

الا ترى كل شيء تفنى بشاشتـــه	يبقى الإلـــه ويثوي المال والولـد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنـه	والخلد قد حاولـت عاد فما خلـدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح لـــه	والجن والإنـس فيـمـا بينها تـــرد
وخص هنـالك موورود لا كدر	لا بد من ورده يوماً كما وردوا

ثـم قـال لهمـا : أيـن الأوليـاء والصـالحون والنسـاء والبنـون ، أيـن الأنبياء والمرسلون ، صلى الله عليهم أجمعين ، آمين .



الذكر الثالث والعشرون :

فيه ذكر إقامة شهادة النسب، ومنزلة الفقير وما لزمه وأصابه في زمانه وما جرى عليه من المسائل أكثرها ما يلزم فاعله بالخطأ

قال ذو الغبراء : سمعت عن أحد من الفقراء يسمى زيد جاء إلى حلقة الذكر يسأل عن أمر دينه، ثم وصلوا رجال من بلد أخرى وسألوا عن رجل قتل ابنة عمه هل يرثها؟، قالوا: لا يرثها إن كان أحد لها من العصبات وإلا فرجوع المال كله لذوي السهام وإن أعدموا ذوي السهام والعصبات فعلى أكثر القول للأرحام وميراث الأرحام فيه اختلاف بين المسلمين بالرأي فمنهم من يعمل بالتنزيل ومنهم من يعمل للأقرب، ومنهم في مسائل بالتنزيل وشيء منها بالقرابة وعلى هذا الرأي العمل في زماننا.

قلت له : وإن مات ولم يصح له وارث بالنسب ولا بنكاح وادّعى رجل أنه هو يرثه ولم يأت صحة في نسبه مما يثبت له به الإرث وقد ترك هذا الميت مالاً لا ماء له يسقى به وقماشاً، والرجل المدعي مسكنه بعيد عن البلد متى حاز هذا المال أن يبيعه فمن أولى بهذا المال ؟، قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان: عسى الله يحدث بعد ذلك أمرا ويصح لمال هذا الميت وارث، فإذا كان هذا لا بد أن يبيعه فالأحسن أن يولى فقيراً، وإن وجد من عشيرة الهالك فأحسن أن يكون هو المتولي لذلك لأنه أقطع لطمع غيره عن التعرض للمال تعرضاً يأتي عليه تلافه، ويكتب ورقة ويشهد فيها على نفسه أن هذا المال خلفه فلان بن فلان متى صح له وارث يعطى إياه،

وذلك على نظر الصلاح ليسقي ما فيه من نخيل وأشجار وأما إن كانت أروضاً خالية فالأولى تركها حتى يقع الإياس فيصح أن يستنفع بزرعها الفقراء على بعض قول المسلمين دون بيعها، والقماش يترك حتى يقع الإياس فيجوز بعد ذلك أن يعطى فقيراً في قول بعض المسلمين، وفي قول بعض المسلمين أن المعطي بكسر الطاء يوصي إن صح له رب يخير بين الأجر والغرم من مال هذا المعطي ، والله أعلم .

رجعنا إلى القصة: وشرحه فيه يطول الكتاب فقالوا أصحاب القاتل في صحبتنا رجل أعمى أكبر منا سناً وأوثق عقلاً، فجاءوا به وسألوه أهل الحلقة عن شهادته للنسب لأنها تجوز شهادة الأعمى في النسب خاصة دون تالي الشهادات فشهد بمحضرهم بأحد من العصبات ولا صحت في الحكم لأنه مما ينبغي يقول الشاهد هذا محمد بن سعيد بن علي والهالك راشد بن ناصر بن علي وأن علياً الذي ذكرته أشهد به أنه أب ناصر و سعيد لا يدخل في قلبي شك ولا ريب فإن صحت شهادة النسب شاهدين عدلين بمرتضى ومرتضيتين لأحد فالمال له والشهرة صحيحة تجوز.

فقالوا السائلون : لا نعلم للهالك عصبات ولا أحد من ذوي السهام إلا زيد بن عميرة بنت عبدالله والهالكة موزة بنت عبدالله وعبدالله المذكور هو أب عميرة وموزة تكون لزيد خالته والذين شهدوا هم ثقات وسئلوا قبل أن يشهدوا فعلى هذه الشهادة قالوا أهل الذكر ثابتة والمال لزيد، فنهض زيد في صحبة أخواله وحاز المال كله وأعطوه الوصية فقرأها ورضي بها فنفذت الوصايا والضمانات وما بقي له مائة ألف درهم أو أزيد فشغلته الأموال عن التعليم والسؤال فأقبل عامل السلطان الجائر يريد الزكاة من الثمرات والمواشي والنقود، فقبض من زيد من زكاة

النخيل ألف جراب ومن الحبوب ألف جراب ومن المواشي ثلاثون رأساً غنماً ومن النقود أربعمائة درهم فجاء إليه في كل حول وفي ظنه مؤدي زكاته ومكث زماناً لا يشتري من غلل ماله شيئاً ولا يطعم ضيفاً وعلى ما في يده حريصاً فلاح في قلبه أن يقصد إلى الحج بحجة خالته وأن يقيم في مكة إلى قابل حتى يحج عن نفسه فجهز زاده وودع أهله وركب على حماره ولا صلى ركعتين في بيته ولا عقد نية في حجة خالته، فجد في السير بالنهار في الفيافي والقفار فلاقى رجلاً في البرية قد أصابه جوعاً فخاف على نفسه من الموت وسأل زيداً طعاماً فلا سمحت نفس زيد فمات السائل في الطريق .

ثم في اليوم الثاني زيد نظر رجلاً نائماً في الطريق، فقال النائم لزيد: قد أجهدني العطش فلعلك تتصدق عليّ بشيء من الماء ولك الأجر، فقال زيد: مائي قليل، فقال الجهيد: احملني يا زيد على الحمار والماء قريب جدا، قال زيد: لا أقبل قولك، وساق حماره وضوى[1] مع الماء فانحدر عن حماره وسار يأتي حطبا وجلس للبول والغائط مستقبل بوجهه القبلة والريح فرشه البول في ثيابه، وجاء إلى التطهر من الماء الراكد القليل فتطهر منه وغسل ثيابه وتوضأ منه غير ساتر لعورته، ثم نهض ولبس ثيابه فجلس منتظراً إلى حضور الصلاة متكئاً بيده فغط وقام للصلاة فصلى ثم قام يصلي نافلة فأحرم وتلا في قراءة الحمد فسمع صبياً يستغيث به وبالمسلمين هاجم عليه جمل فقتله فلما تم زيد من صلاته قصد إلى الصبي فوجده ميتا والبعير عنه قائماً .

وفي اليوم الثالث زيد رأى الظلمة وفي أيديهم أسير فالتجأ الأسير

---

(١) أي : وصل .

بزيد فسألهم زيد بتفليت الأسير فقالوا لزيد أنت رجل يدك طائلة معنا ولكن نريد من عندك مائة درهم لتفليت الأسير فأبى زيد عن الفداء ورحل زيد عنهم فقتلوه الأسير.

وفي اليوم الرابع لاقى قوماً من جنود الظلمة فسألوه عن الماء فأخبرهم به فوجد في صحبتهم عبداً مملوكاً وبادله بحماره جملا وزاده سبعين درهما فركب زيد على جمله ودخل به البلد فحمل الجمل من مقدمه على أهل البلد فهلكوا الصبيان ثم خرج به من البلد وأناخه تحت أشجار مثمرة ثم نظر صبياً ومعه عبد مملوكا فقال لهما: اوصلا عندي، وقال للعبد: اطلع الشجرة وهزها لنجني من ثمرتها فطلع العبد وطاح فوق الصبي فمات الصبي، والعبد تكسرت أضلاعه، ثم ركب جمله ومشى به على السيوح المقطعة والطريق المخوفة، فطالعوه عشرين رجلاً فارتفع عنهم بشاهق الجبل ومعه تفق فضربهم به وأثر فيهم القتل والجراح، فولوا عنه مدبرين وبرحوا رجلين مقتولين ومعهما رجل أسيرٌ أصابته ضربة رصاصة في صدره ومنها يخرج الدم، فاستجار الأسير بزيد ففلته من كفاته، وأخبره بقصته وجراحه ومات من ساعته، فنوى إليه لتغسيله بالتيمم وصلى عليه ودفنه في مكانه، ثم قصد في طريقه فوجد جراب تمر فأخذه وأكله، وجاء صاحب الجراب وعنده شاهدين أن الجراب تركه في الطريق قد كلت عن حمله حمارته، ومراده ليرجع إليه ليحمله على حمارة أخرى فألزم زيد فيه، وقال في جوابه إني ظننت أنه من اللقطة التي لم يرجع إليها صاحبها، ثم قصد الطريق حتى وصل البندر، فاستقعد[1] بيتاً فقصد للصلاة إلى المسجد فوجد رجلين مختصمين يدّعي أحدهما دراهم

---

(١) أي : استأجر .

على صاحبه قد وجبت عليه فأجّل بينهما زيد شهرا، فدخل في قلبه الخجل الذي له الحق من زيد وفي تلك الساعة قادر على أخذ حقه من صاحبه.

فبعد أيام أفلس الذي عليه الحق وشكا من صاحبه فجاء صاحبه بزيد شاهداً ومؤجلاً بينهما، فقال الحاكم الدراهم لازمة على زيد فألزمه فيها وسلّمها زيد في شهر رمضان، فهجم العدو بالنهار في رمضان فخرجوا أهل البلد للعدو وزيد في صحبتهم راكب جمله حامل عليه زاده وماءه، وتناظروا أهل البلد والعدو فأقبل العدو عليهم وصح بينهم القتال وأجهدهم العطش أصحاب البلد فسألوا زيداً عن الماء الذي على جمله، فقال: لا يجوز شرب الماء نهاراً في رمضان فمنعهم عنه ومات من مات، ورجع زيد والباقون إلى البلد، ثم ركب زيد في السفينة وأصابتهم دوقة فحضرت الصلاة وقام يصلي زيد بلا وضوء ولا تيمم ولا إيماء به، وأدبرت السفينة بالقبلة قبل أن يحرم فأحرم على غير القبلة، ثم دارت السفينة إلى القبلة لتمام صلاته فبدا له أن يسير إلى برج السفينة للبول فلكش[1] رجلاً في مشيه وطاح في البحر ومات، فرجعت السفينة إلى البندر ونزلوا إلى البر، فاشتبه عليهم هلال شهر الحج فوقف زيد بعرفة مع الناس ومشى من عرفة قبل مغرب الشمس، وجاوز وادي محسر بعدما طلعت الشمس، ورمى جمرة العقبة من أعلاها، وقصّر قبل الذبح، وطاف بالبيت للزيارة ولم يحفظ ما طاف من الأشواط، ورقد في مكة في أول الليل، وفي آخره رجع إلى منى وذبح وطعنها طعنة بأطراف السكين، ثم أخذ حطباً وقلع شجرة صغيرة مخضرة وضرب الصيد في الحرم فأكله، وقصد إلى الطائف ونزل في شيء من بلدانه واستقعد بيتاً لأيتام ونظر في

---

(١) أي : ضرب برجله .

البيت امرأة مراهقة تتطهر من البول فرأى قبلها ودبرها ومحاسنها فخطبها وتزوجها، ثم سمع امرأة تشتكي من بعلها فأعطاها دراهم لتفتدي من زوجها وعاهدها ليأخذها فافتدت من زوجها ورجعت معه فأخذها، ثم هلكت بسبب دخوله إليها أخلط قبلها بدبرها، ثم تزوج يتيمة ودخل عليها فلما بلغت غيرت منه وجامع امرأته الأولى في الطهر في أيام حيضها وراجعها بعد ذلك فسأل أهل المعرفة عن نسائه بما جرى عليه فأفتوه بالتحريم.

فقال له أحدهم : أما سمعت يا زيد عن المرأة التي عرضت على الزاهد ودخل في قلبه حبها، وقال لها: إني أودك ولولا عندك زوج وإلا أخذتك فعرضت في طريقها على رجل آخر من الشبان الذي أعجبته نفسه فعمد إلى ارتكاب المحارم، فلما رآها الفاسق عشقها وبيده قهرها ليفجر بها فلم يقدر بحيلة عليها، ثم هلك زوجها واعتدّت منه وهؤلاء الرجلان قصدا معها إلى الخطبة مع أوليائها، فقالت لأوليائها أنا أريد الزاهد لأنه ذكر لي ودي وأنا مع زوجي وقال لولا عندك زوج وإلا أخذتك، والساعة ليس لي زوج وأنا أريده، والثاني الفاجر أراد بذل ماله ليفجر بي بالحرام فبغضته من معصيته الله ورسوله، والزاهد أراد بي لإحياء السنة، فقال لها القاضي: لا يحل لك الزاهد وهذه المسألة موجودة في الكتب كصراط الهداية والتبيان وبيان الشرع، والرجل الذي أرداك بالحرام فأنتِ له حلال فزوجه بها برضاها ورضاء وليها، فقال الزاهد للقاضي: لعله رشاك الفاجر وسايرته على الحرام .

فقال القاضي : ما حكمت إلا بالحق وإنك تجد هذه المسألة في الأثر. ومن نصحي لك لا تطعن في أهل المعرفة؛ انظر إلى قصة الرجل

الذي وجد زوجته في حجر رجل متجردين فرجع عنهما، فقال له قائل: إنها حرام عليك وخرجت عنه وتزوجت برجل ووكلت الثاني ليخاصم لها بما في أوراقها من صداقها، فشكاه مع حاكم البلد ولزمه في العاجل والآجل فأخذ مهلاً ثلاثة أيام فأخبر الرجل الشيخ ناصر، فقال الشيخ للرجل: وأنت نظرت الذكر في قبل المرأة ومع ذلك اهتزاز ورهز، قال الرجل: ما رأيت هذا، فأرسل الشيخ إلى المرأة فوصلت معه فقال الشيخ لفظ عليك هذا الرجل بالطلاق ؟

قالت: لم يطلق بلسانه ولكني خرجت عنه بحرمة وهو أقفر[1] بها، فقال الشيخ لها: أنت زوجة الأول لا زوجة الثاني فارجعي إلى بيته وإما أنك سلمي له الأوراق التي فيها الصداق وما سلمه لك من شرط الاتفاق، فعزمت المرأة للافتداء وأعطته ما قال لها الشيخ فطلقها فانظر على منافع العلماء.

رجعنا إلى القصة: فمشى زيد إلى السوق وشرى خادماً بثلاثين درهماً، وصاحبه الخادم إلى بيته وجاء الدلال يريد ثمن الخادم بين المغرب والعشاء الآخر، فأذن له زيد بالدخول فدخل الدلال البيت وطاح في الطوي وتكسر ولم يخبره زيد بالبئر، ثم ظهرت بالخادم علة في محارمه فوسمه[2] زيد بيده فبرئ ولكنه عطل الخادم عن الجماع فعتق بوسمه وخرج عنه، ثم زيد أخذ ناراً ووقف في الطريق يكلم رجلاً فهبت الريح وحملت بالنار فأحرقت الخيام والأموال والأنفس.

ثم قصد زيد على المسجد فرآى رجلاً أعمى ذاهباً عن الطريق

---

(١) أي : أعلم .

(٢) الوسم : الكي .

وقاده إلى المسجد وتكفر[1] الأعمى بدابة في الطريق فطاح وتكسر ولم يخبره زيد بها ، ثم قصد زيد حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فحج وزار وسعى ، ثم قصد مع البداة وشرى خادماً من عندهم وأخذ الخادم إلى بيته، فقال الخادم لزيد: أنا عبد مملوك لفلان ابن فلان الفلاني وهؤلاء البدو كسبوني وخفت على نفسي القتل لأخبرك بهذا، فبعد ساعة جاء مولاه وحضر شهود له بأن الخادم خادمه فأخذه مولاه، ورجع زيد عند البداة فلم يجد لهم سبيل فالتبست عليه الدنيا ودخلت عليه السوداء، فمزق ثيابه حتى بدت عورته على المسلمين فألزم التوبة والاستغفار، والناظر والمنظور مصيرهما على النار إذا كانا بالغين وفي العقل ثابتين، ثم قصد زيد إلى الفلاة يطنف [2] جمله فرأى أحدا من البداة وبادلهم بجمله ناقة فصحت عليه بالشهادة أنها مكسوبة فأخذها صاحبها من عنده، ورجع زيد يريد البعير من عند صاحبه فلم يجد لهم خبرا ولا أثرا، ثم شرى جملاً وسرقوه عليه اللصوص فمشى زيد في طلبه فوجده مذبوحاً وهربوا اللصوص فأخذ زيد لحم البعير وأكله وحمل منه إلى جاره، فلقي رجلاً لصاً في بيت جاره فأخبر به جاره فألزم اللص ولم يقر بالسرقة فجلد حتى مات، فدخل زيد على رجل من الأغنياء يعوده في مرضه فحين دخل عليه جعله وصيه ورضي به على نفسه فهلك الغني وخلف أيتاماً ونفذ زيد وصيته بغير مشورة من أهل العلم والحكم، ثم جاء حاكم لتلك البلد وأراه زيد الوصية .

فقال الحاكم : هذه الوصية سقيمة الألفاظ معدومة من الأشهاد ،

---

(١) أي : تعثر .
(٢) أي : يرعى .

والورثة أيتام ارجع لهم ما أذهبت من أموالهم يا زيد، فرجع لهم بقدر سبعين توماناً فعلم سلطان البلد بحسن سيرة زيد فقربه وأعجبه زيد وصحب سلطانه إلى هلاك قوم أحسن سيرتهم من سيرة السلطان وأقل ظلماً فحرب السلطان بيوتهم وأموالهم وقتل رجالهم فرجع السلطان إلى حصنه وزيد في صحبته، فقرب السلطان طعاماً لزيد وأمره بالجلوس في مجلسه وخرج عنه السلطان وأمره بالأكل، فخجل أن يجلس في مجلس السلطان وخالفه وجلس في مكان آخر فوطئ ابن للسلطان نائم وهو طفل فقتله برجله، فخرج زيد من الحصن قاصداً إلى المسجد لصلاة النافلة فحين رقد وجاء إلى المسجد رجل أعمى يريد أن يصلي الفرض فتكفر بزيد وتكسر الأعمى، فخرج زيد لإراقة البول فسمع صبياً يصيح ويستغيث في شيء من الخرابات الموحشات، فوثب زيد إلى إعانة الصبي فرأى رجلاً يعتدي عليه فقبضه من يده فحمله إلى بيت أبيه فأخبر والده بفعل المعتدي على ولده، فغضب والد الصبي وتقلد سيفه وقتل به المعتدي، فعلم السلطان بالمقتول ودعا بالقاتل فوصل بين يديه وسأله عن جراءته لقتل الرجل فأخبره بفعله لولده وجر شاهداً زيداً فشهد زيد بما رأى.

فقال السلطان للحاكم : احكم بما أراك الله، قال: يلزم أن يقاد القاتل إلى أولياء المقتول وزيد يجلد ثمانين جلدة، لأنك أنت ملكت مصراً من الأمصار وجعلت فيها العلماء والحكام والمعدلين فيقيم العلماء أحداً يقيم الحدود، قال زيد: أريد أن أسأل أهل المعرفة وأوصي بما يجب عليّ قبل إقامة الحد فسأل عما وقع عليه في زمانه ومهما حضر في قلبه فألزموه التوبة والاستغفار ، وتسليم الديات التي وجبت عليه وشيء منها على

عاقلته فدبر على عاقلته فأخبرهم بما وجبت عليه وعليهم من لزوم العاقلة، فرموه أهله بالعداوة والبغضاء وقالوا لا نسلم حتى يحكم علينا حاكم عدل وهذا قول العلماء فتوى، والعاقلة يلزمها في فعل الخطأ إذا بلغ نصف عشر الدية وتلزم العصبات أولهم من كان أقرب إلى الملزم فيسلم أربعة دراهم والذي يليه كذلك حتى تكمل الدية وإن لم تكف ولم يصح النسب فلا تعقل العاقلة أكثر من أربعة دراهم والباقي على الفاعل، قال: فجلدوا زيداً ثمانين جلدة وسلمه الله من الموت فباع جميع ما كان في يده ومكث سبع سنين مجتهدا في خلاص نفسه وبقي عليه كثير من حقوق العباد وحضر في مجلس أهل الذكر، وقال لهم: اشهدوا عليّ أني برأت نفسي مما لزمني من حق العباد وليس في يدي شيء فشهدوا عليه .

فقال له أحدهم : ذهب مالك يا زيد وأحذرك عن مسائل ؛ فالمسألة الأولى : عن الأمانة ، إن لم تجتهد في حفظها فإن أصابها الذهاب فأنت ضامن لصاحب الأمانة .

والمسألة الثانية : أحذرك أن تتزوج المرأة من نسل امرأة التي دخلت عليها بالفاحشة وكذلك أمها لا تجوز لك ولا جداتها، وكذلك إن نكح رجل تهيماً فلا يجوز للناكح أن يتزوج من نسل المنكوح وأما المنكوح فجائز له أن يتزوج من نسل الناكح .

والمسألة الثالثة : رجلان تصاحبا فنزلا في قرية فخطب أحدهما امرأة فتزوج بها، ومذ طلقها زوجها الذي دخل بها الأول لها سبعة أيام قد شهدوا أناس بذلك فلم يرض المتزوج وأراد أن يحولها فردعه عنها الحاكم حتى انقضت عدتها، فتزوجها صاحب زوجها وحرمت على الأول

المرأة بإصراره، ثم قصداً إلى السفر ودخلا قرية فيها من أهل الكتاب وهم حرب على المسلمين فتزوج الرجل من نساء أهل الكتاب، فقال له صاحبه: لا يحل لك، ثم سالموا أهل الكتاب فأخذ المرأة الرجل الثاني، فقال له صاحبه: كيف قلت لي أنها حرام عليّ وأنت لك حلال الساعة؟، قال له: هكذا نطق الكتاب. فقال زيد: أحسنت أحسنت، وبقي زيد مفلسا يخدم على نفسه كما سبق في شبابه.

ثم جاء معه رجل وقاطعه بأجرة على أن يسقي بالماء في الليل وقال له: أتعرف الفرغ؟، قال: أعرفه، فقال له: رد الماء إذا طلع فلما طلع الفرغ المقدم قال زيد لعله فرغ المؤخر ورد الماء بطلوع فرغ المؤخر والماء معهم معدوم وقعده غالي كثير، فجاء ينظر المال صاحبه فرآه ناقصاً عن شربه السابق، فسأل زيد عن رده للماء فأخبره بالفرغ المؤخر رد الماء فغضب عليه صاحب الماء وشكاه فلزمه الحاكم غرم الماء الذي خالف في رده فثبت يخدم أياماً ويعطيه نصف أجرته لقوته، ثم مشى زيد على ساقية الفلج في الطريق ونظر إلى الماء يفيض غائباً فلم يسده، فألزمه الحاكم حين شكاه صاحب الماء فخدم له يومين وأخذ نصف الأجرة لقوته، ثم جلس زيد مع أحد إخوانه وأخبره بقصته، فقال له: مثلك كثير يا زيد قد غلبهم في الطبع البلغم فلا تحضر قلوبهم، وقد حكي عن رجل أمر رجلاً ليقعد له أموالاً وقال له: استقعد لي منها ثلاث قطع، فصح بين الناس الزبون على يد الدلال فدخل في قلبه على القعد صاحب الأموال، فلام الدلال بقلة الحشمة من أناس في الذي أرادهن انظر إلى قلة عقله في تصريف ماله ، وقد حكي لي عن رجل جعل صاراً[1] ليشوي فيه لحماً متى

---

(١) مكان الشواء للحم القديد .

أراد فجاء العيد ؛ وقيل له : لنصنع بهذا اللحم مشاكيكاً[1]، قال الرجل: ما عندي مكان ولا أحيد[2] مكان إلا يحفرون أن الناس يحفرون صاراً في الطريق ؛ وقيل لي : أنه لا يجوز ؛ قلت له : وإن لم أحفر ولم أشعل فيه بالحطب ورأيت الناس يشوون يجوز لي أن أشوي معهم ؟ .

قال : لا يجوز لك هذا قول الشيخ ناصر، وهذا الرجل لم يذكر الصار الذي حفره سابقاً فرأى الناس يعملون فيه المشاكيك وكان يستمع لرجل في القراءة فرد على القارئ فسأل القارئ الراد كيف قلت لي؟، قال: لا أحفظه بالذي قلته فالقارئ تذكر وصلح قراءته، ورجل آخر متحزق بكيس فيه قرش فجاء رجل وأخذ القرش من حزاقه مازحاً وهو ينظر إليه، فخرّج صاحب القرش والذي أخذه من الدكان.

فقال الذي له القرش للجماعة: من منكم أخذ القرش من الكيس؟، فتبسموا مازحين ولم يعرف الذي أخذه من حزاقه نهاراً ينظره وهو صحيح العقل، فرجع زيد إلى وطنه وأخبر أخاه بقصته وبذهاب أمواله كلها التي ورثها من خالته.

وقال في هذا المعنى الشيخ علي بن ناصر شعراً:

أحسن الله العزاء	وانطفى هذا البكاء
من زمان كنت فيه	ساحباً تيهاً رداء
لم تزل فيه عظيماً	وتفوق العظماء
ذا سرور وحبور	فيه تلتذ الصفاء

(١) جمع مشكاك : وهي اللحم ، يُوضع في عمود رفيع من الخشب أو الحديد ، ليشوى عليه .
(٢) أي : لا أعرف .

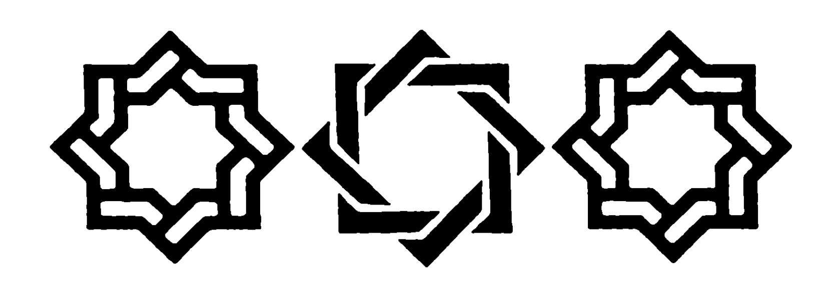
وإليك الناس أضحت ... في غناها فقراء
فتبدلت بفقر ... بعدما ذقت الغناء
وببؤس واحتقار ... لا ترى فيه الوفاء
وببغض بعد حب ... ترتجي فيه البقاء
وببعد من قريب ... بعد قرب لا نياء
وجفاك الخل واعتـ ... ـدت على ذاك الجفاء
وغوان في معان ... غانيات تتراء
كشموس بسماء ... فرقت سحب السماء
فتناءت بقلاء ... كن يقلين القلاء
وجميع الناس طراً ... لا يحب الفقراء
إنما للفقر داء ... ما له يلقى دواء
إن يكن ذو الفقر حبراً ... عالماً حاز الثناء
وجمالاً وكمالاً ... ثم آلاً وسخاء
فجميع الحسن فيه ... فهو قبح ما أضاء
أيها الجاهل فاسمع ... واعتبر واكثر دعاء
كدعاء قل إلهي ... ولنا منك احتباء
وأعني في أموري ... وأمط عني البلاء
واغنني عن كل مخلوق ... غناء لا ابتلاء
واكفني في طول عمري ... دون محصول عناء

وله ـ أيضاً ـ يمدح حمد بن عمير :

سليل عمير أنت عامر دارنا ... بخير وإحسان وأنسة فاضل
لطيف عفيف صالح متورع ... كريم حليم ما تراه بجاهل

له خلق زاك ونفس سخية بما معه للمعتفي والأرامل
صبور على خطب الزمان وبؤسه شكور إذا جاءته سحب الأنامل
فما فيه غير الفقر عيب وحسنه مع الناس إلا مع كرام قلائل
وأسأل ربي أن يغيث ربوعه وإياي غيث المخصبات الهواطل
فإن إلهي فاعل ما يشا بنا ولا خاب داعيه إلى نيل نائل

وقال : العُلماء اختارت أربع كلمات ؛ الأولى : لا تثق بالنساء ؛ والثانية : لا تحمل معدتك ما لا تطيق ؛ والثالثة : لا يغرك المال وإن كثر ؛ والرابعة : يكفيك من العِلم ما تنتفع به ، وعليك السلام .



الذكر الرابع والعشرون :

فيه ذكر العالم والمتعلم ، والمتزوج والذي ليس متزوج ، وقصص من المسائل الشرعية في الأديان والأحكام ، والأكثر منها بالذي لا يلزم فاعلها بالعمد خلافاً الذي ....[1] لزيد ، وهذا حططنا الاسم فيه أحمد أحسن للقارئ والمستمع

قال ذو الغبراء : سألت صاحبي عن من مشى في شبابه بعلم، قال: نظرت رجلاً يسمى أحمد قد سافر عن وطنه لزيارة علمانه ويتلو اسم الله العليم حتى رأى العلماء فسلم عليهم وصافحهم بالتحية والإكرام والإجلال للأعلام، وسألهم عن الفقير إذا طلب العلم ما أولى له من العلم؟.

فقالوا : وأنت طالب العلم؟، قال: نعم، فقالوا له: فإنا نعلمك كل يوم مسألة في أصول الدين فأخبروه بالمسألة وأمروه بالمسير عن الحلقة لطلب المعيشة والكسوة، ومرادهم له لا يكون كلاً على الناس لأن المتعلم يلزم الأدب والأخلاق الحسنة، قال: فمشى عنهم وراجعهم في اليوم الثاني وسألوه عن المسألة فأخبرهم بأصلها وفروعها فعرفوه أنه أهل للعلم، فأخبروه بمسألة أخرى فعلى هذا كل يوم حتى حفظ بقدر حاجته لإعانة زمانه ولاح في قلبه ذكر النساء لما رأى مسائلهن في الأثر وتحركت شهوته بالودي والمذي والمني ولم يزل يطهر ثيابه وجسمه، فسأل العلماء عن العزوبية أو يحمل نفسه الدين ويتزوج فقيل له من خاف العنت فليتزوج اقتداءً بالأنبياء والمرسلين، فعزم على نية التزويج وتلا

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل .

اسم الله الوهاب، فقال يا وهاب هب لي امرأة صالحة لأحصن بها نفسي عن شهوة الحرام، فاستجاب الله دعاءه وقصد عند امرأة أمينة لتلتمس له امرأة صالحة قانعة، فسارت المرأة مع أختها وأخبرتها بالرجل وإرادته النكاح، قالت لها: فإن كان لك رغبة في التزويج والاحتمال فإنه يحب من مثلك فأجابتها بالإرادة فرجعت مع أحمد وأخبرته بالمرأة وأوليائها فقصد معهم وسألهم يريد منهم التزويج، فاجتمع رأيهم ليصلوا هم وإياه معها في بيتها ليسمع كلامها فأخبروها بالرجل وفقره وغربته، فرغبت فيه المرأة وزوجوه برضاها، وكتب لها صداقها وأعطاها أوراقها فدخل عليها، ثم وهبته صداقها بمحضر أهلها اتباعاً لقول الله تعالى : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً ﴾[1] .

فسأل أحمد زوجته عن السعي في طلب الرزق ما الأحسن في ذلك لخفة أجسامنا وراحة قلوبنا لنبيت كل ليلة في بيوتنا؟، قالت له: السعي في التجارة أرفق لك ولجسمك، فقال: يا كافي يا غني يا فتاح يا رزاق اجلب ووسع علي الرزق من حيث كان، ثم قصد إلى رجل من الأغنياء لطيف رحيم للفقراء فلما رآه سلّم عليه فرد جوابه، فقال له: ماذا تريد من عندي يا أحمد ؟ .

قال : أريد منك أن تسلفني ثلاثين محمدية بستين مناً قطناً على مدة انقضاء ستة أشهر زماناً، فقال الغني: وهذه الثلاثون التي أردتها وهي من زكاة لزمتني فكن متقبلاً[2] مني ؛ فقال أحمد : قبلتها وجزاك الله جزاء المحسنين والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة النساء : ٤ .

(٢) في الأصل : مُقبلاً .

فمد إلى للتجارة وبارك الله له فيها فثبت في تعليمه وقيام فرضه ومشى هو وعياله إلى الفلاة فرأى ماءً قليلاً في حفيرة إلا أنها تجري في باطن الأرض فابتدأ أولاً بالمسير إلى البول والغائط في مكان نازل مستدبراً[1] القبلة والريح، وقال أعوذ بالله السميع العليم من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم فلما قضى حاجته قام وقال الحمد لله الذي أطعمني طعاماً أذاقني حلاوته وسقاني شراباً أذاقني لذته وأبقى في جسمي قوته وصرف عني أذاه، ثم وصل مع الماء وقال بسم الله الرحيم اللهم نيتي واعتقادي أتطهر من البول والغائط ومن كل نجاسة أداء للفرض طاعة لله ، ولرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فتطهر وتوضأ للصلاة هو وزوجته ، وجلس منتظراً قليلاً إلى وجوب الصلاة ، فسهى وغط من غير انضجاع ولا ادكاء ولا اتكاء وقام إلى الصلاة بذلك الوضوء، ثم جامع أهله في الليل وأراق البول وقصد إلى الماء متجرداً لا فيه ثوب، فسألته زوجته عن التجرد فقال الجواب من كتاب الله بعد الغسل من الجنابة فجاء إلى الماء وغسل يديه وتوضأ كوضوء الصلاة ثم عم بالماء على جسده وعرك بيديه كله ثلاث عركات وقال بسمك اللهم نيتي واعتقادي أن أتطهر للجنابة والبول والغائط ومن كل نجاسة أداءً للفرض طاعة لله ولرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ثم أجابها بعد الطهر قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ﴾[2] ؛ وقال : وحدود الليل في الأحكام من مغيب الشفق الأبيض إلى انشقاق الفجر المعترض بالمشرق .

قالت له : وعند مغيب الشفق من الليل ، إذا لم يستر عورته ، فهل يكون عاصياً لله ؟ قال : لا .

---

(١) في الأصل : مُدبر .

(٢) سورة النبأ : ١٠ .

ثم رجعا إلى البلد وصلى بالناس صلاة الصبح فسمع صائحاً فقطع الصلاة ووثب مع الناس فوجد بينهم تشاجر وخصام في مرادة[1] الماء فأصلح الله حالهم على يديه، قيل له: كيف يجوز قطع الصلاة المفروضة لطلب النافلة؟، قال: قطع الصلاة موسى بن علي لصائح صاح: صبي طاح في الطوي، فوثبوا عليه حياً فأحيوا نفساً، وأبو نبهان قطع صلاته سمع قعقعة بالباب.

قال: فرجع أحمد هو وأصحابه وصلى بالناس جماعة في المسجد، وفي ذلك اليوم من شهر رمضان في أوقات شدة الحر صاح صائح في النهار فرأوا قوماً غارت على البلاد فقتلت العباد ونهبت الأموال فجدوا عليهم في الطلب[2] وأجهدهم الجوع والعطش فأمرهم أحمد بالأكل والشرب لتقوى أجسامهم للقتال في النهار فسلطهم الله على عدوهم لما اصطلحت أجسامهم فرجعوا في الطريق وأمرهم بالإمساك في بقية يومهم وأن يبدلوها.

ثم أقبل عليهم الليل وليس معهم قوت إلا بالذي ردوه من أيدي الظلمة لأصحابهم فأجاز لهم أحمد الأكل من مال الناس وأمرهم أن يستدينوا برجوع ثمنه إلى أصحابه فأكلوا من التمر وذبحوا من الغنم.

وسألت الشيخ ناصر بن أبي نبهان هل من رخصة لأمير البلد إذا احتاج على الزكاة أن يأخذها من أهل بلده أو غيرها من البلدان التي في ولايته؟ قال: إن الزكاة إنما هي للإمام العدل إذا حمى البلد عن مضار بعضها بعض أو من أن يضرهم غيرهم وأقام فيها العدل لينفقها في محلها بالعدل أو لذي العدل من غير أن يكون إماما من أهل الأمانة والتقوى في

---

(١) السقي بماء الفلج ، كلّ على حسب حصته ودوره .

(٢) أي : المُتابعة والمُطاردة .

دينه إذا أقام بالعدل في بلد وحماها كما ذكرنا جازت له ليضعها في محلها بالعدل أو للعلماء أهل العدل أو للمسلمين أهل الفضل على هذه الصفة لا غير لأن الزكاة قد جاء التشديد أكثر من غيرها مما هو ماله للفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافاً يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

رجع ، قال : ورجعوا في اليوم الثاني إلى دارهم فجاءه عامل السلطان يريد من عنده زكاة التجارة فسلّم أحمد زكاته لرجل أمين وفقير يستحقها والأمين كافأ بها عامل السلطان عن أحمد فبرئ أحمد منها، ثم باع سلعة بالنسيئة على رجل فتفلس المشتري فدفع أحمد زكاته إلى المفلس وقبلها ورجع منها لأحمد بما عليه من الحق فأخذ حقه وطلع ماله بزكاته فسمع السلطان عن أحمد أن عنده دراهم فوصل السلطان معه وأخذ الدراهم ظلماً فعمد أحمد إلى مداخلة السلطان وعرف مكاناته وخزائنه فأخذ أحمد على السلطان بقدر ما ظلمه وأشهد في القصاص شاهدين عدلين .

وهدم أحمد بيت لليتامى والمساكين الذي ينزل فيه السلطان الظالم ويعتدي على الخلق وليس له قوة على ظلمهم إلا بذلك البناء ومن هكذا أجازه أحمد، ثم أمرهم بقطع الطريق الجائز بالجدر والحضار عن مسلك السلطان في حربهم، وأحمد أعانهم على حربه بالمال والحال لأنهم أهل البلد أقل ظلماً من السلطان .

ثم نظر أحمد مع أمير البلد رجلاً أسيراً، والأمير مراده قتله لأنه من بلد السلطان الظالم وذلك الرجل أمين تقي فحلف أحمد للأمير أن هذا الرجل ليس من تلك البلد فعفا الأمير عنه وإرادة أحمد سلامة الرجل لأن كل حلف على خير أو سلامة نفس أو مال فلا يحنث الحالف إذا لم يحضره

ولم تمكنه الحالة أن يفكر في مندوحة قال عليه ولو كان في الأصل كاذباً.

ثم مشى أحمد في الطريق فوجد شيئاً من ثمرة النخيل والأشجار في الطريق وشهدوا الثقات أن هذا من مال الناس فبهذه الشهادة أخذه أحمد وأكله وقال: هذا حلال وقد طاح على الطريق .

ودخل أحمد في بيته بالليل ، فرأى رجلاً وعليه السلاح ، وهو في بيته فقتله .

ثم خرج من البيت قاصداً إلى المسجد وتكفر أحمد برجل نائم في طريق الجائز فقلع عليه عينه بظفر الإبهام من الرجل، ودخل في المسجد وقام إلى الصلاة فجاء رجل يسرق من المسجد فتكفر بأحمد وطاح اللص وتكسر.

ثم أقبلت إلى أمواله المواشي وأقام الحجة على أصحابها أن يحصدوها عن الضر مراراً فلم ينفعهم قوله فأخذ سماً وجعله في التمر ونثره في ماله فأقبلت المواشي وأكلت التمر فماتت.

ثم عزم أحمد على السفر فاشترى جملاً من سوق المسلمين وسلّم ثمنه للدلال فقيل لأحمد إن الجمل مكسوب، قال أحمد: وأين الشاهدين العدلين وأنا لا أسمع الأقوال من الذين مرادهم تحريم الحلال .

فركب أحمد على جمله ومشى به فنظر قوماً يأكلون لحماً مشوياً فأعطوه اللحم وأكله، فقيل له: إن اللحم الذي أكلته مسروق، قال أحمد: الذنب والضمان على من فعل لا على من أكل، فساق جمله ومشى به في الطريق مسرعاً فكفخ الجمل رجلاً من مؤخره ، ولم يعتمد أحمد على الجمل بشيء .

فوصل الساحل واستقعد بيتاً وجعل فيه ناراً لطعامه فهبت الريح وحملت على النار فأحرقت في البلد فرد بالماء أحمد لإطفاء النار واستدان بالحق لأصحاب الماء.

ثم وجد رجلين يتضاربان في الطريق ففالتهما فشكى الذي فيه الجراح من الجارح مع الحاكم فاحضر الحاكم الخصمين والشاهد أحمد فقال الحاكم للمجروح: هذا صاحبك الذي تدّعي أنه جرحك؟، قال: نعم، قال للجارح: أنت الذي جرحته؟ قال: لا جرحت ولا علمت على ساعتي هذه، ثم قال لأحمد: هل عندك شهادة تثبت في الحق بين هؤلاء الرجلين؟ قال أحمد: أما إثبات الحكم فلا وأما رأيتهما وفالت بينهما في تلك الساعة، فقال الحاكم للمجروح: هل عندك شاهد ثاني؟ قال : لا ؛ فقال القاضي : لا أرى لك حجة في الشرع فدمعت عينا المجروح .

فركب أحمد في السفينة وجرت السفن في البحر وسارت بهم فتراكم السحاب وأندى بالمطر فاضطربت الأمواج وهبت الرياح فحضرت الصلاة فلم يقدر على الوضوء ولم يجد تراباً ولا غباراً فتيمم وضرب بكفه الهواء ومسح بها وجهه ثم أومأ بها ثانية فمسح بها يديه ولم يكلم أحداً وقام إلى الصلاة وكبر تكبيرة الإحرام مستقبلاً القبلة ثم دارت السفينة عن القبلة وتم صلاته فرأى السفن تكسرت وأقبلوا الناس يسبحون في البحر ويستغيثون بهم ليطلعوا في سفينة أحمد فخاف أحمد من أن تغرق السفينة فأمر أحمد أن يجروا سيوفهم ويضربون بها الذي يقبض بروج السفينة فقصت أيادي وغرقوا في البحر قوم كثيرة، فسكن البحر وفرج الله عنهم.

فنزل أحمد من السفينة واستقعد بيتاً من البلد وخاف على نفسه

العنت فتزوج امرأة بأقل صداق على شرط بينهما أن لا تسافر معه إلى بلد معلومة وإن أراد المسير وامتنعت عن المسير أعطاها صداقها وإن هي لم تطاوعه إلى البلد الذي حدده بالأسفار معه أعطته ما سلّم وطلقها فاتفقا على هذا الشرط ودخل عليها ثم نسلت له ولداً ذكراً ورضعته سنتين فبعد ذلك نظر أحمد مع زوجته رجلاً يجامعها فحرمت عليه وأعطته ولده وما سلّم إليها فهربت عن البلد وتابت إلى الله تعالى، وبعدت مسير ثلاثة أشهر ونأتي بقصتها في غير هذا الموضع ثم قام أحمد في البلد والناس تسأله في كل يوم.

فوصلت إلى مجلسه امرأة لتسأله عن مسائل في الحيض، فقالت: أنا جئت لأسألك مسائل في الحيض ...... ؛ فقال لها: لا بأس، هل لك بعل؟ فقالت: ليس عندي رجل، فسألها عن وليها فخطبها عنده فزوجه بها .

قال: فدخل عليها فوجدها بكراً واستلذ جماعها مما وجد فيه من الحرارة فلما أمنى وانحدر أقسمت عليه بالله تعالى أن لا يمس نجاسة، فأخذت خرقة لطيفة ومسحت عنه أذى النجاسة والرطوبة، وأتت إليه الماء وتوضأ وتطهر فهذه دلالة من حسن أخلاقها وطباعها، فحملت من ساعتها ولكنه خرج سقطاً فامتنع عن جماعها أربعين يوماً، وسألته عن اللبن الذي في نهودها قد بان لها منه الضرر فمصه أحمد.

ثم بعد سنة زمان حدثت بأحمد آلام وأسقام وامتنع عن جماعها، وسألته عما يجوز لها لتسكن شهوتها فأمرها أن تحط بفرجها في بدنه فعملت ما أمرها حتى برئ أحمد من علته وسكن هو وزوجته في أطيب نعمة وحسن ملاطفة .

وفي بعض الليالي جاء إلى البيت بعدما صلى العتمة وقصد على فراش زوجته، ونكح أخت امرأته وهي نائمة وهو سريع الإنزال، فحيث أحست بقوة الذكر مع خروج النطفة في قرارها المكين أحست كأنها شعلة نار في رحمها فانتبهت خجلة وأقبلت أختها إلى الفراش.

فقال أحمد: من هذه المرأة التي أقبلت؟، فقالت له: أنا زوجتك، فقال لها: ومن المرأة التي في فراشك؟، فقالت: أختي جاءت تزورني فوصلت تعبة فنامت في فراشي، وأنا سرت إلى الصلاة.

فقال أحمد: ألها زوج؟ قالت: لا، فقال: لا تتزوج حتى تعرف ما لها وما عليها، فأعطاها صداقها وتبين بها حمل فأعطاها النفقة فجاءت بولد ذكر فربته أحسن التربية، وامتنع عن جماع زوجته حتى وضعت أختها بالولد، لأنه يجب عليه أولاً أن تحيض أختها ثلاث حيض، فبعدما تستبرئ جاز له جماع زوجته.

فمكث سنيناً هو وزوجته ثم تزوجت أخت المرأة برجل موسر وأتت له ولداً ذكرا فقُتِل زوجها الغني وسُلمت للولد الدية، ومات ولد الموسر فأخذت أمه الثلث ومن أبيه الثمن وأخذ أخ الأم السدس الذي هو ابن أحمد.

ثم ماتت زوجة أحمد وسمع عن أختها قد انقضت عدتها من زوجها المقتول فخطبها من ابنها الذي حدث بالخطأ وزوجه بها ودخل عليها.

فقيل لأحمد: أنت أخذت هذه المرأة بجهل أم بعلم؟، فقال: أخذتها بعلم من الأثر من بيان الشرع في الجزء السابع والأربعين في الباب

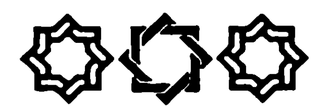
الرابع عشر والمسألة في الخامس عشر من المسائل التي تقفيها[1] ، ومن كتاب الله : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [2] ، وأما الولد افتخر لما تزوج والده بأمه لأنه مولود بالخطأ وعادت أمه مع أبيه، ثم هلكت المرأة وأخذ أحمد الربع والباقي لولدها فانتشا ولد أحمد في الدنيا مسروراً موسراً .

قال: فبينما نتذاكر في هذه القصة فأقبل إلينا ولد أحمد الموسر الذي هو بالخطأ وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقلنا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وأزكى تحياته، فهذه المسائل التي أكثر فاعلها بالعمد معذور .

قال : وما المسائل الذي فاعلها بالعمد غير معذور؟، قلت له: سأخبرك في البيت بعدما نأكل الطعام فإنك تحفظها مع راحة الجسم وإحياء العروق بالأكل والشرب، قال : فأكلوا ما طاب لهم من الطعام .

فقال ذو الغبراء: الفاعل بالعمد من تعمد على سفك الدماء ونهب أموال الناس والزنا إن كان في الثيب بالإكراه والبكر يلزمه على ما يقول فيه العالم الفقيه الورع الذي يقتدي به ، والحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ، وآله وصحبه ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم .



(١) أي : تليها .
(٢) سورة الأحزاب : ٥ .

الذكر الخامس والعشرون :

فيه نصيحة الإخوان والتدريج للمقاربة، وترخيص فرق أهل القبلة، وضعف العلماء، و دلائل لحسن التدبير في الحضر والسفر، وفيه من إحسان سيرة الملوك، و شيء من المسائل في النساء، ومسألتان في الميراث ، وفي المفقود والغائب ، والحكم في مالهم والزوجات

قال ذو الغبراء : سمعت أحمد يذكر عتاباً على زيد، فقلت لزيد: لعلنا نصل عند أحمد في صحبة ولده لزيارته ؛ قال : أحب ذلك .

قال : فقصدنا في المسير وقلنا يا حفيظ يا حفيظ مائة وتسعة عشرة مرة تكراراً فحفظنا مولانا في طريقنا عن خصمنا حتى وصلنا مقام أحمد وقلنا لولده: ادخل مع أبيك وأخبره عنا، فدخل الولد وأخبره فجاء عندنا أحمد مستبشراً بالفرح والسرور وصافحنا وأطعمنا ما حضر من العيش في الحال، ثم جلس في حلقته .

فقلت له : يا أحمد هذا أخونا زيد وقع عليه في زمانه كذا وكذا وأحمد تجري دموع عينيه رحمة منه لزيد، قلت له: فالساعة نحن ضيفك ونريد منك ما يجب عليك من حق الإخوان والأعوان والآن زيد جاء عندك بالتوبة والاستغفار والندم والاعتذار فاقبل منه لأنا نتوسل بك والمرجو منك مسرة القلوب.

قال : الحمد لله يا ذا الغبراء ، المرء هو من يحب لأخيه ما يحب

لنفسه وعندنا المستشير كالمستجير، فقرب زيد بين يدي أحمد وقال: مضى شبابي في حيرتي والآن أنظر إلى أمري في بقية عمري مما نراه أصلح لي أخبراني.

فقال أحمد: فعليك يا زيد بمجالسة الأخيار وتجنب قربة الأشرار وحاسب نفسك في العزلة وإياك ثم إياك أن تمشي بقدميك إلى من هو أعلى منك منزلة لأنه يرميك بعين الحقارة كالحنظل كلما زدته سقياً ازداد مرارة، واعلم أن المؤمن وقاف والمنافق وثاب، وعليك بالإياس عما في أيدي الناس، وإياك والظلمة عن الإعانة إليهم، والحذر الحذر عن الوكلاء الذين هم غير مأمونين لا تقبض من عندهم ولا تقبضهم شيئاً مما وكلوه، واغضض طرفك عن العورات، ويدك عن الحرام، واحذر اللسان فإن الإنسان مأخوذ على لسانه.

ولا تأخذ العلم إلا من أهله لأن كثيراً من العلماء في الأرض قد ضلوا وأضلوا كثيراً من خلق الله، ولا معرفة لهذا إلا لأهل العلم من أهل الاستقامة، وكثير من علماء القوم رفعت وأثرت عنهم مسائل مما ينكرها العقل كمثل الذي حلال لحمه قالوا بطهارة بوله، ومع الإمام طاعة لازمة ولو كان ظالماً، والقمل بطهارة ذرقه، والجنابة بطهارتها كالبصاق، والزاني إن أراد أن يتزوج بالزاني بها فهي حلال له، ومن وطئ في الحيض عمداً فلا تحرم عليه، والرد للمطلقة بالقلب كاف عن الشاهدين، والروافض قالوا لا تطلق الزوجة من زوجها ولو طلقها ألف مرة إلا إن يلفظ عليه عالمهم، وكذلك تزويجهم لا يثبت إلا أن يقبله له عالمهم ويكلمه به، وفي قولهم في سفرهم إذا اضطر وأخذ ثوباً ولف به ذكره وجامع به

أمه أو ابنته أو أخته أو من حضر من النساء عنده أو طاف عليهن فليس هو زان لأنه من وراء الثوب، وله أن يتزوج بمن أراد من النساء التي له حلال ولا تحرم عليه بالجماع من وراء الثوب، وجماع الرجال ليس مكروها في كتبهم.

ثم احذر كل الحذر من يدّعي العلم من الإباضية وليس هم من أهل العلم إذا كان قليل العلم ركيك الفهم يتخبط فيه ولا يرضى على نفسه إلا بالجواب للسائل محترزاً عن قول الناس أنه لا يعرف فلان فإن وافق الحق في قياسه بعلمه فهو في أسفل سافلين، وأدلك في زمانك أن تؤاخي أخاً مخلصاً براً تقياً، واجعل لكسر شهوتك زوجة صالحة معينة لإصلاح دينك ودنياك، فقال زيد: أنت محبي وطبيبي اشفني من البلاء بالدواء فجلس أحمد يفكر ساعة يقيس في عقله الجواب، فقال يا زيد لا أرى دواء إلا أن يخضع الله قلوب أولادي لك، ثم قبضه من يده وتصاحبا إلى بيته فقال أحمد لابنه وابنته: هلموا إلينا فأقبلا إليهما مسرعين.

فقال لهما والدهما: هذا زيد أقبل إلينا واستشارنا بالدواء لإصلاح جسمه وعواقب أمره فهل عندكما دواء له؟، فقال الولد الذكر لأبيه: ليس معي لباس أسد به عورتي فإن كان زيد معه ذلك فأنا طبيبه بالنهار، فقال زيد: عندي وأملك يا أحمد ابنك بابنتي، فخضروا الشهود وزوج ابنه بابنته زيداً، ثم قال أحمد لابنته: ما تقولي لأنك أولى بنفسك وأنا من ثانيك فاكشفي لنا ما في قلبك حتى يسمع زيد الضرير الملتجي المستجير، فقالت: سمعت عن زيد أنه لا يحسن التدبير وذهبت أمواله بالتبذير وخوفي منه أن لا يحتمي على الدواء وعملي يذهب ذهاباً لا يصح له نفعا، فقال لها والدها : إن ضعف تدبير المتقين خير من تدبير السفهاء

المتغشمين ؛ فقالت له : فوضت أمري إلى الله وثم إليك فأكرم ضيفك بدوائك ؛ فقال أحمد : الحمد لله إلى تمامها وصلى الله على النبي (صلى الله عليه وسلم) وأشهد الحاضرين لعقدة النكاح بابنته لزيد وأمرهما بالدخول على زوجاتهما في ليلة مباركة سالمة من النحوس متصل بدرها بالسعود ثم جعل وليمته لأهل البلد فلما أصبح الصباح رد عليهم بالصباح وسأل مولاه لهم الصلاح وتبخروا بالرياح وأوصى النساء بالاحتمال، والنفقة .

قال أحمد: اعلموا بأني اجتهدت في طبكم والشيطان لا له مدخل في بيوتكم وزوجاتكم لأنهما لا عورة لأحد منكما، وأحذركما عن التقصير في النفقات للزوجات لأن الحاكم له أن يجبر على الطلاق إن عجز الزوج عن النفقة والكسوة وقامت عليه الحجة فقد وكل الحاكم أحداً ليطلق مثل زوجة المفقود والمسافر والمجنون والغائب، وأما المفلس والمبتلى بالعلل فيجبره الحاكم بنفسه على الطلاق إن عجز عن النفقة وكذلك العنين بعد التأجيل والذي عجز عن تسليم الصداق قبل الدخول فبعد حلول الأجل يجبره على الطلاق .

قلت لأحمد: أعطني بياناً في حسن التدبير لأني رأيت رؤيا في منامي بالليل كأن الوادي دخل ماؤه في البلد وهدم بيوتها ونخيلها، فقال لي أحمد: اكتم رؤياك فإنها تدل على ذهاب البلد وما فيها، قال: فأول من غيّر وبدل أميرها وتابعوه سكانها فلم يجعلوا الزكاة لأهلها ولم يقيموا الصلاة في محلها فأعجبتهم نفوسهم وخانوا عهودهم وأحيوا سيرة أهل الجور والظلم والطغيان وفقراؤهم امتدت أياديهم في أموال الناس وألسنتهم بالهوى وصبياتهم كثرت فيهم علة الأبنة ونساؤهم عمدت إلى السحاق والزنا ، وأحمد يفكر في نفسه وفيما يحل ببلده بين الوقوف

والانتقال فمال قلبه إلى الرحيل لسلامة نفسه وأهله وماله.

فقالوا له: خذ من الدراهم ما شئت ومن الزاد ما أردت واقصد ننظر إصلاح البلدان فإن رأيت في أحدهن اجتمعن فيها خمس خصال فالأول السلطان العادل والثاني العالم العامل، والثالث الطبيب الحاذق، والرابع الاجتماع في المساجد، والخامس السوق لحاجة الأجسام.

فامتثل الولد إلى قول أبيه ومشى ينظر حتى وفقه الله على بلد كما قيل له، فرجع وأخبر والده بها وهي في أرض كذا وكذا فباع ماله بالثمن الكثير.

وقال: إذا رأيت الظلم في البلد يزداد فإنه يدل على ذهاب البلاد والعباد، وإن قيل إن التقية جنة المؤمن، قلنا له: صحيح، ولكن لا يزال الإنسان في البلايا، وغضب المولى يعم كما أن رحمته تعم على الطائع والعاصي.

ثم قال لولده: خذ هذه الدراهم واشتري لنا من البلد بيتاً وأموالاً واستأذن سلطانها، فقصد ولده إلى البلد واستأذن سلطانها واشترى منها ما أراد، ورجع إلى السلطان، فقال له: إن معي والد وله عيلة وأريد من عندك له مكتوباً بخط يدك بالحشمة والأمان فكتب له وأمر عسكره أن يكونوا في صحبته وأهل الإبل ليحملوا لهم متاعهم فامتثلوا الأمر وقصدوا ووصلوا إلى دار أحمد ، وأعطاه ولده المكتوب من السُلطان ، فتباشر بالخير ، وأقاموا فيها أياماً ، وسألوه المثار ؛ فقال : انظر اتفاق السعود من الأيام والشهر والمنازل ، وهذه دلالة لك من قول أهل العلم ، قيل عن عبد الله بن العباس ، معنى هذه الأبيات شعراً :

توق من الأيام سبعاً كواملاً فلا تتخذ فيهن بيعاً ولا سفــر
ولبسك للثوب الجديد فخله ونوحك للنسوان والغرس للشجر
وإحفار بئر أو شرى الدار يا فتى وقربك للسكان فالحذر الحذر
فهن بترجيز ابن عباس الذي حوى العلم والآداب والدين والسور
فثالث وخامس ثم ثالث عشر توقاهم يا صاح والسادس العشر
وواحد والعشرون فهي مشومة ورابع والعشرون والخمس في الأثر
وكل ربوع لا تدور فإنها مدى الدهر والأيام نحس قد استمر
توقاهم ما استطعت حتماً فإنها كأيام عاد ليس تبقي ولا تذر

وهذا عن الحسن البصري في الأيام شعراً :

روى الحسن البصري عن خاتم الرسل حديثاً صحيحاً صادق القول والفعل
إذا شئت نجحاً في أمورك فاجتنب جهات وأياما مبينة الشكل
فبالسبت والأثنين شرقاً محاذراً سلوكك حيناً يا أخا اللب والعقل
وإياك إسلاك الجنوب إذا أتت خميسك يا ذا الب والرأي والعقل
ويوم الثلاثا بعدها الأربعا فلا تجاوز شمالاً هكذا جاء في النقل
وبالجمعة الزهراء والأحد اجتنب من الغرب تظفر بالسلامة في السبل

قال ذو الغبراء : فعمد أحمد إلى السفر في ساعة البدر ، وفي منزلة الثريا ، حال القمر في شرفه ، ومُتصل بالشمس من تثليث ، وصاحب الرابع سعد ، ويتصل بسعد ، وينظر إلى رب الطالع من تسديس، وصاحب بيته في الأوتاد ، تنظر إليه السعود من مكان جيد ، وصاحب بيت السفر مسعود ، فوفق الله له سفره ، ودخل دار السُلطان ، وقال مع دخوله : ﴿ رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن

لَدُنكَ سُلطَانًا نَّصِيرًا ﴾[1] ، وقال شعراً :

إذا اجتمع الصادات يومـا ببلدة	ألا فانزلن فيها أخا العقل واللب
صلاة وصوم واصطلاح وصونـة	وصدق حديث مع الصفاوة في الحب

ثم قصدوا مع السلطان فاستأذنوه الدخول، فأذن لهم ودخلوا معه وصافحوه بتحية الملوك والخضوع، فجلس أحمد بقربه وقال: أيها السيد المعظم جئنا معك راغبين ونزلنا في بلدك بإذنك آمنين، وأريد بفضل منك أن تعفو وتصفح عن زكاتي لأنفع بها أولادي البالغين هم وقرابتي، فقال الملك: هذا المكتوب وقد سمحت لك بزكاتك وجعلت فريضة لأولادك، فقال أحمد: قبلت منك، وهذا من فضلك وإحسانك حملت حالنا وجزاك الله جزاء المحسنين، فولوا عن برزته إلى منزلهم واستقروا في البلد، وحسب أحمد زكاته من النقد والصيغة وجميع ما كان عنده من الفضة فأخرج الزكاة منها ربع العشر فأعطاها زيداً وولده، وأمرهما أن تكون حرفتهما في التجارة وهي مباركة ولأجسامهم مريحة، فقال لهما: فلا تغفلا عن تجارتكما فاحسبا في كل حول، فإذا بلغت مائتي درهم ففيها ربع العشر وكل واحد ما يجب عليه الزكاة يعطيها صاحبه لأنها تجب لكما وتوجب عليكما ومنزلتكما من الفقراء، وأنا زكاتي لكما في كل حول فخذوا العشر من النخيل والزروع التي تشرب بالقطر والأنهار أو كانت مغتنية قريبة عروقها على الماء، والذي يسقى بالزجر فنصف العشر، وكل مال يطنى من أموالي ويخرفها رطباً المستطني لا زكاة فيها على أكثر القول .

قال ذو الغبراء : وهذا ما جرى من الكلام من التدبير الحسن .

---

(١) سورة الإسراء : ٨٠ .

وهذه قصة أخرى في حسن التدبير : حكي لنا أن رجلاً معه أموال جزيلة ولزمه الحج وأراد المسير لتأدية الفرض فشاور أحداً من أصحابه مراده أن يأخذ رجالاً ليكونوا له أعواناً في الطريق حتى تهابه الرجال والفرسان، فنهاه صاحبه عن ذلك وقال له: خذ الدليل البصير واترك الخلق الكثير، فأخذ دليلاً وصاحبوه للحج أناس منهم مستأجر ومنهم لازم عليه فقطعوا دياراً وقيلوا نهاراً فأرادوا الرواح فمنعهم الدليل لأن طريقهم في وادي وقطعه يحتاج إلى يوم وفي ذلك الوقت حر وسحاب فنهم الرعد ونزل القطر وجرى الوادي فانقطع بالمغرب فأمرهم بالرحيل فقطعوه في الليل وقالوا في النهار وكذلك في اليوم الثاني نزل عليهم القطر ولكنه لما ارتفع أمرهم بالرحيل وفي طريقهم مقبل عليهم وادي إلا أنهم عبروها وما خافوا منها، ثم وجدوا قوماً مقتولين في الطريق فلزمهم أن يواروهم وأمرهم الدليل بالوقوف خوفاً أن يهجم عليهم أحد الفريقين ، فوقفوا ثلاثة أيام حتى عرض عليهم رجل فسألوه عن الخبر فقال: جعل السلطان بين الفريقين قبل شهرين فأمرهم الدليل بالارتفاع فطاح رجل من الجمل وانكسرت رجله اليمنى فأشار من أشار أن يتركوه في شيء من البلدان ويدركوا به أحداً فقال الدليل : لنصنع له شبرية[1] ونحمله فيها فإن مات حكمنا بموته وأخبرنا بذاك أصحابه وإن صح فذاك المرتجى وإن تركناه وصح فما حيلته بالرجوع وإن مات فلا تجد الخبر الصحيح الذي يترك به النساء ويقسم به الأموال فيصير حكمه من المفقودين المغيبين فصنعوا له وحملوه وحج معهم وصح ثم عقبتهم في البر فتن وخوف فأمرهم الدليل ببيع الجمال فباعوها وتحصلوا في البحر وسلمهم الله من الشر وطلّعهم الدليل من أمور كثيرة حتى رجعوا إلى دراهم سالمين آمنين .

---

(١) أي : سرير .

وهاك قصة المرأة التي ذكرناها في الذكر السابق الذي حرمت على أحمد قال: فهربت من دارها وتابت إلى ربها وبكت ذنوبها وقطعت الفيافي والقفار مخافة من الكلام والعار حتى جاءت إلى بلد السلطان العادل وأقامت فيها واستقرت وبالناس تعرفت وشاع خبرها في البلاد حتى سمع بها السلطان من حسن أخلاقها فطلبها السلطان لينكحها وإرادته فملك الحاكم بها ودخل عليها وأحبها كثيراً حتى قيل كل من غضب عليه السلطان وخاف منه على نفسه تشفع بها عنده فوجد العفو، ثم ولدت للسلطان ولداً ذكراً وليس معه ولد من قبله فزاد حب السلطان لها وأقامت معه حتى سمعت بخبر أحمد وولده ودخلوا البلد فاستأذنت السلطان بدخول ولد أحمد معها فأذن لها ودخل وتعارفا فأخبرت السلطان بولدها فقربه السلطان كمثل ولده، ثم مات السلطان وورث الملك ولده فوازره أخوه من أمه، ثم مات ولد السلطان فحضرت أم الولد سكان البلد وأشارت إليهم بالملك أن يكون لولدها الذي من أحمد فأعجبهم أهل البلد رأيها وعقدوا له الإمارة فتابعوه وحسن فيهم السيرة .

وسأخبرك من إحدى خصاله المحمودة قد ذخر الملك في خزائنه ثلاثمائة تومان فعاتبوه إخوانه بتركه الدراهم فقال الملك: ما جعلته إلا ذخراً لحاجتكم وإصلاح المسلمين لحوائج الزمان، ثم أقبل مع الملك رجل عظيم مع قومه فأخبر الملك أن قومه أصابهم القحط والجوع والعري فأعطاه الملك مائة تومان ؛ فقال له : أحسنت وأجملت الحال فينا وأسأل الله أن يجعل من نسلك مثلك في الكرم فأعجبه كلامه وأعطاه ثانية مائة تومان فوادع الرجل الملك وقال مع وداعه اللهم إني أدعوك أن ترفعني من الدنيا قبل الملك بساعة، فألحقه في طريقه مائة تومان فاجتمع ما كان

في الخزانة مع الرجل وأخذ لقومه العيش والكسوة وفرقها إليهم فأحيوا من ذلك نفوسهم وستروا عوراتهم ودعوا ربهم بالرحمة لمواطنهم فرحمهم الله بالغيث وكثرت معه البركات من المواشي والزراعات، وأرسلوا إلى الملك الذي أهدى إليهم من زكاتهم في كل حول ثلاثمائة تومان قد سنوه على نفوسهم وأوصوا به على أولادهم ثم كتبوا للملك: هذا ما أرسلنا إليك من حق الله فاقبله ولك في كل سنة مثله ومهما بدت حاجة في الأموال والرجال فالمراد البيان وعليك السلام .

ثم قال أحمد لولده : يجوز لك أن تخادع الظلمة على الحصون التي قبضوها في أيديهم وإن امتنعوا فجائز تهدم بيوتهم وتخشي نخيلهم وتدكم أفلاجهم بعد قيام الحجة عليهم وإن عاهدوك وعاهدتهم على أن تقف عنهم وأنت قادر عليهم فأخاف عليك الإثم، وجائز لك أن تحربهم .

ثم أقبلا إلى الملك رجلان أحدهما يشكو من صاحبه أن له دراهم فنكر خصمه فتوهم الذي له الحق ساعة ثم قال لخصمه: أنا أصبر عليك ثلاث سنين وأسايرك فيها من بعد فاكتب لي حقي في ورقة ولا تكن مصراً عليها وإن عجزت عن التسليم فأنت في الحل منها فكتب له حقه وقبض الورقة ثم شكاه فيها من ساعته فألزمه أحمد لأنها حالة عليه والكلام هو حيلة منه لأخذ حقه ولا بد من تسليم ماله فسلمها بالحال، ثم وصلت عند الملك امرأة، وهي ابنة الشاة أمير العجم ومعها ملك وأموال ولها زوج وصح منه التقصير إليها ، فقالت للملك : جئت عندك أريد أموالاً جزيلة لأفتدي بها من زوجي وإني أعاهدك بنفسي أن لا يتزوجني رجل غيرك، فسكت عنها الملك وأعطاها من الأموال إرادتها ومشت إلى زوجها فافتدت

منه، ثم رجعت إلى الملك ليأخذها فسأل والده فقال تجوز لك هذه المرأة لأن النظر واللمس والعهد لا يضر على قول لأن الأمر ليس بيدها، فتزوجها الملك وزاد ملكه أضعافاً مضاعفة، ثم رجعت إليه الأموال التي سلمها للفداء، وبقت معه المرأة حتى توفاها الله وورث مالها وملكها كله لأنه لم يكن لها وارث أحد غيره ولا صح بالشهادة الصحيحة في النسب والزوج والزوجة أحق بالميراث من بيت المال والفقراء فافهم ذلك وخذ منه ما يوافق الحق والصواب وأعرض عن الباطل والسلام ختام .

قال ذو الغبراء: سألت أحمد كيف يوقف المال عن القسمة؟ قال : مثل إذا مات الرجل وترك زوجة وفي بطنها حمل، والمسألة الثانية أم الهالك إذا كان في بطنها حمل ولم يكن للهالك أب ولا جد ولا ولد ولا ولد ولد فإن الحمل الذي في بطن أمه يكون أخيه من الأم .

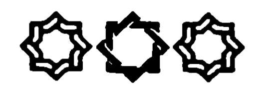
وسألته عن المفقود والغائب كيف الرأي في زوجاتهم؟، قال: أما المفقود فموقوف ماله بعدما يؤرخ الحاكم إلى أربع سنين ويجري من ماله النفقة لزوجاته ولأولاده الذين لم يبلغوا الحلم حتى تمضي أربع سنين، ثم يجعل الحاكم وكيلاً من أقرباء المفقود حتى يطلق زوجات المفقود ثم يعطيهن صداقهن وميراثهن وإن تزوجن ورجع المفقود إلى وطنه فماله مرجوع إليه وهو مخير في الزوجات إن أرادهن فهن زوجاته وإن أراد الصداق أخذه من عندهن ويطلقهن ويعتدن ثلاث حيض أو بالأشهر مثل الصبية واليائسة والتي لا تحيض أبدا، فإن أرادوهن أزواجهن الآخرون فجائز لهم .

وأما الغائب فأعظم من المفقود وفيه أقاويل كثيرة قول أنه يؤجل

الحاكم في ماله مائة سنة ويجري في ماله النفقة للزوجات وأولاده الصغار فإن ذهب المال كله فيجعل الحاكم وكيلاً يطلق الزوجات فإذا طلقهن وانقضت عدتهن جاز تزويجهن وإن بقي المال كثيراً وقسموه الورثة بجهل واعتدن النساء بغير نظر من أهل العلم بالكتاب والسنة فعلى هذا لا يجوز في تلك الأموال بيع ولا شراء ولا هبة وإن تعرض أحد فهو ضامن لما قبضه بيده ولا يجوز تزويج الزوجات وإن خالف مخالف فالحق يعلو وليس يُعلى عليه، ولو تزوجت امرأة الغائب ونسلت أولاداً ومات الزوج فليس لها صداق ولا ميراث وأما الأولاد فإنهم يرثوه بالنكاح الفاسد، وإن مات أحد من الأولاد فالأم ترثه وكذلك هو يرثها ويرثها الغائب، وكل من مات ممن يرثه الغائب فهو وارثه، ومن خالف أهل العلم فقد ضل عن الحق وأضل ممن تابعه فأعوذ بالله من متابعة الهوى، ومن الحمية التي هلكت بسببها الأمة .

قلت له : وما السبب في هذه القصة ابتدأ بذكر الرجلين الفقيرين ؛

قال : كل شيء ابتداؤه حقير ، لا له قوة ولا حركة ولا أموال ولا عِلم ، وينشأ عما ولد في تلك الساعة ، وعلى الطالع من البروج ، وما فيها من السعود والنحوس ، فانظر في قصة زيد وما وقع عليه ، فذهبت الأموال على يديه ، وسببه عند مولده من ضعف بيت ماله ، ورأس ماله منحوس ، وأما قصة أحمد مع مولده مسعود بيت ماله ، وربه متصل بالسعود ، وكذلك بيت العِلم والعز مسعودين ، وإن أردت تغوص في هذا العِلم ، فاطلبه من الكُتب المُؤثرة ، وباحث في السؤال أهل المعرفة ، ثم قس بعقلك لتجد مطلوبك ، وأحمد معبودك ، وصل على رسولك .



الذكر السادس والعشرون :
فيه ذكر الكرم وعمل الأطعمة والإشارات

صفة البخيل :

قال ذو الغبراء : سمعت قوماً يتذاكرون الكرم ويتفاخرون به، ويفيحون بالذم للذي لا يطعم الأكابر والفقراء والمساكين، فسمعت منادياً يناديهم: إن البخيل الذي يبخل بحق الله من ماله ولو ملك الأرض بأقطارها، وأطعم أهلها وسكانها من جميع الحيوانات، ما سمي هذا باسم ما فعله بالكرامة، ولا نفعه عند ربه ولو افتدى بملء الأرض من ذهب ما قبل منه مثقال ذرة، وإن أعطى الله عبداً ملء الأرض وما فيها ولم يطعم فقيراً ولا مسكيناً ولا يتيماً ولا أسيراً، ونفّذ زكاته في محلها فقد نجا، وليس عليه سؤال ولا عقاب في مال خوّله الله من النعم، ولا يجوز أن يسمّى بخيلاً، وإن طعن فيه طاعن ولم يتُب إلى الله تعالى، فلا شك أنه من الهالكين.

وينبغي للإنسان في هذه الدنيا أن يكتسي مما يسدّ عورته وجسمه، ويأكل من الطعام ما يقوّي أعضاءه، ويأكل بشهوة أهله، إلا أن يكون عنده ضيف أو عبد، فليعمل من أحسن الأطعمة.

كيفيية تبريد الماء :

وهاك في الماء صفة تبريده، إذا أردت أن تصيِّر الماء بارداً شديداً عند الحر، تأخذ جحلة أو جدوية جديدة مستعملة أو غير مستعملة، وتجعلها في الشمس، إما قائمة وإما مديرة بالشمس، فإذا قويت حرارة

الإناء من الشمس يجعل فيها الماء، ثم يجعلها في الشمس قائمة أومائلة مديرة بالشمس، حتى يسخن الماء ثم توضع في الظل، فإنه يبرد برداً شديداً عجباً يعجب منه الذي لم يعلم بصناعته في ذلك الوقت ويظل بارداً بقدر ثلاث ساعات.

كيفية طبخ الأرز مع اللحم بالحطب :

وأما عمله الطعام فله أياد، ويحتاج إلى تعليم ومعلم حتى يحسن التدبير في خدمة العيش والذي أحسن لعمل الرجال الأرز واللحم إن قدروا عليه في بلدانهم، وطريقة عمله أن يأخذ اللحم ويضعه في إناء ويضع عليه ماءً وملحاً وجزعاً قليلاً ليُذهب صلوحة اللحم، ثم يجعله على النار حتى يكون في أول نضجه ثم يجعل عليه الأبازير والسمن، ويحركه بآلة حتى تدخل الأبازير والسمن في اللحم، فإذا رأيته داخله إحدره، ثم أضف ماءً للأرز فاغسله به مرة بعد مرة وأهرق الماء ثم ضع الأرز والماء في الوعاء الذي يطبخه، فإذا ثار ارم فيه اللحم والسمن، فخفف عنه النار عند أول نضجه، ثم احذر الحطب أن يمس الإناء عند الطبخ؛ لأنه إن لحقه فربما يلحقه احتراق من قعر الإناء، ثم ضع عليه غطاءً ليرد عليه بخاره، وبهذا يكون النضج الأعلى كالأسفل، فإذا يبس ماؤه احدره وأضف إليه السمن المقشد بالأبازير والبصل، وفي كرامة السمن: صاع الأرز له منّ سمن، ثم أكرم به ضيفك.

كيفية عمل طعام لقوة الجسد من التمر :

وأما التمر، فاجتهد في تصنيعه مع حصاده وكنازه، وإن أردت تعصده بالسمن للقوة في الجسد، فأخرج منه النوى والقشر إن قدرت،

وادلكه بعضه في بعض بقدر نصف ساعة، ثم ضعه على النار في أوعية الصِفر، واسقه بالماء وكلما جفَّ وشرب الماء أكثر، كان أحسن؛ لأنه يشرب السمن أكثر، حتى يصير قريباً من العصيدة، واجعل تحته ناراً خفيفة اللهب، واجعل لكل مَنٍّ تمر ربْعَ منٍّ سمنٍ أو ثلث منٍّ بقدر ما يحتاج، ثم حرّكه بمحراك حتى يرشف سمنه فزده سمناً، ومتى لم يدخل فيه السمن رشَّه بالماء، فإنه يدخل فيه، و لا تزال كذلك حتى لا يرشف السمن الذي يسقى إياه ولو رش بالماء، فهو علامة نضجه وتمامه. فإذا بلغ كذلك ففيه قوة عظيمة للجسد. حتى يذوب السمن، فإذا نظرت السمن يتجارى من التمر، فانزله عن النار وضعه في وعاء آخر، حتى يبرد قليلاً ويأكله الإنسان.

عمل خبز الحنطة :

يؤخذ قليل من لبن حامض، أو خل وقليل من طحين ويعجن بعضه ببعض، ثم يعجن به الطحين ويترك ساعة ويخبز، ويعزل منه قدر كياسين، فإذا أردت خبزاً ثانياً فيعجن طحين الحنطة بالماء بعضه ببعض، ويلقى فيه الخميرة المعزولة ويترك ساعة، فإذا أردت أن تخبز فاترك منه بقدر كياسين للخبز الثاني والثالث والرابع والخامس ولو إلى شهر أو أكثر، وكذلك خبز خميرة الذرة بماء حار، ويسار بها السيرة المتقدمة.

طريقة عمل حلوى الرطب :

تأخذ الناعم من الرطب مثل الخلاص وقش الزبد وما أشبههما، ويخرج منه القشر والنوى، ويوضع عليه قليل طحين ويدلك بالماء قليلاً ويطبخ بالسمن، ومتى لم يقبل السمن يرش بالماء حتى لا يقبل السمن،

ولو رشه بالماء، فقد تم.

طريقة عمل حلوى الجزر[1] الذي يحشي عوده على وجه الأرض :

يطبخ بسكر حتى ينضج، وبحيث يكون إخراج قشره بسرعة فيخرج منه القشر، ويمرس باليد ويوضع عليه طحين معجون بالماء ويدلك به، ويوضع على النار ويطبخ بالسمن، ومتى لم يقبل السمن يرش بالماء حتى لا يقبل السمن، ولو رش بالماء، فقد تم عمله.

وصفات لعمل أطباق أخرى من المأكولات :

وأما إذا كان الدقيق موجوداً في البلد فله صفات كثيرة في عمله، ولكن أولى العمل للرجال أن يخمِّر من الدقيق بقدر عشرة من أول الليل، ويوضع عليه شيء من الحازر [2] في أول عمله الخميرة ثم يجمع الخميرة والدقيق ويعجنه ويخبزه، وأما بعد الابتداء ففي كل يوم يأخذ من الدقيق المخمور قليلاً، ويجعله في الدقيق إذا أراد الخبز، ويجعل في الدقيق ملحاً لأن أكثر الأطعمة لا تستغني عن الملح، والأحسن أن يخبزه في الحواري وهو الصفح الذي يصنع من الطين وأحرقه بالنار، ثم يأكله بما شاء من الأحلية، وإن أراد أن يحلي به اللحم، فليجتهد في تقطيع اللحم قطعاً صغار كالدرهم أو أصغر، ثم يطبخ اللحم بالماء والملح والجزع إلى أول نضجه ، هذا إذا كان من الغنم والطير ، وأما لحم الإبل والبقر ، فلا يحتاج إلى ماء في أوله ، ويخرج منه ماء يكفيه ، حتى يصير إلى أول

---

(١) يقصد بالجزر هنا ، ما يسميه العُمانيون : الفندال ، وهو البطاطا الحلوة .
(٢) اللبن .

نضجه، ثم يوضع عليه البصل والأبازير والسمن حتى يداخل اللحم، ثم يسكب عليه ماءاً قليلاً حتى ينضج، ثم يأكله بالأخباز.

وفي وصفة أخرى : خذ اللحم وقطعه ، وضع عليه الأبازير والملح ، وضعه في برمة أو صفرية ، ثم ضع عليه غطاءً وشمّعه بالدقيق خوف أن يطلع البخار ، ثم أوقد ناراً في التنور ، فإذا حمي اجعل البرمة داخل التنور ، وشمّع التنور لئلا يطلع البخار ، كعملية الشواء بقدر ثلاث ساعات اتركها ، ثم اطلع البرمة فتجد فيها مرقاً ولحماً طيباً دون الماء ، وهذا من البخورات أصله ، ولا تجعل في البرمة ماء ، وإن جعلت فيها ماء فحسن ، وإن جعلت داخلها أرزاً وماءً ولحماً ، وشمعتها على ما ذكرناه فحسن ، وإن طبخت اللحم في إناء حتى ينضج نضجاً جيداً ، وجعلت تذر عليه الدقيق وتحركه بمحراك تدويراً ، يدخل بعضه في بعض حتى ينضج الدقيق ، فانزله من النار وضعه في إناء آخر ، ثم ضع عليه سمناً لتحلي به ، فهذا حسن .

وإن أخذت الدقيق ، ومرست التمر وصفيته من القشر والنوى، وجعلته على النار في إناء، وذررت الدقيق عليه وعصدته بمحراك حتى ينضج، فحسن .

وإن أخذت الدقيق وسكبت عليه ماءاً وحركته بيدك، ثم أخذت من البيض وجعلت لسدس الصاع بيضتين، وحرّكت البيض في ماء الطحين حتى يصير كمثله، ثم جعلت منه على طوبج الحديد قليلاً، فإذا نضج اقلعته، وجعلته في إناء، ثم أعدت العمل حتى يكمل الدقيق، وضعت عليه السمن والعسل، وحرّكته بمحراك قليلاً ، فذلك حسن .

صفة عمل مقير السمك :

يؤخذ مزّبد التمر المغلي على النار، وهو أحسن من مديد الخل، ثم يصفى ويبرد ويلقى في جرة صيني، ثم يؤخذ السمك ويغسل بالماء إن كان جديداً، أو إن كان قديماً يقطع قطعاً كل قطعة مقدار ربع المنّ أو سدس المن، ويظل في الماء مقدار أثري نهار ثم يغسل ثلاث مرات إذا لم يكن نهر، ثم يرص الجلجلان والصعتر وورق الليمون غير مدقوق ويلقى في ذلك المديد الذي جعلته في الجرة، ويلقى عليه قطع السمك مصفوفةً بمقدار ما يطلع على المديد الذي في الجرة، ثم يلقى عليه الجلجلان الصعتر وورق الليمون بمقدار ما يبلغ ثلاثة أرباع الجرة، وكلما صفيت السمك في الجرة ألقي الجلجلان والصعتر وورق الليمون ثم يوضع المديد بقدر ما يغمر صفة السمك، واحذر أن تناله بيدك عند أخذك منه للأكل بل يؤخذ بالمغراف.

صفة مقير الكسيف اليابس :

يقطع قطعاً وينزع منه الجلد، ثم يؤخذ له خلاً حامضاً ويلقى في الجرة التي يوضع فيها، ويلقى عليه الفلفل والقزح والقرفة والجلجلان بعد سحقها، ثم يلقى في الكسيف المقطع، ويحذر عليه الأخذ باليد، ويؤخذ بالمغرفة، هكذا كلها الإشارات والخلول تؤخذ بالمغرفة.

صفة عمل أشار الأنبا :

يفلق أربع فلق لا مفلت عن بعضه، ويكون متصلاً ليس عاقداً، ثم يدلك بملح وجزع، ثم يبجل ويخلط في بعضه، ويجعل في بطن الأنبا،

ويوضع في قفير بعضه فوق بعض، ويغطى بخصف، ويجعل فوقه حصاة ثقيلة، ثم يترك يوماً وليلة، ثم يخرج ويغسل بالماء الجاري بقفيره، ثم يروّح في الشمس حتى تيبسه الشمس، ومن بعد ذلك يحشى بالبازير فلفل أحمر وجلجلان وخردل وشونيز وثوم، يدق جميعاً سوى الشونيز والثوم، ثم يعجن بالخل ويحشى في بطن الأنبا، ثم تؤخذ لكل أنباة حبة فلفل أحمر وفص ثوم، فيوضع في وعاء ليس في داخله سمن ولا حديد، ويشمّع عن الهواء والغبار بقدر نصف شهر، ثم يجعل عليه الخل يكن أعلاه الخل مرتفعاً، وإن شمر به فيزيده خلاً ثم يشمعه بقدر شهر زمان، ثم يحلي به في العيش، فهذا يقيم سنين إذا لم يرشفه الهواء.

طريقة أشار الجزر :

خذ جزر القعوة النضيج في الأرض، وطهره بالماء، وقطعه كالدرهم واجعله في قفير ثم اجعل عليه ملحاً، وارضج عليه بالحصا يومين، ثم اغسله بالماء واجعله في الشمس، فإذا يبس اجعله في الإناء ثم ضع عليه الخل الحاذق مع الأبازير كالفلفل والقرفة والهيل والقرنفل والقزح، وإن جعلت فيه الزبيب فحسن، وأسكنه وشمّعه لئلا يرشفه الهواء، ويحتاج نضجه إلى شهر زمان، وإن يبس الخل، زده من الخل حتى تراه أعلا الخل من الأشار، وحلّي به في العيش، فهذا لهضم الطعام، واحذر أن يرشفه الهواء، فإنه يعيش أشهراً وسنينَ، وكذلك إن طبخ اللحم والملح والثوم والقزح، فإذا اسكنته في الإناء، ولم يرشفه الهواء والغبار، فإنه يعيش مدة.

وأما البصل: فيزال قشره اليابس وعروقه، ويسكن في الوعاء،

ثم يسكب عليه ماء اللومي مصلولاً بخرقة عن البذر بقدر ما يعلوه، ثم يشمع عن الهواء، وهذا يعيش سنة أو أزيد، وهذه الإشارات حلاء للطعام.

ومما قال خميس البهلاني البيت الأول ؛ والبيت الثاني لمحمد العيسائي ، في مدح الأطعمة :

مَنْ لي بأرزٍ ومنّيْ كَنْعدٍ قَليا ... ومنْ سَمْنٍ يُدنى كلّ ذاك ليا
أدعو لهُ بالرضى مِنْ ذي الجلال وأنْ ... يعيشَ آمناً مِنْ كلِّ ما خشيا
وإن تعسَّرَ هذا فالخبيزُ لنا ... كافٍ ولحمُ دجاجٍ صاح قد عليا
أو صحنُ دلوكٍ فدهي وأرغفة ... يكونُ ذاكَ سخيناً طيباً هنيا
من البلوج ومن نزوى صنيعتُه ... ولم يكن ذاك بالدينار قد شريا
فإنَّ في ذلكمْ سداً ومقتنعاً ... لمن بثوب الطوى قد ظل مكتسيا
ولا جناحَ عليه بعدَ جهدتِه ... ومنه ما من من معروفه رضيا
فليس يوهيك إن ألقمته أكلاً ... يوماً أبو عمره إن جاء معتديا
نعم وليس لموسى عنده إن ... جاء مصطبحاً أو جاء ممتسيا
كلا ولا أبداً تخشى بوادرهُ ... لو ظلَّ يدأبُ بالقصرينِ لم ينيا

وقال الشيخ ناصر بن جاعد :

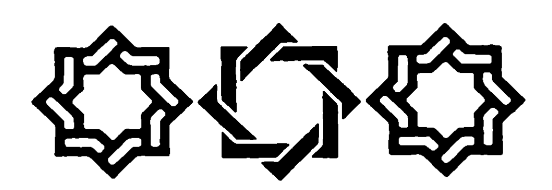
معيشتنا خبز لغالب وقتنا ... وماء وليمون وملح وقاشعُ
فإن حصلت معْ صحةِ الجسمِ والتقى ... فيا حبذا للذي هو قانع [1]

---

(١) روى الإمام السالمي هذين البيتين في تحفة الأعيان باختلاف يسير:
- معيشتنا خبز لغالب قوتنا ... وماء وليمون وملح وقاشع
فإن حصلت مع صحة النفس والتقى ... فيا حبذا هذا لمن هو قانع

قصة الملك مع الغريب :

والنية لكرامة الضيف يجعلها لله لا للجاه ، وحدثني رجل عن ملك تخلق بأخلاق أصحاب الكرم ، والفقراء لا يستطيعون على الدخول إلى حصنه ؛ لأن الأبواب عليها أقفال وحُراس ، فلا يدخل أحد إلا بإذن من الملك، وخصوا بهذا الدخول أهل الأمر، وأما الفقراء ففي الجوع والعراء، فجاء رجل غريب، وسأل عن الملك فلم يبلغ الملك عن الغريب، ثمّ نزلت على الملك مصيبة بأهله، فخرج إلى المقبرة فجاء عنده الغريب، وصافحه وعزّاه، وقبض يد الملك، وقال: الكريم يعطي الناس دون سؤال، وإن سألوه فلا يؤخّر بعد المطالبة، فخلع عليه الملك من ساعته كسوته وسلاحه، ودبّر الملك كسوة وسلاحاً له، ثم سأله عن داره وعن أي منزل نازل في البلد فأخبره بذلك، ثم ندب إليه الملك في اليوم الثاني بمائة حرف، وفي اليوم الثالث كذلك، فقال الغريب للرجل الذي يأتي له بالحروف: قل للملك: إن الغريب سافر، وأما الفقراء فلا قدرة لهم على الوصول إليك، فأخبر الرجل الملك بقول الغريب، فنصب الملك مقاماً في البرية للفقراء وجعل لنفسه عادة كل يوم ينزل في المقام لحاجة الفقراء ، وزيه كزي الفقراء ويبتدنهم بالصباح ، ويقضي حوائجهم ، ويسأل مولاه القبول ، فهذا طبع أهل المكارم لا كأهل المظالم ، ولكن يجب على العامي أن يسأل العالم ، حتى يكون في زمانه هو الكريم السالم ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائم .



بحمد الله تم

الجُزء الأول من كِتاب :

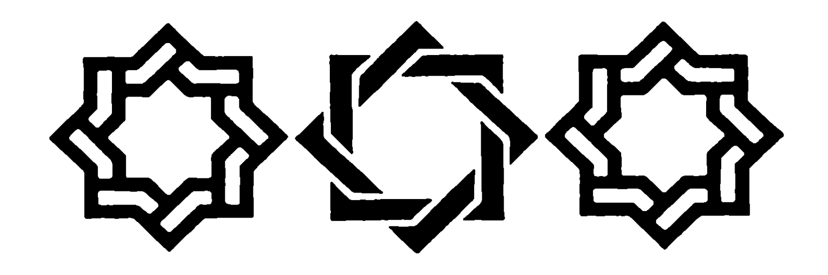
" شفاء القلوب من داء الكروب "

ويلية ـ إن شاء الله تعالى ـ الجُزء الثاني،

ويبدأ بالذِكر السابع والعشرون :

في ابتداء خلق الإنسان ، وما له من الأحكام والميراث ، وفيه ذِكر الأرزاق والبركات في الحيوانات والجمادات

الفهرس



رقم الإيداع : ١٥١/ ٢٠١٠م